**مجلة الدراسات الإنسانية**

**تصدرها: كلية الآداب والدراسات الإنسانية - جامعة دنقــلا**

**مجلة نصف سنوية – محكمة - العدد التاسع عشر - يناير 2018 م**

**رئيس هيئة التحرير مستشارو التحرير**

**أ.د. كباشي حسين قسيمة**

أ. د. عباس سيد أحمد زروق

**رئيس التحرير** أ. د. حسن علي الساعوري

د. محمد عز الدين علي أ. د. عبد القادر محمود عبد الله

**نائب رئيس التحرير**  أ. د. على عثمان محمد صالح

د.الرشيد محمد إبراهيم أ. د. عبد الناصر بن عبدالرحمن الزهراني **سكرتارية التحرير**  أ. د. محمد المهدي بشرى

د. السيد بخت أحمد أ. د. نصر الدين سليمان علي د. مجدى سليمان حمزة أ. د. محمد مهدي إدريس د. أميرة علاء الدين صالح محمد

د. عبد الحكيم حسن ابراهيم

**قواعد النشر**

تُعنى المجلة بترقية البحث العلمي في مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية وتهتم – على نحو خاص – بنشر البحوث والدراسات ومراجعات الكتب والتقارير العلمية والندوات المتخصصة، كما ترحب بالمناقشات الهادفة والموضوعية لما ينشر فيها.

**قواعد النشر بالمجلة:**

\* يقدم المقال أو الدراسة مطبوعاً على ورق 4 A ومرفقاً معه قرص مدمج 3.5 فيما لا يزيد عن (7500) كلمة (25 صفحة) سواء باللغة العربية أو الإنجليزية أو الفرنسية.

\* ألاَّ يكون المقال قد سبق نشره أو قدم للنشر في جهات أخرى، كما لا يجوز إعادة نشرها - كاملاً أو جزئياً - في وعاء آخر، إلاَّ بأذن خطي من المجلة.

\* توضع إحالات المراجع في داخل النص وفق طريقة جامعة هارفارد (الطريقة الأمريكي) للتوثيق، وهي كما يلي: (الإسم الثالث سنة النشر، ص ). هذا في حال أسماء الكتاب الأجانب ومؤلفي المصادر العربية **كالطبري.** أما أسماء مؤلفي المراجع العربية، فتكتب ثلاثية مثل (أميرة علاء الدين صالح 2008م، :109).

\* أما ترتيب المراجع في القائمة المراجع فيرد وفقاً لما يلي: في حال المراجع الأجنبية والمصادر العربية: اسم العائلة /اسم الشهرة، الاسمين الأولين سنة النشر، عنوان الكتاب/ المقال ، دار النشر، مكان النشر، (تضاف صفحات المقال في حال الدوريات)؛ بينما تكتب أسماء مؤلفي المراجع العربية ثلاثية في هيئتها العادية، وتليها بقية البيانات.

\* عرض المقالات والبحوث على محكًمين مختصين في مجالات المجلة لإجازتها وتقوم المجلة بإخطار أصحاب المقال بقرار المحكمين، ولها حق إجراء أي تعديلات شكلية جزئيه قبل نشر المادة دون أن يخل ذلك بمضمون المادة المنشورة في حالة الموافقة بنشرها.

\* تقبل البحوث من كافة الباحثين من داخل وخارج السودان.

\* الأفكار والمعلومات الواردة في البحوث تعبر عن آراء كتابها وليس بالضرورة تبنيها من قبل كلية الآداب والدراسات الإنسانية.

\* تمنح المجلة كاتب المقال ثلاث نسخ من العدد الذي يحتوي على مقاله.

\* أصول المقالات التي ترد إلى المجلة لا تسترجع سواء نشرت أم لم تنشر.

\* تحتفظ المجلة بكافة حقوق النشر.

\* ترسل البحوث باسم السيد / **رئيس هيئة التحرير** ـ كريمة ص. ب 58 أو على البريد الإلكتروني على عنوان المجلة [magazinearts@yahoo.com](mailto:magazinearts@yahoo.com) أو بالفاكس 0024923122954

**Guidelines for Authors**

Human studies journal is a half-year publication representing articles in the field of social sciences and humanities aiming to pursue research and form a meeting for ground exchange of opinions. The Journal welcomes articles, books, reviews and scientific reports.

\* Submitted manuscripts should be written in Arabic, English or French, in the range of 7500 words (ca.25 pages). Typed in an A4 size paper along with a CD or 3.5 disk.

\* The manuscripts should not have been published previously and should not be published elsewhere, in full or in part, without a written permission from the chief editor.

\* References should be cited according to the Harvard University style of citation (the American style) (the surname year, p. ), that’s in case of references written in non-Arabic languages, or even in case of the classical /medieval Arab authors, such as Al-Tabari. The names of modern Arab authors should be written in its treble form, as (Amira Alaa El-Din Salih 2008, p.109).

\* The bibliography should be arranged at the end of the text in the following order, in case of non-Arab authors and classical/medieval Arab writers: family name, the first two names year of publication, title of the book or article, (in case of book, name and place of publisher. In case of article journal serial number and article pages number). In case of modern Arab authors, the name should be written in its treble form.

\* Submitted manuscripts would be evaluated by specialists in the field. If accepted, articles can be subjected to minor modifications.

\* Each author is entitled to obtain 3 copies of the journal in which his/her article is published.

\* The views expressed in the papers are the sole responsibility of the authors.

\* Manuscripts will not be returned to their authors.

\* Corresponding address : P.O.box:58 Karima, Sudan.

e-mail : [magazinearts@yahoo.com](mailto:magazinearts@yahoo.com)

Fax : 0249231822954 Tel : 0249231820098

**كلمة العدد**

القارئ الكريم، بين يديك العدد التاسع عشر من مجلتك الدراسات الإنسانية وهو حافل بموضوعات علمية تناولت شتي ميادين المعرفة من الدراسات الإنسانية والتي صيغت بأسلوب علمي رصين.

هذا العدد - كسابقه من الأعداد - حافظنا فيه بقدر المستطاع علي باحثينا العلماء بالجامعات السودانية وخارج السودان سعياً وراء التنوع وفتحاً لميادين جديدة من المعرفة، إذ تعتبر المجلة نافذة تطل بها الكلية علي قرائها الكرام في محيطها الداخلي والخارجي.

نأمل أن يجد فيه القارئ ما يفيده. ويسعد أسرة التحرير أن تزجي آيات الشكر والتقدير والعرفان للمساهمين في هذا العدد من العلماء والباحثين، ونناشد الجميع بالمشاركة بالنصح والتوجيه بما يعين علي تجويد الأداء للأرتقاء بالبحوث العلمية.

هيئة التحرير

**محتويات العدد**

1- كلمة العدد ................................................................................

**2- أثر برنامج معرفي اجتماعي مقترح لعلاج متلازمة الإعتماد**

د. عثمان فضل السيد أحمد فضل السيد..........................................................

3-  **مدي الاستفادة من تقنية الجيل الرابع بشركة سوداني للاتصالات :الواقع المأمول والتحديات**

د. هادية يوسف عبد الرحمن محمد ، د.خليل عبد الله علي.....................................

**4- . العلاقات الإسلامية المسيحية في صدر الدولة الإسلامية**

د. أبكر عبد البنات آدم .....................................................................

**5- الطّلاق في المجتمع العربي السعودي: رؤية نظرية**

د/ عمر عبد الجبار محمد أحمد.............................................................

**6- التعصب القبلي لدى الشباب السعودي مظاهره، وأسبابه، وآثاره**

د.حميد بن خليل الشـــــــــــــايجي، د.المــــــــــــــــــأمـــــون الســــــــــــر كرار ..................................

**7- بعض معوقات المشاركه السياسيه للمرأه السودانيه**

د.اشتياق عبدالله محمد حسن.............................................................

**8- وظيفة السياق القرآني وأثره في تحديد دلالة الألفاظ (دراسة بلاغية)**

د. عبد الحكيم أحمد سرالختم جيني...........................................................

**9- من قواعد التوجيه الاستدلالية: إِذَا دَخَلَ الدَّلِيلَ الاحْتِمَالُ سَقَطَ بِهِ الاسْتِدْلال**

**المراد بالاحتمال، أنواعه، طرقه، ضوابط الاعتداد به في إسقاط الاستدلال**

د. عصام محمد ناصر العصام .................................................................

**10- الطبيعة في الشعر الجاهلي**

د . إشراقه طه أحمد عبود..................................................................

**11- . تقنيات علم الآثار الحديثة واسهامها في تطوير العمل الاثاري**

**(حقل الآثار السوداني نموذجاً)**

د. يوسف العبيد السيد الشيخ..............................................................

**12- ملامح أساليب الإرشاد السياحي في كتاب "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" للإدريسي:**

**وصف المدن البرتغالية أنموذجًا**

د. محمد إسماعيل أبوالعطا..............................................................

**أثر برنامج معرفي اجتماعي مقترح لعلاج متلازمة الإعتماد**

د. عثمان فضل السيد أحمد فضل السيد **Dr. Osman F. A. Fadulelseed**

**Assistant Professor الأستاذ المساعد Department of Psychology قسم علم النفس**

**Faculty of Arts Al –Neelain University كلية الآداب - جامعة النيلين**

**Faculty of education - Hail University Email. osman19790@gmail.com كليـــة التربيـــة – جامعــة حــائـل**

الملخص

يهدف البحث الحالي إلى التعرف على أثر البرنامج العلاجي المقترح لعلاج متلازمة الإعتماد على المواد النفسية في ضوء نوع المادة المستخدمة والإنتكاسة، ولتحقيق ذلك استخدام الباحث المنهج التجريبي من خلال بناء البرنامج العلاجي المقترح ومقياس متلازمة الإعتماد، ليستخدما كأدوات لجمع البيانات من مجتمع البحث البالغ قوامه (60) معتمد، تم تنصيفهم بالطريقة العشوائية البسيطة إلى مجموعتين بواقع (30) معتمد في كل مجموعة بحيث تمثل الأولى المجموعة التجريبية والأخرى الضابطة، كما تم التكافؤ بين المجموعتين في متغيرات البحث، وبعد جمع البيانات تم تحليلها بواسطة الأساليب الإحصائية المناسبة التابعة لـ (SPSS) وأشارت أهم النتائج إلى إن البرنامج العلاجي المقترح يتمتع بأثر فعال في علاج متلازمة الإعتماد، وإنه لا توجد فروق جوهرية في التحسن على متلازمة الإعتماد تعزى لنوع المادة المستخدمة، وإنه لا توجد علاقة جوهرية بين التحسن على متلازمة الإعتماد والانتكاسة، كما تمت مناقشة النتائج في ضوء الإفتراضات النظرية للمنحى المعرفي الاجتماعي. وقدم الباحث مجموعة من التوصيات والمقترحات البحثية.

**مقدمة البحث: Introduction of Research** : تُعد متلازمة الإعتماد على المواد النفسية أو ما يعرف على المستوى العلمي سابقاً والمستوى العام حالياً بإدمان المخدرات من أخطر المشكلات التي تواجه الإنسان الحاضر وذلك للتفشي الوبائي لتلك الظاهرة في دول العالم المتقدم والمتخلف منها على حد سواء، إذ تشير تقارير اللجان الطبية التابعة لمنظمة الصحة العالمية عن الاعتماد الكحولي فقط بأن الولايات المتحدة الأمريكية وحدها بها (10.000.000) وفي فرنسا (4.000.000) وفي ألمانيا (2.500.000) وفي بريطانيا (1.000.000) معتمد على الكحول وأن هذه الأرقام في زيادة بشكل مستمر، أما على الصعيد الإقليمي والمحلي فلا توجد إحصاءات دقيقة غير أن المهتمين في هذا الجانب أعطوا بعض المؤشرات عن نسب الانتشار؛ فتشير الدوائر الإعلامية إلى أن متلازمة الاعتماد هي المشكلة الثانية التي يعاني منها العالم العربي بعد الإرهاب، ويشير (السواس: 2001: Alswas) إلى: [... أن متلازمة الاعتماد في ازدياد مستمر في العالم العربي منذ عام "1970" ويتضمن ذلك أصنافاً جديدة لم تكن معروفة من قبل]. وفي السودان يشير (هارون: 2005: Haroon) إلى: [... لأسباب سرية الإتجار والتداول والاستخدام من جهة ولضعف القدرات الإحصائية للأجهزة المختصة من جهة أخرى فإنه لا توجد إحصاءات دقيقة عن معدلات إساءة الاستخدام ومتلازمة الاعتماد غير أن أكثر المواد استخداماً هي الكحول والقنب]. [عبد الله: 2000: 233؛ البار: د. ت: 73-76؛ هواسي: 2003: 78؛ توفيق: 2003: 78؛ العربية: 1996: 472]

إن هذه الإحصاءات تعطي مؤشراً عن مدى انتشار متلازمة الاعتماد في العالم ومن ثم الآثار الصحية المتعددة والوخيمة التي تلقي بآثارها على الجوانب الجسمية والنفسية للمعتمد؛ فعلى المستوى الجسمي لا يوجد عضو واحد يظل في أمان من تأثير المواد النفسية فعلى سبيل المثال لا الحصر يؤثر استخدام الكحول في الجهاز العصبي والهضمي والتنفسي والدموي والغدي والبولي والتناسلي، بينما يؤثر استخدام القنب على الجهاز العصبي والهضمي والتناسلي والمناعي والغدي والدوري والصبغات والعيون. وعلى الصعيد النفسي ينجم من استخدام الكحول اضطراب الهذيان الارتعاشي والضلالات البارانودية والاهتلاس والعته الكحولي واضطراب كورساكوف وفيرنيك ومارشيافافا بينما ينجم من استخدام القنب اضطراب انعدام الدافعية والاهتلاس القنبي والميول البارانودية واضطراب القنب العقلي الشبيه بالحالات الفصامية- وإذا لم يجد المعتمد الرعاية الطبية والنفسية الكافية فإن الآثار السلبية لمتلازمة الاعتماد تتضاعف وتزمن وتصل في بعض الحالات إلى الموت.[أبو زيد: 1998: 1-2؛ شعلان: 1988: 30-32؛ نور الدين: 1988: 29؛ عبد الله: 2000: 233؛ البار: د. ت: 73-76؛ عبد المنعم: 1999: 9]

الأمر الذي دفع المعالجين النفسيين إلى تقديم خدماتهم العلاجية لحماية المعتمدين على المواد النفسية من وطأة الآثار السلبية لمتلازمة الاعتماد وذلك بناءاً على مرجعياتهم النظرية التي يستندون عليها، ويعتبر المنحى الاجتماعي المعرفي أرقى المرجعيات النظرية التي تقوم عليها الفنيات العلاجية لمتلازمة الاعتماد- وهذا ما دفع الباحث في البحث الحالي إلى بناء برنامج علاجي يقوم على الافتراضات الأساسية للمنحى الاجتماعي المعرفي ومن ثم تقصي أثره في علاج متلازمة الإعتماد على المواد النفسية .

**مشكلة البحث: Research Problem**: ***تتمثل مشكلة البحث الحالي في التساؤلات الآتية:***

1. ما هو أثر البرنامج العلاجي المقترح في خفض متلازمة الاعتماد؟
2. هل توجد فروق جوهرية في التحسن على متلازمة الاعتماد تعزى لنوع المادة المستخدمة؟
3. هل توجد علاقة ارتباطية جوهرية بين التحسن على متلازمة الاعتماد والانتكاسة؟

**أهمية البحث Significance of Research:**: ***تمكن أهمية البحث الحالي في الآتي:***

1. تناوله بالبحث لعلاج متلازمة الاعتماد تلك الظاهرة التي تُعد من أخطر مشكلات العصر، وتكاد أن تلقي بآثارها على كل جوانب المجتمع ووكالاته.
2. إن علاج متلازمة الاعتماد يحمي المعتمد من مضاعفات الآثار السلبية لمتلازمة الاعتماد على الصحة الجسمية والنفسية والتي تصل إلى درجة الموت.
3. النتائج التي سوف يتمخض عنها البحث الحالي ستقدم جهداً علمياً يسهم في طرح موضوع علاج متلازمة الاعتماد لنقاش فكري وعلمي يثري الجوانب العلمية والمهنية ويشجع الباحثين بالاهتمام بالبحوث المتعلقة بهذا التخصص الحيوي والمهم.
4. خلو الساحة العلمية والتطبيقية السودانية من الأدوات في مجال البحث الحالي، وأن الباحث في هذا البحث يقدم "أداتين" يمكن للباحثين الاستفادة منها في بحوث مستقبلية مشابهة.
5. يقدم البحث الحالي برنامجاً علاجياً يمكن لاختصاصي علم النفس العلاجي استخدامه لعلاج متلازمة الاعتماد.

**أهداف البحث: Purposes of Research** : ***تتمثل أهداف البحث الحالي في الآتي:***

1. قياس أثر البرنامج العلاجي المقترح في خفض متلازمة الاعتماد.
2. التعرف على الفروق في التحسن على متلازمة الاعتماد تعزى لنوع المادة المستخدمة.
3. التعرف على العلاقة بين التحسن على متلازمة الاعتماد والانتكاسة.

**فروض البحث: Research Hypotheses**: ***تتمثل فروض البحث الحالي في الآتي:***

1. يتمتع البرنامج العلاجي المقترح بأثر فعّال في خفض متلازمة الاعتماد.
2. داخل المجموعة التجريبية لا توجد فروق جوهرية في التحسن على متلازمة الاعتماد تعزى لنوع المادة المستخدمة؟
3. داخل المجموعة التجريبية لا توجد علاقة ارتباطية جوهرية بين التحسن على متلازمة الاعتماد والانتكاسة؟

**حدود البحث : Delimitation of Research** : تتمثل حدود البحث الحالي في تقصي أثر البرنامج العلاجي المقترح في علاج متلازمة الإعتماد للمعتمدين المقيمين بمستشفى عبد العال الإدريسي والخاضعين لبرنامج سحب السمية وتفادي أعراض الانسحاب في الفترة الواقعة في المدى الزمني من (30/06/2012) وحتى (30/12/2013).

**متغيرات البحث: Variables of Research**:***تتمثل متغيرات البحث الأساسية في الآتي:***

**البرنامج المعرفي الاجتماعي Social Cognitive Therapeutic Programme : :** يعرفه الباحث **نظريا** بأنه: مجموعة فنيات علاجية تقوم على التوجه النظري للمنحى الاجتماعي المعرفي، ويهدف إلى تعزيز التوقعات السلبية وانطفاء التوقعات الإيجابية عن الاستخدام لدى المعتمدين على المواد النفسية. أما **إجرائياً** فإن الباحث يعرفه بأنه: مجموعة من الجلسات العلاجية المختلفة من حيث المضمون وطريقة التطبيق، والتي يمثل مجموعها البرنامج العلاجي ككل- حيث تعالج كل جلسة علاجية هدفاً محدداً من الأهداف الفرعية التي تمثل في مجملها الهدف العام للبرنامج العلاجي العام ككل.

**متلازمة الاعتماد: Dependence Syndrome:** يعرفها التصنيف العالمي العاشر للاضطرابات العقلية والسلوكية لمنظمة الصحة العالمية [World Health Organization: International Classification of Mental and Behavioral Disorder: (W.H.O.: I.C.D.-10: 1992: 75)] **نظرياً** بأنها: مجموعة من الظواهر الفسيولوجية والسلوكية والمعرفية المتعددة المراحل والتي تحدث للشخص بعد استخدامه لإحدى المواد نفسية الفاعلية، وأن أهم ما يميزها هي الرغبة التي غالباً ما تكون قوية جداً لاستخدام المواد النفسية سواء وصفها الطبيب أو لم يصفها كالكحول والتبغ وغيرها، كما أن هنالك احتمال وجود دليل واضح على رجوع الشخص لاستخدام تلك المواد بعد فترة انقطاع مما يؤدي إلى ظهور هذه الظواهر بأشكال أخرى. أما **إجرائياً** فإن الباحث يعرفها بأنها: الدرجات النهائية التي يتحصل عليها الباحث من المعتمدين بعد تطبيق مقياس متلازمة الاعتماد عليهم.

**الإطـــار النظــري: Theoretical Framework**

**متلازمة الاعتماد: Dependence Syndrome:** تعرفها الجمعية الأمريكية للطب النفسي في إصدارتها الرابعة المعدلة لدليلها التشخيصي والإحصائي للاضطرابات العقلية **[American Psychiatric Association: Diagnostic and Statistical Manual of Mental Disorder]** بأنها: "نمط غير تكيفي لاستخدام المواد النفسية يؤدي إلى قصور وألم جوهري من الناحية العيادية، وأهم ما يميزه هي مجموعة الأعراض المعرفية والسلوكية والفسيولوجية التي تشير إلى أن المعتمد يستمر في استخدام المواد النفسية بالرغم من معرفته بالمشاكل التي تتعلق باستخدامها"، أما منظمة الصحة العالمية فإنها تعرفها في إصدارتها العاشرة لدليلها التصنيفي للاضطرابات العقلية والسلوكية **[W.H.O.: I.C.D-10:1992]** بأنها: "مجموعة من الظواهر الفسيولوجية والسلوكية والمعرفية المتعددة المراحل والتي تحدث للشخص بعد استخدامه لإحدى المواد النفسية وإن أهم ما يميزها هي الرغبة والتي غالباً ما تكون قوية جداً لاستخدام المواد النفسية سواءً وصفها الطبيب أو لم يصفها كالكحول والتباكو وغيرها، كما أن هنالك احتمال وجود دليل واضح على رجوع الشخص لاستخدام تلك المواد بعد فترة انقطاع مما يؤدي إلى إعادة ظهور هذه الظواهر بأشكال أخرى**".** [W.H.O.: I.C.D-10: 1992: 75; A.P.A.: D.S.M.- TR:2000: 120 ].

**تشخيص متلازمة الاعتماد: Diagnosis of Dependence Syndrome**: لتحديد متلازمة الاعتماد ترى (A.P.A: D.S.M.4 **TR**: 2000) أنه يستدل على وجودها بتوفر "ثلاث" أو أكثر من المعايير التشخيصية الآتية تحدث في أي وقت أثناء فترة "اثني عشر" شهراً، وهي:

1. التحمل "الإطاقة" كما يحددها أي من الآتي:
2. الحاجة إلى زيادة الكمية من المادة بوضوح وذلك لتحقيق التأثير المرغوب
3. تأثير متناقص مع استمرار نفس الكمية من المادة.
4. الانسحاب كما يحدده أي من الآتي:
5. زملة الانسحاب المميزة للمادة.
6. نفس أو مزيد من المادة يؤخذ للتخلص من/ أو تجنب أعراض الانسحاب.
7. تؤخذ المادة غالباً بكميات أكبر، أو لمدة أطول عما كان مقصوداً.
8. توجد رغبة مستمرة أو محاولات غير ناجحة للانقطاع عن/ أو ضبط استخدام المادة.
9. يوجد قدر كافٍ من الوقت يبذل في أنشطة ضرورية للحصول على المادة كزيارة عدة أطباء أو قيادة السيارة لمسافات طويلة، أو في استخدام المادة مثل التدخين مع الشلة أو للتشافي من آثارها.
10. الانقطاع عن أو تناقص الأنشطة الاجتماعية المهمة والأنشطة المهنية والترويحية بسبب استخدام المادة.
11. استمرار استخدام المادة رغم معرفة وجود مشكلة بدنية أو نفسية مستمرة أو معاودة، ربما تكون قد نتجت عن/ أو تفاقمت بسبب استخدام المادة مثل الاستمرار في الشرب رغم إدراك أن القرحة تزداد سوءاً بسبب استخدام الكحول أو استخدام الكوكايين في الوقت الحاضر رغم إدراك حدوث الاكتئاب بسبب استخدامه. [A.P.A: D.S.M-4 TR: 2000: 110-111].

أما الـ**[W.H.O.: I.C.D-10: 1992]** فإنها تشير إلى أنه يستدل على وجود متلازمة الاعتماد إذا أظهر الشخص "ثلاث" أو أكثر من المعايير التشخيصية الآتية أثناء العام السابق، وهي:

1. رغبة قوية أو إحساس قهري بضرورة تناول المادة.
2. وعي ذاتي بصعوبة التحكم في سلوك استخدام المادة فيما يتعلق ببداية الاستخدام ونهايته ومعدله.
3. حالة الانسحاب الفسيولوجي؛ وتظهر عند التوقف المفاجئ أو نقص استخدام المادة ويتوقف ذلك على نوع المادة أو مادة شبيهة تستخدم بغرض التغلب على/ أو تجنب أعراض الانسحاب.
4. ظاهرة التحمل؛ وتعني أن الشخص محتاج دوماً إلى زيادة جرعة المادة للحصول على نفس التأثير الذي كانت تحدثه من قبل جرعات أقل، ومن الأمثلة الواضحة لذلك معتمدو الكحول والأفيون الذين يستخدمون كميات تكفي لتعجيز أو قتل غير المعتمدين عليها.
5. الإهمال المتزايد بمناشط الحياة الأخرى وذلك للإفراط في استخدام المادة والزمن المتزايد للحصول عليها وتناولها للتخلص من آثارها.
6. الإصرار على استخدام المادة بالرغم من وجود دلائل واضحة لتبعاتها الضارة مثل إيذاء الكبد والاكتئاب وتدهور الإدراك نتيجة الإفراط في استخدام المادة. [W.H.O.: I.C.D-10: 1992: 75-76]

**المواد النفسية**: **Psychoactive Substance**: عرفت الـ(W.H.O.: I.C.D) في إصداراتها المختلفة للمواد النفسية عدة تعريفات استخلص منها الباحث التعريف الآتي من خلال الجمع بين نقاط الاتفاق والاختلاف التي تضمنتها، والذي ينص على أن المواد النفسية، هي: كل مادة طبيعية كانت أم مصنوعة تحتوي على جوهر فعّال ذي قابلية للتفاعل مع الكائن الحي، بحيث إذا استخدمت في غير الأغراض الطبية أو الصناعية الموجهة فإنها تؤثر على الجهاز العصبي تنشيطاً أو تثبيطاً، تهدئةً أو تسكيناً، تخديراً أو تغييباً، تنبيهاً أو تنويماً، ومن ثم يؤثر ذلك على وظائف الكائن الحي الفسيولوجية والسلوكية والمعرفية وأهم هذه الآثار هي متلازمة الاعتماد على المواد النفسية" [عبد المنعم: 1999: 189؛ بابكر: 1999: 25؛ حجار: 1989: 133؛ ديمونت: 1989: 51؛ السدلان: 1993: 6-7؛ العشماوي: 1993: 59-61؛ موسى: 1998: 10؛ كمال: 1988: 529؛ الحاج: 1996: 54؛ العبيدي: 1989: 550]

**العلاج النفسي: Psychotherapy**: هو نوع من أنواع العلاج تستخدم فيه فنيات نفسية مختلفة لعلاج الاضطرابات ذات الصبغة النفسية التي يعاني منها المضطرب وتؤثر على سلوكه، ويقوم فيه المعالج وهو مختص مؤهل علمياً وعملياً لعلاج الاضطرابات وإزالة مسبباتها وأعراضها ومضاعفاتها بدرجة تمكن المضطرب من التوافق مع نفسه والآخرين والبيئة من حوله ومن ثم تمتعه بمستويات إيجابية من الصحة النفسية. [زهران: 2001: 183؛ غراوة ورفاقه: 1999: 23؛ فرغلي: 2003: 12]

تستند الأساليب العلاجية على الأطر النظرية المفسرة للسلوك الإنساني بصورة عامة والاضطرابات النفسية على وجه الخصوص، ومن أهم الأطر النظرية التي بنيت عليها فنيات علاجية لمتلازمة الاعتماد على المواد النفسية هي المناحي السلوكي، والمعرفي، والاجتماعي المعرفي، وهي ما سوف يركز الباحث على عرض الفنيات العلاجية التي قامت عليها، وفيما يلي بياناً لذلك بشيء من التفصيل:

**نموذج الانتقاء والربط: Selection and Connection Theory:وفقاً للمبادئ الأساسية للانتقاء والربط التي وضعها** إدوارد لي ثورندايك (**E. Thorndike: 1949, 1874**) **فقد تم في العقود الثلاثة الأخيرة من القرن المنصرم تطوير فنية علاجية تعرف بالتعرض للهاديات والتي صنفت من ضمن الفنيات السلوكية واسعة النطاق والتي يقوم بفك الارتباط في مواقف الاستخدام المتمثلة في مثيرات الاستخدام والاستجابة التعزيزية لهذه المواقف وذلك من خلال انتقاء مثيرات الاستخدام وتكرارها باستمرار من دون أن يتبع هذا التكرار التعزيز المتمثل في استخدام** المواد النفسية بهدف إضعاف الرغبة القوية والدافع القهري للاستخدام، وهي إجراءات شبيهة بما يتم في فنيات علاج المخاوف والهواجس القهرية من إغراق وتعرض ونمذجة بالمشاركة ومنع الاستجابة والتي يقوم على المسلمة التي تنص على أن الإلحاح القوي للقيام بفعل قهري سوف يتبدد إذا تمت مقاومة هذا الإلحاح، وعندما تطبق هذه الإجراءات في علاج متلازمة الاعتماد فإنه يتعين تحديد مواقف الاستخدام ومثيراتها التي تعمل بوصفها هاديات للاستخدام من رؤية مادة الاستخدام أو شم رائحتها أو تذوق مادة شبيهة المذاق بها أو إقران الاستخدام وطقوسه ومكان الاستخدام، ثم يتم عرضها على المعتمد بطريقة منظمة، ثم يمنع من الاستخدام أو يشجع بشدة على عدم الاستخدام، ومع تكرار التعرض والمنع فإن الرغبة في الاستخدام تقل تدريجياً حتى تنطفئ مما يؤدي إلى الامتناع النهائي للمعتمد عن الاستخدام عندما يتعرض لهذه الهاديات في بيئته الطبيعية وذلك لأن عمليات الاشتراط المتمثلة في الانتقاء والتكرار والتعزيز تلعب دوراً مهماً في تشريط موقف الاستخدام حيث تكتسب مثيراته خصائص المثيرات التمييزية في الاشتراط الإجرائي التي تنبه الكائن الحي إلى إصدار السلوك الفعال ومن ثم تعمل كهاديات للاستخدام عندما يمر المعتمد بمواقف الاستخدام، ومن خلال عمليات الاشتراط نفسها يمكن فك هذا الاشتراط وعلاج متلازمة الاعتماد وذلك من خلال إجراءات التعرض للهاديات والتي يصف رانكلين ورفاقه (Ranklin, et., al, 1983) تطبيقها على الكحوليين المقيمين في إحدى مستشفيات علاج متلازمة الاعتماد حيث أعطيت لهم جرعة أولية من المستحضرات الكحولية، ثم وضعت قريباً جداً منهم لمدة "خمسة وأربعين" دقيقة، وقد شجع بعدها المعتمدين أن يمسكوا بكؤوس الكحول، وأن يضعوها على شفاههم، وأن يشموا رائحتها- وقد نتج عن هذا التعرض انخفاض الرغبة في الاستخدام بشكل كبير.[غنيم: 1975، 624-630؛ ماكريدي: 2002، 897؛ أبو حميدان: 2001، 256؛ عبد الرحمن: 2000، 79؛ الشناوي وعبد الرحمن: 1998، 447-448]

**نموذج الاشتراط الإجرائي: Operant Conditioning Theory:** وفقاً للمبادئ الأساسية للاشتراط الإجرائي فقد استخدم بورس سكنر (B. Skinner: 1904) عدة فنيات علاجية منها الضبط التنفيري والتعاقدات المشروطة والتعزيز الرمزي، والتي ترى بأن سلوكيات الاستخدام هي الهدف المباشر للعلاج لذلك يجب أن ينصب التغيّر عليها ويتم ذلك من خلال تغيّر الظروف التي تكونت منها وظيفتها، بهذا فإن الهدف الأساسي للعلاج الإجرائي يتمثل في تعديل سلوكيات الاستخدام والذي يعني إزالة وإحلال سلوكيات الاستخدام لدى المعتمد بإمكانات تعزيز أكثر فعالية أو تعزيز بدائل أكثر ملاءمة، ويلعب التعزيز الإيجابي المشروط دوراً مهماً في الخطوات العلاجية للفنيات الإجرائية ولاسيما فنية التعزيز الرمزي والتي هي أكثر الفنيات الإجرائية تطبيقاً على المعتمدين المقيمين في مستشفيات علاج متلازمة الاعتماد على المواد النفسية ، والتي تبدأ خطوات تطبيقها بتحديد سلوكيات الاستخدام المُراد تغييرها أو تعديلها سواءً كان متعلقة بالاستخدام نفسه أو بمشكلات الاستخدام، ومن ثم تعريفها وتحديد أبعادها بدقة، ويلي ذلك توضيح القواعد العامة للسلوك وخطوات تنفيذ البرنامج، ويجب في هذه المرحلة التأكد من فهم المعتمد لنظام التعزيز الرمزي، ثم يتم اختيار المعززات الرمزية المستخدمة في التعزيز الرمزي كالبطاقات والنجوم الورقية أو ما يعرف ببونات التعزيز، والتي يفضل أن تكون مقبولة الشكل وغير قابلة للتلف بسهولة، كما يجب إقران تقديمها بالتعزيز الاجتماعي، ويلي ذلك اختيار المعززات الداعمة التي تستبدل بها المعززات الرمزية كالنقود والخروج من المستشفى أو التنزه في حديقتها بمرافقة اختصاصي نفسي أو الخروج المؤقت إلى الأسرة والطعام وغيرها، ثم التدريب على السلوك المرغوب فيه وتعزيز خطوات النجاح التي يحققها المعتمد فيه، ويفضل أن يكون التعزيز في البداية مستمراً، واستبدال مجموعة البونات بالمعزز الداعم يومياً، ثم يقل ذلك بعد المراحل الأولى تدريجياً ومع تقدم العلاج يتم تحول طريقة التعزيز المستمر إلى التعزيز المتقطع حتى يتم استبدال المعززات الرمزية والداعمة بالمعززات الاجتماعية ويتحسن السلوك. [عبد الرحمن: 1998، 562-571؛ جابر: 1996، 378-379؛ أحمد: 2003، 510-511؛ غنيم: 1975، 630-636؛ ملحم: 2007، 161-173؛ بيتش: 1992، 247-296؛ عبد المعطي: 1998، 376-377؛ زهران: 2001، 249-255؛ أبو حميدان: 2001، 257؛ غراوة: 1999، 180-182؛ حجار: 1989: 90-93]

**نموذج البنى الشخصية: Personal Constructs Theory:** وفقاً للمبادئ الأساسية للبُنى الشخصية فقد استخدم جورج كيلي (**G. Kelly: 1966-1905)** عدة فنيات أهمها الاتجاه الساذج والدور الثابت بغرض إعادة صياغة البُنى الشخصية للمعتمد بصورة تؤدي إلى المزيد من التوقعات المستقبلية الصحيحة في تعامله مع الموضوعات البيئية من حوله، ويجب على المعالج أن يحتكم إلى طريقة العقل المفتوح والتجريب وذلك من خلال وضع بعض الفروض عن وجهة نظر المعتمد وطريقته الخاصة في النظر إلى العالم مستخدماً بُنى شخصية مرنة تسمح باختبار مجموعة متنوعة من الفروض من قبل المعالج والمعتمد عبر فنيات علاجية متعددة، ووفقاً لهذا فإن عملية العلاج النفسي هي عبارة عن نشاط ذهني مبذول ينظر من خلالها المعتمد على أنه عالم وليس كحالة مرضية يقع عليها نوع معين من التطبيق، وفي فنية الاتجاه الساذج يجب على المعالج أن يتقبل أولاً البُنى الشخصية للمعتمد ثم يحاول بعد ذلك أن يكتشف مكوناتها ومعرفة المعنى الذي يكمن خلف ما يفعله المعتمد، وذلك من خلال استخدام اختبار حصيلة تصورات الدور الذي صممه "كيلي" للكشف عن المؤشرات المبدئية عن بُنى المعتمد ومشكلاته النفسية، وكما يمكن استخدام التقارير الذاتية البسيطة والمباشرة، والتي يقول عنها "كيلي": [أن أكثر الوسائل العيادية فائدة للمعالج هو السؤال المكون من "أربع" كلمات والموجه مباشرة للمعتمد مثل: "ما الذي تشعر به؟"]، وكما يقدم "كيلي" قاعدة ذهبية للمعالجين، هي: "إذا لم تكن تعرف ما الذي يشكو منه المعتمد اسأله؛ فربما يخبرك!". أما في فنية الدور الثابت فيبتكر المعالج بُنى شخصية للمعتمد تساعده في التفاعل مع الموضوعات البيئية ذات العلاقة باعتماده وموضوعات الحياة العامة، وذلك بعد أن يطلب منه أن يقدم وصفاً تفصيلياً لخصائصه الشخصية معبراً بكلمات ملائمة كما لو كان يكتبها صديق حميم ومتعاطف معه، فإذا وصف المعتمد خصائصه الشخصية بأنه أقل قدرة على فهم سلوك الآخرين بدقة؛ فهنا: يطلب منه المعالج أن يقضي أسبوعين يتصرف خلالهما ويفكر ويتحدث ويعيش على طريقة كينث نورتون **(Kenneth Norton)** وهي شخصية افتراضية خيالية وصفت في "أربع" مقطوعات مكتوبة بعناية، ويمتلك وسيلة فعّالة لإدراك وجهة نظر ومشاعر الآخرين، ويسمح العلاج ذو الدور الثابت للمعتمد بأن يجرب سلوكيات متطرفة عن طريق التظاهر بكونه شخصاً آخر، وهو أمر أشبه بمحاولة ارتداء بدلة يمكن خلعها إذا كانت غير ملائمة المقاس، ولكنه عمل له أهميته بالنسبة للمعتمد والمعالج وإن كان مناسباً فقط لحالة واحدة من كل "خمس عشرة" حالة. وقد أوصى "كيلي" باستخدام أي فنيات تمكن من إعادة صياغة البُنى الشخصية للمعتمدين ولاسيما تلك التي تؤيد بمقتضاها التأثيرات البيئية صدق تنبؤات المعتمد. [عبد الرحمن: 1998، 392-398؛ جابر: 1996، 521-527؛ باتيرسون: 1990، 234-272؛ باتيرسون: 1995، 276-289]

**النموذج العقلاني الانفعالي: Rational Emotive Theory:** وفقاً للمبادئ الأساسية للنموذج العقلاني الانفعالي فقد طوّر ألبرت أليس **(A. Elis, 1935)** أسلوباً علاجياً أسماه بالعلاج العقلاني الانفعالي والذي يستخدم فنيات متعددة منها: التعليم والإيحاء والإقناع التي تواجه اللاعقل بالعقل واللامنطق بالمنطق والخرافة بالعلم بغرض تغيير أفكار المعتمد غير المنطقية والتي تدفعه لاستخدام المواد النفسية - بهذا فإن العلاج العقلاني الانفعالي هو عملية عقلية بحتة تهدف إلى تحقيق الانفتاح الفكري وتقبل التغيّر. وذلك عبر عدة خطوات تبدأ بتعريف المعتمد بأفكاره وتحديد ما هو منطقي وما هو غير منطقي منها، ثم إخباره بأن أفكاره غير العقلانية هي التي أدت إلى استخدامه للمواد النفسية ومن ثم الاعتماد عليها، وتعريفه بأنه إذا استمر في التفكير غير المنطقي فإنه لا يستطيع الإقلاع عن استخدام المواد النفسية أي أن التفكير غير المنطقي هو المسئول عن سلوكيات الاستخدام ومتلازمة الاعتماد وآثارها ومضاعفاتها وليس استمرار الأحداث السابقة، ويلي ذلك تغيّر أفكار المعتمد غير المنطقية وإلغاؤها، وأخيراً تناول أفكار المعتمد اللاعقلانية تجاه موضوعات الحياة العامة بالتغيّر، وإرساء دعائم فلسفة عقلانية جديدة تمكّن من تكوين نظام معتقدات عقلاني يجنب المعتمد من الوقوع ضحية لأفكاره غير المنطقية." وإذا تحقق ذلك فإنها تترتب عليه تغيرات إيجابية في الجوانب المعرفية والانفعالية للمعتمد؛ فعلى المستوى المعرفي تصبح المعتقدات عقلانية والأفكار منطقية، وعلى المستوى الانفعالي يختفي قلق الانزعاج، وتكون المحصلة النهائية أن يصدر المعتمد سلوكيات سوية تحقق الصحة النفسية. [العزة وعبد الهادي: 1999، 141-146؛ ملحم: 2007، 142-160؛ باتيرسون: 1990، 134-135؛ باتيرسون: 1995، 157-162؛ زهران: 2003، 369-374؛ فرغلي: 2003، 80-81؛ داؤود: 1991، 631-640]

**نموذج التعزيز المتوقع: Expectancy Reinforcement Theory**: وفقاً للمبادئ الأساسية للتعزيز المتوقع فقد طوّر جوليان روتر **(J. Rotter: 1916**) مجموعة فنيات علاجية هي بناء الموقف والتنفيس الانفعالي والاستبصار والتفسير ورأى بأنه لا يمكن أن تنطبق فنية علاجية واحدة من هذه الفنيات على كل المعتمدين وذلك لأن كل معتمد هو حالة متفردة قائمة بذاتها لذا فإنه على المعالج أن يكون مرناً وراغباً في خوض التجربة العلاجية التي هي عبارة عن تفاعل اجتماعي تنطبق عليه مبادئ التعلم يلتزم من خلاله كلٌ من المعالج والمعتمد بمجموعة التزامات تبدأ بتوقع المعالج بأن سلوكه بمثابة المبادئ الخلقية بما يؤثر على سلوك المعتمد بأن يتقبل بعض المسؤولية تجاه تغيّر سلوكياته، وأن يوجه المعالج سلوك المعتمد نحو الأهداف ذات القيمة بالنسبة للمعتمد، وإزاحة الأهداف الضارة اجتماعياً عند المعتمد، ومشاركة المعتمد في نشاط المجتمع إزاء ما يتلقاه من تعزيز، ويتمثل دور المعالج في توجيه عملية التعلم بما يمكن المعتمد من تحقيق التغيرات المخططة في السلوك والتفكير والمتمثلة في زيادة حرية الحركة وتقليل قيمة الحاجة لديه- ويتحقق ذلك من خلال تغيّر التوقعات وقيمة التعزيز؛ ويرتكز تغيّر التوقعات من مسلمة ترى بأن المعتمد هو شخص لم يتعلم السلوك المرغوب فيه تلقائياً لاندماجه في سلوكيات الاستخدام ومن ثم أصبح بعيداً عن المواقف التي تساعده على تعلم السلوك المرغوب فيه- وبهذا فإن على المعالج أن يخفض توقعات المعتمد بأن سلوكيات الاستخدام سوف تؤدي إلى تعزيز وزيادة توقعه بأن سلوكيات جديدة ستؤدي إلى تعزيز أكبر في نفس موقف الاستخدام، وبذلك فإن العلاج يكون بزيادة توقع التعزيز للسلوكيات الجديدة وتقليل احتمال سلوكيات الاستخدام من ناحية، وتغيّر قيمة التعزيزات من ناحية أخرى والذي يتطلب تغيّر توقعات التعزيز بأن التعزيز العاجل للسلوكيات المرغوب فيها سيؤدي إلى تعزيزات معينة لاحقة، بهذا فإن تغيّر التعزيز هو عملية مشابهة لتغيّر التوقعات مع إضافة بعض الصعوبات العملية وذلك باستخدام عدة وسائل أهمها التعزيز المباشر وهو أبسط الطرق وأقصرها وفيه يعزز المعالج السلوك المرغوب فيه للمعتمد ولاسيما السلوكيات اللفظية أثناء العملية العلاجية، وتمكين المعتمد من أن يضع نفسه في الموقف الذي يمكنه من ملاحظة الجوانب التبادلية للسلوك ونتائجها على سلوكيات الآخرين في المواقف الاجتماعية داخل وخارج الجلسات العلاجية حيث يمكنه ذلك من فهم سلوك الآخرين، وحث المعتمد على التعامل مع بدائل سلوكياته السابقة لاعتماده وزيادة توقعه بأن تلك البدائل ستؤدي حالياً إلى تعزيزات سالبة كما حدث في الماضي، ومناقشة البدائل السلوكية الجديدة المحتملة وتوضيح كيفية تنفيذها وتنمية توقع أنها ستؤدي إلى التعزيز، وقد يبدع المعالج ويحدث توقعاً بأن المعتمد سوف يعالج مشكلته بطريقة أكثر فعالية من خلال محاولته لسلوكيات بديلة. والتعزيز هو مبدأ أساسي في علاج متلازمة الاعتماد لأنه سوف يؤدي إلى حماس وتقبل المعتمد للعلاج وتنمية علاقة علاجية تعلمّْ المعتمد أن يرغب في التعزيز وأن يتوقعه ومن ثم زيادة رغبته في الاستمرار في العلاج وتقليل مقاومته للتغيّر العلاجي المرغوب فيه. [باتيرسون: 1995، 227-234؛ Liebert & Splegler: 1993, 420-415; Michel: 1993, 15-155]

**نموذج التعلم بالملاحظة: Learning by Observation Theory**: وفقاً للمبادئ الأساسية للتعلم بالملاحظة التي وضعها ألبرت بندورا (**A. Bandura: 1925**) فإن فنية تأجيل الإشباع هي أكثر الفنيات العلاجية تطوراً واستخداماً في هذا الصدد وذلك لأن تأثيراتها العلاجية تمكن المعتمد من الإقلاع عن الاستخدام وتغيّر شخصيته الذي يقود إلى تغيّر سلوكياته تجاه الاستخدام وفي مواقف الحياة العامة، وهي فنية علاجية يفرض فيها المعتمد على نفسه تأجيل التعزيزات الصغيرة العاجلة المتمثلة في الآثار الأولية للاستخدام والثمالة في سبيل الحصول على تعزيزات أخرى كبيرة والمتمثلة في التخلص من متلازمة الاعتماد ومضاعفاتها؛ فشخصية المعتمد غير الناضجة انفعالياً والتي تتسم بالعجز والاعتماد وضعف القدرة على التحمل والقلق والاكتئاب والعزلة والانطواء وتفعيل الأحداث والإصرار على الإشباع الفوري لكل الرغبات وبأي طريقة حتى ولو أدى ذلك إلى إيذاء الذات والآخرين تدفعه إلى استخدام المواد النفسية بغرض التمتع بآثارها التسممية والمتمثلة في الإحساس بالإثارة واللذة والمتعة والسعادة والاسترخاء والهدوء والتخلص من الحالات الانفعالية السالبة والعيش في عالم الخيال- ولا يستطيع المعتمد مقاومة ذلك، ويبدأ التدخل العلاجي بإقناع المعتمد بأنه لو تمكن من التروي وإرجاء التمتع بالتعزيزات الآنية تلك فإنه سوف يتحصل على تعزيزات لاحقة أكبر والمتمثلة في التمكن من الإقلاع عن الاستخدام ومن ثم التخلص من متلازمة الاعتماد وأعراضها الانسحابية ومضاعفاتها ويعيش حياة خالية من كل ذلك ويتمتع بما تجود به من تعزيزات، ويتحقق ذلك من خلال النمذجة والإقناع اللفظي عبر إعداد نماذج يفضلون التقاضي عن التعزيزات الآنية الصغيرة مقابل حصولهم على تعزيزات لاحقة أكبر ويمتلكون قدرة عالية على الإقناع اللفظي والتأثير على الآخرين، ويعرضون على المعتمدين كنماذج لمعتمدين مقلعين عن الاستخدام من خلال إتباع هذه الفنية العلاجية ويريدون أن يعكسوا تجربتهم العلاجية للمعتمدين مكان العلاج ويشجعوهم على الاستقلال الذاتي مقابل الاعتماد على المواد النفسية من خلال سرد قناعاتهم بإرجاء التعزيزات وترجمة ذلك إلى سلوكيات فعلية والتعزيزات القيمة التي تحصلوا عليها نتيجة قيامهم بذلك فيما يخص سلوكيات الاستخدام ومواقف الحياة العامة. ويمكن القول أن القدرة على إرجاء بعض التعزيزات الصغيرة العاجلة في سبيل الحصول على تعزيزات آجلة أكبر يُعد من أهم عوامل السعادة في المجتمعات المعاصرة ذات التوجه الإنجازي كالمجتمعات الرأسمالية**.** [عبد الرحمن: 1998، 650-670؛ جابر: 1996، 459-461؛ أحمد: 2003، 282-284؛ باتيرسون: 1990، 130]

**مبررات تبنى المنحى الاجتماعي المعرفي : يتبنى الباحث المنحى الاجتماعي المعرفي نظرا لما يتمتع به من إيجابيات ميزته على المناحى النفسية الاخرى ، وأهمها:**

* 1. إنه منحى شامل يجمع بين عدة صبغات علمية سائدة في علم النفس إذ يؤكد على الصبغة السلوكية من خلال مفهوم التعزيز، والمعرفية من خلال مفهوم التوقع، والدافعية من خلال توقع التعزيز، والغرضية من خلال تصوره السلوك باعتباره موجهاً نحو هدف، والاجتماعية من خلال السياق الاجتماعي الذي يحدث فيه التعلم، والظاهراتية من خلال تصوره بأن الشخص لا يستجيب للعالم الواقعي فقط وإنما العالم المدرك أيضاً، والمجالي باعتبار أن السلوك هو وظيفة للموقف النفسي الذي يحدث فيه.
  2. أنه منحى نفسي بحت لا يستمد مبادئه من ميدان آخر كعلم وظائف الأعضاء وعلم الأعصاب.
  3. أن مبادئه تتسق مع العقل والمنطق وذلك لموضوعيتها وانقيادها لطرق البحث العلمي ومن ثم التحقق منها من خلال البحوث الأمبريقية على عينات بشرية تبدأ من سن ما قبل المدرسة وحتى الرشد، حيث بذل كل من "روتر" و"بندورا" جهود كبيرة لكي تكون مواقفهم التجريبية مطابقة لمواقف الحياة العامة حيث تجاربهم تقوم على أساس منهجي جيد الإحكام مع الالتزام بتقاليد المواقف الاجتماعية الأمر الذي أتاح لنتائجهم المزيد من القابلية للتعميم لتمتد وتشمل العالم الواقعي مع انسجامها في الوقت نفسه مع التأكيد القوي لمسلمات البحث العلمي.
  4. أن توجهه الغرضي أكثر فعالية في قولبة وتحوير السلوك فشملت تطبيقاته شتى ميادين علم النفس ولاسيما علم النفس العلاجي والإرشادي والتربوي والاجتماعي والشخصية والتعلم، وإن ذلك لا يعد برهاناً على مصداقية مبادئها النظرية فقط وإنما يقيم دليلاً على قيمتها العلمية، ففي علم النفس العلاجي لا تتوقف آثار فنياته العلاجية على إزالة السلوكيات غير المرغوب فيها بل تميل إلى أن تكون نشطة وفعّالة في اكتساب سلوكيات مرغوبة داخل وخارج الموقف العلاجي.
  5. يرى المختصون في علم النفس العلاجي أن الفنيات العلاجية التي قدمها رواد المنحى الاجتماعي المعرفي زودت العلاج السلوكي بأدلة عقلية مقنعة أكثر من السلوكيين التعزيزيين، وكدليل على التقدير الذي حاز عليه رواد التعلم الاجتماعي المعرفي مقارنة بالسلوكيين التعزيزيين فقد أفرطت كتب العلاج النفسي في الإشارة إلى "بندورا" بمدى يتراوح (3-5) أضعاف إشارتها إلى "سكنر" وما بين (8-40) مرة مقارنة بـ"دولارد وميللر".
  6. إن مبادئه الأساسية تحتوي على مضامين ديمقراطية وذلك من خلال تأكيدها الشديد على تأثير البيئة مقابل الوراثة في تشكيل السلوك الأمر الذي يشير إلى إمكانية استعادة الصحة النفسية لكل المضطربين- أنها فلسفة مساواة تنبع من إيمان عميق بالتربية.

ومن **البحوث السابقة** التي هدفت الي التعرف علي أثر برامج العلاج النفسي في علاج متلازمة الإعتماد علي سبيل المثال لا الحصر بحوث كلٌ من **الفقية(1997)** الذي هدف الي التعرف علي أثر العلاج المعرفي في علاج معتمدي الهيرويين المنومين بمشتشفي الأمل بمدينة جدة السعودية، وذلك في دراسة متعمقة أجريت علي(2) من المعتمدين، وأشارة أهم النتائج الي إن للعلاجات النفسية أثر فعال في علاج متلازمة الإعتماد.وإن هنالك فروق جوهرية بين العلاجات النفسية والعلاج المعرفي اللاحق للعلاجات النفسية لصالح العلاج المعرفي اللاحق للعلاجات النفسية**[الفقية: 1997-أ: 2؛ الفقية: 1997-ب: 154-212].**

اما بحث **محمد(2001)** فقد هدف الي التعرف علي أثر الإرشاد العلاجي القائم تصحيح الافكار الخاطئة والتخلي عن السلوكيات غير المرغوبة في علاج متلازمة الإعتماد لدي طلبة المرحلة الثانوية الفنية المترددين علي عيادات العلاج الطبي المتخصصة في علاج متلازمة الإعتماد وأباءهم بمدينة بورسعيد المصرية، حيث بلغ قوام العينة(18) معتمد، طبق البرنامج علي"ثلاث" مجموعات؛ تلقي الإرشاد في المجموعة الأولي الطلبة المعتمدين فقط، بينما تلقي الإرشاد في المجموعة الثانية كلٌ من الطلبة المعتمدين وأباءهم؛ فيما تركت المجموعة الثالثة بالعلاج الطبي دون إرشاد كمجموعة ضابطة. وأشارة أهم النتائج الي الأثر الفعال لبرنامج الإرشاد العلاجي، ووجود فروق جوهرية في أثر برنامج الإرشاد العلاجي بين المجموعات "الثلاث" لصالح مجموعة إرشاد الأباء**[محمد: 2001: 210،228-234].**

بينما هدف بحث **عبد الوهاب(2006)** الي التعرف علي الأثر برنامج علاجي يستند علي نموذج "دونالد مالينيوم" في تعديل أساليب التعامل مع المواقف الضاغطة لدي المعتمدين المقيمين بمستشفي الأمل للصحة النفسية بمدينة الدمام السعودية.علي عينة بلغ عددها(60) معتمد، وأشارة أهم النتائج الي إن البرنامج العلاجي يتمتع بأثر فعال في تعديل أساليب التعامل مع الضغوط لدي المعتمدين**[عبدالوهاب: 2006: 79].**

فيما هدف بحث **العسال(2012)** الي التعرف علي أثر برنامج العلاج النفسي الإنتقائي الذي يستند علي الأسس المعرفية السلوكية والتحليلية والبين-شخصية في علاج إعتماد النيكوتين. حيث طبق البرنامج علي عينة بلغ قوامها(30) طالب من طلاب جامعة طنطا المصرية المدخنين الذين تلقوا/ والذين لم يتلقواعلاجاً من الإعتماد النيكونيني. وأشارة أهم النتائج الي تمتع البرنامج بأثر فعال في علاج متلازمة الإعتماد النيكوتيني**[العسال: 2012: 144-145،151-155].**

وفيما يلي **مناقشة للبحوث السابقة** بناءً علي معالمها الأساسية المتمثلة في المكان والزمان الهدف والمجتمع وعينة البحث والمرجعية النظرية للبرنامج وأهم النتائج، كما يلي:

فمن حيث **الزمان والمكان** أجري بحثي كل من الفقية وعبد الوهاب في المملكة العربية السعودية في(1997م) و(2006م) علي التوالي، فيما أجري بحثي كلٌ من محمد والعسال في جمهورية مصر العربية في (2001م) و(2012م) علي التوالي- فيما يتوقع ان يجري البحث الحالي في جمهورية السودان في(2013م).

ومن حيث **الهدف** فقد هدف بحث الفقية الي التعرف علي أثر العلاج المعرفي في علاج معتمدي الهيرويين، أما بحث محمد فقد هدف الي التعرف علي أثر الإرشاد العلاجي في علاج متلازمة الإعتماد، بينما هدف بحث عبد الوهاب الي التعرف علي الأثر الفعال للبرنامج العلاجي في تعديل أساليب التعامل مع المواقف الضاغطة لدي المعتمدين، فيما هدف بحث العسال(2012) الي التعرف علي أثر برنامج العلاج النفسي الإنتقائي في علاج إعتماد النيكوتين- بهذا فإن البحوث السابقة في مجملها تهدف الي علاج متلازمة الإعتماد- وهذا ماسوف يهدف اليه البحث الحالي حيث يهدف الي التعرف علي أثر العلاج المعرفي الإجتماعي في علاج متلازمة الإعتماد.

أما من حيث **المجتمع** فقد تمثل مجتمع بحث "الفقية" في معتمدي الهيرويين المنومين بمشتشفي الأمل بمدينة جدة السعودية، ومثل طلبة المرحلة الثانوية الفنية المعتمدين المترددين علي عيادات العلاج الطبي المتخصصة في علاج متلازمة الإعتماد وأباءهم بمدينة بورسعيد المصرية مجتمع بحث "محمد"، أما بحث "عبد الوهاب" فقد مثل مجتمعه المعتمدين المقيمين بمستشفي الأمل للصحة النفسية بمدينة الدمام السعودية، فيما مثل مجتمع بحث "العسال" طلاب جامعة طنطا المصرية المدخنين الذين تلقوا/ والذين لم يتلقوا علاجاً من الإعتماد النيكونيني- ويلاحظ الباحث أن البحوث التي تم إجراؤها في البيئة المصرية مثل مجتمعاتها الطلاب حيث مثل طلبة المرحلة الثانوية الفنية وأباءهم بمدينة بورسعيد المصرية مجتمع بحث "محمد"، فيما مثل طلاب جامعة طنطا مجتمع بحث العسال، فيما مثل المعتمدين المقيمين والمترددين علي مستشفيات الصحة النفسية مجتمعات البحوث التي تم إجراءها علي البيئة السعودية حيت مثل المعتمدين المقيمين بمستشفي الأمل للصحة النفسية بمدينتي جدة والدمام مجتمعي بحث كل من الفقية وعبد الوهاب علي التوالي- وفي البحث الحالي سوف يمثل المعتمدين المقيمين بمستشفي عبد العال الأدريسي بالخرطوم بحري مجتمع البحث- بإعتبارة المستشفي الوحيد في السودان الذي به قسم متخصص لعلاج وتنويم المعتمدين علي المواد النفسية.

أما فيما يتعلق **بالعينة** فقد أجري الفقية دراسة متعمقة علي (2) من معتمدي الهيرويين ، أما عينة بحثمحمد فقد بلغ قوامها (18) معتمد، بينما بلغ عدد عينة بحث عبد الوهاب (60) معتمد، فيما بلغ عدد عينة بحث العسال(30) – ويلاحظ الباحث تباين عدد أفراد العينات بين(2) كأقل عدد و(60) كأكبر عدد و(30) كمتوسط، وفي البحث الحالي سوف يعمل الباحث علي أن تساوي أو تزيد العينة عن الـ(30) معتمد نظراً لانه متوسط قوام عينات البحوث السابقة، ولأن إحصاء العينات يحدد العينة الكبيرة من(30) مفحوفص فأكثر،الأمر الذي يمكن من تمثيل مجتمع البحث بدرجة أكبر.

أما عن **المرجعيات النظرية** التي قامت عليها البرامج العلاجية فقد أستند برنامج الفقية علي المنحي المعرفية، فيما أستند برنامج محمد علي المنحي المعرفي السلوكي ‘ بينما أستند برنامج عبد الوهاب علي نموذج"دونالد مالينيوم" في مواجهة الضغوط، فيما أستند بحث العسال علي أساس أنتقائي يميل الي المنحي المعرفي السلوكي بدرجة أكبر- ويلاحظ الباحث الأستناد علي التوجه المعرفي بدرجة أكبر وبالأخص المعرفي السلوكي، وفي البحث الحالي بعد أن قام الباحث بمراجعة الأدبيات سوف يستند علي المنحي المعرفي الإجتماعي بإعتبار إن نماذجه هي الأحدث من بين النماذج النظرية في الإتجاه المعرفي السلوكي.

أما من حيث **النتائج** المستخلصة فقد أشارة نتائج الدراسات الميدانية في مجملها الي الأثر الفعال للبرامج العلاجية المقترحة في البحوث السابقة من غير إستثناء- الأمر الذي يؤكد علي فعالية العلاج النفسي وبالأخص العلاج المعرفي السلوكي في علاج متلازمة الإعتماد، الأمر الذي يدفع الباحث في التخطي قدماً الي الأمام لإختبار أثر أرقي النماذج المعرفية السلوكية المتمثلة في نماذج للمنحي المعرفي الإجتماعي متوقعاً أن يكون لدي البرامج التي تستند إليها أثراً فعالاً في علاج متلازمة الإعتماد.

**منهج البحث وإجراءاته: Research Method & its Procedures**

**منهج البحث:** **Research Methodology :** استخدم الباحث في هذا البحث المنهج التجريبي وهو تغيّر متعمد ومضبوط لعامل أو أكثر في الموقف البحثي بشكل منتظم وفقاً لشروط معينة وملاحظة التغيرات الناتجة وتفسيرها، ويتضمن هذا التغيّر ضبط جميع المتغيرات التي تؤثر في الموقف البحثي باستثناء متغير واحد محدد تجري دراسة أثره في هذه الظروف المضبوطة، ويسمى التغيّر والضبط في ظروف الموقف البحثي بالتجربة[فان دالين: 1997: 348؛ أبو علام: 2004: 198؛ العساف: 1995: 316].

**مجتمع ومعاينة البحث: Population and Assignment of Research** : يتمثل مجتمع البحث الحالي في المعتمدين على المواد النفسية، من الذكور المقيمين في مستشفى عبد العال الإدريسي والذين لا يعانون من أي إضطرابات نفسية وعقلية مصنفة ضمن الاضطرابات الناجمة من استخدام المواد النفسية من غير متلازمة الإعتماد أو أي إضطرابات نفسية وعقلية مصنفة في مكان آخر، والخاضعون لبرنامج سحب السمية وتفادي أعراض الانسحاب.

ولما كان الأصل في البحوث العلمية هو تطبيق أدواتها على كافة مفردات المجتمع، وتوفر شروط الحصر الشامل في المجتمع المتاح من محدودية عدد المفحوصين وتواجدهم في بقعة جغرافية محددة- فقد استهدف الباحث المجتمع المتاح ككل من خلال الحصر الشامل وذلك من خلال إعداد قائمة متسلسلة بأسماء المعتمدين المقيمين فيه في فترة تطبيق أدوات البحث الواقعة في المدى الزمني من (30/06/2013) وحتى (30/12/2013). وذلك بعد الرجوع إلى الملفات للتأكد من التشخيص العيادي- فبلغ عددهم (60) معتمداً، قام الباحث بتعيينهم من خلال الطريقة العشوائية البسيطة إلى مجموعتين بواقع (30) معتمداً في كل مجموعة، ثم اختيار أحد المجموعات بالطريقة العشوائية البسيطة ذاتها لتمثل المجموعة التجريبية بينما تمثل الأخرى المجموعة الضابطة، كما تم وصف المجتمع من خلال معالمه الأساسية المتمثلة في نوع المادة المستخدمة والانتكاسة، وفيما يلي بيان لذلك:

**جدول (1) يبين توزيع مجتمع البحث على نوع المادة المستخدمة بناءً على تعيين مجموعات البحث بالتكرارات:**

|  |  |  |  |  |
| --- | --- | --- | --- | --- |
| **المتغير** | **مستوياته** | **الضابطة** | **التجريبية** | **المجموع** |
| **نوع المادة**  **المستخدمة** | **كحول فقط** | **15** | **15** | **30** |
| **قنب فقط** | **08** | **07** | **15** |
| **كحول وقنب معاً** | **07** | **08** | **15** |
| **المجموع** | **30** | **30** | **60** |

**جدول (2) يبين توزيع مجتمع البحث على الانتكاسة بناءً على تعيين مجموعات البحث بالتكرارات:**

|  |  |  |  |  |
| --- | --- | --- | --- | --- |
| **المتغير** | **مستوياته** | **الضابطة** | **التجريبية** | **المجموع** |
| **الانتكــــاســـــة**  **"**عدد مرات الخضوع للعلاج" | **01** | **10** | **12** | **20** |
| **02** | **09** | **07** | **18** |
| **03** | **04** | **05** | **09** |
| **04** | **02** | **02** | **04** |
| **05** | **01** | **01** | **02** |
| **06** | **00** | **01** | **01** |
| **07** | **01** | **01** | **02** |
| **10** | **00** | **01** | **03** |
| **13** | **01** | **02** | **02** |
| **16** | **01** | **00** | **01** |
| **المجموع** | **28** | **32** | **60** |

**ضبط متغيرات المجتمع: Variables Population Control** : لتحقيق ضبط متغيرات مجتمع البحث قام الباحث بتعيين المجموعتين التجريبية والضابطة عشوائياً بالطريقة العشوائية البسيطة، وزاد من عدد المعتمدين في كل مجموعة ليصل إلى (34) معتمد في المجموعة الواحدة الأمر الذي حقق درجة عالية من التكافؤ بين المجموعتين في كل متغيرات المجتمع عدا المتغير المستقل، وفيما يلي بيان لذلك:

**الجدول (3) يبين اختبار مربع كاي لمعرفة التكافؤ بين المجموعتين التجريبية والضابطة في متغير نوع المادة المستخدمة:**

|  |  |  |  |  |  |  |
| --- | --- | --- | --- | --- | --- | --- |
| **المتغير** | **المجموعة** | | **القيمة الكائية المحسوبة** | **درجة الحرية** | **القيمة الاحتمالية** | **القراءة الإحصائية** |
| **ضابطة** | **تجريبية** |
| نوع المادة المستخدمة | **30** | **30** | **2.21** | **2** | **0.319** | **لا توجد فروق جوهرية** |

**الجدول (4) يبين اختبار مان ويتي لمعرفة التكافؤ بين المجموعتين التجريبية والضابطة في متغير الانتكاسة:**

|  |  |  |  |  |  |  |  |
| --- | --- | --- | --- | --- | --- | --- | --- |
| **المتغير** | **المجموعة** | **العينة** | **متوسط الرتب** | **قيمة اليائية المحسوبة** | **القيمة الزائية المحسوبة** | **القيمة الاحتمالية** | **القراءة الإحصائية** |
| الانتكاسة | الضابطة | **30** | **31.97** | **672** | **0.779** | **0.498** | **لا توجد فروق جوهرية** |
| التجريبية | **30** | **35.41** |

|  |  |  |  |  |  |  |  |  |  |
| --- | --- | --- | --- | --- | --- | --- | --- | --- | --- |
| **المتغير** | **عوامله** | **المجموعة** | **العينة** | **الوسط الحسابي** | **الانحراف المعياري** | **القيمة التائية المحسوبة** | **درجة الحرية** | **القيمة الاحتمالية** | **القراءة الإحصائية** |
| **متلازمـــة الاعتمـاد** | القهر والصعوبة | ضابطة | **30** | **5.341** | **0.886** | **0.957** | **58** | **0.211** | **لا توجد فروق جوهرية** |
| تجريبية | **30** | **5.547** | **0.821** |
| التحمل والإهمال | ضابطة | **30** | **5.186** | **0.789** | **1.835** | **58** | **0.631** |
| تجريبية | **30** | **3.976** | **0.696** |
| الانسحاب والاستخدام | ضابطة | **30** | **4.570** | **0.894** | **1.185** | **58** | **0,378** |
| تجريبية | **30** | **4.759** | **0.725** |
| متلازمة الاعتماد | ضابطة | **30** | **13.358** | **1.203** | **2.960** | **58** | **0.792** |
| تجريبية | **30** | **13.027** | **1.274** |

**الجدول (5) يبين الاختبار التائي لمعرفة التكافؤ بين المجموعتين التجريبية والضابطة في العامل العام والعوامل الطائفية لمتغير متلازمة الاعتماد**

**أدوات البحث: Tools of Research**: تحقيقا لا هداف البحث الحالي فقد قام الباحث بتصميم مقياس متلازمة الاعتماد والبرنامج الاجتماعي المعرفي ، وفيما يلى تفصيل لذلك:

**مقياس متلازمة الاعتماد: Dependence Syndrome Scale**: وهو مقياس تشخيصي تتكون صورته المبدئية من (17) فقرة، تم اشتقاقها من المعايير التشخيصية لـ(WHO: I.C.D-10: 1992) مصاغة بطريقة إيجابية، يجاب عليها بإحدى البدائل (نعم- لا) وتقدر الدرجات عليها بإعطاء الإجابة بـ"نعم" درجة واحدة، والإجابة بـ"لا" صفر، ويتم تشخيص الحالة بموجبه إذا تحصلت على "ثلاث" درجات أو أكثر على أن تكون متحصلة من فقرات تنتمي إلى "ثلاث" أبعاد مختلفة أو أكثر، ويقيس المقياس علاوة على الدرجة الكلية "ست" أبعاد فرعية هي القهر وصعوبة التحكم والتحمل والانسحاب والإهمال المتزايد والاستخدام المضر، ويصحح المقياس ككل تجاه ارتفاع درجات متلازمة الاعتماد على المواد النفسية.

ولمعرفة خصائصه القياسية قام الباحث بعرض هذا المقياس على ثلاثة من أساتذة الجامعات ممن لهم اهتمامات في علم النفس العلاجي، والقياس النفسي للتحقق من صدقه الظاهري، واتفق المحكمون على صلاحية المقياس في قياس ما وضع لقياسه. ولحساب الصدق العاملي قام الباحث بتطبيق المقياس في صورته بعد التحكيم على عينة استطلاعية حجمها (80) معتمداً من مجتمع البحث الحالي. وبعد تصحيح الاستجابات وإدخال البيانات الرقمية بالحسب الآلي، قام الباحث بإجراء التحليل العاملي الكشفي مع تدوير المحاور بطريقة معظمة التباين (Varimax) لتحديد الأبعاد الطائفية الممثلة لمجالات متلازمة الاعتماد، وبيّنت نتائج هذا الإجراء تشبع الفقرات على (3) عوامل طائفية، لكل عامل منها جزر كامن قيمته أكبر من الواحد الصحيح، وقد قام الباحث بتسمية العوامل في ضوء محتوى مضمون فقراتها.

لمعرفة ثبات درجات كل بعد من العوامل الممثلة لمتلازمة الاعتماد استخدم الباحث طريقة التجزئة النصفية (معادلة سبيرمان- براون) وطريقة تحليل التباين (معادلة ألفا)، فكشف هذه الإجراء عن النتائج المبينة في الجدول أدناه:

**جدول رقم (6) يوضح معاملات الثبات للعوامل الطائفية لمقياس متلازمة الاعتماد**

|  |  |  |  |
| --- | --- | --- | --- |
| **الأبعاد الفرعية** | **عدد الفقرات** | **معاملات الثبات** | |
| **ألفا** | **س-ب** |
| القهر وصعوبة التحكم | **6** | **0.674** | **0.617** |
| التحمل والإهمال المتزايد | **5** | **0.752** | **0.631** |
| الانسحاب والاستخدام المضر | **6** | **0.738** | **0.662** |
| متلازمة الاعتماد | **17** | **0.842** | **0.785** |

**البرنامج العلاجي المعرفي الاجتماعي Social Cognitive Therapeutic Programme :**: هو برنامج علاجي تم تصميمه بناءً على الأدبيات التي وفرتها التصورات والتطبيقات النظرية للمنحى الاجتماعي المعرفي في علاج متلازمة الاعتماد على المواد النفسية، ويهدف إلى تعزيز التوقعات السلبية للمعتمدين عن الاستخدام وانطفاء التوقعات الإيجابية للمعتمدين عن استخدام المواد النفسية، وتدعيم هذه التوقعات بصورة تمكن من سلوك الامتناع عن الاستخدام تحت ظروف التوتر والإغراء، وتقييم المعتمد لذلك على أنه إنجاز ذاتي يرجع إلى عوامل تتعلق بذاته.

**عرض ومناقشة النتائج: Review & Discussion of Outcomes**

**الفرض الأول:** **:First Hypothesis** لاختبار صحة الفرض الأول، والذي نصه: [يتمتع البرنامج المقترح بأثر فعال في خفض متلازمة الاعتماد على المواد النفسية] قام الباحث باستخدام الاختبار التائي لعينتين مستقلتين، وفيما يلي بيان لنتائج هذا الإجراء:

**جدول (7) يبين الاختبار التائي لعينتين مستقلتين لمعرفة الفروق في العوامل الطائفية والعامل العام لمتلازمة الاعتماد بين المجموعتين التجريبية والضابطة في القياس البعدي:**

|  |  |  |  |  |  |  |  |
| --- | --- | --- | --- | --- | --- | --- | --- |
| **المتغير** | **المجموعة** | **العدد** | **الوسط الحسابي** | **الانحراف المعياري** | **القيمة التائية المحسوبة** | **درجة الحرية** | **القيمة الاحتمالية** |
| القهر وصعوبة التحكم | ضابطة | **30** | **5.121** | **0.776** | **16.231** | **58** | **0.001** |
| تجريبية | **30** | **1.784** | **0.884** |
| التحمل والإهمال المتزايد | ضابطة | **30** | **4.953** | **0.638** | **15.853** | **58** | **0.001** |
| تجريبية | **30** | **1.753** | **0.860** |
| الانسحاب والاستخدام المضر | ضابطة | **30** | **4.872** | **0.830** | **14.031** | **58** | **0.001** |
| تجريبية | **30** | **1.729** | **1.038** |
| متلازمة الاعتماد | ضابطة | **30** | **13.847** | **0.936** | **24.890** | **58** | **0.001** |
| تجريبية | **30** | **4.529** | **2.007** |

**قراءة إحصائية**: يلاحظ من الجدول أعلاه أن القيمة التائية المحسوبة لدلالة الفروق في عوامل متلازمة الاعتماد بين المجموعتين التجريبية والضابطة بلغت على التوالي (**16.231**)، (**15.853**)، (**14.031**)، (**24.890**) وهي جميعها قيم دالة إحصائياً تحت درجة حرية (**58**) عند قيمة احتمالية (**0.001**) الأمر الذي يشير إلى وجود فروق دالة إحصائياً في متلازمة الاعتماد بين المجموعتين التجريبية والضابطة- وهي نتيجة تحقق صحة الفرض الموجه أعلاه.

**توضح النتيجة** المستخلصة من الجدول (7) صحة هذا الفرض، وهي بهذا تؤكد صحة الافتراض النظري للمنحى الاجتماعي المعرفي في علاج متلازمة الاعتماد على المواد النفسية والذي يشير إلى أن تعزيز التوقعات السلبية وانطفاء التوقعات الإيجابية للمعتمدين عن الاستخدام لدى المعتمد يقلل من أعراض متلازمة الاعتماد على المواد النفسية لديه، وذلك لأن السبب الأساسي وراء استخدامه للمواد النفسية ومن ثم الاعتماد عليها هو توقعه بأن استخدامه للمواد النفسية تترتب عليه نتائج مرغوب فيها، ويتفق ذلك مع نتائج البحوث التي أشارت إلى أن المعتمدين لديهم توقعات إيجابية لاستخدام المواد النفسية أكثر من حيث القيمة والعدد من غير المعتمدين بحث (كرستين ورفاقه: Kersteen, et. al., 1985) الذي أشارت نتائجه إلى أن المعتمدين لديهم توقعات بتعزيز إيجابي من جراء استخدام المواد النفسية مثل تقوية القدرات العقلية والابتكارية وفتح الشهية للأكل وتقوية الرغبة الجنسية والقدرة على الممارسة الجنسية بفعالية والاسترخاء والهدوء وتحسين المهارات الاجتماعية وتقوية العلاقات الشخصية المتبادلة، أما بحث (جولدمان ورفاقه: Goldman, et. al., 1987) المقارن بين المعتمدين وغيرهم في مستويات الاعتمادية والتاريخ الأسري الاعتمادي فقد أشارت نتائجه إلى وجود فروق في مجموعات المقارنة حيث توقع المعتمدون الحصول على لذة ومتعة أكبر من نظرائهم غير المعتمدين، بينما توقع الذين ينحدرون من آباء معتمدين آثاراً معرفية وحركية من جراء استخدامهم أكثر من نظرائهم الذين ينحدرون لآباء غير معتمدين، لذا فإن الجهود العلاجية يجب أن توجه نحو قولبة هذه توقعات الاستخدام الإيجابية لدى المعتمد وتحويلها من إيجابية إلى سلبية، ويتم ذلك من خلال تعزيز التوقعات السلبية للاستخدام وانطفاء التوقعات الإيجابية له بدرجة تمكنه من الإقلاع عن سلوكيات الاستخدام، وهذا من شأنه أن يفك الرابط الذاتي لدى المعتمد بين أعراض متلازمة الاعتماد وسلوكيات الاستخدام التي تعزز تلك الأعراض الأمر الذي يؤدي إلى الضعف التدريجي لهذه الأعراض إلى أن تنطفئ وبهذا تنخفض الأعراض المرضية لمتلازمة الاعتماد على المواد النفسية؛ وتُعد هذه النتيجة بمثابة للبرهان التجريبي الذي يدل على قوة البرنامج العلاجي المقترح في خفض متلازمة الاعتماد على المواد النفسية وصدق الافتراضات النظرية التي يقوم عليها.

**الفرض الثاني:** **: Scand Hypothesis** لاختبار صحة الفرض الثاني، والذي نصه: [داخل المجموعة التجريبية لا توجد فروق جوهرية في التحسن على متلازمة الاعتماد تعزى لنوع المادة المستخدمة] قام الباحث بإجراء تحليل التباين الأحادي، وفيما يلي بيان لنتائج هذا الإجراء:

**جدول (8) يبين تحليل التباين الأحادي لمعرفة دلالة الفروق في درجات التحسن على العوامل الطائفية والعامل العام لمتلازمة الاعتماد التي تعزى لنوع المادة المستخدمة:**

|  |  |  |  |  |  |  |
| --- | --- | --- | --- | --- | --- | --- |
| **البُعد** | **مصدر التباين** | **مجموع المربعات** | **درجات الحرية** | **متوسطات المربعات** | **القيمة الفائية المحسوبة** | **القيمة الاحتمالية** |
| القهر وصعوبة التحكم | بين المجموعات | **2.561** | **2** | **1.211** | **0.879** | **0.563** |
| داخل المجموعات | **35.971** | **27** | **1.216** |
| الكلي | **38.532** | **29** |  |
| التحمل والإهمال المتزايد | بين المجموعات | **3.963** | **2** | **2.020** | **1.638** | **0.231** |
| داخل المجموعات | **25.015** | **27** | **1.357** |
| الكلي | **28.978** | **29** |  |
| الانسحاب والاستخدام المضر | بين المجموعات | **1.638** | **2** | **0.571** | **0.571** | **0.814** |
| داخل المجموعات | **42.825** | **27** | **1.414** |
| الكلي | **44.463** | **29** |  |
| متلازمة الاعتماد | بين المجموعات | **18.537** | **2** | **9.846** | **1.891** | **0.231** |
| داخل المجموعات | **191.052** | **27** | **6.041** |
| الكلي | **210.508** | **29** |  |

**قراءة إحصائية**: يلاحظ من الجدول أعلاه أن القيمة الفائية المحسوبة لتأثير نوع المادة المستخدمة على درجات التحسن في عوامل متلازمة الاعتماد بلغت في متوسطات عوامل متلازمة الاعتماد على التوالي (**0.879**)، (**1.638**)، (**0.571**)، (**1.891**)، بقيم احتمالية (**0.563**) (**0.231**) (**0.814**) (**0.231**) وهي جميعها قيم غير دالة إحصائياً عند القيمة الاحتمالية (**0.050**) الأمر الذي يشير إلى عدم وجود فروق جوهرية في درجات التحسن على متلازمة الاعتماد تعزى لنوع المادة المستخدمة- وهي نتيجة تحقق صحة الفرض الصغرى أعلاه.

**تشير** النتيجة المستخلصة من الجدول (8) إلى صحة هذا الفرض، والتي تؤكد عدم تأثير نوع المادة المستخدمة على التحسن في متلازمة الاعتماد على المواد النفسية؛ فبالرغم من تعدد المواد النفسية التي ينجم من استخدامها الكثيف والمستمر متلازمة الاعتماد، والآثار الصيدلانية المختلفة لهذه المواد، وتغيّر متلازمة الاعتماد نفسها عند المعتمد الواحد بعد تعرضه للانتكاسات الاعتمادية- إلا أن متلازمة الاعتماد ككل والزملة المرضية المميزة لها تتميز بدرجة من الثبات النسبي الذي يقدم متلازمة الاعتماد كظاهرة مرضية واضحة المؤشرات التشخيصية المحددة لها بغض النظر عن نوع المواد النفسية التي تنجم من استخدامها متلازمة الاعتماد نفسها، ويتفق هذا التفسير مع افتراضات الـ(W.H.O: I.C.D-10: 1992 ) حول متلازمة الاعتماد والتي ينظر إليها باعتبارها ظاهرة مرضية عامة تنجم من استخدام مواد النفسية متعددة، وهو بهذا يركز على التأثيرات الاعتمادية الأساسية التي تجمع بين كل المواد النفسية وذلك على حساب التأثيرات الاعتمادية النوعية المميزة لكل مادة النفسية على حدة، وذلك على النقيض من افتراضات الـ(APA: D.S.M.-4TR: 2000) الذي يركز على التأثيرات الاعتمادية النوعية أكثر من التأثيرات الاعتمادية العامة- وينطبق التأثير الحالي مع واقع البيئة السودانية بدرجة أكبر والتي يتم فيها تحضير المواد النفسية بصورة عامة والكحول والقنب على وجه الخصوص بطرق أكثر بدائية لذا فإن مستحضراتها البلدية تشوبها علاوة على المادة الفعالة الأساسية مواد فعالة أخرى وسميات ومواد غذائية ناتجة من عملية التحضير أو مضافة عمداً، وذلك بالإضافة إلى عدم ضبط المادة الفعالة فيها، الأمر الذي يجعل من الصعوبة بمكان معرفة آثارها ومضاعفاتها الاعتمادية وبالتالي استحالة التمييز بين الآثار الاعتمادية التي ترجع لنوع المادة المستخدمة عندما يتعلق الأمر المقارنة بين أكثر من مادة نفسية الفاعلية، هذا ويتفاعل ذلك مع الأثر الفعال القوي للبرنامج العلاجي المقترح في علاج متلازمة الاعتماد على المواد النفسية والذي تصل قوته لدرجة تنطفئ معها تأثيرات نوع المادة المستخدمة على التحسن في متلازمة الاعتماد إن وجدت، وتعد هذه النتيجة بمثابة البرهان التجريبي الذي يدلل على قوة الأثر الفعال للبرنامج العلاجي المقترح في علاج متلازمة الاعتماد الناجمة من استخدام مواد النفسية متعددة وذلك على العكس من كثير من البرامج العلاجية التي يقتصر أثرها الفعال في علاج متلازمة الاعتماد الناجمة من استخدام مادة بعينها دون غيرها ولاسيما الكحول كما هو الحال في برامج العلاج الطبي والسلوكي.

**الفرض الثالث**: **Third Hypothesis** : لاختبار صحة الفرض الثالث، والذي نصه: [داخل المجموعة التجريبية لا توجد علاقة ارتباطية جوهرية بين التحسن في متلازمة الاعتماد والانتكاسة] قام الباحث بحساب معامل ارتباط الرتب لسبيرمان، وفيما يلي بيان لنتائج هذا الإجراء:

**جدول (9) يبين معامل ارتباط الرتب لسبيرمان لمعرفة دلالة الارتباط بين درجات التحسن في العوامل الطائفية والعامل العام لمتلازمة الاعتماد والانتكاسة:**

|  |  |  |  |
| --- | --- | --- | --- |
| **العامل** | **معامل الارتباط** | **العدد** | **القيمة الاحتمالية** |
| القهر وصعوبة التحكم | **-0.125** | **30** | **0.215** |
| التحمل والإهمال المتزايد | **-0.126** | **30** | **0.136** |
| الانسحاب والاستخدام المضر | **-0.103** | **30** | **0.513** |
| متلازمة الإعتماد | **-0.310** | **30** | **0.201** |

**قراءة إحصائية**: يلاحظ من الجدول أعلاه أن قيمة معامل الارتباط المحسوبة لدرجات التحسن في عوامل متلازمة الاعتماد مع الانتكاسة بلغت على التوالي: (**-0.125**)، (**-0.126**)، (**-0.103**)، (-**0.310**)، بقيم احتمالية (**0.215**)، (**0.136**)، (**0.513**)، (**0.201**)، وهي جميعها قيم غير دالة إحصائياً عند القيمة الاحتمالية (**0.050**) الأمر الذي يشير إلى وجود علاقة طردية جوهرية بين درجات التحسن في متلازمة الاعتماد والانتكاسة- وهي نتيجة تحقق صحة الفرض الصفري أعلاه.

تشير النتيجة المستخلصة من الجدول (9) إلى صحة هذا الفرض- فالبرغم من أن من أهم ما يميز متلازمة الاعتماد حسب تصور الـ(W.H.O.: I.C.D-10: 1992) لها بأنها ظاهرة متعددة المراحل تتسم باحتمال ووجود دليل واضح على رجوع المعتمد لاستخدام مادة اعتماده بعد فترة انقطاع مما يؤدي إلى ظهور زملة أعراضها بأشكال أخرى- الأمر الذي يدلل على أن الانتكاسة الاعتمادية هي من أهم اللازمات المرضية لمتلازمة الاعتماد، وهذا ما أكدته نتائج البحوث السابقة، فقد أشارت نتائج بحث فضل السيد (Fadulelseed: 2005) على سبيل المثال لا الحصر إلى أنه يمكن التنبؤ بمتلازمة الاعتماد من خلال معرفة الانتكاسة، وكما ظلت الانتكاسة منبئاً قوياً بمتلازمة الاعتماد بالرغم من إقحام متغيرات أخرى عنوة في معادلة التنبؤ، وكما مثلت الانتكاسة أهم المتغيرات المكونة للنموذج السببي المفسر لمتلازمة الاعتماد- الأمر الذي يدلل على التأثير القوي للانتكاسة على متلازمة الاعتماد ومآلها وأنه تبعاً لذلك كلما زادت عدد مرات الانتكاسة أزمنت متلازمة الاعتماد وتفاقمت مضاعفاتها وساء مآلها الأمر الذي يجعل من المعتمدين ذوي الانتكاسات المتعددة أكثر معاناة من متلازمة الاعتماد ومضاعفاتها وبالتالي أسوأ مآلاً وأقل استجابة للعلاج من نظرائهم من المعتمدين غير المنتكسين أو قليلي الانتكاسة- وذلك نظراً لتكرار زملة أعراض متلازمة الاعتماد لديهم مرات متعددة وبأشكال مختلفة بدرجة تضعف من مناعتهم الذاتية ضدها- إلا أن نتيجة البحث الحالي تؤكد عدم تأثير الانتكاسة على التحسن في متلازمة الاعتماد الناتج من البرنامج العلاجي المقترح الأمر الذي يدلل على قوة الأثر الفعال للبرنامج العلاجي المقترح في خفض متلازمة الاعتماد لدرجة تنطفئ معها تأثير الانتكاسة الاعتمادية، ويعزو الباحث ذلك إلى قوة الأساس النظري الذي يقوم عليه البرنامج العلاجي المقترح الذي يعد من أكثر البرامج التأهيلية كفاءة في علاج متلازمة الاعتماد ويرجع ذلك إلى الاهتمام المباشر بالانتكاسة الاعتمادية من قبل الاتجاه التأهيلي لعلاج متلازمة الاعتماد بصورة عامة والعلاج الاجتماعي المعرفي على وجه الخصوص والذي يمنحها قدراً أكبر من الاهتمام باعتبارها عملية قائمة بذاتها ويهدف إلى الإحالة دون حدوثها والنظر إلى ذلك باعتباره عملية دفاعية للإرادة الذاتية يعمم بهدف تعزيز مرحلة الاستمرارية في تغيّر السلوك بعد قولبته، وأساس ذلك هو تعزيز عمليات التغلب على سلوكيات الاستخدام المتاحة لدى المعتمد في مواجهة تهديدات وإغراءات المواقف عالية الخطورة للاستخدام، وينظر الباحث إلى هذه النتيجة باعتبارها نتيجة متفائلة لحد كبير وذلك لأن المعتمدين ذوي الانتكاسات المتعددة هم معتمدون خضعوا لعلاج متلازمة الاعتماد من خلال برامج علاجية مختلفة ولمرات متعددة دون جدوى وكان تأثير الانتكاسة الاعتمادية في كل محاولة علاجية أقوى بكثير من تأثير البرامج العلاجية التي خضعوا لها سابقاً وما يدلل على ذلك هو عودتهم للاستخدام من جديد وحدوث الانتكاسة، الأمر الذي يجعل من المعتمدين ذوي الانتكاسات المتعددة بمثابة الحالات الحرجة التي تحتاج إلى خدمات علاجية خاصة وفي أغلب الحالات قد ينفرط زمام الأمر من المعالج ويتدهور المآل وتكون أحسن حالاته هي الإقامة شبه الدائمة بمستشفيات الاضطرابات النفسية والعقلية، لذا فإن نتيجة الفرض الحالي تفتح فرصة جديدة للمعتمدين ذوي الانتكاسات المتعددة في التحسن والشفاء التام والرجوع إلى عالم الحياة العامة أسوة بنظرائهم من غير المنتكسين وقليلي الانتكاسة- وتعد هذه النتيجة بمثابة البرهان التجريبي الذي يدلل على الأثر المطلق للبرنامج العلاجي المقترح في خفض متلازمة الاعتماد ومتانة الافتراضات النظرية التي يقوم عليها.

**التوصيات: Recommendations:**بناءً على ما توصل إليه الباحث من نتائج يوصي المؤسسات الإرشادية والعلاجية للمعتمدين على المواد النفسية بالآتي:

1. تصميم برامج إرشادية لتوعية النشء ولاسيما المراهقين بالآثار الضارة والمآل السيئ الناتج من استخدام المواد النفسية.
2. تصميم برامج وقائية لعلاج إساءة استخدام المواد النفسية للمراهقين مسيئ الاستخدام.
3. استخدام البرنامج العلاجي المقترح لعلاج متلازمة الاعتماد على المواد النفسية للمعتمدين باختلاف شرائحهم التي تعزى لنوع المادة المستخدمة والانتكاسة.

**المقترحات: Suggestions**: لإثراء مجال البحث الحالي اقترح الباحث البحوث المستقبلية الآتية:

1. أثر برنامج علاجي مقترح لعلاج إساءة استخدام المواد النفسية التي تضمنها البحث الحالي.
2. أثر برنامج علاجي مقترح لعلاج متلازمة الاعتماد على المواد النفسية التي لم يتضمنها البحث الحالي.
3. أثر برنامج علاجي مقترح لعلاج إساءة استخدام المواد النفسية التي لم يتضمنها البحث الحالي.

**قائمة المراجع: List of References**

1. أبو حميدان، يوسف عبد الوهاب (2001) **العلاج السلوكي**، الكتاب الجامعي، الإمارات العربية المتحدة، ط1.
2. أبو زيد، مدحت عبد الحميد (1998) **الارتكاس العقاقيري**، المعرفة الجامعية، مصر، ط1
3. أبو علام، رجاء محمود (2004) **مناهج البحث**، النشر للجامعات، القاهرة، ط4.
4. أحمد، سهير كامل (2003) **سيكولوجية الشخصية**، الإسكندرية للكتاب، مصر، ط1.
5. **بابكر**، كمال أحمد (1999م) **المخدرات والمؤثرات العقلية**، العاصمة، القاهرة، ط1.
6. باتيرسون(1990)**نظريات الإرشاد والعلاج النفسي**: الجزء الثاني، ت: الفقي، حامد عبد العزيز، القلم، الكويت،ط1.
7. باتيرسون (1995) **الإرشاد والعلاج النفسي**، ت: مرسي، سيد أحمد عبد الحميد، وهبة، القاهرة، ط1.
8. البار، محمد علي (د. ت) **الخمر**، الدار السعودية، المملكة العربية السعودية، ط5.
9. بيتش، هارولد ريجنالد (1992) **تعديل السلوك البشري**، ت: الزراد، فيصل محمد، المريخ، المملكة العربية السعودية، ط1.
10. **توفيق**، أماني ولي محمد (2003) **بعض السمات الشخصية لمعتمدي المخدرات المصنعة للمترددين على المراكز العلاجية بولاية الخرطوم**، بحث ماجستير غير منشور، آداب النيلين، السودان.
11. **جابر**، جابر عبد الحميد (1996) **نظريات الشخصية**، النهضة- القاهرة، الميسرة، القاهرة، عُمان، ط1.
12. **الحاج**، فائز محمد علي (1996) تعاطي المخدرات وأثره على الصحة النفسية، المؤتمر العالمي السادس للجمعية العالمية الإسلامية للصحة النفسية، لبنان.
13. حجار، محمد حمدي (1989) **الطب السلوكي المعاصر**، العلم للملايين، بيروت، ط1.
14. **داؤود**، عزيز حنا ورفاقه (1991) **الشخصية**، الأنجلو، القاهرة، ط1.
15. ديبونت، روبرت (1989) **مكافحة العقاقير المؤدية للإدمان**، ت: ترك ورياض، وليد وعوض، المكتب الأردني، عُمان، ط1.
16. **زهران**، حامد عبد السلام (2001) **الصحة النفسية والعلاج النفسي**، عالم الكتاب، القاهرة، ط3.
17. **السدلان**، صالح بن غانم (1993) **المخدرات والعقاقير النفسية**، الدار العلمية للكتاب الإسلامي، المملكة العربية السعودية، ط1.
18. **شعلان**، محمد ورفاقه (1988) المخدرات سلاح استعماري ضد الشباب، رسالة الإسلام، المؤتمر العربي لمكافحة الإدمان، المملكة العربية السعودية.
19. الشناوي وعبد الرحمن، محمد محروس ومحمد السيد (1998) **العلاج النفسي الحديث**، قباء، القاهرة، ط1.
20. الشناوي وعبد الرحمن، محمد محروس ومحمد السيد (1998) **العلاج النفسي الحديث**، قباء، القاهرة، ط1.
21. **عبد الرحمن**، محمد السيد (2000) **الأمراض النفسية والعقلية**: الجزء الثاني، قباء، القاهرة، ط1.
22. عبد الله، مجدي أحمد محمد (2000) **علم النفس المرضي**، المعرفة الجامعية، مصر، ط2.
23. عبد المعطي، حسن مصطفى (1998) **علم النفس الإكلينيكي**، قباء، القاهرة، ط1.
24. عبد المنعم، عفاف محمد (1999) **الإدمان**، المعرفة الجامعية، مصر، ط1.
25. عبد الوهاب، خالد محمود(2006) مدي فعالية برنامج علاجي في تعديل أساليب التعامل مع المواقف الضاغطة لدي المدمنين السعوديين، دراسات عربية في علم النفس، المجلد(5) العدد(1) ياناير(2006)،(ص-ص:79-144).
26. العبيدي، إبراهيم بن محمد (1989) تقرير عن بحث ماجستير، أعده: الفاتح، سليمان: عن المخدرات، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المجلد (18)، العدد (1).
27. العربية، الموسوعة العربية العالمية (1996) **الأجزاء التاسع والتاسع عشر والرابع والعشرون**، مؤسسة الأعمال، المملكة العربية السعودية، ط1.
28. العزة وعبد الهادي، سعيد حسني وجودت عزت (1999) **نظريات الإرشاد والعلاج النفسي**، الثقافة، عُمان، ط1.
29. العساف، صالح بن حمد (1995) **المدخل إلى البحث**، العبيكان، المملكة العربية السعودية، ط1.
30. العسال، نبيل محمود(2012)أثر أسلوب العلاج الجمعي في الإقلاع عن التدخين، مركز الدراسات والبحوث، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ط1.
31. العشماوي، السيد متولي (1993) **الجوانب الاجتماعية لظاهرة الإدمان**، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، المملكة العربية السعودية، ط1.
32. **غراوة**، كلاوس ورفاقه (1999) **مستقبل العلاج النفسي**، ت: رضوان، سامر جميل، وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية، ط1.
33. غنيم، سيد محمد (1975) **سيكولوجية الشخصية**، النهضة، القاهرة، ط1.
34. **فان دالين**، دي وبولد (1997) **مناهج البحث**، ت: نوفل، محمد نبيل ورفاقه، الأنجلو، القاهرة، ط2.
35. فرغلي، علي (2003) **خطوات العلاج النفسي**، النهضة، القاهرة، ط1.
36. الفقية،علي حسن إبراهيم(1997-أ) **تقرير رسالة ماجستير في علاج إدمان الهيروين،** كلية التربية، جامعة أم القري، السعودية.
37. الفقية،علي حسن إبراهيم(1997-ب) **فعالية العلاج المعرفي في علاج إدمان الهيروين،** رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة أم القري، السعودية.
38. كمال، علي (1988) **النفس**: الجزء الأول، واسط، الأردن، ط4.
39. **ماكريدي**، بارابارا (2002) **علاج الاعتماد على المسكرات نفسياً**، ت: الصبوة، محمد نجيب، الأنجلو، القاهرة، ط1.
40. محمد،عبدالصبور منصور(2001) مدي فعالية الإرشاد النفسي في علاج الإدمان، كلية التربية، جامعة المنصورة، العدد(459، ياناير(2001)،(ص-ص:210-234).
41. ملحم، سامي محمد (2007) **مبادئ التوجيه والإرشاد**، الميسرة، عُمان، ط1.
42. موسى، جابر بن سالم ورفاقه (1998) **المعجم العربي للمواد المخدرة والعقاقير النفسية**، أكاديمية نايف للعلوم الأمنية، المملكة العربية السعودية، ط1
43. **نور الدين، مجدي(1988)تهريب الموت، رسالة الإسلام، المملكة العربية السعودية، المجلد (1)، العدد(28).**
44. **هواسي**، إيناس أحمد عزيم (2003) **بعض اضطرابات الشخصية لدى معتمدي الكحول**، بحث ماجستير غير منشور، آداب المستنصرية، العراق.

**40.** **American** Psychiatric Association “A. P. A.” (2000) **Diagnostic and Statistical Manual of Mental Disorders** “D. S. M. T.R.T.M.”, Washington, Fourth Edition.

41**. Leibert** & Spiegler M. (1993) **Personality: Brooks Cale Publishing Company**, California, Seven edition.

42. Mischel. W. (1973) **Towa Cognitive Social Learning recon Capitalization of Personality**, Psychological Review, New York, First edition.

43. **World** Health Organization “W.H.O.” (1992) **International Classification of Mental and Behavioral Disorder** (I. C. D.), Geneva, Tenth Edition.

**مدي الاستفادة من تقنية الجيل الرابع بشركة سوداني للاتصالات :الواقع المأمول والتحديات**

**د. هادية يوسف عبد الرحمن محمد – جامعة الرباط الوطني**

**د.خليل عبد الله علي – جامعة غرب كردفان – كلية الاعلام**

**الإطار النظري للدراسة**

**تمهيد:**

مما لا شك فيه أن الاتصالات وتقنية المعلومات أصبحت محوراً رئيسياً من محاور التنمية في مجالاتها المختلفة، وركيزة أساسية في قياس تطور الأمم وتقدمها. ولقد ساهمت الاتصالات الحديثة في عمل نقلة نوعية كبيرة على مستوى العالم؛ إذ مكنت المجتمعات من التواصل والتخاطب وتبادل المعلومات بكل يسر وسهولة، وبسرعة فائقة؛ مما ساهم في تقارب المجتمعات وتحول العالم إلى قرية صغيرة، ينعم الفرد فيها بمعرفة ما يدور حوله في البقاع المختلفة.

وللحاق بالسباق الدولي للظفر بحصة من منافع الاتصالات وتقنية المعلومات، سعت كثير من الدول إلى بذل وتقديم كل أنواع الدعم لهذا المجال، وتذليل الصعوبات وتيسير وتسهيل الإمكانات لتحفيز المجتمع ومؤسساته المختلفة لتبنى الخيارات التقنية وتطويرها. كما تم التركيز والاعتماد على المعرفة التقنية ودعم الاقتصاد المبنى على مجالات الاتصالات وتقنية المعلومات.لعل من أبرز التحديات التي تواجه المجتمعات المعاصرة هو كيفية التعامل مع هذا الفيض الهائل من المعلومات في كافة أشكالها و صورها.

**المقدمة:**

لقد أدت التطورات الهائلة والمتلاحقة في مجال الاتصالات والمعلومات إلى إيجاد واقع جديد من شأنه إحداث تغيرات كبيرة في شتى مناحي الحياة ، فالتغيرات التي تحققت في مجال تقنية الاتصالات قد سمحت بقدر كبير من تبادل المعلومات وخدمات الاتصال والترفيه والتسلية والتثقيف، وذلك مع انتشار الفضائيات والأقمار الاصطناعية التي أدت إلى تقوية وتوسيع شبكات الاتصال، والحصول على الاحتياجات والسلع والخدمات المختلفة وممارسة الألعاب الذهنية والتعليم عن بعد والترددات الصوتية.(الصيرفي:2000،ص12)

ولقد أصبحت نظم المعلومات والاتصالات أكثر ارتباطاً بالنظم الالكترونية التي تستخدم لتوزيع المعلومات علي المستفيدين

### وتقنية الجيل الرابع هي ساطة، فإنّ 4G هي اختصار للجيل الرابع من شبكات نقل البيانات اللاسلكية، وتُعرف أيضاً باسم LTE والتي تعني شبكات التطوّر طويل الأمد.

وتقدّم تقنية الجيل الرابع نفاذاً سريعاً للإنترنت، وهو ما يعني معالجة أسرع لتدفق البيانات عبر الإنترنن.

مقارنة بإنترنت الجيل الثالث 3G فإنّ تصّقح الإنترنت عبر شبكة الـ 4G سيكون أسرع بـ 4 مرات على الأقل، وقد تصل إلى سرعات أعلى بـ 10 مرات من أقصى سرعات توفّرها شبكات الجيل الثالث.

بشكل أكثر دقّة فإنّ سرعات الـ 4G قد تصل إلى سرعات تتجاوز الـ 100 ميغابت في الثانية، لكن بعض الشركات تعمل على زيادة تلك السرعة والوصول إلى حاجز 150 ميغابت في الثانية وهي التقنية التي قد يُطلق عليها اسم 4G Plus.

**مشكلة الدراسة:**

تشكل الاتصالات دوراً حيوياً في حياة الأفراد وتواصلها،فهي عنصر لا غني عنه في الحياة في أي نشاط،ولقد نبعت مشكلة الدراسة في تحديد الاتجاهات والمعالم التي تتبعها شركة سوداني للاتصالات في السودان والتكامل مع التقنية العالية في بناء وتنظيم المجتمعات المعرفية،ومجابهة التحديات التي تواجه الاتصالات في إرسال المعلومة إلي مشتركيها والتي تتمثل في القدرة علي استكشاف واستنباط الطرق الجديدة .وبناءً عليه تحاول هذه الدراسة الكشف عن مدي إسهام شركة سوداني للاتصالات في تحديد المسارات الصحيحة التي تغدو نحو بناء مجتمع معرفي مشبع بشبكة قوية ومتطورة.

**تساؤلات الدراسة:**

ولتوضيح مشكلة الدراسة طرح الباحثان السؤال الرئيس التالي:ـــــ

ما دور شركة سوداني في تطبيق شبكة الجيل الرابع 4G في السودان؟

ويتفرع عن هذا السؤال الرئيس مجموعة من الأسئلة وذلك كما يلي:-

1. ما الدور المطلوب من شركة سوداني تجاه غنية الجيل الرابع؟
2. كيف حققت شركة سوداني فرصاً ملموسة للتوسع في شبكتها؟
3. ما خطوات ومميزات شركة سوداني في إثراء مجتمع المعرفة من خلال تطبيقها للجيل الرابع؟
4. ما النشاطات التي تقوم بها شركة سوداني والمقومات التي تعزز دعمها ومساندتها لكل شرائح المجتمع المحلي والعالمي؟
5. ما المساعي التي تقوم بها شركة سوداني نحو تحقيق الريادة العلمية والثقافية تجاه مشتركيها؟
6. هل شركة سوداني تتمتع ببنية تحتية تمكنها من تطبيق شبكة الجيل الرابع؟
7. ما المعوقات التي تواجه شركة سوداني في تطبيقها؟

**أهمية الدراسة:**

إن تقنية الجيل الرابع في السودان يتطلب وعياً مجتمعياً بضرورة ومساهمة كافة قطاعات المجتمع،تكمن أهمية هذه الدراسة في تناولها الأدوار والمسارات التي قامت بها شركة سوداني للاتصالات طيلة مسيرتها الذاخرة بكل ماهو جديد بالنسبة للمشترك السوداني .وما تخرج به هذه الدراسة من نتائج قد تفيد المسئولين في الوقوف علي أوجه القصور وبالتالي إيجاد معالجات من شأنها أن ترتقي بخدمات الشركة الأمر الذي يؤدي إلى مساهمتها في تطبيق هذه التقنية.

**أهداف الدراسة:**

1. معرفة الدور المطلوب من شركة سوداني نحو تطبيق تقنية الجيل الرباع.
2. التعرف علي كيفية الفرص التي حققتها شركة سوداني لتطبيق هذه التقنية
3. معرفة خطوات ومميزات شركة سوداني في إثراء مجتمع المعرفة من خلال دعمها لتطبيق تقنية الجيل الرابع
4. التعرف علي النشاطات التي تقوم بها شركاشركة سوداني للاتصالات والمقومات التي تعزز دعمها ومساندتها لكل شرائح المجتمع المحلي والعلمي.
5. معرفة المساعي التي تقوم بها شركة سوداني نحو تحقيق الريادة العلمية والثقافية.
6. التعرف علي واقع شركة سوداني للاتصالات ومدي تمتعها ببنية تحتية قادرة علي تطبيق أحدث التقنيات في المجتمع ما المعوقات التي تواجهها في ذلك.
7. الوقوف علي المشكلات أو المعوقات التي تواجه شركة سوداني حيال تطبيق هذه التقنية.

**حدود الدراسة :**

وتتمثل في الآتي :

1 ـ الحد الموضوعي : تتناول الدراسة مدي الاستفادة من تطبيق تقنية الجيل الرابع بشركة سوداني للاتصالات

2 ـ الحد المكاني : يتمثل في شركة سوداني ــ الخرطوم

الحد الزماني :

مارس 2017

**منهج الدراسة :**

لغرض هذه الدراسة تم توظيف المناهج الآتية

**1- منهج دراسة الحالة**(عبد الهادي:2006م،ص9)

وظف الباحثان هذا المنهج في الشركة عينة الدراسة، حيث قامت بدراستها دراسة متعمقة من حيث الوقوف علي بنياتها التحتية

**2-المنهج المسحي :**

تم توظيف هذا المنهج في المسح الذي قام به الباحثان لشركات الاتصالات، حيث تم تصميم استبانه وزعت للمشتركين لمعرفة آرائهم حول الدور الذي تقوم به شركة سودانيل للاتصالات في تطبيق تقنية الجيل الرابع.(عبد الهادي:2006،ص9)

**3-المنهج التاريخي (الوثائقي)**

تم توظيف هذا المنهج في الإطار النظري للدراسة وأدبياتها

**أدوات جمع البيانات :**

لغرض هذا البحث تم توظيف الوسائل الآتية

**\*الاستبانة :**

قام الباحثان بتصميم استبانه اشتملت علي أسئلة متعلقة بفاعلية مدي تطبيق شركة سوداني لتقنية الجيل الرابع.

**\*الملاحظة :**

حيث قام الباحثان بزيارات للشركة عينة الدراسة للوقوف علي الوضع الراهن .

**\*المقابلة :**

وقد قام الباحثان بمقابلة القائمين علي أمر شرة سودانيت لأخذ معلومات تتعلق بالبنية التحتية، والقوي العاملة المؤهلة،والأجهزة الحديثة المتطورة..الخ.

**مصطلحات الدراسة:**

1ـ الدور Roll

يعرف إجرائياً بأنه نمط من السلوك المتوقع من قبل فرد أو جماعة من خلال موقف معين وسلوك متوقع من قبل العضو والذي يقوم به مراعياً المعايير الاجتماعية(الشامي:2000م،ص23)

2 ــ شركات الاتصالات:Communications company

يقصد بها الشركات المتخصصة في اتصالات الهاتف السيار في السودان وهي شركة شركة سوداني

**الجيل الرابع4g:**

هي اختصار للجيل الرابع من شبكات نقل البيانات اللاسلكية، وتُعرف أيضاً باسم LTE والتي تعني شبكات التطوّر طويل الأمد.وتقدّم تقنية الجيل الرابع نفاذاً سريعاً للإنترنت، وهو ما يعني معالجة أسرع لتدفق البيانات عبر الإنترنت

**الدراسات السابقة:**

أولاً المحلية:

1. دراسة نصر الدين عبد القادر عثمان ـــــ اتجاهات المشتركين نحو شركات الاتصال بالتطبيق علي شركة زين(نصر الدين:2011،ص12).

تهدف الدراسة إلي التعرف علي اتجاهات الجمهور نحو الشركة حتي تستطيع الشركة إحداث التغيير. اتبع الباحث المنهج التحليلي والمقارن،ثم منهج دراسة الحالة.ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة أهمية دور الإعلام في تطور الشركة، وضوح وقدرة الإعلام في ربط الأحداث وتغيير الاتجاه. ومن أهم التوصيات:

* ضرورة الاعتماد علي العلاقات العامة في نقل المعلومات ورأي واتجاهات الجمهور

**ثانياً العربية:**

1. دراسة إبراهيم حداد ــــ معايير اختيار الوكالة الإعلانية وانعكاساتها علي رضا منظمات الأعمال :دراسة ميدانية علي شركات الاتصالات في الأردن(حداد:2009 ،8)

تهدف الدراسة إلي التعرف علي معايير تفعيل شركات الاتصالات الخلوية للتعامل مع الوكالات الإعلانية في الأردن

اتبع الباحث الأسلوب التحليلي الإحصائي.

أهم نتائج الدراسة:

* وجود أثر بالغ لعناصر جودة الخدمة علي درجة رضا شركات الاتصالات الخلوية تجاه الوكالة

من أهم التوصيات

* تركيز وكالات الإعلانات التجارية علي أبعاد الاعتمادية والتوكيد.

**ثالثاً الدراسات الأجنبية:**

1. دراسة ايغريم اوكورــــ دمج تكنلوجيا وسائل الاتصال الاجتماعي في التعليم العالي

Integrating Social Media Technologies In higher Education

تهدف الدراسة إلي أهمية إلي أهمية وسائل الاتصال الاجتماعي في البيئة الجامعية من حيث تعزيز مخرجات التعليم والأنشطة التعاونية

* نتيجة لثورة الاتصالات والمعلومات(اوكور: 23 2005،)

**التعقيب علي الدراسات السابقة**:

هدف الباحثة للاستفادة بالدراسات السابقة إلى معرفة جهود الباحثين حول دور شركات الاتصالات في تعزيز الثقافة المعلوماتية باعتبارها تجارب وخبرات يمكن الأخذ بها .وقد أجمعت جميع الدراسات السابقة والحالية على أهمية التكنولوجيا ومساهمتها الفعالة.

**واقع شركات الاتصالات في السودان**

**تاريخ الاتصالات في السودان**

بدأت الاتصالات في السودان منذ عام 1859م وكانت هذه البداية باتصالات سلكية بمدينة سواكن الواقعة على شاطئ البحر الأحمر في حدود السودان الشرقية حيث أن مدينة سواكن كانت آنذاك ذات أهمية تجارية وميناء للبلاد. كان السودان مع موعد مع فجر جديد في عالم الاتصالات وتقنية المعلومات في هذا التاريخ انتقلت الاتصالات إلى الشركة السودانية للاتصالات المحدودة كشركة مساهمة عامة، وآلت إلى القطاع الخاص، ولقد ولدت الشركة السودانية للاتصالات نتيجة دراسات وبحوث لكيفية تطوير الاتصالات بالسودان لمواكبة التطورات العالمية ودفع التنمية الاقتصادية والاجتماعية

**الشركة السودانية للهاتف السيار( سوداني)**

سوداني شركة الاتصالات اللاسلكية في مجموعة سودا تل للاتصالات بالسودان وتعمل في مجال الهاتف الجوال وخدمات البيانات والسعات العريضة، وكانت سوداني أول شركة في السودان تمتلك شبكة (3.75 G).تأسست الشركة في العام 1993م

**الرؤية:**

أن تكون سودا تل حاضرة في كل بيت سوداني.

أن يغدو هاتف سوداني في يد كل سوداني.

أن يسطع نجم سودا تل في سماء أفريقيا السمراء.

**الرسالة :**

إثراء الحياة الاقتصادية والثقافية والاجتماعية للقارة الأفريقية بروح الاتصال.

إبدال نار الحرب في أفريقيا بدفء الاتصال

محو ظلام الجهل بضوء المعرفة وتوفير خدمات الإنترنت والمعلوماتية في متناول الجميع

**أحدث التقنيات**

اخر ما توصلت اليه الشركة توقيعها علي الجيل الرابع لمعايير [3G](https://ar.wikipedia.org/wiki/3_%D8%AC%D9%8A) [و2G](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AC%D9%8A%D9%84_%D8%AB%D8%A7%D9%86). إلى *الاتصالات المتقدمة المتنقلة الدولية* (IMT Advanced)، على الرغم من+ 4 G هو مصطلح أوسع ويمكنه أن يشمل معايير خارج الاتصالات المتقدمة المتنقلة الدولية. يمكن لنظام 4G ترقية شبكات الاتصالات الحالية، ويُتَوقَّع أن يوفر حلا شاملا وآمنا على بروتوكول الإنترنت حيث تقدم المرافق مثل الصوت والبيانات والوسائط المتعددة المتدفقة إلى المستخدمين على قاعدة "أي زمان ومكان"، وبمعدلات بيانات أعلى بكثير مقارنة بالأجيال السابقة.\_(عثمان/3\1\2017)

تتطلّع شركة سوداني دائماً إلى أحدث التقنيّات؛ فهي تستثمر في تقنيات قطاع الاتصالات المتنقلة القابلة للاستدامة ، التي تؤمّن مجموعة كاملة متكاملة من الخدمات التي تعطي قيمةً للعملاء وفي المقابل فان الشركة تستخدم التكنولوجيا على أنّها وسيلة تميّز أساسيّة ، وهي تحرص من خلالها على ألا يكون الابتكار من الناحية التقنيّة فحسب ، إنما على صعيد الفلسفة الداخليّة المُعتمَدة ضمن جدران المجموعة. سوداني) هي المزود الرئيسي للحكومة الإلكترونية والمقدم الرئيسي لتقانة المعلومات بالسودان  
أكاديمية سوداتل مسخرة بالكامل لعمل الدورات التدريبية والتأهيل للموظفين وللمؤسسات والأفراد في مختلف المجالات والتطبيقات  
)سوداني) الشركة الوحيدة التي تعمل على تقديم خدمات الموبايل والهاتف الثابت والألياف الضوئية  
لدينا بنيات تحتية متكاملة من 13 ألف كيلو فايبر وكيبلين بحريين يربطان كل السودان مع الخارج وأكبر مركز خدمات بشرق أفريقيا  
للشركة 12000 نقطة تحصيل مع وزارة المالية لأورنيك 15 الإلكتروني و130 موقعاً مع الضرائب للربط الرقمي و80 جامعة مفعلة بنظام الدفع الإلكتروني  
نشترك في أكبر كيبلين بحريين هما “آيس” في غرب افريقيا و” إيزى” في شرق أفريقيا  
أطلقنا مجموعة من الخدمات الرقمية وإنشأنا منصة متكاملة للتطبيقات لتزويد المتطورين والمساعدة على تنمية المجتمع والاهتمام بالوسائط الرقمية(طه3/1/2017)

**دور تقنية الجيل الرابع في تطوير الشركة**

ركزت شركة سوداني في الآونة الأخير علي تشجيع الإبداع وتصميم المواقع وتطوير المحتوى الالكتروني واكتشاف وتعزيز الروح الإبداعية العاملة في مجال التصميم ولتفعيل إبراز التقنية في المجتمع مع توعية المجتمع بالاستخدامات الالكترونية السليمة بالإضافة تطرح روح المنافسة وتقوم بتكريم أفضل المواقع الالكترونية تحت نطاق السودان والتي تضم الأفراد (الحكومة-المجتمع المدني-القطاع الخاص-القطاع التعليمي-القطاع )، وأن البلاد بحاجة ماسة للعديد من البرامج والتطبيقات على جميع المستويات للمساهمة في التنمية والنهضة الشاملة وذلك لما لتقانة المعلومات من أهمية في الحيات اليومية للمواطن السوداني خاصة بعد التطور الكبير في خدمات الانترنت والاتصالات وتقنيات الجيل الرابع في البلاد كان لابد من وجود محفز للهمم الشبابية لتطوير مقدراتهم حتي تعم الفائدة المادية والمعنوية وبذلك يكون الجميع مشارك في العملية التنموية النهوض للوطن للارتقاء بالمهارات المعلوماتية.(السر7/7/2017)

**نتائج التحليل:**

قام الباحثان في هذا الفصل بتصميم استبانة اشتملت علي أسئلة موجهة للعينة المدروسة (وشركة سوداني) للاتصالات وذلك لمعرفة وجهة نظرهم حول تطبيق تقنية الجيل الرابع ومدي استفادة الشركة منها وقد تكونت أسئلة الاستبانة من خمسة محاور وهي ما المطلوبات اللازم توافرها بشركة سوداني لكي تطبق تقنية الجيل الرابع .والدور الذي تقوم به الشركات تجاه مشتركيها .والخدمات التي تقدمها لمشتركيها . واهم المشكلات التي تواجها في تطبيق هذه التقنية.

**اختيار العينة:**

تم اختيار عينة قصدية عشوائية نسبة لكبر حجم العينة حيث تم اختيار عينة عشوائية منتظمة (40) بالتساوي (20) ذكور و(20) إناث من الملاحظ أن كل المبحوثين قامو بإرجاع الاستبانة بعد الانتهاء منها.

**توضيح مقياس لايكارت الخماسي :**

بما أن الذي يعبر عن الخيرات ( كبيرة جدا , كبيرة,متوسط ,قليلة, قليلة جدا ) هي مقاييس ترتيبية و الأرقام تعبر عن الأوزان بحيث ( كبيرة جدا تأخذ الرقم 5 باعتبارها أعلاه إجابة , ثم كبيرة تأخر الرقم 4 ثم تليها متوسطة تاخد الرقم 3 و قليلة بالرقم 2 وأخيرا قليلة جدا بالرقم 1 باعتبارها أسوء الإجابات )

نحسب بعد ذلك المتوسط المرجعي ( الوسط الحسابي ) و يتم ذلك بحساب طول الفترة أولاً وهي في استبياناً هذا عبارة عن حاصل قسمة 4 على5 . حيث4 تمثل عدد المسافات ( من١ إلى٢مسافة أولى، ومن ٢ إلى٣ مسافة ثانية، ومن ٣ إلى٤مسافة ثالثة , من 4 إلى 5 مسافة رابعة ). و 5 تمثل عدد الاختبارات وعند قسم 4 على 5 ينتج طول فترة وهو عبارة عن 79. ويصبح التوزيع الذي قمنا باستناد إجاباتنا السابقة عن طريق ا--لجدول التالي:

|  |  |
| --- | --- |
| **المتوسط المرجح** | **المستوى** |
| **من1إلى1.79** | **قليلة جداً** |
| **من1.80إلى2.59** | **قليلة** |
| **من2.60 إلى3.39** | **متوسط** |
| **من3.40 إلى4.19** | **كبيرة** |
| **من4.20 إلى5** | **كبيرة جدا** |

**شركة سوداني**

**جدول يوضح الفئات العمرية لافرد عينة الدراسة**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| النسبة | التكرار | العمر |
| 50% | 10 | اقل من 30 سنة |
| 30% | 6 | 31-35 سنة |
| 10% | 2 | 36-40 سنة |
| 0% | 0 | 41-45 سنة |
| 5% | 1 | 46-50 سنة |
| 5% | 1 | أكثر من 50 |
| 100% | 20 | المجموعة |

من الجدول أعلاه يتضح لنا أن الفئة الأكثر استهدافا كانت ذات الأعمار أقلة من 30 سنة .

**جدول يوضح المستوى التعليمي لأفراد عينة الدراسة**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| النسبة | التكرار | المستوى |
| 5% | 1 | إكمال مرحلة الأساس |
| 10% | 2 | ثانوي |
| 50% | 10 | جامعي |
| 35% | 7 | فوق الجامعة |
| 100% | 20 | المجموع |

من الجدول أعلاه يتضح لنا أن الفئة الجامعية كانت هي الأعلى بين الفئات الأخيرة لمواكبتها لشركات الاتصال في حياتهم اليومية بشكل كبير.

**جدول يوضح الدرجة الوظيفية لأفراد عينة الدراسة**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| النسبة | التكرار | الدرجة |
| 35% | 7 | طالب |
| 5% | 1 | عامل |
| 45% | 9 | موظف |
| 10% | 2 | محاضر |
| 5% | 1 | عسكري |
| 100% | 20 | المجموع |

من الجدول أعلاه يتضح لنا أن فئة الموظفين هي الأعلى بين الفئات الأخيرة لأن بيئة عملهم تعتمد اعتمادا كبير على شركات الاتصال

**المحور الأول : المطلوبات اللازم توافرها بشركة سوداني لكي تطبق تقنية الجيل الرابع**

|  |  |  |  |  |  |  |  |  |
| --- | --- | --- | --- | --- | --- | --- | --- | --- |
| عبارات المحور الأول | المقياس | كبيرة جدا | كبيرة | متوسط | قليلة | قليلة جداً | الوسط المرجعي | النتيجة |
| 1 | **تكرار** | **10** | **7** | **2** | **0** | **1** | **4.25** | كبيرة جداً |
| **نسبة(%)** | **50** | **35** | **10** | **0** | **5** |
| 2 | **تكرار** | **13** | **6** | **1** | **0** | **0** | **4.60** | كبيرة جداً |
| **نسبة(%)** | **65** | **30** | **5** | **0** | **0** |
| 3 | **تكرار** | **12** | **7** | **1** | **0** | **0** | **4.55** | كبيرة جداً |
| **نسبة(%)** | **60** | **35** | **5** | **0** | **0** |
| 4 | **تكرار** | **12** | **4** | **3** | **1** | **0** | **4.35** | كبيرة جداً |
| **نسبة(%)** | **60** | **20** | **15** | **5** | **0** |
| 5 | **تكرار** | **11** | **7** | **1** | **1** | **0** | **4.40** | كبيرة جداً |
| **نسبة(%)** | **55** | **35** | **5** | **5** | **0** |
| 6 | **تكرار** | **14** | **4** | **2** | **01** | **0** | **4.60** | كبيرة جداً |
| **نسبة(%)** | **70** | **20** | **10** | **0** | **0** |
| 7 | **تكرار** | **14** | **4** | **2** | **0** | **0** | **4.60** | كبيرة جداً |
| **نسبة(%)** | **70** | **20** | **10** | **0** | **0** |
| إجابة المحور الأول | **تكرار** | **86** | **39** | **12** | **2** | **1** | **4.47** | كبيرة جداً |
| **نسبة(%)** | **61.4** | **27.9** | **8.6** | **1.4** | **0.7** |

يتضح من الجدول أعلاه أن نسبة الذين يرون أنها كبيرة جدا 50% وكبيرة35% ومتوسطة10% وقليلة 5% وقليلة جدا 1 % وهذا مؤشر إيجابي أن المطلوبات التي تقوم بها شركة سوداني لتطبيق تقنية الجيل الرابع

**المحور الثاني : الدور الذي يمكن أن تقوم به شركة سوداني تجاه مشتركيها لنشر لتطبيق التقنية**

|  |  |  |  |  |  |  |  |  |
| --- | --- | --- | --- | --- | --- | --- | --- | --- |
| عبارات المحور الثاني | المقياس | كبيرة جدا | كبيرة | متوسط | قليلة | قليلة جداً | الوسط المرجعي | النتيجة |
| 1 | **تكرار** | **10** | **8** | **2** | **0** | **0** | **4.40** | كبيرة جداً |
| **نسبة(%)** | **50** | **40** | **10** | **0** | **0** |
| 2 | **تكرار** | **10** | **7** | **2** | **1** | **0** | **4.30** | كبيرة جداً |
| **نسبة(%)** | **50** | **35** | **10** | **5** | **0** |
| 3 | **تكرار** | **8** | **7** | **5** | **0** | **0** | **4.15** | كبيرة ً |
| **نسبة(%)** | **40** | **35** | **25** | **0** | **0** |
| 4 | **تكرار** | **7** | **9** | **3** | **1** | **0** | **4.10** | كبيرة ً |
| **نسبة(%)** | **35** | **45** | **15** | **5** | **0** |
| 5 | **تكرار** | **10** | **7** | **2** | **1** | **0** | **4.30** | كبيرة جداً |
| **نسبة(%)** | **50** | **35** | **10** | **5** | **0** |
| إجابة المحور الثاني | **تكرار** | **45** | **38** | **14** | **3** | **0** | **4.25** | كبيرة جداً |
| **نسبة(%)** | **45** | **38** | **14** | **3** | **0** |

يتضح من خلال الجدول أعلاه أن نسبة الذين يرون أنها كبيرة جدا 50% وكبيرة 40% ومتوسطة7%وقليلة وقليلة جدا=(0% متساويتان) وهذا يدل علي ان الدور الذي تقوم به الشركة تجاه مشتركيها يرضي طموحاتهم

**المحور الثالث : الخدمات التي يمكن أن تقدمها شركة سوداني لمشتركيها لمدي تطبيق التقنية**

|  |  |  |  |  |  |  |  |  |
| --- | --- | --- | --- | --- | --- | --- | --- | --- |
| عبارات المحور الثالث | المقياس | كبيرة جدا | كبيرة | متوسط | قليلة | قليلة جداً | الوسط المرجعي | النتيجة |
| 1 | **تكرار** | **11** | **6** | **3** | **0** | **0** | **4.40** | كبيرة جداً |
| **نسبة(%)** | **55** | **30** | **15** | **0** | **0** |
| 2 | **تكرار** | **9** | **10** | **1** | **0** | **0** | **4.40** | كبيرة جداً |
| **نسبة(%)** | **45** | **50** | **5** | **0** | **0** |
| 3 | **تكرار** | **10** | **8** | **2** | **0** | **0** | **4.40** | كبيرة جداً |
| **نسبة(%)** | **50** | **40** | **10** | **0** | **0** |
| 4 | **تكرار** | **10** | **5** | **5** | **0** | **0** | **4.25** | كبيرة جداً |
| **نسبة(%)** | **50** | **25** | **25** | **0** | **0** |
| 5 | **تكرار** | **8** | **6** | **6** | **0** | **0** | **3.10** | متوسطة |
| **نسبة(%)** | **40** | **30** | **30** | **0** | **0** |
| إجابة المحور الثالث | **تكرار** | **48** | **35** | **17** | **0** | **0** | **4.11** | كبيرة ً |
| **نسبة(%)** | **48** | **35** | **17** | **0** | **0** |

من خلال الجدول أعلاه يتضح أن نسبة الذين يرون أنها كبيرة جدا55% وكبيرة9%ومتوسطة5%وقليلة وقليلة جدا(=0%متساويتان) وهذا مؤشر جيد يدل علي ان الشركة توم بدور فعال تطبيق التقنيةة وقد لاحظ الباحثان من خلال ترددهما ان الشركة بها كافة المعينات التي توضح ذلك.

**المحور الرابع : أهم المشكلات التي تواجه شركة سوداني لتطبيق التقنية**

|  |  |  |  |  |  |  |  |  |
| --- | --- | --- | --- | --- | --- | --- | --- | --- |
| عبارات المحور الرابع | المقياس | كبيرة جدا | كبيرة | متوسط | قليلة | قليلة جداً | الوسط المرجعي | النتيجة |
| 1 | **تكرار** | **6** | **5** | **7** | **2** | **0** | **3.75** | كبيرة |
| **نسبة(%)** | **30** | **25** | **35** | **10** | **0** |
| 2 | **تكرار** | **4** | **6** | **7** | **2** | **1** | **3.50** | كبيرة |
| **نسبة(%)** | **20** | **30** | **35** | **10** | **5** |
| 3 | **تكرار** | **3** | **8** | **6** | **3** | **0** | **3.55** | كبيرة |
| **نسبة(%)** | **15** | **40** | **30** | **15** | **0** |
| 4 | **تكرار** | **7** | **8** | **3** | **2** | **0** | **4** | كبيرة |
| **نسبة(%)** | **35** | **40** | **15** | **10** | **0** |
| 5 | **تكرار** | **8** | **5** | **3** | **2** | **2** | **3.75** | كبيرة |
| **نسبة(%)** | **40** | **25** | **15** | **10** | **10** |
| إجابة المحور الرابع | **تكرار** | **28** | **32** | **26** | **11** | **3** | **3.71** | كبيرة |
| **نسبة(%)** | **28** | **32** | **26** | **11** | **3** |

يتضح من خلال الجدول أعلاه أن نسبة الذين يرون أنها كبيرة جدا 30%وكبيرة25%ومتوسطة35%وقليلة10%وقليلةجدا0% وهذا مؤشر غير جيد يدل علي أن هنالك بعض المشاكل في تطبيق التقنية بشركة سوداني ويناشد الباحثان القائمين علي أمر الشركة تفادي تلك المشاكل حتي تنعم الشركة بالتوسع في كافة التقنيات التي تجعل خدماتها في مصاف الشركات العالمية الكبري في مجال الاتصالا.

**الخاتمة:**

في خاتمة هذه الورقة العلمية وبعد أن قامت الباحثان بتناول مدي تطبيق شركة سوداني لتقنية الجيل الرابع فقد خرجت بمجموعة من النتائج والتوصيات كما يلي :

**أولاً:النتائج:**

1. اتضح للباحثان أن شركة سوداني للاتصالات تقوم بدور فعال في تطبيق أحدث التقنيات في السودان و تقوم بدور فعال تجاه مشتركيها في ذلك
2. معظم العاملين بشركة سوداني يتمتعون بمهارات تقنية عالية تمكنهم من تطبيق تقنية الجيل الرابع في السودان،فالخدمة الممتازة يجب أن تكون كافية ومرنة وان تقدم بشكل يكسب رضا المشتركين ويلبي طموحاتهم وتطلعاتهم المستقبلية.
3. ثبت للباحثان أن تبني الشرككة لتطبيق الجودة الشاملة يتماشي مع دورها المتعاظم في استحداث التقنية.
4. وضح للباحثان أن صعوبة عقد اتفاقيات الترخيص والشراكات الذكية الخارجية يؤثر سلباً علي فاعليتها في في تطبيق آخر ما وصلت إليه التقنية.
5. ثبت للباحثان أن الدراسات التي تحصر احتياجات المشتركين لم تكن موجودة في ايا من الشركات مما يؤثر سلبا في عدم وجود تغذية راجعة.

**ثانياً:التوصيات**:

1. ضرورة الاستمرار في الدور الذي تقوم به شركة سوداني في تطبيق أحدث ما توصلت إليه التقنية.
2. الاهتمام بتوفير قاعدة بيانات تشمل كافة المعلومات المتعلقة بالشركة مع التأكد علي استمرارية التطوير والتحسين من خلالها لتطبيقها تقنية الجيل الرابع
3. ضرورة عقد اتفاقيات مع شركات اتصالات عالمية حتى تستطيع مواكبة التطورات الجارية في عالم الاتصالات.
4. ضرورة الاهتمام بدراسات حصر احتياجات المستفيدين حتى يتسنى لتلم الشركات القيام بدورها كاملاً في تعزيز الثقافة المعلوماتية من خلال استطلاع آرائهم تجاه ذلك.

**المصادر والمراجع:**

**أولاً الكتب باللغة العربية:**.

1- أحمد نور بدر.مجتمع المعرفة بين الإطار الفكري والتطبيقات العلمية:القاهرة .ـــــــــــــ الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر2012

4- أحمد محمد الشامي؛سيد حسب الله.الموسوعة العربية لمصطلحات المكتبات والمعلومات والحاسبات الإلكترونية .ــــــ القاهرة: المكتبة الاكاديمة،2001م

5- أحمد نافع المدادحة .النشر الإلكتروني وحماية المعلومات .ـــــــــــ عمان :دار صفاء للنشر والتوزيع،2010م

6- سمير جاد.مناهج البحث في عصر المعلومات الإلكترونية .ـــــــــ القاهرة :الدار العالمية لنشر والتوزيع ،2005م

\_ 7محمد الصيرفي.الاتصالات الدولية ونظم المعلومات:القاهرة/مؤسسة لورد العلمية للشؤون الجامعية.ـ ص،138،2010

8\_ منال هلال المزاهرة .ــــ تكنلوجيا الاتصال والمعلومات:عمان،دار المسيرة للنشر والتوزيع،2014م.ـــص،51

**ثانياً الكتب باللغة الانجليزية:**

1. Abid, Adbelaziz (2004). UNESCO: Information Literacy forLifelong Learning. Paris: UNESCO, Information Society Division

Access Electronic Information Service and Net works ;an Interpretation of the Library bill of Right .-American library Association :Chicago.ALA , 2000

Conclaves ,M.A Structure spaces and Societies(PhD) , State university 10Faculty of the Virginia , 2004-

11 ــــــ Overhaul , ingb org. Networking for Networking for Digital Preservation , current Practice National Libraries IFLA Publication NO (119) , Saurmunchen , 2006

ـ12 Overhaul , ingb org. Networking for Networking for Digital Preservation , current Practice National Libraries IFLA Publication NO (119) , Saurmunchen , 2006

Overhaul , ingb org. Networking for Networking for Digital Preservation , current Practice National Libraries IFLA Publication NO (119) , Saurmunchen , 2006

**ثالثاً :الأدلة والكتيبات الإرشادية**

14-نشرة تعريفية عن شركة سوداني.الخرطوم .السودان ،2013م،ص7

**رابعاً :المقابلات الشخصية:**

محمد عثمان.م.اتصالات وشبكات بشركة سوداني مقابلة شخصية(الخميس 25/2/2017)

مصعب الفكي طه.م.اتصالات بشركة سوداني مقابلة شخصية(الخميس 3/1/2017م)

معتز السر. م حاسوب وانترنت بالهيئة السودانية للاتصالات(الخميس7/7/2017م)

- **خامساً:المواقع الإلكترونية:**

(تاريخ الدخول <http://library.queensu.ca/inforef/tutorials/rbl/infolit.htm>

25/5/2016م/الساعة الثانية عشر ظهرا)ـعبد الباقي أبو زيد.ـــ تكنلوجيا الاتصالات وآثارها التربوية والاجتماعية .ـ مقال متاح علي الرابط (تاريخ الدخول 9/8/2016م)

ـتاريخ الاتصالات في السودان.ــ مقال

متاح علي الرابطwww.ar.m.wikipedia.org(ت9/8/2016م)

صحيفة الطريق الالكترونية متا ع الرابطwww.altareeg.info/ar/ zain (تاريخ الدخول 24/5/2016م الساعة الثانية عشرة ظهراً

**الملاحق**

**ملحق رقم (1) استـبيــــــان موجه لمشتركي شركة سوداني للاتصالات بولاية الخرطوم**

**القسم الأول : البيانات الأساسية**

1. **النوع :** (أ) ذكر (ب ) أنثي
2. **الفئة العمرية:**

أقلّ من 30 سنة 31 -35

36 ـ 40 41 ـ 45

46 ـ 50 أكثر من 50

**3ـ المستوي التعليمي:**

إكمال مرحلة الأساس ثانوي

جامعي فوق الجامع

**4ـ الدرجة الوظيفية:**

طالب عامل موظف

أخري أذكرها.................

**المحور الأول : ما المطلوبات اللازم توافرها بشركة سوداني لكي تسهم بفاعلية تطبيق التقنية**

|  |  |  |  |  |  |  |
| --- | --- | --- | --- | --- | --- | --- |
| رقم |  | درجة الأهمية | | | | |
| كبيرة جدا | كبيرة | متوسطة | قليلة | قليلة جداً |
| 1 | أن تكون الشركة ذات موقع متميز حتى يتمكن مشتركيها للوصول إليها |  |  |  |  |  |
| 2 | أن تضم خدمات حديثة ومتنوعة في كافة المجالات |  |  |  |  |  |
| 3 | أن تتمتع ببنية تحتية تمكنها تطبيق التقنية |  |  |  |  |  |
| 4 | أن يوجد بها عاملون يتمتعون بمهارات فنية و تقنية عالية |  |  |  |  |  |
| 5 | أن توفر كافة المعينات والأدوات اللازمة وتهيئة بيئة البث الشبكي فيها |  |  |  |  |  |

**المحور الثاني : ما** الدور الذي يمكن أن تقوم به شركة سوداني تجاه تطبيقها لتقنية ال 4G

|  |  |  |  |  |  |  |
| --- | --- | --- | --- | --- | --- | --- |
| رقم | الدور | درجة الأهمية | | | | |
| كبيرة جدا | كبيرة | متوسطة | قليلة | قليلة جداً |
| 1 | دعم الاتصال السريع وتشجيعه بكافة السبل |  |  |  |  |  |
| 2 | تشجيع المشتركين علي إجراء بحوث ودراسات تتعلق بالمشكلات الواقعية للمجتمع المحلي |  |  |  |  |  |
| 3 | تبني نظام الجودة الشاملة في تقديم الخدمات |  |  |  |  |  |
| 4 | دعم النشر العلمي في الميادين المختلفة |  |  |  |  |  |
| 5 | تجهيز الشركة بالتكنولوجيا الحديثة |  |  |  |  |  |

**المحور الثالث: ما** الخدمات التي يمكن ان تقدمها شركة سوداني من خلا ل تطبيقها لتقنية الجيل الرابع

|  |  |  |  |  |  |  |
| --- | --- | --- | --- | --- | --- | --- |
| رقم | الخدمات | درجة الأهمية | | | | |
| كبيرة جدا | كبيرة | متوسطة | قليلة | قليلة جداً |
| 1 | إحاطة جميع المشتركين بكل ما هو جديد في مجال الخدمات الذي يعني كلاً منهم |  |  |  |  |  |
| 2 | توفير الخدمات المباشرة |  |  |  |  |  |
| 3 | تنوير المشتركين علي استخدام التقنيات الجديدة والمبتكرة |  |  |  |  |  |
| 4 | اختيار مواد ومعلومات ذات أهمية خاصة، ومن ثم إرسالها عبر sms وإخطار المستفيد بذلك |  |  |  |  |  |
| 5 | توفير خدمات التعليم عن بعد بأحدث الوسائل التعليمية للتغلب علي بعد المسافة |  |  |  |  |  |

**المحور الرابع :** ما أهم المشكلات التي تواجه شركة سوداني لتطبيق التقنية

|  |  |  |  |  |  |  |
| --- | --- | --- | --- | --- | --- | --- |
| رقم | المشكلات | درجة التأثير السلبي على فاعلية المكتبة | | | | |
| كبير جدا | كبير | متوسط | صغير | صغير جداً |
| 1 | تنوع احتياجات المشتركين ومطالبهم (كماً وكيفاً |  |  |  |  |  |
| 2 | ) ارتفاع التكاليف المادية لتوفير مصادر المعلومات |  |  |  |  |  |
| 3 | صعوبة عقد اتفاقيات الترخيص، واتفاقيات الشراكات الذكية مع قواعد البيانات العالمية لشركات الاتصالات |  |  |  |  |  |
| 4 | غياب البحوث والدراسات التي تحصر الاحتياجات التدريبية للمشتركين ونشر الثقافة المعلوماتية |  |  |  |  |  |
| 5 | غياب الاستراتيجيات والآليات التي تسعى لتزويد المجتمع المحلي بالمقتنيات الحديثة |  |  |  |  |  |

**ملحق رقم (3)مقابلة مع موظفي شركات الاتصالات بالسودان**

اشتملت الاستمارة علي أسئلة متعلقة بالشركة قيد الدراسة .

1. اسم الشركة
2. اسم الشخص الذي أجريت معه المقابلة . \*تاريخ المقابلة يوم............شهر ........... سنة
3. خلفية تاريخية عن الشركة

4- الدور المطلوب من شركات سوداني لكي تقوم تطبيق تقنية الجيل الرابع

5- النشاطات التي تقوم بها تلك الشركات لتعزيز الثقافة

6- البنية التحتية التي تتمتع بها تلك الشركات لتعزيز الثقافة المعلوماتية

7- المشكلات والمعوقات التي تواجه الشركات في تعزيز الثقافة المعلوماتية

**ملحق رقم(4) لجنة تحكيم الاستبانة**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **الاسم** | **المرتبة العلمية** | **الجامعة** |
| أ.د مهيد محمد المتوكل | الأستاذية (بروف) | جامعة أم درمان الإسلامية |
| د.حسن النور حسن | أستاذ مشارك | جامعة أم درمان الإسلامية |
| د.حسب الرسول الفكي | أستاذ مشارك | جامعة الرباط الوطني |

**العلاقات الإسلامية المسيحية في صدر الدولة الإسلامية**

**د. أبكر عبد البنات آدم**

كلية العلوم الإنسانية- جامعة بحري

مستخلص

إن الإسلام والنصرانية يستمدان نورهما من مشكاةٍ واحدة فعلى أصحاب الملل السعي إلى كسر حاجز الاختلاف والخلاف، فالمجتمع الإسلامي بمكوناته العرقية والأثنية صورة من واقع الحياة الثقافية الإسلامية والمسيحية التي تقوم علي مبدأ تحقيق الاحترام المتبادل والثقة بالآخر، وتأصيل المفاهيم لتقوية علاقات الانسجام والتواصل بين الديانتين. وما تحتاج إليه الأمة اليوم هو التركيز علي مساهمات الأديان في سلام متناسق بعيداً عن النعرات و التفرقة العنصرية. وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي والتحليلي لمعرفة العلاقة بين الديانتين.

مقدمة:

إن الله سبحانه وتعالي أنزل الأديان السماوية للهداية والإخاء، وأرسل الرسالات للخروج من غياهب الظلم والطغيان، وتعمير الأرض بالتفاهم والتعايش لقوله تعالى:(نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه و أنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد و الله عزيز ذو انتقام)(آل عمران:2-4). ومع أن الدين هو الوضع الإلهي السائق الذي يرشد الإنسان إلى الحق في الإعتقاد و الخير في السلوك والمعاملات، فالعاقل يدرك بأن هنالك علاقة مشتركة تجمع الأديان السماوية لأن الحق واحد لا يتعدد والهدف معلوم هو الإقرار بألوهية وربوبية الله الواحد الأحد.ولم تكن الكنيسة غريبة عند العرب حتى قبل الإسلام، فإلى جانب الملكانيين والسريان في سوريا، كانت هنالك جماعات من اليعاقبة(يعقوب البرادعي) الذين ينتشرون في اليمن منذ القرن الرابع الميلادي ولهم علاقة وثيقة بالحبشة المسيحية الذين كانوا يرسلون اليهم بعثات تبشيرية، وقد استطاع أبرهة أن يقيم كنائس متعددة أشهرها كنيسة القليس في صنعاء، وفي القرن السادس الميلادي إعتنق أحد ملوكهم يدعى(ذونواس) الديانة اليهودية فتنكل بنصارى نجران مما اضطروا إلى حفر الأخدود لقوله تعالى:(قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود إذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد)(البروج:3-8)، ولكن سرعان ما ناصر النجاشي إخوانه في نجران فقضوا على ذونواس، وتم الاستيلاء على اليمن فظلوا بها حتى مجيء الإسلام(شوقي ضيف،2000م)، كما انتشرت المسيحية في شمال غرب الجزيرة العربية، وشرق الأردن بين الغساسنة وجذام وفضاعة ودومة وجندل ومعظمهم على مذهب العاقبة ، وبالمثل شاعت النصرانية في الحيرة وهم على مذهب الملكانيين.

وقد ذكر بعض المؤرخين أن النصرانية كانت بين ربيعة وغسان في الشمال الغربي للجزيرة العربية وشرق الأردن معظمهم من النساطرة الذين هاجروا من فلسطين فراراً من اضطهاد قياثرة الرومان الذين كانوا يسيطرون على ديار الشام(ابن كثير،1964م). كما أقام مسيحيو الروم الأرثوذكس في الطائف، وكان بمكة بعض الرقيق من النصارى الذين عاشوا بين المجموعات العربية، وفي العراق كانوا يقطنون في منطقة عين التمر، وقد تنصر بين قريش مجموعة منهم في أواخر العصر الجاهلي كورقة بن نوفل وعدي بن زيد العبادي... وغيرهم، حيث رفعت الدولة الإسلامية عنهم كثيراً من مظالم أباطرة الروم، فوجدوا من التعامل والألفة ما لم يجدوه عند المسيحيين في الغرب.

**أهمية البحث:** الإلمام بالتحديات التاريخية الغير موضوعية التي فرضتها المتغيرات السياسية بين الإسلام والمسيحية(الاستشراق والتنصير)، والسعي إلى ابتكار وسائل وأساليب وآليات جديدة للحوار والتعايش السلمي لتوطيد عنصر التفاعل والتآلف بين الديانتين لبناء علاقات التواصل بصورة أكثر واقعية، ولإحياء تلك القواسم المشتركة على ضوء مشروعية الخلق الذي يبدأ من علاقة الإنسان برسالات السماء إلي علاقته بالآخرين.

**أهداف البحث:** يهدف البحث في الكشف عن العلاقة بين الإسلام وأهل الكتاب(النصارى). وإلى أي مدى ساهمت تلك العلاقة في بلورة القواسم المشتركة بين الديانتين، والإلمام بشمولية الحقائق التاريخية التي نتجت عن المتغيرات الإيديولوجية والسياسية التي لعبت دوراً هاماً في وضعية هذا التفاهم.

**منهج البحث:** استخدم الباحث المنهج الوصفي التاريخي لمعرفة القواسم المشتركة بين الإسلام وأهل الكتاب في صدر الدولة الإسلامية.

## الإسلام وأهل الكتاب

بدأت البشرية بآدم عليه السلام الذي خلقه فسواه ونفخ فيه من روحه قال تعالى:(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ. فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ)(الحجر:28-29). فتناسلت البشرية وتكاثرت في إطار الوحدة الواحدة، ثم تعددت وتمايزت الأجناس والألوان والقبائل والشعوب والألسن والحضارات، قال تعالى:(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً)(النساء:1). فهذه التعددية آية من آيات الله عز وجل، فقد جعل من حكمته أن يتعارف الناس على إقامة الحياة المشتركة بين الأديان. ولم يفرق الإسلام بين مواطنيه، فهم جميعاً رعايا في الدولة الإسلامية لهم حقوق وعليهم واجبات. أما مسألة الذمة والحماية فإنها تمثل انفتاح الدولة على مسئوليتها في الحفاظ على رعاياها من كل عدوان داخلي أوخارجي، رغم اختلاف القاعدة الفكرية والدينية،باعتبار أن المضمون الحضاري للدولة هو ميثاق شرف بينها و بين رعيتها في أن ينسجموا مع نظامها مقابل كفالتها في تدبير أمورهم، و حمايتهم من كل ردة دون أن ينتقص ذلك من إنسانيتهم شيئا(زيدان،1988م).

إما الجزية فقد وردت في القرآن الكريم في موضع واحد لقوله تعالى:(قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله و اليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) (التوبة: 26).والمقصود هنا التي يؤدونها في مقابل حماية الدولة لأموالهم وأنفسهم ودينهم، فالأمر هنا ليس أن يجعل لهم امتيازاً و حقًا خاصًا على بقية الأمة ،ولا انتقاصاً من إنسانيتهم ،بل سماحة في العيش والتعامل وتعبير عن الخضوع للسلطة العامة ، وإذا كان البعض يعتقد أن هذا الإمتياز يوحي بالانتقاص فهذا فهم خاطيء فالإسلام لا يمنع أحد من الإلتزام الطوعي تجاه الدولة .

وبما أن مسالة المساواة و العدالة على أساس الاعتراف بالآخر هو أسلوب من أساليب الحوار، وقانون أجراه النبي صلى الله عليه و سلم منذ أربعة عشر قرنا، فقد أصبحت تمثل اليوم أهم قواعد رفع الأنانية والعنصرية بين الإنسانية لقوله تعالى:(وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولاتنقضوا الإيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون)(النحل: 91). فالتعاقد يجب أن يتم بين طرفين أو أكثر على ضمان بما يمكن أن يضع شروطًا تكون ملزمة للعامة والخاصة، ثم تتحول تلك المعاهدة إلى ميثاق ينظم حال الأمة في الدولة الإسلامية على أساس القاعدة الشرعية لقول رسول الله صلى الله عليه و سلم:" المؤمنون عند شروطهم إلا شرطاً أحل حرامًا أو حرم حلالًا"(العسقلاني1412هـ)، ويقول صلى الله عليه وسلم في دستور الأمة:" وإن يهود بني عوف أمة على المؤمنين ولليهود دينهم وللمسلمين دينهم ... ويعدد الرسول صلى الله عليه وسلم نفس الصيغة مع ثماني عشائر لليهود ويقول:" إن البر والوفاء به حاجز دون الأثم، وإنه لا يخرج منهم أحد عن هذا العهد إلا بإذن محمد صلى الله عليه وسلم..."(شوقي ضيف،2000م) .

هكذا ظل أهل الذمة في المدينة المنورة يتعاطون حقوقهم في كل مرافق الدولة فمارسوا حريتهم و تمسكوا بعاداتهم و تقاليدهم كماحافظوا على لغاتهم وكثيرًا ما تقلدوا مناصب جمة في دواوين الدولة .فالعلاقة بين الإسلام وأهل الكتاب علاقة أزلية تنبع من الجذور الإيمانية للديانتين والتي سادت بين الأمم على أساس العدالة والمساواة والاعتراف بالآخر لقوله تعالى:(لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط )(الحديد:25). وقد طبق رسول الله صلى الله عليه وسلم ميزان القسط في دولته علي المستويين الفردي والجماعي(محمد قطب،1998م). وقد كان اختلاف الناس في أديانهم و معتقداتهم سنة الله في خلقه لقوله تعالى:(ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم)(هود:118). فواجب الدعوة إلى الله هو التآلف ، و عدم اتخاذ الدين أداة للتفرقة بين أهل الملل، فالأساس في الإيمان هو حب الإنسان لأخيه الآخر في السراء و الضراء لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:"لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"(العسقلاني1412هـ)، ولعل الإطار الذي رسمه الإمام الغزالي يمثل رأيًا سويًا في التعايش بين المهاجرين والأنصار و أهل الكتاب، ومن أهم المبادي(الغزالي،1997م):

1- استبعاد كل كلمة تخدش عظمة الله عزً وجلً(تشريعات إلهية).

2- أن الله يختار رسله و أنبيائه من اجل الصدق والأمانة (دعوة الرسل).

3- العمل بما جاءت بها الرسالات السماوية(القواسم المشتركة).

وقد ورد في سفر التثنية ما يلي:" قال الرب قد أحسنوا فيما تكلموا ،سوف أقيم لهم نبياً مثلك من بين إخوتهم و اجعل كلامي في فمه فيكلمهم... ومن لم يطع كلامي الذي يتكلم به باسمي فأنا أكون المنتقم من ..."(التثنية18:17-20 ). وتحقيقاً لمبدأ التعاون بين الأديان، اعترف الإسلام بالإخاء حتى بين الأنبياء والرسل قال صلى الله عليه وسلم "الأنبياء أخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد". فلم يعد الإسلام ديناً بل إنه مكمل ومصحح للعقيدة التي أوصى بها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، قال تعالى:(شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا)(الشورى:13). فليست صلاحية الإسلام ومشروعيته هو رفضه للديانتين السماويتين (اليهودية والمسيحية)، وإنما المقارنة الموضوعية لبناء علاقات تتسم بالتعايش والتفاهم ،وقد ذكر باول شفارتزنا(1977م) قائلاً:" أنه رسالة الوحي إلى الناس كافة في المعمورة كلها".وتبياناً لتلك العلاقة جاء ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل، كما بشر به سيدنا عيسى عليه السلام بقدومه لقوله تعالى:(وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ)(الصف:6).

وبظهور الإسلام في الجزيرة العربية كان أهل مكة وما جاورها يعبدون الأصنام، وإلى جنوبها نجران واليمن فهم أهل كتاب، فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ناصبوه العداء، وأخذوا يكيلون له صنوف التهم وسوء العذاب. فعاش النبي صلى الله عليه وسلم بين تلك التيارات الفكرية المعادية للإسلام والمسلمين، فأشار إلى بعض أصحابه بالهجرة إلى الحبشة قائلاً "لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يُظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه"(Haykal,1395). وعلى هذا الأساس نمت العلاقة بين المسلمين وأهل الكتاب. فعندما رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن كفار قريش ماضون في تعذيب أصحابه رضوان الله عليهم مندفعون في وحشية قاسية وإلى التنكيل بهم انتقاماً لهدم آلهتهم خشي على أصحابه طول العذاب والافتنان عن دينهم، فأراد الله أن يختار لهم مكاناً يأمنون فيه على أنفسهم وعلى دينهم فكانت الحبشة التي تدين انذاك بالنصرانية، فخرج منهم أحد عشر رجلاً وأربع نساء فيهم عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والزبير بن العوام. وجعل النبي صلى الله عليه وسلم عثمان بن مظعون على رأس الوفد ، وكانت هجرتهم في شهر رجب من السنة الخامسة للرسالة. فلما وصلوا أكرم النجاشي مثواهم وأحسن لقاءهم، ووجدوا عنده من الطمأنينة والأمن والاستقرار ما لم يجدوه في وطنهم وأهليهم،و قد شجعتهم تلك المعاملة أن يبعثوا في طلب إخوانهم الآخرون. فأرسلوا نفراً منهم ليخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنهم في مأمن وحسن جوار، إلى أن جاءت الهجرة الثانية التي تمثل نقلة كبيرة في حياة المسلمين الذين أطاعوا الله ورسوله حتى بلغ عدد الذين هاجروا نحو الثمانين رجلاً عدا النساء والأطفال فأقاموا هنالك ردحاً من الزمن، وهم في خير مقام(Amani,1960). وقال ابن الأثير في تاريخه الكامل: (لما رأت قريش أن المهاجرين قد اطمأنوا بالحبشة وأمنوا أن النجاشي قد أحسن صحبتهم بعثوا عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة ومعهم هدية إليه وإلى أعيانه فسارا حتى وصلا إلى الحبشة ، وقالا لهم :" إن ناساً من سفهائنا فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دين الملك ، وجاءوا بدين مبتدئ لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد أرسلنا أشراف قومهم إلى الملك ليردهم إليهم.... ثم أنهما حضرا عند النجاشي فعلماه ما قالاه، فأشار عليه أصحابه بتسليم المسلمين إليهما، فغضب من ذلك وقال: لا والله ، لا أسلم قوماً جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني على من سواء، حتى ادعوهم وأسألهم عما يقول هذان فإن كانا صادقين سلمتهم إليهما، وإن كانوا على غير ما يقول هذان، منعتهم وأحسنت جوارهم)(دويدار، بدون تاريخ).ثم أرسل النجاشي إلى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فدعاهم فحضروا، وقد اجمعوا على صدقه، وكان المتكلم عنهم جعفر بن أبي طالب. فقال لهم النجاشي:" ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا ديني ولا دين أحد من الملل؟ فقال جعفر: "أيها الملك، كنا أهل الجاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونقطع الأرحام... حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه، وأمانته، فدعانا إلى توحيد الله ولم نشرك به شيئاً ونخلع ما كنا نعبد من الأصنام، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم... وعدد علينا أمور الإسلام فتعدى علينا قومنا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان فلما قهرونا وظلمونا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك"فقال النجاشي:" هل معك مما جاء به عن الله شيئاً ؟ قال نعم وتلا عليه صدراً من صورة مريم فبكى النجاشي وأساقفته، وقال : "إن هذا والذي جاء به عيسى يخرج من مشكاة واحدة...! انطلقا فو الله لا أسلمهم إليكما أبداً ، فقال عمر بن العاص للنجاشي:" إن هؤلاء يقولون في عيسى بن مريم قولا عظيماً! فسألهم النجاشي عن قولهم في المسيح عليه الصلاة والسلام" فقال جعفر: نقول فيه الذي جاءنا به نبينا صلى الله عليه وسلم:"هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول" فأخذ النجاشي عوداً من الأرض وقال:" ماعدا عيسى ما قلت هذا العود... وقال للمسلمين أذهبوا فأنتم آمنون"(هيكل،1968م). هكذا طابت الإقامة للمسلمين بأرض الحبشة ووجدوا من ملكها كل رعاية وعناية فأقاموا ، لهم حقوق وعليهم واجبات، ولم يعودوا إلى المدينة المنورة إلا بعد استتباب الأمن في مكة.فلم يتعصب النجاشي لدينه بل كان له حد الاعتدال فاستمع إلى الطرفين حتى لا يكون مفرطاً في اتخاذ القرار، فعندما قارن الحجة بالحجة انفصل روحه الكلي بما قيل عن عيسى عليه السلام فرفع مكانة الأمة الإسلامية، ولم يرتكب خطأً قد تكون من الدنايا والخيانة، وبإستقامته وفضله عاش المسلمون بمنزلة الأمة في أرض الحبشة لهم من الحقوق وعليهم من الواجبات. وثمة أمر آخر، فإن النجاشي لم يكن نعراً على جنس بخلاف الآخر لأن ما يجمع الطرفين أكثر مما يفرق، فلا يريد أن يكون الدين وسيلة للعدوان أو ذريعة للانتهاك، لأن دينه الحنيف يمنعه عن ذلك، ويوعده بأشد العذاب إن تمادى على إرتكاب الخطأ(Haykal,1395).

ولم يعش المسلمين في بلاد الحبشة بمعزل عن المجتمع بل شاركوا الأحباش في أفراحهم وأتراحهم حتى ضربوا مثلاً عالياً في عرفان الجميل. وقد كان بين النبي صلى الله عليه وسلم والنجاشي مراسلات وكتابات تدل على ما كان يحمل كل منهما لصاحبه من علاقة الود والاحترام بين الديانتين. كما ورد بأن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى النجاشي بأن يزوجه بأم حبيبة بنت أبي سفيان ابن حرب، وكانت فيمن هاجر إلى الحبشة مع زوجها عبد الله بن جحش، فتنصر هنالك ومات، فزوجه النجاشي بأربعمائة دينار، فقدم بذلك كمكرمة لها على صدقها ومودتها. وعندما استقر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في المدينة المنورة كتب إلى النجاشي طالباً منه أن يبعث إليه من بقى من أصحابه رضوان الله عليهم، وحملهم في ذلك على ظهر سفينتين مع عمرو بن أمية. وقد ذكرت بعض الروايات في السيرة النبوية أنه صلى الله عليه وسلم حين بعث رسائله إلى الملوك والأمراء يدعوهم إلى الإسلام كان النجاشي أول من أسلم حتى بعث بوفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليظهر تعاطفه وإخلاصه للإسلام والمسلمين. فاستقبلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أصحابه: "نحن نكفيك يا رسول الله ، فقال لهم: (إنهم كانوا لأصحابي مكرمين وإني أحب أن أكافئهم"(المودودي،1987م).

هكذا تطورت العلاقة بين المسلمين وأهل الكتاب من النصارى لأنهم أقرب مودة للذين آمنوا ، ويوم مات النجاشي نعاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم: "مات اليوم رجل صالح، فقدموا فصلوا على أخيكم .... وخرج بهم إلى المصلى فصف بهم وكبر أربعة تكبيرات فصلى عليه الصلاة والسلام صلاة الغائب وصلى عليه المسلمون معه" . لذلك كانت الهجرة إلى الحبشة هي أول علاقة صادقة وكانت كلها خير وبركة على الإسلام وبقية أهل الملل(أرنولد، بدون تاريخ).

وقد سن المولى عزّ وجلّ أنَ للإنسان حقوقاً يحفظ به كرامته، ويصون به عرضه ويرفع صورته إلى مصاف الإنسانية بخلقه في أحسن صورة، فجعله خليفته في الأرض، و مسئولاً عن هذه المهمة حاملاً للأمانة الإلهية قال تعالى:(وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة...)( البقرة:30). وقال تعالى:( لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم)(التين:4). ويقرر كثير من الدارسين أن الآيات التي تمجد الإنسان وتعلو مرتبته تتناول الإنسان لذاته من حيث هو بشر لا لاعتقاده، بغض النظر عن دينه ولونه واثنيته. وليس نظرة الإسلام إلى الإنسان محصورة على الفرد بل تضم إلى جانب ذلك رؤيته له كجماعة، وعلى أساس هذه الرؤية للجماعة بدأت تنظيم العلاقات الاجتماعية بين المسلمين وأهل الكتاب في المدينة المنورة، وعندما كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة كتاباً بين المهاجرين والأنصار وادع فيه أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وأقرهم على دينهم وأموالهم، وقد ذكر ابن هشام في السيرة بعبارة مطولة بين فيها المبادي العامة التي قامت عليها دستور الأمة فحلت كلمة الأمة مكان القبيلة لتشمل المسلمين وغير المسلمين(دويدار، بدون تاريخ)، وفي هذا السياق جاءت كلمة الأمة على النحو التالي:

\* أصبحت الصحيفة كتاب بين المسلمين والمؤمنين من قريش وغيرهم وإنهم أمة.

\* كان في المدينة علاوة على المهاجرين والأنصار مجموعة كبيرة من أهل الكتاب، فهؤلاء أمة ولكل دينه.

\* تساوى أبناء الأمة في الحقوق والواجبات.

\* حماية من أراد العيش مع المسلمين مسالماً ومتعاوناً، وتأسيس المجتمع على أحسن النظم وأقومها، والتعاون على درء الخطر عن كيان الدولة الإسلامية، وعلى الدولة أن تنصرهم إذا ظلموا.

وقد ذكر السباعي(1984م) أن هذه المبادئ تحميها قوتان هما:

* قوة معنوية: وهي إيمان الأمة بالله عزوجل ومراقبته والخضوع له.
* قوة مادية: وهي رئاسة الدولة التي يمثلها أنذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فلا غرابة أن يقف اليهود موقف ند ونفاق وتملق وحقد، ومازالوا يحقدون ويحيكون المؤامرات والدسائس ثم إلى الإغتيال إن استطاعوا، تلك ديدنهم وجبلتهم لقوله تعالى:(كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله)(المائدة:64). ورغم توادد النبي صلي الله عليه وسلم وصبره عليهم، ويصوم صومهم(يوم عاشورا)، ويتوجه إلى بيت المقدس، ولكن نيران الحسد كانت تقلي في قلوبهم، فكان هدفهم هو هدف المشركين وهو القضاء على الدعوة الإسلامية لقوله تعالى:(ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذوالفضل العظيم)(البقرة:105).

فالملاحظة هنا أن التعددية الدينية هي التي صاحبت بناء هذه الدولة بعيدة عن التمايز بين مكونات تلك الأمة الواحدة، فالصحيفة هنا ليست خاصة بالمسلمين دون غيرهم. فجميع مكونات الجماعة تشترك في تحقق المصالح العليا. كما نصت الفقرة (27) من الصحيفة بأن العلاقة بين المسلمين وأهل الكتاب هي النصح والنصيحة أي التشاور وتبادل الرأي في البر دون الإثم. وبقراءة أخرى تعتبر دستور دولة المدينة هي قمة في التفاهم والتعايش بين مكونات المدينة المنورة وهى واحدة من أهم وأقدم الوثائق الإسلامية ، إذ نجد فيها تنظيماً دقيقاً ومحكماً ومتقدماً في صياغة المجتمع المدني المتعدد الأعراق والأعراف، فالمعني التاريخي والفلسفي لمجتمع المدينة المنورة هو أن هنالك ثمة توافق بين مكونات المجتمع دون أن يستبعد أحداهما الآخر(عبدالسلام هارون،1962م).هكذا فاستطاع صلى الله عليه وسلم لأول مرة أن يقيم مجتمعاً مدنياً قائماً على توحيد القبائل العربية بغيرها، فأمر بإزالة كل الصور والتماثيل حول الكعبة عدا صورتي المسيح وأمه، مما يدل على إجلال النبي صلى الله عليه وسلم لهما، وكتب كتاباً سُمي "الصحيفة" لإقامة العلائق والركائز الأساسية بين المسلمين وأهل الكتاب دون إكراه، لقوله تعالى:(لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ)( البقرة:256)، وبهذا فقد أرسي صلى الله عليه وسلم مبدأً أساسياً من مبادئ التعايش والتفاهم السلمي بين المسلمين وغيرهم من أهل الكتاب،لأن أساس دولته قائم على العدالة الإجتماعية، وأن مبدأ الحق والعدل والتعاون، ورفع الضرر هو أبرز الشعارات عند بداية الدعوة، وأياً كان الأمر فإن مصلحة الأمة تقوم على أساس قيام الدولة الرشيدة الذي يحفظ كرامة الإنسانية ولا ينتقص من حقوق الغير، ولا يضطهد، وفي ذلك سعى صلى الله عليه وسلم أن يسجل للتاريخ أنه إسوة حسنة لقوله تعالى:(ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا)(الطلاق:4). فالإسلام في كافة نصوصه هو دعوة سلام وأمن وأمان لكل البشر، ويحفظ لأتباعه الآخرين صيانة الحقوق و الإعراض ، والتعاون والتناصر وممانعة الاختلاف والتخاذل والتناكر. ودفعاً لأسباب الاختلاف جعل الإسلام الإيمان بالرسل وكتبه عنصراً هاماً من عناصر التوحيد. فلم يؤثر في تاريخ الإسلام والمسلمين مغالبة المسلمين لغيرهم ومحاربتهم قصداً للدخول في الإسلام. لذلك يرى الباحث أن سياق هذه النماذج هي دعوة لأهل الأديان للعمل على تقوية أوار المحبة وإحياء الوازع الديني في قلوب أتباع كل دين سماوي، واستبقاء للسمات الإنسانية وجعل التدين أداة فعالة في التهذيب والأخلاق، وأن يشاع قيم الإسلام على الإخاء والصدق والمساواة، كما طلب صلى الله عليه وسلم من المسلمين أن يكونوا مثالاً للرابطة الأخوية لقوله تعالى:(إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون)(الحجرات:10) فالناس جميعاً متساوون أمام المولى عزوجل لقوله تعالى:(يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم)(الحجرات:13).هكذا كانت الأخوة شيئاً جديداً على المجتمع المدينة المنورة الذي قطعت أوصاله العصبية القبلية، فدعا صلى الله عليه وسلم الناس إلى حب الخير وإن اختلفت أجناسهم وعقائدهم، كما عمل على تنظيم المجتمع الذي يمتاز بالتعددية الدينية والقبلية تحت جامعة الأخوة الإنسانية، وهو المعنى الذي جسده دستور دولة المدينة المنورة، ومع اتساع الدولة الإسلامية أخذت هذه التعددية الدينية تنداح في وسط المسلمين مع غيرهم، فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل إيليا قائلاً "لكم ذمة الله وذمة رسوله على أنفسكم ودينكم وأموالكم وكل ما ملكت إيمانكم"(الحيدر،1998م). وإلى وفدي نجران قال لهم "ولهم جوار الله وذمة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أموالهم وأنفسهم وملكهم وشاهدهم وعشيرتهم وبيعهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير، لا يقيد أسقف من أسقفيته ولا راهب من رهبانيته ولا كاهن من كهانته وليس لهم دية ولا دم جاهلية، وبينهم النصف غير ظالمين ولا مظلومين"(Ali,1973).

هكذا أكدت تلك المعاهدات أن هنالك ثمة مؤشرات هامة في العلاقة بين المسلمين والنصارى منها:

1. عدم إجبار أحد على الدخول في الإسلام، وهي الحرية التي كفلها الإسلام لغير المسلمين.
2. لا يعتبر فرض الجزية عقاباً لهم.
3. إعطاء كل ذي حق حقه.
4. حماية أهل الكتاب من النصارى في مختلف الأمصار وتأمين معابدهم وحياتهم وأموالهم.

وعلى هذا المنوال فقد كانت لأهل الكتاب الذين سكنوا الجزيرة العربية مدارسهم الخاصة يتدارسون فيها أمور دينهم، وأحكام شريعتهم، وأيامهم الماضية وأخبار رسلهم وأنبيائهم، كما كانت لهم أماكن خاصة يقيمون فيها عباداتهم، وشعائرهم الدينية تسمى "بالمدارس"، ولم تكن المدارس في الواقع موضع عبادة وصلوات وتدريس فحسب، بل كانت المكان الذي يجتمع فيه أهل الكتاب من اليهود والنصارى يتبادلون المشورة في سائر أمورهم الدينية والدنيوية، وهو المكان الذي يقصده أحبارهم وعلماؤهم أمثال عبد الله بن سلام، وعبد الله بن صوريا الذي أعلن إسلامه بعد لقاءه مع الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة. وقد جاء في الأخبار أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد زار مدارسهم ليدعوهم إلى الإسلام، فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:"بينما نحن في المسجد إذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انطلقوا إلى اليهود فخرجنا معه حتى جئنا بيت المدارس فقام النبي صلى الله عليه وسلم فناداهم يا معشر أهل الكتاب أسلموا ... الخ"(ابن كثير،1964م). وبعبارة أخرى يمكن القول بأن الاسلام قد وضع لهم حقوقاً تصون إنسانيتهم وتحفظ كرامتهم، ومن أهم الحقوق ما يلي:-

1. حق حرية العقيدة والعبادة: لقد حرص الإسلام منذ اللحظة الأولى على إعطاء حرية الاعتقاد والعبادة لمن يعيش بين ظهراني المسلمين من أهل الكتاب لقوله تعالى:(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنامسلمون)(آل عمران:64).فالقضية المطروحة هي اللقاء على كلمة سواء من حيث المبدأ، وهى توحيد الله في العبادة ورفض الشرك بالله ، وتوحيد الإنسان في علاقته بالإنسان الآخر من دون استعلاء، لتكون الألفة والتعاون والمحبة هى ديدن كل مؤمن . فالناظر إلى تلك المعاهدات يجد فيها براعة وحنكة رسول صلى الله عليه وسلم في رسم سياسته وتدبيره للأمور، فتراه يبسط يده للمودة والإخوة لأهل الكتاب لإنهاء حالة الحرب بينهم، وفتح باب الحوار فعسى أن يقود ذلك إلى دخولهم في الإسلام، وهذا ما أكدته بعض نصوص دستور الأمة في صدر الدولة الإسلامية:"... يهود بني عوف أمة من المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، ... وأن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة"(النجار،1978م). وبموجب هذه المعاهدات أعطى رسول صلى الله عليه وسلم العهد لأهل الكتاب ومنحهم حق الإقامة والاعتقاد، وإقامة شعائرهم الدينية داخل معابدهم امتثالاً لقوله تعالى:(وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ...) (الكهف:29).
2. حقهم في حفظ أنفسهم وأموالهم: اهتم القرآن الكريم بحقوق غير المسلمين من أهل الكتاب فعاش هؤلاء في كنف الدولة الإسلامية لهم حقوق و عليهم واجبات مماثلة.
3. حقهم في العمل والتملك والتنقل: لقد حث الإسلام على العمل، فعدد القرآن الكريم أنواعاً من الأعمال التي يمكن للفرد أن يقوم بها وحده، لقوله تعالى:(هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ)(الملك:15). ولما كان العمل هو ثمرة جهد الإنسان فإنه رأى هذا الحق فمنع الاعتداء على العاملين من المسلمين وغير المسلمين ، ويستثنى من ذلك المحرمة(محمد شلبي،2000م).
4. حق الرعاية الصحية والتعليمية والاجتماعية: لقد أوجب الإسلام على الدولة رعاية أفراد المجتمع بغض النظر عن الدين واللون والجنس، وعلى أفرادها الانتفاع بمرافقها المختلفة لأنهم جزء من مكوناتها(زيدان،1988م) لقول رسول صلى الله عليه وسلم:" كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته... الخ".
5. المسيحيون المؤمنون هم أقرب الناس مودة للمسلمين: لقد ميًز الله عزوجل أهل الكتاب عمن سواهم من أهل الملل الأخرى مراعاة للأصل السماوي وقدسية كتابهم ،لأن منهم قسيسين ورهبان، أى فيهم علماء يتصفون بالتواضع.
6. حفظ كرامتهم: لقوله تعالى:(ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر و البحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا)(الاسراء7). ومن مظاهر هذا التكريم الرباني أنه خلق الإنسان في أحسن صورة ، فعلى هذه الشاكلة صان المسلمون كرامة أهل الكتاب دون سخرية لقوله تعالى:(يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن و لا تلمزوا أنفسكم و لا تنابذوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون) (الحجرات:11).فكيف لا يعظم رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الكتاب ويحفظ كرامتهم وقد بشر به الإنجيل بمجيئه، وما قاله سيدنا عيسى عليه السلام عنه كان درساً بليغاً على أهل الكتاب عامة وعلى بني إسرائيل على وجه العموم، ومن خلال هذه التزكية الكريمة من رب العالمين له وجب على العالمين الايمان به وبرسوله خاصة الراسخون من أهل الكتاب لقوله تعالى:(لكن الراسخون في العلم منهم المؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك)(النساء:162).

هكذا رسم القرآن الكريم الخطوط العريضة للتعامل بين المسلمين و أهل الكتاب لقوله تعالى:(وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)(العنكبوت:46). فإذا كان القرآن الكريم يؤكد الجدال بالتي هي أحسن مع أهل الكتاب باستثناء الظالمين منهم، فإن المعنى الكامن هنا هو الدعوة للانفتاح بين المؤمنين لترسيخ القواسم المشتركة حتى يختزنوا ذلك في وجدانهم الديني والإيمان بالرسل والكتب السماوية، فالفلسفة المتجددة التي تنادي بالانفتاح هي قديمة قدم الحضارات البائدة والآنية، وقد وضع الإسلام هذه اللبنة منذ أربعة عشر قرناً من الزمان، فكان مثالاً للانفتاح والاعتراف بالآخر وإدراك قيم المساواة والعدل، فالعلاقة بين المسلمين وأهل الكتاب هي نتاج لعلاقات ربانية أو إلهية، وإن ما يثار عن وجود خلاف بين الديانتين هو محل شك، فالمؤمن مسلماً كان أو مسيحياً يجب أن يعيش حالة من الوجد الروحي والعشق الإلهي والسمو الإيماني في انفتاحه على الله، وتوفير كل الأسباب التي تذيب الفوارق بين الناس كي تتحول الحياة في كل مظاهرها إلى مظهر عظمة الخالق عز وجل وساحة من ساحات نعمته.كما أباح الإسلام التعاون مع أهل الكتاب فسن مؤاكلتهم، واعتبر طعامهم حلالاً طيباً، ومعاهدتهم والتزاوج منهم لقوله تعالى:(وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلُّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ...)المائدة:5. فالمصاهرة هي أحد الروابط الأساسية التي تربط الإنسانية بعضهم ببعض، كما أن في الزواج سكون ومودة ورحمة.ومن أهم دعائم الحياة التي تؤكد درجات التسامح الديني هي:

\* أن تدع لمخالفك الحرية الدينية.

\* عدم فرض الاضطهادات والعقوبات.

\* تبسيط روح التسامح التي تظهر في حسن المعاشرة ولطف المعاملة.

وقد ذكر ابن إسحاق أن وفداً من نجران قدم على رسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة ودخل أفراده مسجده بعد العصر فكانت صلاتهم، فقاموا يصلون في مسجده، فأراد الناس منعهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوهم فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم"(ابن كثير،1964م)، وكان من الطبيعي أن يسير السلف الصالح على هدى نبيه صلى الله عليه وسلم، وقد أوصى أبو بكر الصديق خالد بن الوليد بنصارى الحجاز لما قبلوا دفع الجزية فقال:"أيما شيخ ضعُف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات يطرح عنه الجزية، ثم ينفق عليه من بيت مال المسلمين هو وعياله"(ابن كثير،1964م). ومع اتساع الدولة الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخذ عبد الله بن عمر نموذجاً للسلف الصالح، عندما حققت جيوش المسلمين النصر في إيليا(شوقي ضيف،2000م). فأخذ يرحل بنفسه فكتب وثيقة عهد بينه وبين أهل الكتاب جاء فيه "هذا ما أعطى عبد الله بن عمر أمير المؤمنين أهل إيليا من الأمان، فأعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبرئتها وسائر ملتها، إنه لا تسكن كنائسهم، ولا تهدم ولا ينتقص منها، ولا من خيرها، ولا من صلبهم، ولا من شيء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن إيليا منهم أحد من اليهود"(ابن كثير،1964م). ولم يكتف عمر بالعهود بل كان يصدر وصاياه إلى ولاته أن يمنعوا المسلمين من ظلم أهل الكتاب، وأن يوفوا لهم بعهدهم وألا يكلفوهم فوق طاقتهم. وبينما كان في كنيسة القيامة إذ دخل وقت الصلاة فخرج وصلى خارجها، وقال للبطريك، "لو صليت داخل الكنسية لخفت أن يقول من بعدي هذا مصلى عمر ويحاولوا أن يقيموا في المسجد مكاناً وبينما هو بأرض الشام مرَّ بقوم مجذومين من النصارى فأمر أن يعطوا من الصدقات، وأن يجري عليهم القوت بانتظام"(الطبري،1970م).

ويروي البلاذري(1988م):" أن المسلمين عندما دخلوا حمص لم أخذوا الجزية من أهل الكتاب، لمرافقتهم في الأعمال العامة ومشاركتهم في القضاء والشرطة، دون أن يحملوا السلاح". والذي نريد أن نسجله هنا أنه مع بساطة هذه الجزية فقد دخل الكثيرون منهم في الإسلام إعجاباً بعدالته، فسار المسلمون في أكثر عهودهم يقيمون تلك العدالة والمساواة حيث ذكر (عيشو) أحد البطارقة في الإسكندرية "إن العرب الذين مكنهم الرب في السيطرة على العالم يعاملوننا كما تعرفون، إنهم ليسوا بأعداء للنصرانية بل يمتدحون ملتنا ويوقرون قسيسنا ويمدون يد المعونة إلى كنائسنا وأديرتنا"(البلاذري،1988م). كما اقتضى بناء الدولة الإسلامية في صدرها الأول إلى إقامة علاقات تعاون بين أهل الكتاب، فكان عمرو بن العاص مثالاً آخر عندما فتح مصر، حيث كتب عهداً يرتبط بحماية كنائسهم، وقد زاد من طمأنينة أهل الكتاب عندما فتح عمرو بن العاص أفريقيا وحوض البحر الأبيض المتوسط(مصر) من يد المقوقس، فكتب لهم عهداً يؤكد فيه حماية كنائسهم وممارسة شعائرهم الدينية، وحفظ أمنهم، وعدم الاعتداء عليهم، كما كتب للبطريرك بنيامين بالعودة إلى وطنه ورده إلى كرسيه بعد أن تغيب عنه زهاء ثلاث عشرة سنة، وحينما قدم الإسكندرية استقبله عمرو بن العاص ومنحه السلطة التامة على الأقباط.ثم تطورت تلك العلاقات بين الإسلام والنصارى في عهد الأسقف باسيلي، أثناء ولاية ابن مخلد الذي شيدت في عهده بعض الكنائس، في أبي مقار والإسكندرية وفسطاط، كما شيدت كنائس أخرى في عهد عبد العزيز بن مروان مثل كنيسة مارجرجس وأبي قير وحلوان.والسودانيون مثل كثير من الشعوب يتمتون بنوعية خاصة من العلاقات، ويمتازون بثقافات وديانات تشكل الواقع السوداني المتعدد الأديان والعقائد. وهذا التنوع امتزجت فيه ثقافات شتى تفاعلت وتلاقحت فيما بينها في تسامح وتعايش عرفت بحضارة وادي النيل (Thomas,1977). وعلى الرغم من الجهود التي بذلت من قبل المكتشفين الأوائل لأرض أفريقيا إلا أن الإرساليات التبشيرية استخدمت من الاساليب والوسائل السالبة من أجل الوصول إلى مجاهل أفريقيا.وهنا يمكن ملاحظة الارتباط الوثيق بين العناصر التي تكوِّن الثقافة الإسلامية، والتي مهدت لتعريب القيم والعادات والتقاليد التي كانت تواجه بها الثقافات الاخري أوالمؤثرات الوافدة من الخارج، والتي استوعبها المجتمع الإسلامي لمرونتها وتطورها. وهذا ما ذهب إليه خالد بن الوليد في فتوحاته ببلاد الشام وفارس، فقد جاء في أحد عهوده لهم ما نصه:"... ولهم أن يضربوا نواقيسهم في أي ساعة شاءوا من ليل أو نهار إلا في أوقات الصلوات، وأن يخرجوا إلى الصلبان في أيام عيدهم"(إبراهيم حسن،1975م). كل هذه الشواهد تبين ما كان بين الديانتين الإسلامية والنصرانية من تعاطف وتسامح. فالعهد الأموي يمثل قمة في التفاهم، وعندما عزم الخليفة عبد الملك عبد مروان تعريب الدواوين (عام 70هـ-810م) لم يستغن عن خدمات أهل الكتاب بل ظلوا يقدمون دوراً هاماً في الإدارة والطب والهندسة والتجارة وغيرها وهذا ما تشير إليه بعض المخطوطات المصرية والسورية المكتوبة باللغة اليونانية، ورغم المنافسة الشديدة بينهم إلا أنهم تمتعوا بقسط وافر من الحرية والاستقرار ،وحينها جرت مناقشات دينية عرفت بالحوار الإسلامي المسيحي ، أو المقابلة بين محاسن الإسلام وأهل الكتاب (أرنولد،د ت) ومن الطبيعي أن يؤدي ذلك التفاعل إلى خلق التداخل الاجتماعي فضلاً عن المودة التي أوصى بها القرآن الكريم. كما لعب العهد العباسي دوراً هاماً في إثراء الحركة الفكرية والثقافية خاصة بين النسطوريين واليعقوبيين عندما انتقل مركز السلطة إلى بغداد فازدهرت حركة التعريب والترجمة من اليونانية والسريانية والفارسية إلى العربية الأمر الذي ساهم في تشكيل الحضارة العربية، فوجد ذلك الانسجام تقدماً عندما اشتدت وطأة الروم والهجوم على الدولة الإسلامية، فهنا تجلت أحاسيس المسلمين وأهل الكتاب في الدفاع عن دولتهم، وقد لعب ثيودورس أبو قرة، أسقف حران، والبطريك النسطوري ثيوثاوس دوراً بارزاً في الدفاع عن الدين ضد الهرطقات التي ظهرت في عهد الإمبراطوريتين الرومانية والبيزنطية(فليب حتى، وآخرون،1965م).وقد ساهم أهل الكتاب أمثال زكريا بن يحيى، وأبي نصر محمد الفارابي في تقريب الشقة بين المسلمين والنصارى باعتبار أن الحرية الدينية حق مكفول للجميع. فعاش نصارى العرب في ظل الدولة الإسلامية يتمتعون بالتسامح والسلم، حيث أنشأ عبد الحكم بن هشام ديواناً خاصاً للنظر في شئون أهل الذمة، يتولاه كبير الأحبار(طارق متري،1994م).وقد ذكر بعض المؤرخين أن الدولة الإسلامية قد رفعت عن النصارى العرب كثيراً من مظالم الإمبراطوريات التي عاشت في المشرق العربي ومصر وشمال أفريقيا، ووجدوا من المعاملة ما لم يجدوه عند إخوانهم حكام وجنود الدولة البيزنطية والفارسية. ويكفي الإشارة هنا إلى ما فعله أبو عبيدة عامر بن الجراح مع أهل الذمة في الشام حين رد عليهم ما دفعوه من جزية، كما ترسخت فكرة الجماعة الدينية "الملة" في ظل الدولة الاسلامية التي اتسمت بالتفاهم والتسامح الديني بين الأقليات النصرانية، لا سيما في تطبيق القوانين، خاصة في المسائل الشخصية، ومشاركة الملوك في أعيادهم والسماح لهم ببناء الكنائس(الصواف،1965م). وهنا استطاع المسلمين أن يحفظوا صورتهم تجاه النصارى خاصة في المناطق التي تعرضت للاضطهاد وشظف العيش. ومرد ذلك إلى عدة عوامل منها:

1. تسامح الإسلام إزاء القضايا المتعلقة بإقامة الطقوس.
2. حماية المسلمين الفاتحين للنصارى من اعتداءات وملاحقات الأباطرة الرومان والبيزنطة غير المتسامحة مطلقاً.
3. اهتمام المسلمين باللغة العربية بدلاً عن الإغريقية واليونانية مما شجع النصارى إلى الانتماء إلى أبناء جلدتهم من الساميين.

وعلى هذه الشاكلة يمكن القول بأن للمسلمين شريكاً قديماً على أرضهم يتمتع بعلاقات متقدمة على المستوى الكلامي والفقهي،هذا بالإضافة إلى التعايش الذي يربطهم بالعادات والتقاليد والأعراف. وعلى الرغم من تأثر بعض الكنائس الأم في المشرق العربي ببعض كنوز الإمبراطورية البيزنطية والفارسية، إلا أنها لم تكن بعيدة عن تأثير الموروث الفكري الإسلامي. بل عرف العرب الفاتحون كيف يتعاملون مع أبناء جلدتهم، وجنسهم ودمهم، فوجد النصارى حريتهم طوال الفتح الإسلامي من خلال توفر السمات التالية:

1. الإحساس بالأمن والثبات.
2. النزعة العقائدية خاصة في التراث والعادات والتقاليد سواء في اللغة أو في الثقافة.
3. استقلالية كل كنيسة عن الآخر.

وفي خضم تلك العلاقة عاشت الطوائف النصرانية في ظل الدولة الإسلامية يتلقون كتاب الأمان، فأصبحوا أهل الذمة. وقد ذكر ابن العربي في كتابه تاريخ الكنائس قائلاً "وكان يطيب للنساطرة أن يهنئوا أنفسهم لما كان بينهم وبين المسلمين من تفاهم". كما استوعبت الطوائف المسيحية الأخرى الحياة المشتركة بين المسلمين والنصارى، فالتأمت الديانتين في بؤرة مشتركة إلى فهم كل مقومات الإنسانية. وقد كان نبأ انتصار المسلمين وفتوحاتهم قد عم الآفاق المحيطة بالجزيرة العربية فسمعت الطوائف النصرانية في مصر عن تلك المعاملة من عدل وسماحة وتعاون، الأمر الذي جعلهم يستقبلون الفاتحين من المسلمين باعتبارهم مخلصين لهم من طغيان البيزنطينيين(جوارافسكي،1999م).

فالتفاهم بين الإسلام وأهل الكتاب قد شق طريقه في المدينة المنورة في مختلف مجالات الحياة الثقافية والسياسية والاقتصادية وشملت بقية الامصار، وهذا التعاون ليس أمراً مستحدثاً بل له تاريخ عريق عرفته الأمم والجماعات، وقد هدفت تلك العلاقات في تطور مفاهيم جديدة تواكب مقتضيات العصر وتطلعات البشر نحو مستقبل زاهر مبني على الاعتراف بالآخر والاحترام المتبادل ، وقد ذكر الأب اغتاطوس المؤرخ الكاثوليكي:" إن الملكانيين رغم مشاركتهم للكنسية في العالم المسيحي خارج الديار العربية إلا أنهم ظلوا موالين للحكم الإسلامي ولم يتعاونوا مع الروم والفرنجة في حروبهم ضد المسلمين، و قد أسهموا في تكوين الحضارة الإسلامية بترجماتهم ومؤلفاتهم ، و شغلوا مناصب رفيعة في الدولة الإسلامية كالدواوين ومراقبة المالية واشتهر كثير منهم في مجال الطب"(غردية وشحاتة،1998م) فالحضارة الإسلامية طوال العصور الأولى من أقدم الحضارات التي استطاعت استيعاب الحضارات الأخرى ، وفي هذا المنوال أسهم المسيحيون العرب في صياغة هذه الثقافات والأفكار(إدارة الدواوين والترجمة). لذلك يقول بطارقة الشرق الكاثوليك في رسائلهم الأولى: " أننا ننهل من تراث حضاري واحد نتقاسمه بين إخواننا المسلمين.........وإن المسيحيين في الشرق هم ابنا أمومة ......... فنحن مسئولون عن بعضنا البعض إمام الله والتاريخ .............. لذا يتحتم علينا إن نبحث عن حقيقة التعايش والتعامل الخلاق والمثمر الذي يضمن الاستقرار والأمان لكل مؤمن بالله "(اغناطيوس،1999م).وفي عام 1991م عقدت كنيسة الروم الكاثوليك مؤتمرها العام حيث أكدت أن العلاقات الإسلامية المسيحية علاقات أزلية منذ فجر الإسلام ، حيث تفاعل الثقافة الإسلامية مع المسيحية متجسداً في مجتمع دولة يثرب ....... الخ"(جوارافسكي،1999م). فالمشكلات التي تعاني منها البشرية اليوم تكاد تكون متشابهة في مختلف بلدان العالم، ويتطلب ذلك مجهوداً مقدراً من قبل المسلمين وأهل الكتاب. و للحيلولة دون انتقال أثر الخلاف إلى الأجيال القادمة يجب أن يعود الناس إلى دستور دولة المدينة المنورة لينظروا كيف تعامل رسول صلى الله عليه وسلم مع أهل الكتاب سواء مع الوفود الذين زاروه صلى الله عليه وسلم حتى نستطيع الخروج من التناقضات التي يثيرها المعادون للإسلام والمسلمين بأنهم اضطهدوا أهل الكتاب طوال تاريخهم، وبالتالي فسدت العلاقة بينهما للتعامل الغير صادق. ومن هنا يرى الباحث أنه ليس من الواجب أن يأتي الناس جميعاً بنية صادقة مهما كان انتماؤهم الديني أو الأيديولوجي، ولكن الأجدر أن يكون هنالك نوعاً من التوافق في القضايا الأساسية والعلاقات الاجتماعية والثقافية. وما دام هنالك إيمان ومحبة يجب على المؤمنين في الديانتين أن يكون هنالك توافق في أعمالهم وأفعالهم.فعلى المسيحيين والمسلمين أن يؤمنوا بأن الله خالق الكون وخلق الإنسان وجعله خليفة في الأرض متوافقاً مع إرادة الله ومع نفسه وغيره ، فعليهم أن يبنوا علاقات تقوم علـى الاحترام والخضـوع والتكيـف ونبذ العنف والتفرقة والاستعباد.

## خاتمة

تمثل العلاقة بين الإسلام وأهل الكتاب(اليهود والنصارى) القاسم المشترك من خلال دستور دولة المدينة المنورة بدءً بالاعتراف بإلوهية الله وحفظ الحقوق بين المسلمين وغيرهم دون أن يكون هنالك اعتداء على حقوق الآخرين، كذلك اظهر تلك العلاقة الدور المتعاظم الذي لعبه رسول الله صلى الله عليه وسلم في تنظيم علاقة الإنسان بأخيه الآخر واظهار جانب العلاقة الإجتماعية في التواصل والتراحم والتوادد وقد ذهب الخلفاء من بعده على هذا المنوال فكانوا مثالاً للعدالة والمساواة بين من هو مسلم ومسيحي حيث عاشوا جميعاً في كنف الدولة الإسلامية لهم من الحقوق ما يكفل لهم حرية الإعتقاد والتكافل الإجتماعي شملت كل امصار الدولة الإسلامسة. وبقراءة متأنية من الناحية السيكولوجية والايدولوجية كانت المعاهدات و الاتفاقيات تمثل نموذجاً من نماذج تطور العلاقات الإسلامية المسيحية في صدر الدولة الاسلامية، حيث انتهت عهد الهرطقة والاضطهاد الذي كان يسود بين المسيحيين في الشرق من أباطرة البيزنطة والرومان في الغرب، فأصبح الإسلام خير معين لتوطيد تلك العلاقة فأصبح المسيحي مسيحي في دينه ومسلم في ثقافته وحضارته.

ويرى الباحث، إن تطور العلاقات الإسلامية المسيحية في صدر الدولة الإسلامية قد اتسمت بسمات مختلفة أهمها:

\* تطورت العلاقة بين المسلمين والمسيحيين في مختلف المجالات السياسية والاجتماعية والدينية(حوار الحضارات).

\* من خلال تطور العلاقات بين المسلمين و أهل الكتاب ظل هؤلاء يعيشون في كنف الدولة الإسلامية متمتعين بكافة حقوق المواطنة.

\* أسلمة التعريب والترجمة.

\* انتشار الإسلام بين المسيحيين دون عصبية أو حرب.

\* تمثل المرحلة الاولي للدولة الإسلامية فترة تفاهم وتعاون بين المسلمين وأهل الكتاب خاصةً خلال الفترة بين الهجرتين (الحبشة والمدينة ).

ومن خلال دراسة تاريخ الأديان نجد أن سرعة انتشار الإسلام يعود إلى الأسباب الآتية:

1. بساطة تعاليمه.
2. خلوه من التصورات الغيبية الغامضة المعقدة التي لا يقبلها العقل.
3. سعى الدعاة للدفاع عن القيم الإسلامية بعيداً عن العنصرية هذا عكس ما تناولته المبشرون المسيحيون عن القيم النصرانية في الغرب.
4. اختيار الشباب الإسلامي للدعوة الإسلامية كنموذج يحتذي بها و حضارة تمجد التاريخ.
5. لم يثقل الإسلام لمريديه بطلبات تعجيزية،هذا بخلاف النصرانية.

6- وجد المسيحيون العرب معاملة لم يجدوها عند إخوانهم في الغرب، وهذا يؤكد قمة المساواة والعدالة في الدولة الإسلامية الأولى.

**المراجع**

* **إبراهيم حسن**،حسن(1975م).تاريخ الإسلام.دار الفكر العربي،بيروت،ط1ص231،112.
* **ابن كثير**(1964م).السيرة النبوية. تحقيق مصطفى عبدالواحد،القاهرة،ج2ص3،12،514،315،5.
* **أرنولد**(بدون تاريخ).الدعوة إلى الإسلام. ترجمة حسن إبراهيم(1987م) ،دار الجيل،بيروت،ص95.
* **اغناطيوس،** ديك(1999م).كنيسة الروم الملكانيين،مطبعة الكاثوليك،القاهرة،ط1ص920.
* **باول شفارتزنا**(1977م).علوم القرآن للمسيحيين.هامبورج،ط2ص55.
* **البلاذري**،أحمد بن يحي(1988م).فتوح البلدان.دار مكتبة الهلال،بيروت،ط2ص142،89،143.
* **جوارافسكي**،اليكس(1999م).الإسلام والمسيحية.نرجمة خلف مراد.دار القلم،بيروت،ط1ص185.
* **الحيدر**،محمد عبدالله(1998م).مجموعة الوثائق للعهد النبوي والخلافة الراشدة.مكتبة وهبة،القاهرة،ط1ص112،60،55.
* **دويدار**،أمين(بدون تاريخ).صورة من حياة الرسول.دار المعارف،مصر،ص431،432،161،160.
* **زيدان**،عبدالكريم(1988م).أحكام الذميين والمستأمنين في الإسلام.مكتبة وهبة،القاهرة،ط1ص102.
* **السباعي**،مصطفى(1984م).السيرة النبوية دروس وعبر،المكتب الإسلامي،القاهرة،ط1ص70،76.
* **شوقي ضيف**(2000م).محمد خاتم المرسلين.دار المعارف، القاهرة،ط1ص33،45،88،134.
* **الصواف**،محمد محمود(1965م).المخطاطات الاستعمارية لمكافحة الإسلام.دار الثقافة للطباعة،مكة المكرمة،السعوديةط1ص73.
* **طارق متري**(1994م).العلاقات الإسلامية المسيحية.مركز الدراسات الاستراتيجية،بيروت،ط1ص174.
* **الطبري**،محمد بن جرير(1970م).تاريخ الأمم والملوك.دار الفكر،بيروت،ط4ص59،56.
* **عبدالسلام** هارون(بدون تاريخ). تهذيب سيرة ابن هشام.دار الجيل،بيروت،ط2ص123.
* **العسقلاني**،ابن حجر(1412هـ).فتح الباري في شرح صحيح البخاري.دار الجيل،بيروت،ص786،45،345.
* **غردية،لويس** وشحاتة،جورج(1998م).فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية.ترجمة صبحي صالح وفريد جير.دار الفكر العربي،بيروت،ط1ص15-16.
* **الغزالي**،محمد(1997م).قضايا إسلامية.دار الصحوة للنشر،القاهرة،ط1ص50.
* **فليب حتى** وآخرون(1965م).تاريخ العرب.دار الكتاب للنشر والتوزيع،بيروتط2ص435،241.
* **محمد الشلبي**،وآخرون(2000م).الإسلا وقضايا العصر،القاهرة ط1ص203.
* **محمد قطب**(1988م).حول التأصيل الإسلامي للعلوم الإجتماعية.دار الشروق،لبنان،ص85 ،87.
* **المودودي**،أبوالأعلى(1987م).مفاهيم إسلامية حول الدين والدولة.الدار السعودية للطباعة والنشر،الرياض،ص98.
* **النجار**،محمد الطيب(1978م).القول المبين في سيرة سيد المرسلين،دار القلم،بيروت،ط1ص159.
* **هيكل**،محمد حسين(1968م).حياة محمد.دار القلم،بيروت،ص175،161،178.

\* **ALI,S**,A(1973).Critical examination of the life and teachings of Mohammed.London,p231.

\* **Amani,**M(1960).The sayings of prophet Mohammed .Lahore:LionPress,p32.

**\* Haykal**,M,H(1395).The life of Mohammed.Translated by Ismael Ragi,Libyan,p7,12 45

\***Thomas**,D(1977).Books of Governors. Cambridg ,London,Vol2-P15

**الطّلاق في المجتمع العربي السعودي: رؤية نظرية**

**د/ عمر عبد الجبار محمد أحمد**

**كلية الآداب - جامعة الملك سعود.**

**ملخّص**

تناولتْ هذه الدراسة موضوع الطّلاق في المجتمع السّعوديّ، حيث هدفتْ إلى استعراض أهمّ الدّراسات الّتي تناولت موضوع الطّلاق في المجتمع السّعوديّ، والتعرّف على الأطر النّظرية الّتي استخدمتها والنّتائج الّتي توصّلت إليها فيما يخصّ أسباب الطّلاق في ذلك المجتمع. كما سَعَتْ للتّعرّف على مدى مناسبة الأطر تلك النّظرية المستخدمة لتفسير تلك النّتائج، ما يُسْهِم في اقتراح أطر نظرية بديلة نعتقد أنّها الأنسب لتفسير تلك النّتائج وفهمها؛ من أجل المساهمة في خفض معدّلات الطّلاق المرتفعة.

**1/ المدخل**

**1/1 مقدمة:**

الطّلاق أحد أهمّ المشكلات الاجتماعية في المملكة العربية السّعودية حسب ما تشير إليه الإحصائيات الرسمية، وإذا اصطحبنا مع ذلك مشكلة تأخّر الزّواج للبنين والبنات في المجتمع نفسه، وتراجع معدّلات الزّواج، ازدادتْ مشكلة الطّلاق أهمية. ولهذا؛ تسعى هذه الدراسة إلى اقتراح أطر نظرية بديلة تكون أكثر معاصرة وملائمة من تلك التي اسْتُخْدِمْتْ في دراسة الطّلاق في المجتمع السّعوديّ.

**2/1 مشكلة الدراسة:**

شهد المجتمع العربي السّعوديّ العديد من التّغيّرات شملتْ معظم النّظم الاجتماعية الأساسية، وأفضت إلى ما يعرف عند علماء الاجتماع بالتغيّر الاجتماعي. وقد أحدث هذا التّغيّر ضعفاً في قواعد الزّواج الدّاخليّ، وتوسّعاً في دائرة الزّواج خارج الجماعات القرابية. (السيف،1424هـ:122).

من هذه التغيرات تعليم البنات الذي بدأ في المملكة العربية السّعودية في السّتينيات من القرن الماضي، حيث ابتدأ في عام 1380هـ، وفي عام 1437هـ بلغ عدد الطّالبات في المرحلة الابتدائية،1901890طالبة، وفي المرحلة المتوسّطة 886371، وفي المرحلة الثّانوية 887778 (الكتاب الإحصائي السنوي رقم (51)،2015م، جدول3:2).

والتعليم يؤدّي إلى رفع مستوى الوعي بالبيئة المحيطة، ويساعد في قيام المرأة بدورها، حيث يجعلها قادِرةً على أن تضع إطارًا مرجعيًّا حسنًا في معاملتها مع أبيها وزوجها، كما يساعدها أيضًا على تكوين رأي خاصّ بها، بل، القدرة على التّعبير عن رأيها، أو شعورها الّذي بعدمه قد يكون هو سبَبَ النّزاع المستمرّ بينها وبين زوجها، ما قد يتحوّل إلى خلافات عارمة تؤدّي في النّهاية إلى الطّلاق. (شلبي، 1408هـ، 1988م:117- 118).

ومن التّغيرات المهمّة في المجتمع السّعوديّ اتّجاه النّساء نحو العمل المأجور خارج المنزل، وهي ظاهرة بدأت مع التّحوّلات الّتي انتظمت المجتمع، نتيجةً لانتشار تعليم الإناث الّذي مكّن العديد من النّساء من اكتساب معارف ومهارات تؤهّلهنّ – فيما بعد – للحصول على وظائف مدفوعة الاجر. وفي الفترة المتغيّرة استفادتِ المرأة السّعودية من التّنمية الاجتماعية والاقتصادية، فزادت نسبة الأمّهات العاملات خارج المنزل (السيف،1424هـ:92).

وحصول المرأة على وظيفة مدفوعة الاجْرٍ يشكّل عنصرًا مهمًّا في حياتها؛ حيث إنّ الدّخل من الوظيفة يحقّق لها قدرًا كبيرًا من الاستقلال الاقتصادي الخاصّ، وعدم الاعتماد على الأب أو الإخوة أو الزّوج.

ومن التّغيّرات المهمّة في المجتمع السّعوديّ ارتفاع العمر عند الزّواج، فقد أوضحت نتائج المسح الديموغرافي لعام 1428هـ/2007م أنّ نسبة السّكان السّعوديّين الإناث (15 سنة فأكثر) الّلاتي لم يسبق لهنّ الزّواج بلغت (32٪)، ونسبة المتزوّجات منهنّ (60,2٪)، أمّا بالنّسبة للسّعوديّين الذّكور فبلغت نسبة الّذين لم يسبق لهم الّزواج (40,1٪)، ونسبة المتزوّجين منهم (58,7٪) (البحث الديموغرافي 1428هـ/ 2007م: 23-24).

لقد شهدت المملكة العربية السّعودية نموًا حضريًّا كبيرًا تَمثَّل في زيادة عدد المدن وارتفاع عدد سُكانها. فقد ارتفعت نسبة سكان المدن من 46% في عام 1974م إلى 74% في عام 1992م.. ( الخريف،1419هـ،:131).

كما شهِدَتِ العديد من التغيّرات في القيم الاجتماعية، الّتي كانت قيمة طاعة الأب والزّوج واحدة منها، حيث شهدتْ تغيّرًا ملحوظًا ولم يعد اعتراف كامل بسلطتهما في ذلك المجتمع، فقد قلّت سلطة الآباء والأزواج، وزاد احتمال مخالفة الزّوجة والأولاد لسلطتيهما. (السيف،1424هـ:186).

ولعلّ ذلك يعود إلى التّغيّر الّذي طرأ علي دور المرأة في المجتمع، حيث أثّر التّعليم والاستقرار الحضريّ، والعمل على تغيّر النّسق القيمي المتعلّق بقيم الاختيار للزّواج والإنجاب ومشاركة المرأة في اتّخاذ القرارات الأسرية. (عرابي والعمري، 1422هـ/2002م: 49).

الطّلاق أحد أهمّ المشكلات التي تواجه المجتمع السّعوديّ اليوم، ومع أنّ الطّلاق قديم قدم الزّواج إلّا أنّ معدّلاته في ارتفاع حيث تشير الاحصاءات إلى أنّ نسبة صكوك الطّلاق تجاوزت 20% من صوك الزّواج الصّادرة في الأعوام 1425 / 1436هـ ( الكتاب الإحصائي السّنوي، 1426/1435هـ).

وهذا التّصاعد المستمرّ فى معدّلات الطّلاق دفع العديد من الباحثين الاجتماعيّين إلى القيام بدراسة هذه الظاهرة؛ لمعرفة أسبابها واقتراح الحلول لمعالجتها، إلّا أنّ العديد من تلك الدّراسات ينقصها التّأطير النّظري المناسب الّذي يستصحب المتغيّرات في المجتمع السّعوديّ، والتّطوّرات في النّظرية الاجتماعية بصفة عامّة، ممّا أضعف الجَدْوَى العمليّة لتلك الدّراسات بخاصّة في مجال التوصيات الخاصّة بالمساهمة في خفض معدّلات الطّلاق.

وتتلخّص مشكلة هذه الدّراسة في التقييم النّاقد للدراسات التي تناولت مشكلة الطّلاق من حيث النظريات التي وظفتها والنّتائج التي توصّلت إليها، ومن ثمّ اقتراح أطر نظرية بديلة من واقع نتائج تلك الدّراسات الّتي نحسب أنها الأنسب لتفسير وفهم غور مشكلة الطّلاق في المجتمع العربيّ السّعوديّ.

**3/1أهمية الدراسة:**

**الأهمية النظرية**: يتوقّع أن تسهم هذه الدراسة في إيجاد فهم أفضل لمشكلة الطّلاق في المجتمع السّعوديّ بخاصّة فيما يتعلّق بالنّظريات الاجتماعية المستخدمة لتفسير هذه الظّاهرة.

**الأهمية العملية:** يرجي أن تساعد هذه الدّراسة دراسات الطّلاق اللّاحقة في الوصول إلى توصيات عملية تسهم في خفض معدّلات الطّلاق في المجتمع السّعوديّ.

**4/1 أهداف الدّراسة:**

يهدف هذا البحث إلى تحقيق عدد من الأهداف أهمّها:

1/ حصر أهمّ الدّراسات الّتي تناولت موضوع الطّلاق في المجتمع السّعوديّ.

2/ تقييم ناقد لدراسات الطّلاق في المجتمع السّعوديّ، بالتركيز على النّظريات الاجتماعية الّتي استخدمتها تلك الدّراسات والنّتائج التي توصّلت إليها.

3/ اقتراح أطر نظرية بديلة لدراسة مشكلة الطّلاق.

**5/ 1 تساؤلات الدّراسة:**

1/ ما أهمّ الدّراسات التي تناولت موضوع الطّلاق في المجتمع السّعودي؟.

2/ ما النّظريات الاجتماعية الّتي استخدمتها تلك الدّراسات، وما النتائج التي توصلت اليها؟؟.

3/ ما الأطر النّظرية البديلة لدراسة مشكلة الطّلاق في المجتمع السّعوديّ؟.

**6/1 مفاهيم الدراسة:**

**1/ التّغيّر الاجتماعيّ:**

**التعريف النّظريّ:**

يقصد بالتّغيّر الاجتماعي في علم الاجتماع، أنّه تغيّر النّظم داخل البنية الاجتماعية، ويتميّز بتغيّرات في الرّموز الثّقافيّة، وقواعد السّلوك، والمنظّمات الاجتماعية، ونظم القيم ((https://global.britannica.com.

**التّعريف الإجرائي:**

يقصد بالتّغيّر الاجتماعي في هذه الدّراسة، أنّه التّغيّرات الّتي حدّثت في النّظم الاجتماعية الأساسية في المجتمع السّعوديّ، مثل النّظام الأسريّ، والنّظام الاقتصاديّ، ونظام الزّواج.

**2/ الأدوار الاجتماعية:**

**التّعريف النّظري:**

عبر عملية التّنشئة الاجتماعية يتعلّم الأفراد الأدوار الاجتماعية، وهي توقّعات المعرفة اجتماعيًّا الّتي يتوقّع أن يحقّقها الفرد في أوضاع اجتماعية محدّدة. (أنتوني غدنز،89:2005).

**التّعريف الإجرائي:**

الأدوار الاجتماعية، هي ما يتوقّع أن يقوم به الفرد وفقًا لموقعه في المجتمع، مثل دور الزّوج ودور الزّوجة.

**3/ الطلاق:**  لغة ضد التقييد وشرعا حل قيد النكاح أو بعضه. وقولنا "حل عقد النكاح" إذا كان الطلاق بائنا. وقولنا "أو بعضه" إذا كان الطلاق رجعيا( بن عثيمين، 53:2006).

**2/ الإطار النّظريّ**

**2/1 مقدّمة:**

يعرض هذا الجزء الإطار النّظريّ للدّراسة، ويشمل نظريتين هما: نظرية الدّور، ونظرية الاختيار العقلاني. ولا يحتوى الإطار النّظري على دراسات سابقة؛ لأنّ هذه الدّراسات ستناقش في الجزء الخامس من الدّراسة.

**2/2 نظرية الدّور:**

تفترض نظرية الدّور أنّ السلوك البشري موجّه إلى التوقّعات الّتي يحملها الفرد والبشر الآخرين، وتقابل التوقّعات مختلف الأدوار التي يؤدّيها الأفراد في حياتهم اليومية، مثل السكرتير، الأب، أو الصديق، على سبيل المثال: يحمّل أكثر النّاس أفكارًا قبليةً عن التوقّعات على دور السّكرتير، الّذي قد يتضمّن: إجابة على الاتّصالات الهاتفية، وإدارة المواعيد، وتسجيل العمل الكتابيّ، وطباعة مذكّرات... إلخ. فتوقّعات الدّور هذه لن تُتَوقَّع من لاعب كرة قدمٍ محترف مثلاً.

يحتلّ الأفراد عمومًا العديد من الأدوار، وتلك الأدوار تشتمل على مجموعة من القواعد أو المعايير الّتي تعمل كخطط، أو مخطّطات لتوجيه السّلوك، وتحدِّدُ الأهْدافَ الّتي يجب أن تتّبع، والمهام الّتي يجب أن تنجز، ونوعية الأداء المطلوبة في كلّ سيناريو أو حالة معينة.

وترى نظرية الدّور أنّ نسبة كبيرة من السّلوك الاجتماعي اليوميّ الملاحظ هو - ببساطة - عبارة عن أشخاص ينفّذون أدوارهم، مَثَلُهم مَثَلُ الممثَّلين في المسرح أو اللّاعبين في الميدان.

ونظرية الدّور هي في الحقيقة نظرية تنبّئيّة، وهذا يشير - ضمنًا - إلى أنّه إذا توفّرت لدينا معلومات حول توقّعات الدّور المحدّد مسبقًا (ومثال على ذلك: أخت، رجل إطفاء) فإنّ جزءً مهمًّا من سلوك الأشخاص الّذين يحتلّون ذلك الموقع يمكن أن يتوقّع.

وأكثر من ذلك، ترى نظرية الدّور أنّه لكي يتغيّر سلوك ما، من الضّروريّ تغيير الأدوار، وتقابل الأدوار أنماطًا من السّلوك والعكس بالعكس، بالإضافة إلى أثره على السّلوك، حيث يؤثّر الدّور - بشدّة - على الاعتقادات والمواقف، كما يؤثّر على الأفراد فيغيّرون اعتقاداتهم ومواقفهم للانسجام مع أدوارهم، فمثالًا: شخص ما تمّ تخطّيه في ترقية إلى موقع إداريّ في شركة، وهذا قد يغيّر اعتقاداته حول منافع الإدارة؛ بإقناع نفسه بأنّه لا يرغب في المسؤولية الإضافية التي ترافق ذلك الموقع.

كما يرى العديد من منظري نظرية الدّور أنّها إحدى النّظريّات الأكثر أهمية؛ لأنّها تقوم بعملية تجسير ما بين السّلوك الفردي والبناء الاجتماعيّ، إذِ الأدوار هي التي - جزئيًّا - فرضت بالبناء الاجتماعي، وجزئيًّا بالتّفاعلات الاجتماعية الّتي توجّه سلوك الفرد. وفي المقابل، فإنّ الفرد يؤثّر على المعايير، والتوقّعات، وأنماط السلوك المرتبطة بالدّور.

**فرضيات نظرية الدّور:**

تتضمّن نظرية الدّور الفرضيات التّالية:

1 - يصرف النّاس معظم حياتهم كأعضاء مشاركين في مجموعات ومنظّمات.

2 - يحتلّ النّاس مواقع متميّزة ضمن هذه المجموعات.

3 - كلّ هذه المواقع تستلزم أدورًا وهي مجموعة من الوظائف الّتي يؤديها الشّخص للمجموعة.

4 - تشكّل المجموعات توقّعات الدّور في أغلب الأحيان كمعايير، أو تصنّفها كقواعد تتضمّن الثّواب الّذي سينتج متى أُدِّيَتِ الأدوار بنجاح، أو العقوباتِ الّتي ستنتج متى لم تُؤَدَّ الأدوار بنجاح.

5 - يقوم الأفراد بأدوارهم عادة وفقًا للمعايير السّائدة. بمعني آخر، تفترض نظرية الدّور أنّ النّاس ممتثلون يحاولون الالتزام بالمعايير الّتي ترافق أدوارهم.

6 - يدقّق أعضاء المجموعة أداء كلّ فرد لتحديد ما إذا كان يتوافق مع المعايير أم لا، ويُتَوقَّع أن يُطَبَّق على الآخرين العقوبات الّتي تضمن أداء الدّور.

**تطور النظرية:**

نظرية الدّور نظرية مثمرة ومفيدة لفهم البشر والمجتمع، ونتيجة لذلك، لقد شَهِدَتِ العديدَ من الاشتقاقات المختلفة والمفاهيم الإضافية، ومن ذلك مثلاً:

* **عدم وضوح الدّور:** هو حالة يعاني منها الفرد مشكلة تحديد الدّور الّذي يجب أن يقوم به.
* **صراع الدّور:** وهذا ينتج عندما يصادف الفرد التوتّرات نتيجة للأدوار غير المتوافقة.
* **إجهاد الدّور:** يشير إجهاد الدّور إلى الإحساس بالصّعوبة في إنجاز التزامات الدّور، مقارنة مع صراع الدّور، حيث إنّ التّوتّر يكون بين دورَيْن متنافسَيْن، أمّا التوتّر في إجهاد الدّور فإنّه يجيء من دور واحد فقط.
* **الانفصال عن الدّور:** هو يعني إبداء الانفصال بين الفرد ودوره المفترض.
* **تقبّل الدّور:** يشير تقبل الدّور إلى التّبنّي الكامل للدّور، عندما يتقبّل الدّور حقًّا تختفي الذّات بالكامل في الدّور. ([*http*://en.wikibooks.org](http://en.wikibooks.org):2009 )

**2/3 نظرية الاختيار العقلاني:**

تسترشد نظرية الاختيار العقلاني بالافتراض الّذي يقول: إنّ البشر عقلانيّون، يبنون أفعالهم على ما يرون أنّه أكثر الوسائل فعالية لتحقيق أهدافهم. وفي عالم نادر الموارد فإنّ ذلك يعني الحساب المتواصل لخيارات الوسائل في مقابل خيارات الغايات، ثمّ الاختيار من بينها. ومن هنا جاء مصطلح **الاختيار** **العقلاني**، كما أنّ أفضل النّماذج النّظرية لمدخل الاختيار العقلاني في علم الاجتماع هي تلك الّتي ارتبطت بنظرية التّبادل الاجتماعيّ، ويرى منظرو التّبادل الاجتماعي أنّ التّفاعل الاجتماعي تبادل لسلع ملموسة وغير ملموسة، تبدأ من الغذاء والمسكن، وتمتدّ إلى القبول الاجتماعي والتّعاطف. ويختار النّاس المشاركة أو عدم المشاركة في التّبادل بعد أن يدرسوا تكلفة خيارات الأفعال ومكافأتها، فيختارون الأكثر جاذبية. Ruth A. Wallace and Alison Wolf,1995: 279) )*.*

والفكرة الأساسية في نظرية الاختيار العقلاني ( Rational Choice Theory) هي أنّ أنماط السّلوك في المجتمع تعكس الاختيارات الّتي يقوم بها الأفراد في سعيهم لزيادة المنفعة والفائدة وتقليص الخسائر والتكلفة. بمعني آخر يتّخذ الناس قراراتهم حول أفعالهم بمقارنة تكلفة وفائدة أنواع مختلفة من خيارات الفعل. نتيجة لذلك، تنمو أنماط السّلوك داخل المجتمع نتيجة لتلك الاختيارات. ويري James S. Coleman أنّ نظرية الاختيار العقلاني تركز على الفاعلين الّذين ينظر إليهم على أنّ لهم مقاصد محدّدة، وأنّ أفعالهم تهدف إلى تحقيق أهداف وغايات معينة ضمن خيارات محدّدة.

وتهتمّ هذه النّظرية بحقيقة أنّ الفاعلين يقومون بأفعالهم؛ لتحقيق أهداف تنسجم مع التسلسل الهرمي لخياراتهم، كما أنّ الفاعلين يسعون لتحقيق أكبر قدر من المنافع والفوائد، إضافة إلى ما تقدّم ثمّة قضيّتان تكتسبان أهمية خاصّة في نظرية الاختيار العقلاني، أُ**ولَاهما** تتعلق بآلية التّجميع، حيث إنّ مجموعة من الأفعال الفردية تتّحد؛ لتكون منتجًا اجتماعيًّا. **والثّانية** هي أهمية المعلومات في مسالة اتّخاذ الخيارات العقلانية، فقد أصبح من المسلّم به أنّ كمية المعلومات المتاحة ونوعيتها على درجة عاليّة من التّغيّر، وأنّ هذا التّغيّر يمارس تأثيرًا عميقًا على خيارات الفاعلين. (167-168 :2003 Ritzer, Gorge,). كما يرىElster أنّ التفسير الاختياري العقلاني الكاف للفعل يكون بناءه كما يلي:

* يجب أن يوضح أنّ الفعل هو الوسيلة الوحيدة والأمثل لتحقيق رغبات الفاعل بافتراض المعتقدات الوحيدة، والأمثل بالنسبة للدّليل الوحيد الأمثل المتوفّر له..( Elster,Jon,1985:71)

**3/ الإطار المنهجي**

**3/1 مقدمة:**

يعرض هذا الجزء نوع الدراسة ومنهجها وعينتها ، وعملية جمع البيانات.

**3/2 نوع الدّراسة:**

تنتمي هذه الدّراسة إلى الدّراسات الوصفية التّحليلية من حيث إنّها تقوم بتحليل عدد من دراسات الطّلاق في المجتمع السّعوديّ.

**3/3 منهج الدّراسة:**

تستخدم هذه الدّراسة منهج تحليل المضمون، حيث تقوم بتحليل مضمون أهمّ دراسات الطلاق الّتي أجريت في المجتمع السّعوديّ؛ للتعرّف على النّظريات الّتي استخدمتها، وأهمّ النتائج التي توصّلت إليها تلك الدّراسات.

**3/4 عينة الدّراسة:**

اختارت الدّراسة عدد (9) دراسات أُجْرِيَتْ على الطّلاق في المجتمع السّعوديّ، في الفترة من 1407هـ إلى 1429هـ، وقامت بتحليل مضمونها للتعرّف علي النّظريات الاجتماعية التي استخدمتها والنّتائج الّتي توصّلت إليها.

**3/5 جمع البيانات:**

اعتمدت هذه الدّراسة على العمل المكتبي لجمع بياناتها، حيث استخدم الباحث فهارس المكتبات السّعوديّة الأساسية - مثل مكتبة الملك عبد العزيز، ومكتبة الملك فهد، ومكتبة الملك سلمان بجامعة الملك سعود؛ لتحديد واختيار دراسات الطّلاق الّتي تتوافق مع أهداف الدّراسة.

4**/ الدّراسات الّتي تناولت الطّلاق في المجتمع السّعوديّ**

**4/1 مقدّمة:**

يسعي هذا الجزء إلى استعراض موجز لعدد من الدّراسات الّتي تناولت موضوع الطّلاق في المجتمع السّعوديّ. وبما أنه ليس من الممكن عمليًّا استعراض كلّ دراسات الطّلاق في ذلك المجتمع في هذا الحيز، فإنّ البحث سيركز على أهمّ الدّراسات وأحدثها، وبخاصة تلك الّتي تناولتْ أسباب الطّلاق، فيركز على استعراض - بشكل خاصّ - الإطار النّظري للدّراسة، بالإضافة إلى تفسير الدّراسة المستعرضة لظاهرة الطّلاق في المجتمع السّعودي؛ لكي نتمكن من تحديد وتقييم الأطر النّظرية الّتي اسْتُخْدِمَتْ في دراسة الطّلاق، ومدى ملائمتها والنّجاحات والإخفاقات الّتي لازمتها.

**4/2 أهمّ الدراسات الّتي تناولت موضوع الطّلاق:**

**4/2/1 دراسة نورة عبد الله الهزاني، العوامل المؤدية للطّلاق في الأسرة السّعودية المعاصرة، 1407هـ/ 1986م.**

أوضحت الباحثة أنّ بحثها يهدف إلى دراسة ظاهرة الطّلاق في المجتمع العربيّ السّعوديّ، كما يهدف لتحليل العوامل المؤدّية إلى الطّلاق في الأسرة السّعوديّة المعاصرة، مستخدمة بيانات وثيقة محكمة الضّمان والأنكحة، وبيانات الدّراسة التكميلية الّتي أجرتها الباحثة على عينة من حالات الطّلاق الّتي نظرت في محكمة الضّمان والأنكحة بمدينة الرّياض (الهزاني، 1407هـ/1986م:137)

ويلاحظ أنّ هذه الدّراسة لم تستخدم إطاراً نظريًّا يستند على إحدى النّظريات المعروفة في علم الاجتماع. وفي الفقرة الرّابعة من الفصل الّذي أسمته الإطار النّظري أوردتْ بعض الأدبيّات العامّة عن الأسرة ونمط العائلة "الباترياركية" (الهزاني، 1407هـ/1986م:44). ثمّ أضافت أنّ من رأيها أنّ قضية الطّلاق قضية مجتمعية وتتطلّب فهمًا واضحًا لعواملها الاجتماعية والاقتصادية والنفسية والحضارية، الّتي نتجت على أثرها الصراعات في المجتمع المعاصر نتيجة حدوث تحوّلات في العمليات التّحديثية (الهزاني، 1407هـ/1986م:45).

وقد أوردت الباحثة أسباب الطّلاق مرتبة حسب الأهمية على النّحو الآتي:

1/ عدم التّوافق الطّبيعيّ والنّفور، وعدم تلاؤم الطّباع.2/ سوء سلوك الزّوجة، وسوء عشرتها، وعدم طاعة أمر زوجها.3/ مشاكل خاصّة لم يفصح عنها المبحوث، وتشمل المرض ومشاكل شخصية، كما تشمل المعاشرة الزّواجية.4/ تدخّل الأهل5/ عدم الإنجاب. (الهزاني، 1407هـ/1986م:126).

**4/2/2 دراسة ثروت شلبي، الطّلاق والتّغيّر الاجتماعي في المجتمع السّعوديّ: دراسة ميدانية في مدينة جدّة، 1408هـ/ 1988م.**

على الرّغم من أنّ هذه الدّراسة تعتبر من الدّراسات الرّائدة عن الطّلاق في المملكة العربية السّعودية، إلّا أنّها تعاني من نقص جوهريّ أساسيّ، وهو أنّها لم تحدّد أيّ إطار نظريّ لدراسة الطّلاق، وكلّ ما قامتْ به الباحثة في هذا الاتّجاه هو استعراض بعض الأدبيات والنّظريات الّتي سعَتْ إلى تفسير عملية التّغيّر الاجتماعي. (شلبي، 1408هـ، 1988م: 27-33)، بالإضافة إلى أنّها لم تتبنّ في هذه الأدبيات والنّظريات أيّةً منها لدراسة موضوع التّغيّر، ناهيك عن موضوع الطّلاق.

يمكن لقارئ تلك الدّراسة أن يستشف أنّ الباحثة ترى أن تعليم المرأة واشتغالها وتبنِّيها بعض القيم والمفهومات الجديدة، هي الأسباب وراء انتشار ظاهرة الطّلاق، ولم تستطع أن تضع هذه العوامل في قالب نظريّ واضحٍ ومحدّدٍ يفسّر هذه الظّاهرة.

فنعتقد أنّ هذا القصور راجع إلى عدم الوضوح النّظريّ لدى الباحثة النّاجم من عدم تبنّيها إطارًا نظريًّا يستند إلى إحدى النّظريات الاجتماعية المعروفة.

**5/2/3 دراسة عبد الله عبد الرّحمن الفيصل: بعض خصائص المطلّقين الاجتماعية في إحدى محاكم الطّلاق في المملكة العربية السعودية،1411هـ/1991م:**

هدفت هذه الدّراسة إلى تحليل بعض الخصائص الاجتماعية والاقتصادية والديموغرافية المستخرجة من السّجلات لـ 142 حالةَ طلاقٍ في إحدى محاكم الرّياض. (الفيصل، 1411هـ/ 1991م: 189).

وعن أسباب الطّلاق فقد بيّنت السّجلات 24 سبَبًا للطّلاق، كما تبيّن أنّ "عدم التّوافق" بين الزّوجين أكثر الأسباب ذِكْرًا كسبب الطّلاق، يليه تدخّل الأهل في شئون الزّوجَيْن كسبب يحتلّ المقام الثّاني للطّلاق. وإضافة إلى ما سبق، فقد أوضحَتْ الدّراسة أنّ 70٪ من المطلّقين والمطلّقات لم تربطهم صلة قرابة قبل الزّواج (الفيصل، 1411هـ/ 1991م: 189- 190).

ومن الواضح أنّ نتائج هذه الدّراسة تشير إلى أنّ غالبية المطلّقين من الّذين تزوّجوا زواجًا خارجيًّا، كما أنّ النّتيجة الخاصّة بالمستوى التّعليميّ للمطلّقات والمطلّقين تثير التّساؤلات حول ما يراه عدد من الباحثين في أنّ انتشار التّعليم أحد أسباب انتشار الطّلاق في المجتمع.

وقد استخدم الباحث ثلاث أطروحات نظريّة كإطار نظريّ لدراسته، وهي: منظور القدوة، منظور تماسك الأسرة، والمنظور البنائي.

**5/2/4 دراسة سلوى عبد الحميد أحمد الخطيب: الطّلاق وأسبابه من وجهة نظر الرّجل السّعوديّ: دراسة تحليلية لأحد ملفات الضّمان والأنكحة في مدينة الرّياض، 1413هـ/1993م:**

سعت هذه الدّراسة إلى إلقاء الضّوء على ظاهرة الطّلاق في المجتمع السّعوديّ، وعلاقته بالنّظم الاقتصادية والسّياسية والدّينية والتّعليمية والقرابية السّائدة، كما هدفت إلى الكشف عن أهمّ العوامل الاجتماعية المؤدّية إليه من وجهة نظر الرّجل السّعوديّ. وقد اعتمدَتِ الباحثة في دراستها على تحليل بيانات 24 حالةَ طلاقٍ وردت إلى محكمة الضّمان والأنكحة في الرّياض عام 1406هـ، وأهمّ التّساؤلات الّتي طرحتها الدّراسة: ما أهمّ المتغيّرات البنائية الّتي ترتبط بظاهرة الطّلاق في المملكة؟ وما أهمّ أسباب الطّلاق من وجهة نظر الرّجل السّعوديّ؟ (الخطيب،1423هـ/ 1993م: 208-209).

استخدمَتِ الباحثة النّظرية الوظيفية والنّظرية البنائية الوظيفية كإطار نظريّ للدّراسة، حيث أوردَتْ أنّ أنصار النّظرية الوظيفية يرون أنّ لكلّ فرْدٍ من أفراد المجتمع مجموعةً من الاحتياجات الغريزية والثقافية. ويحاول كلّ مجتمع إشباع هذه الحاجات عن طريق النّظم الاجتماعية المختلفة السّائدة في المجتمع، وأنّ استمرار أيّ نظام مرهون بالوظائف الّتي يؤدّيها لإشباع هذه الحاجات، وإذا ما فقد هذا الجزء وظيفته فقد وجوده. وأضافت، إذا ما طبقنا هذه النّظرية على ظاهرة الطّلاق في المجتمع السّعوديّ نجد أنّ الطلاق هو النّتيجة الطبيعيّة لزواج عجز عن تحقيق أهدافه ووظائفه، فالفرد منّا عادة ما يدخل المؤسسة الزّواجية ولديه مجموعة من الاحتياجات، فإذا ما عجز الزّواج عن تحقيق بعض هذه الاحتياجات الّتي وجد من أجلها، قرّر أحد الطّرفين أو كلاهما إنهاء الزّواج. (الخطيب،1423هـ/ 1993م: 214-215).

وأخيرًا، قامَتِ الباحثة بشرح أسباب الطّلاق من وجهة نظر الرّجل السّعوديّ، وهي: اختلاف الطّباع، والنّفور الطّبيعي، وتدخل الأهل، وسوء عشرة الزّوجة، وبناء على طلب الزّوجة، واختلاف جنسية الزّوجة، وفارق السّنّ بين الزّوجين، وعدم الإنجاب، ومرض أحد الزّوجين، والزّواج من أخرى، وعمل الزّوجة، والعامل الجنسيّ. (الخطيب،1423هـ/ 1993م: 232-241 ).

**4/2/5 دراسة سليمان بن عبد الله العقيل، ظاهرة الطّلاق في المجتمع السّعوديّ، 1426هـ/2005م:**

أعدّت هذه الدّراسة بتكليف من وزارة الشّؤون الاجتماعية، وهدفت إلى عدّة أهداف، منها:

1/ التّعرّف على حجم ظاهرة الطّلاق في المجتمع السّعوديّ.

2/ معرفة الأسباب الّتي تؤدّي إلى الطّلاق من كلا الطّرفين ( الزّوج والزّوجة).

استخدمت الدّراسة مناهج كمية (المسح الاجتماعي، الدّراسة الإحصائية)، ومناهج كيفية (دراسة الحالة والمقابلات المتعمّقة) لجمع بيانات الدّراسة عن طريق العينة من مجتمع البحث المكوّن من ثلاثة قطاعات، وهي: الإجرائيون (القضاة)، والمتردّدون (طالبو الطّلاق)، وأفراد من المجتمع السّعوديّ ( موجّهون في إدارات الإشراف التّربويّ) (العقيل، 1426هـ:95-96).

توصّلت الدّراسة إلى عدد من النّتائج المهمّة حول موضوع الطّلاق في المجتمع السّعوديّ، منها:

1/ يعود الطّلاق لأسباب عديدة، منها: الأسباب الاجتماعية والاقتصادية والديموغرافية والثقافية وغيرها. وقد أوضحت الدّراسة الحالية أنّ نحو 61٪ من المطلّقات والمطلّقين يرون أنّ تدخّل أهل الزّوجة كان سبَبًا في إنهاء الحياة الزّوجية، ويأتي في المرتبة الثّانية عدم الالتزام الدّينيّ والأخلاقي، من دوافع الطّلاق 55,8٪، ويلي ذلك عدم التّكافؤ الاجتماعي 51,1٪، وعدم التّكافؤ الثّقافي 48,9٪، ويعكس ارتفاع هذه الأسباب سوء الاختيار لدى طرفي الزّواج، فما زال اختيار الزّوجة في المجتمع العربيّ السّعوديّ يتم بطرق تقليدية، كالخاطبة، أو الأهل، وليس بمحض إرادة طرفي الزّواج.

2/ أوضحت نتائج الدّراسة أنّ نحو ثلث أفراد العينة يعتقدون أنّ عمل الزّوجة ومواصلة تعليمها يعدّ من الأسباب الّتي تؤدّي إلى إنهاء الحياة الزّوجية، ويرى بعض المطلّقين أنّ العمل يعطي المرأة استقلالًا ماديًّا عن زوجها. (العقيل، 1426هـ:95-96).

عرضت الدّراسة النّظرية الوظيفية كنظرية مفسّرة بنفس الطريقة الّتي عرضتها بها سَلْوَى الخَطِيب في دراستها عن أسباب الطّلاق من وجهة نظر الرّجل السّعوديّ، الّتي عرضناها آنِفًا (العقيل،1426هـ:42-44).

لذلك؛ نعيد هنا ماذكرناه سابقاً، أنّ النّظرية الوظيفية لا تصلح لتحليل الحالات الفردية، أو البُنَى الاجتماعية الصّغرى، وأنّ خروج فرد، أو أفراد من نظام اجتماعيّ ما، أو عدم الدّخول فيه، من الأساس، ولا يعني نهايةَ ذلك النّظام، أو توقّفه عن الوجود.

وحدّدت الدّراسة نظرية التّبادل الاجتماعي كنظرية ثانية مفسّرة. وقدم الباحث تلخيصًا جيّدًا لبعض جوانب هذه النّظرية (العقيل، 1426هـ:44-45)، ثمّ عَرَضَ كيفيةَ تفسير هذه النّظرية لظاهرة الطّلاق في أنّ الطّلاق يقدّم حلولًا لكثير من النّاس، وأنّ الطّرف المتضرّر ( الزّوج، أو الزّوجة) يطرح البدائل وموازنة الأمور، وعرض السّلبيات والإيجابيات للطلاق والحياة المعاشة لهذا الطّرف، كما عرض السّلبيات والإيجابيات والرّؤية للحياة الّتي يسعى إليها كلاهما بعد الانفصال، ومن ثمّ السّعي لإيقاع الطّلاق بعد القناعة بإيجابياته (العقيل، 1426هـ:46).

وهنا نودّ الإشارة إلى أنّ الباحث لم يضمّن عرضه لنظرية التّبادل الاجتماعي التّطوّراتِ النّظريةَ اللّاحقةَ والمهمّةَ، في هذه النّظرية الّتي أدّت إلى ظهور نظرية جديدة عُرِفَتْ بنظرية الاختيار العقلانيّ Rational Choice Theory الّتي حقّقت نجاحات مهمّة في دراسة قضايا الزّواج والطّلاق وغيرهما من القضايا الاجتماعية، كما سنبين لاحقاً.

والنّظرية الثّالثة الّتي حدّدتها الدّراسة كنظرية مفسّرة، هي نظرية الدّور، حيث أورد الباحث أنّ نظرية الدّور تنطلق من فكرة أنّ المجتمع عبارة عن مجموعة مراكز اجتماعيةٍ مترابطةٍ ومتضمنةٍ أدوارًا اجتماعيّةً يمارسها الأفراد الّذين يشغلون هذه الأدوار. وتستند إلى مفهوم التوقّعات المتّصلة بهذه المراكز الاجتماعية في أنواع مختلفة من التّوقّعات الّتي تحدّد تصرّفات الأفراد، وتتّصل ببعضها لتكون شبكة من العلاقات الاجتماعية داخل المجتمع. (العقيل، 1426هـ:46). ويرى الباحث أنّ بعض حالات الطّلاق يمكن أن تفسّر في إطار التّناقض بين توقّعات الفرد وتوقّعات المجتمع. (العقيل، 1426هـ:48).

وهنا أيضًا نجد أنّ الباحث قدّم عرضًا غيرَ مكتمل لنظرية الدّور، ولم يورد العديد من المفاهيم المهمّة الّتي تتعلّق بدور أو أدوار الفرد في المجتمع. والدّور المعني به هنا هو دور الفرد وكيفية أدائه، وليس دور التّوقّعات وكيفية تأثيرها.

ونلاحظ كذلك أنّ الباحث لم يوضّح كيف استخدم هذه النّظريات لتفسير البيانات الميدانية للدّراسة، بمعنى أنّه لم يوضّح لنا حالات الطّلاق الّتي يمكن تفسيرها وِفْقًا للنّظريّة الوظيفية، أو نظرية التّبادل الاجتماعيّ، أو نظرية الدّور. كما أنّه لم يربط بين نتائج الدّراسة وإطارها النّظري.

4**/2/6 دراسة آمال عبد الله الفريح: التكيّف الشّخصيّ والاجتماعي ّوالأسريّ والاقتصاديّ للمرأة السّعودية المطلّقة، 1427هـ/2006م:**

هدفت هذه الدّراسة إلى تقصّي مدى تكيّف المرأة السّعودية المطلّقة شخصيًّا واجتماعيًّا وأسريًّا واقتصاديًّا في مرحلة الطّلاق، وأثر بعض المتغيّرات الأخرى على تكيّفها. ( الفريح،1427هـ/ 2006م: 14).

وعلى الرّغم من أنّ هذه الدراسة تناولتْ مرحلة ما بعد الطّلاق، إلّا أنّنا ضمناها في هذا الاستعراض؛ لأنّها تناولتْ في جانب منها أسباب الطّلاق.

وقد استخدمت الباحثة منهج البحث الاجتماعي بالمعاينة كمنهج رئيس. ( الفريح،1427هـ/ 2006م: 77).

وفي الإطار النّظريّ عرضت الباحثة ثلاث نظريات كنظريات مفسّرة لظاهرة الطّلاق والتّكيّف معه، وهي: النّظرية التّبادلية، ونظرية الدّور، ونظرية الأزمة. ( الفريح،1427هـ/ 2006م: 19-20). توصّلت الدّراسة إلى عدد من النّتائج المهمّة حول أسباب الطّلاق حيث أنّ المطلّقات أرجَعْنَ أهمّ أسباب الطّلاق إلى اختلاف وجهات النّظر بين الزّوجين، وعدم التّفاهم والاتّفاق، إضافة إلى التدخّل من قبل أهل الزّوجين في حياتهما الأسرية، كما كان هنالك سببٌ آخر ملفّت النّظر، وهو عدم احترام الزّوج للزّوجة وسوء معاملته لها. (الفريح،1427هـ/ 2006م: 287-289).

وسبق أنْ أشرنا إلى أنّ هذه الدّراسة استخدمت النّظرية التّبادلية، ونظرية الدّور، ونظرية الأزمة، كنظريات مفسّرة لأسباب الطّلاق والتّكيّف معه، فبالنّسبة للنّظرية التبادلية ترى الباحثة أنّ مبدأ التّبادلية قد اسْتُخْدِمَ بطرق مختلفة لتفسير أسباب الطّلاق على المستوي الفردي، وقد أُضِيف إليه مفهوم البدائل والخيارات الّتي تفيد بأنّ الفرد يوازن بين الخسارة والرّبح، وهذه المقارنة أو الموازنة تؤدّي إلى الاختيار (الفريح،1427هـ/ 2006م: 287-289). لذلك، فربّما كان هذا أفضل عرض وتطبيق لنظرية التّبادل الاجتماعيّ من بين الدّراسات الّتي عرضناها، والّتي استخدمت هذه النّظرية. حيث يتجلّى ذلك - مثلًا - في النّتيجة الّتي أشارت إليها الدّراسة، والّتي أوضحت أنّ أكثر من نصف العينة كانت الطّرف المبادر بطلب الطّلاق أي اختياره. هذا، على الرّغم من أنّ الباحثة لم تضمن عرضها نظرية التّبادل الاجتماعي وتطبيقها إيّاها التّطوراتِ النّظريةَ اللّاحقة، وتحديدًا نظرية الاختيار العقلانيّ.

أمّا بالنسبة لنظرية الدّور فقد قدّمت الباحثة تلخيصًا جيِّداً لها، على الرّغم من أنها لم يضمّن العديد من المفاهيم الحديثة في هذه النّظرية، الّتي نعتقد أنّها مفيدة جدًّا في دراسة تكيّف المطلّقة مع دورها الجديد، أي دور المطلّقة، كما سنرى ذلك لاحقاً.

4**/2/7 دراسة صالح بن محمد الصّغير: التّوافق الزّواجي في المجتمع السّعوديّ، 1428هـ/2007م.**

أعدّت هذه الدّراسة بتكليف من وزارة الشّئون الاجتماعية، وهدفت إلى عدّة أهداف منها الكشف عن أنماط التّوافق الزّواجي ومشكلاته الأكثر شيوعًا في المجتمع السّعوديّ، ومحدّداته، وتحليل إبعاده، وعناصره المشتقّة من الخلفية الثّقافية للمجتمع السّعوديّ. (الصغير، 1428هـ: 13).

وعلى الرّغم من أنّ هذه الدّراسة ليست عن الطّلاق إلّا أنّنا ضمناها في هذا العرض نسبة لارتباط التوافق الزّواجي بظاهرة الطّلاق، حيث إنّ تحقّق التّوافق الزّواجي يقلّل من معدّلات الطّلاق في المجتمع.

وقد عرّفت الدّراسة التّوافق الزّواجي بأنّه يعني قيام الزّوجين بوظائفهما، ونجاحهما في القيام بهذه الوظائف، وهو يتضمّن الرّضا عن الزّواج والسّعادة الزّوجية. (الصغير، 1428هـ: 31).

وهذه الدّراسة دراسة وصفية تحليلية، تستخدم منهج المسح الاجتماعي بالعينة (الصغير، 1428هـ: 62)، وتمّ اختيار عينة الدّراسة من الأزواج والزّوجات المسجّلين في مراكز الرّعاية الصّحيّة الأوليّة في مدينة الرّياض، وبلغ حجم العينة 493 فرداً (الصّغير، 1428هـ: 72،76).

وقد توصّلت الدّراسة إلى عدد من النّتائج المهمّة حول التّوافق الزّواجي في المجتمع السّعوديّ منها:

1/ أشارت الدّراسة إلى أنّ التّشابه، أو الاختلاف في المستوى التّعليميّ بين الزّوجين لا يحدّد مستوى التّوافق الزّواجي لديهما.

2/ ثمة فروق جوهرية بين المتزوّجين من بيئتهم، والمتزوّجات من بيئة أخري، في التّوافق الزّواجي لصالح المتزوّجين من البيئة نفسها.

3/ أوضحت الدّراسة أنّ التوافق الزّواجي لدى الذّكور أكبر من التّوافق الزّواجي لدى الإناث.

4/ أشارت الدّراسة إلى أنّ التوافق الزّواجي يرتفع بزيادة فترة الخطبة.

5/ هناك دلالة إحصائية بين التّوافق الزّواجيّ ومدّة الزّواج، فكلّما طالَتْ مدّة الزّواج وَادَ التّوافق الزّواجي.

6/ أوضحت الدّراسة أنّ التّوافق الزّواجي يقلّ بزيادة عدد الأبناء.

7/ توجد علاقة ارتباطية ذات دلالة إحصائية بين التّوافق الزّواجي ودخل الأسرة، أي أنّه كلّما زاد الدّخل ارتفع التّوافق الزّواجي.

4**/2/8 دراسة سلوى عبد الحميد الخطيب: الطّلاق والتّغيّر الاجتماعي في المجتمع السّعوديّ،1429هـ/2008م:**

هدفت هذه الدّراسة إلى عدّة أهداف، هي :

1/ التّعرّف إلى أهمّ التّغيّرات الاجتماعية الّتي اجتاحت المجتمع السّعوديّ المعاصر.

2/ الكشف عن حجم ظاهرة الطّلاق في المجتمع السّعوديّ.

3/ الكشف عن أهمّ عوامل الطّلاق من وجهة نظر مجموعة من النّساء السّعوديّات المطلّقات ( الخطيب،1429هـ/2008م:14).

وبالنّسبة لمنهج الدّراسة فقد قامت الباحثة بدراسة ثلاثين حالة سيدة سعودية مطلّقة عن طريق المقابلة المتعمّقة والأسئلة المفتوحة ( الخطيب،1429هـ/2008م:14).

عرضت الباحثة عددًا من النّظريات الاجتماعية المفسّرة أسباب الطّلاق، هي: النّظرية الوظيفية، والنّظرية البنائية الوظيفية، والنّظرية التّفاعلية الرّمزية، والنّظرية التّبادلية. واختارت النّظرية التّبادلية كإطار نظريّ لدراستها ( الخطيب،1429هـ/2008م:-1514).

وبعد عرضها عدد تسعة حالاتٍ من المطلّقات، ومراحل الطّلاق من واقع الحالات، حدّدت الباحثة أهمّ أسباب الطّلاق من واقع نتائج الدّراسة فيما يلي:

1/ سوء الأخلاق 2/ اختلاف طباع الزّوجين 3/ تدخّل الأهل. 4/ ظهور أنواع من الزّواج مثل المسيار والمسفار 5/ الضّغوط الاقتصادية والمالية 6/ الجفاف العاطفي 7/ طريقة الزّواج 8/ الإدمان 9/ عدم التّأنّي في اتّخاذ قرار الزّواج 10/ الخيانة الزّوجية 11/ عدم القدرة على مواجهة المشكلات 12/ العامل الجنسيّ 13/ عدم الإنجاب (الخطيب،1429هـ/2008م: 32-36).

ومن إيجابيات هذه الدّراسة رغم صغر حجم عينتها، أنّها قدّمت بيانات حديثة عن أسباب الطّلاق من وجهة نظر المرأة المطلّقة، غير أنّ مثلها مثل الدّراسات السّابقة الّتي تعاني من القصور في الإطار النّظريّ. فقد اختارت الباحثة النّظرية التّبادلية كإطار نظريّ لدراستها، حيث أوردت أنّ النّظرية الأساسية لهذا البحث هي النّظرية التّبادلية الّتي ترى أنّ المرأة أو الرّجل عندما يتّخذ أحدهما قرار الطّلاق، فلا بدّ - أنّه أو أنّها - أن تصل المرحلة الّتي ترى أنّ خسائرها من هذه العلاقة الزّوجية الفاشلة تفوق المكاسب الّتي توفّرها لها قبل أن تتّخذ قرار الطّلاق ( الخطيب،1429هـ/2008م:17).

ونلاحظ أنّ الإطار النّظريّ لهذه الدّراسة هو النّظرية التبادلية، وقد سبق استخدامه في دراسة (العقيل، 1426هـ) الّتي استعرضناها سابقًا، واستخدام هذه الدراسة له أدّى إلى أن تنطبق عليها نفس جوانب القصور النّظري الّتي أشرنا إليها عند مناقشتنا دراسة العقيل، إذْ إنّ الباحثة لم تضمن عرضها نظرية التّبادل الاجتماعي (التي سمّتها النّظرية التّبادلية) التّطوّرات النّظرية اللّاحقة والمهمّة في هذه النّظرية الّتي أدّت إلى ظهور نظرية الاختيار العقلاني Rational Choice Theory والتي حقّقت نجاحات مهمّة في دراسة قضايا الزّواج والطّلاق وغيرهما من القضايا الاجتماعية، كما سنبيّن ذلك لاحقًا.

**4/2/9 دراسة خالد بن عمر الرّديعان، طلاق ما قبل الزّفاف: أسبابه وسمات المطلّقين،1429هـ/2008م.**

تتميّز هذه الدّراسة بأهمية خاصّة، حيث إنّها تناولت موضوع الطّلاق في المجتمع السّعوديّ من زاوية مختلفة عن كلّ الدّراسات الّتي عرضناها حتّى الآن، إذْ إنّها درست الطّلاق قبل الزّفاف، أي قبل بداية الحياة الزّوجية.

انطلقت الدّراسة من عدد من التّساؤلات عن المقصود بطلاق ما قبل الزّفاف والأسباب الّتي تدفع بعض الشّباب الذّكور إلى الطّلاق قبل الزّفاف، وخصائص المطلّقين، والطّرق الّتي اتّبعها أفراد العينة في البحث عن شريكة (الرّديعان، 1429هـ:16).

وبالنّسبة للإطار النّظريّ، فقد عرّفت الدّراسة الطّلاق المبكّر بأنّه: "حدوث الطّلاق بشروطه المعروفة شرعًا عدا أنّه طلاق يقع قبل الزّفاف، أي قبل دخول الزّوج بالزّوجة" (الرّديعان، 1429هـ:19).

استخدمت الدّراسة النّظرية الوظيفية كإطار نظريّ، حيث يرى الباحث أنّ ارتفاع معدّلات الطّلاق لا بدّ أن يكون مؤشّراً إلى خلل وظيفيّdysfunction في النّسق العائليّ والتّنشئة الاجتماعية، أو بسبب خلل آخر في النّسق القيمي "موجهات الفعل" كما يشير إلى ذلك تالكوت بارسونز، وروبرت ميرتون، وغيرهما. وتعتقد نكي هارت (1976م) إنّ حدوث الطّلاق يمكن تفسيره وظيفيًّا، فهو يشير إلى تحوّلات عميقة في النّسق القيمي في المجتمع، وإنّ أيّ تحليل سوسيولوجيّ لظاهرة الطّلاق لا بدّ أن ينطلق بالدّراسة من ثلاثة متغيّرات تشير في المحصلة النّهائية إلى ما طرأ على نسق القيم الاجتماعية التّي هي : الزّواج كقيمة اجتماعية، والمشاحنات بين الزّوجين، وسهولة فصم عري العلاقة الزّوجية (الرّديعان، 1429هـ:27-29).

ومن حيث المنهج، تقع الدّراسة في نطاق الدّراسات الوصفية، من حيث تَسَلُّط الضّوء على عدد محدود من الحالات، ودراستها عن كثب بشكل مركّز. وكانت الحالات المدروسة 23 مطلّقًا من الذّكور الّذين تراوحت أعمارهم بين 24 - 32 سنة ممّن مرّوا بتجربة الطّلاق، ولم يتسنّ للباحث الحصول على عينة من الإناث (الرّديعان، 1429هـ:41).

أمّا عن أسباب الطّلاق المبكر فقد أظهرت الدّراسة عدّة أسباب نلخّصها فيما يأتي:

1/ تضارب رغبات الشّاب مع رغبات أسرته 2/ عدم معرفة الطّرفين بعضهما بشكل جيّد قبل عقد القران 3/ اختلاف توقّعات كلّ طرف، حيث تبيّن أنّ لدى كلّ طرف ( الشّاب والفتاة) تصوّرًا غير دقيق فيما يمكن أن يحصل عليه كلّ منهما من الطّرف الآخر 4/ بروز شروط من قبل إحدى الأسرتَيْن ما تمّ تجاهلها أو نسيانها عند كتابة عقد القران 5/ عدم تجانس الطّرفين فكريًّا وثقافيًّا وتباين آرائهم (الرّديعان، 1429هـ:78-84).

ونعتقد أنّ الوظيفية لا توفّر الإطار النّظريّ المناسب لهذه الدّراسة؛ لأنّها تستطيع تفسير نتائجها ولذلك ينطبق عليها ما ذكرناه سابقًا عند مناقشتنا دراسة الخطيب 1413هـ/1991م، ودراسة العقيل 1426هـ. ونضيف هنا أنّ النّظرية الأنسب لفهم اختلاف القيم بين الأجيال هي نظرية الصّراع الحديثة الّتي طوّرها رالف داهريندورف (1929- 2009م)، مع اعتقادنا أنّ أسباب الطّلاق المبكر التي أظهرتها هذه الدّراسة لا تندرج تحت إطار من اختلاف أو صراع القيم بين الأجيال، وإنّما يجب النّظر إليها من خلال أطر نظرية أُخْرَى تركّز على دور الزّوج والزّوجة ( نظرية الدّور) وعملية الاختيار للزّواج (نظرية الاختيار العقلاني).

وكما أشرنا سابقًا، أنّ أهمية هذه الدّراسة تكمن في أنّها أبرزت الأهمية القصوى في معرفة أطراف الزّواج بعضها بعضًا (الزّوج، والزّوجة، وأسرهما)، وهو ما توفّر هنا خلال فترة العقد، حيث مثّلت هذه الفترة - بالنّسبة إلى حالات الدّراسة - فترة التّعارف قبل بداية الحياة الزّوجية. وعلى الرّغم من تباين نوع التّعارف وعمقه بين أطراف الزّواج عامّة والأزواج خاصّة، إلّا أنّ هذا التّعارف أفضى إلى حقيقة مهمّة، وهي أنّ هذا الزّواج لا يمكن أن يستمرّ ليختار الطّرفَيْن أحدهما أو كلاهما الطّلاق المبكّر.

5**/ أطر نظرية بديلة لدراسة الطّلاق في المجتمع السّعوديّ**

**5/1 مقدّمة:**

يهدف هذا الجزء إلى عرض الأطر النّظرية البديلة المقترحة لدراسة الطّلاق في المجتمع السعودي، تلك الأطر التي تتمثل في نظرية الدّور، ونظرية الاختيار العقلانيّ. وفي الفصل السّابق عرضنا أهمّ الدّراسات الّتي تناولت الطّلاق في المجتمع السّعوديّ، حيث لاحظنا أنّ دراسة نورة الهذانى (1407هـ/ 1986م)، ودراسة ثروت شلبي (1408هـ/ 1988م)، لم تستخدما أطرًا نظريّة محدّدة. واستخدمت دراسة غيد الله الفيصل (1411هـ/ 1991م) منظورات القدوة والتّماسك الأسريّ والمنظور البنائيّ. كما استخدمت دراسة سلوى الخطيب (1413هـ/ 1993م) النّظرية الوظيفية والنّظرية البنائية الوظيفية. وكذلك دراسة العقيل (1426هـ) الّتي استخدمت النّظرية الوظيفية، ونظرية التّبادل الاجتماعي، ونظرية الدّور. و استخدمت دراسة آمال الفريح النّظرية التّبادلية، ونظرية الدّور، ونظرية الأزمة. واستخدمت دراسة سلوى الخطيب (1429هـ/ 2008م) أيضًا النّظرية التبادلية. أمّا دراسة الرّديعان (1429هـ) فقد استخدمت النّظرية الوظيفية.

ويلاحظ أنّ بعض هذه الدّراسات قد استخدمت نظرية الدّور كإطار نظريّ، لكن - كما أشرنا إلى ذلك سابقًا - لم تضمن أطرها النّظريّة التّطوّراتِ الحديثةَ في هذه النّظرية، وهو ما سنعمل على توضيحه في عرضنا نظريةَ الدّور كبديل مقترح لدراسة الطّلاق في المجتمع السّعوديّ.

أمّا الإطار النّظريّ الثّاني المقترح كبديل فهو نظرية الاختيار العقلانيّ، وكما يلاحظ أنّ أيّ من الدّراسات الّتي عرضناها لم تستخدم هذه النّظرية، سوى أنّ بعضها قد استخدم نظرية التّبادل الاجتماعي ّالّتي تعدّ إحدى الرّوافد المهمّة لنظرية الاختيار العقلانيّ.

وبعد عرض هاتين النّظريّتَيْن، سنحاول تطبيق كلّ منهما على ظاهرة الطّلاق في المجتمع السّعوديّ، وذلك بالنّظر في أسباب الطّلاق من واقع الدّراسات الّتي عرضناها هنا، ثمّ تصنيف هذه الأسباب لنرى أيًّا منها يمكن أن يفسّر بنظرية الدّور، وما يمكن أن يفسّر بنظرية الاختيار العقلانيّ.

**5/2 تطبيق نظرية الدّور على الطّلاق في المجتمع السّعوديّ:**

بعد أن عرضنا نظرية الدّور، نحاول فيما يأتي تطبيقها على أسباب الطّلاق في المجتمع السّعوديّ. وقد وجدنا أنّ حوالي سبعة وعشرين (27) سببًا - من حوالي واحد وأربعين (41) سببًا، وهو جملة الأسباب الّتي حدّدتها الدّراسات الّتي تناولت الطّلاق كأسباب الطّلاق، والّتي عرضناها في الفصل الثّالث - يمكن تفسيره من خلال ثلاثة مفاهيم أساسية لنظرية الدّور، وهي: عدم وضوح الدّور، صراع الدّور، وإجهاد الدّور، وذلك على النّحو الآتي:

**5/ 2/1 عدم وضوح الدّور:**

ويشمل أسبابًا تتعلّق بعدم وضوح الدور بالنسبة للزّوج أو الزّوجة، وعدم وضوح ما يجب أن يقوم به كلّ منهما، وتلك الأسباب هي:

عدم القدرة على مواجهة المشكلات، وعدم طاعة الزّوج،عدم اهتمام الزّوجة بشئون المنزل،

الخيانة الزّوجية، كثرة مطالب الزّوجة، عدم احترام الزّوج للزّوجة وسوء معاملته لها، سوء معاملة الزّوجة لزوجها، سوء سلوك الزّوجة وسوء عشرتها، اختلاف توقّعات كلّ طرف، حيث أنّ لدى كلّ طرف (الشّاب، والفتاة) تصوّرًا غير دقيق لما يمكن أن يحصل عليه كلّ منهما من الطّرف الآخر.

**5/ 2/ 2/ صراع الدّور:**

ويشمل أسبابًا تتعلّق بالصّراع بين دور الزّوج أو الزّوجة، ودور آخر، وتلك الأسباب هي:

* عمل الزّوجة - إصرار الزّوجة على مواصلة تعليمها - الزّواج من أخرى - تدخّل الأهل في شئون الزّوجَيْن، (يكون الصّراع هنا بين دور الزّوج ودور الابن، أو دور الزّوجة ودور الابنة)، - وجود أولاد للزّوج من زوجة سابقة - وجود أولاد للزّوجة من زوج سابق - تضارب رغبات الشّاب مع رغبات أسرته - بروز شروط عند إحدى الأسرتين تمّ تجاهلها، أو نسيانها عند كتابة عقد القران.

**5/ 2/**3 **إجهاد الدّور:**

ويشمل أسبابًا تعمل على إعاقة الزّوج أو الزّوجة من القيام بالالتزامات دورهما كاملة، وتلك الأسباب هي:

* عمل الزّوجة - مرض أحد الزّوجين - عدم الإنجاب - الزّواج من زوجة أخرى - عيب خفيّ في أحد الزّوجين - فارق السّنّ الكبير (حيث يكون الزّوج أكبر سنًّا من الزّوجة) - ضعف الإمكانيات المادية للزّوج - وجود أولاد للزّوج من زوجة سابقة - وجود أولاد للزّوجة من زوج سابق.

ونلاحظ أنّ بعض هذه الأسباب تندرج تحت أكثر من مفهوم، كما أنّ إمكانية التّداخل بين ثلاثة مفاهيم واردة، حيث يمكن عدم وضوح الدّور أن يؤدّي إلى صراع بين الأدوار، وهو كذلك يمكن أن ينتج إجهاد الدّور. ونشير أيضًا إلى أنّ نظرية الدّور وحدها لا تفسّر كلّ أسباب الطلّاق، أي أنّ هنالك أسبابًا عديدةً من أسباب الطّلاق في المجتمع السّعوديّ تتستدعي استخدام نظرية أخرى لتفسيرها.

**5/3 تطبيق نظرية الاختيار العقلاني على الطّلاق في المجتمع السّعوديّ:**

نحاول الآن تطبيق نظرية الاختيار العقلاني على الطّلاق في المجتمع السّعوديّ، ولكن لنقوم بذلك على الوجه الأمثل، لا بدّ لنا من الرّجوع إلى ما قبل الطّلاق، وما قبل الزّواج تحديدًا، وإلى قرار اختيار الزّواج؛ لنرى كيف يتمّ ذلك الاختيار، وما تأثيره على استمرار الزّواج.

لقد أشارت معظم الدّراسات التي تناولت الطّلاق في المجتمع السّعوديّ إلى أنّ العديد من أسباب الطّلاق يتعلّق بطريقة الاختيار. فمن هذه الأسباب:

- عدم رؤية الزّوجة بعد خطبتها - إكراه المرأة على الزّواج - عدم أخذ رأي الزّوجة - عدم التّوافق الطّبيعي والنّفور - عدم تلاؤم الطّباع - عدم التّكافؤ الاجتماعيّ - عدم التّكافؤ الثّقافي - اختلاف وجهات النّظر بين الزّوجين - عدم التّفاهم والاتّفاق - طريقة الزّواج - عدم التّأنّي في اتّخاذ قرار الزّواج - عدم معرفة الطّرفَيْن بعضهما بعضًا بشكلٍ جيّدٍ قبل عقد القران - عدم تجانس الطّرفَيْن فكريًّا وثقافيًّا - تباين آرائهما.

ومن أسباب الطلاق اعلآه، يتّضح أنّ الكثير من حالات اختيار الزّواج تمّت في غياب معلومات أساسيّة للطّرفَيْن عن بعضهما، وقد يصل غياب المعلومات هذا درجة عدم رؤية الأزواج بعضهما بعضًا، إلّا بعد الزّواج. فمثلًا يرى العقيل: أنّ وجود هذه الأسباب يعكس سوء الاختيار لدى طرفَي الزّواج، حيث لا يزال اختيار الزّوجة في المجتمع العربيّ السّعودي يتمّ بطرق تقليدية، كالخاطبة، أو الأهل، وليس بمحض إرادة طرفي الزّواج. (العقيل، 1426هـ:95-96). فطرق اختيار الزّواج بهذا النّحو يمكن اعتبارها طرقا غير عقلانية، إذا نظرنا إليها على ضوء الشّروط التي يرى إلستر Elster,Jon,1996:1392) ) ضرورة توفّرها حتى يوصف الفعل بأنّه عقلانيّ.

ويتم الاختيار للزواج في المجتمع السعودي في الكثير من الحالات بطرق وصفها العديد من الدّراسين بأنها ربما تكون قد تكون غير شرعيّة؛ بسبب عدم السّماح للخطّاب بالرّؤية الشّرعية الّتي أقرّها الدّين الإسلاميّ. لذلك بعد أن يتمّ الزّواج وينتقل الأزواج إلى بيت الزّوجة، ويبدأ بعضهم بالتّعرّف إلى بعض، يكتشف العديد منهم أنّهم غير متوافقين، وأنّ طباعهم غير متلائمة، وأنّ بينهم قدرًا كبيرًا من اختلاف وجهات النّظر، وعدم التّفاهم والاتّفاق.

فمثل هذه الحالات الزّواجية قد تنتج أو تتأثّر بأسباب الطّلاق المتعلّقة بعدم المقدرة على القيام بدور الزّوج أو الزّوجة على الوجه الأمثل، وقد عرضنا ذلك سابقًا عند مناقشتنا نظرية الدّور التي تشمل الأسباب الخاصّة بعدم وضوح وصراع الدّور، وإجهاده. وعليه فعندما تجتمع المشاكل النّاتجة عن طريقة الاختيار مع تلك النّاتجة عن عدم وضوح وصراع واجهاد دور الزّوج أو الزّوجة، يقلّ التّوافق الزّواجيّ، ويصبح الاستمرار في الحياة الزّوجية - للعديد من الأزواج - أمرًا مستحيلً، ويختار أحدهما أو كلاهما الطّلاق.

كما أشارت الدّراسات الّتي عرضناها سابقًا إلى أنّ هناك عواملَ عديدةً تساعد على اختيار الطّلاق في حالة ظهور المشاكل المتعلّقة باختيار الزّواج، أو القيام بدور الزّوج أو الزّوجة، من أهمّ هذه العوامل: الزّواج الخارجيّ (من غير الأقارب)، وعدم وجود أطفال، وعمل الزّوجة. فعندما تظهر في الحياة الزّوجية مشاكلُ طريقة الاختيار مصحوبة بمشاكل أداء الأدوار الزّواجية، مع وجود العوامل المساعدة يصبح الطّلاق اختيارًا عقلانيًّا لأحد الزّوجَيْن أو كلَيْهِما.

وربّما يكون أكثر اختيارات الطّلاق عقلانيّة هو الطّلاق المبكّر الّذي وصفتْه دراسة (الرّديعان، 1429هـ)، حيث وفّرت فترة عقد القران - بدون إكمال باقي إجراءات الزّواج - فرصة تعرّف الزّوجين بعضهما إلى بعض، واكتشافهما حقيقة أنّهما مختلفَيْن، وأنّ اختيار بعضهما بعضًا لم يكن صحيحًا، فيختاران الطّلاق المبكّر المبنيّ على قدرٍ كافٍ من المعلومات الّتي اتّضحت لبعضهما عن بعض.

ونشير هنا إلى أنّ الكثير من المجتمعات تتيح عملية التّعارف من غير عقد زواجٍ أثناء فترة الخطبة أو قبلها أحيانًا، وإذا ظهر لأطراف الزّواج اختلاف كبير يحدث الافتراق من غير طلاق لأنّ عقد الزّواج لم يكتب أصلًا.

ووصف الطّلاق بأنّه اختيار عقلانيّ يعني أنّ الطّلاق اختيار يقوم به الفرد في سعيه لزيادة المنفعة والفائدة وتقليص الخسائر والتّكلفة.

**6/ خاتمة**

هدف هذا البحث إلى دراسة وتقييم الأطر النّظرية المستخدمة في دراسة ظاهرة الطّلاق في المجتمع السّعودي. ورصد أهمّ التّغيّرات الّتي أثّرت على المجتمع السّعوديّ بعد اكتشاف النّفط. ووجد أنّ أهمّ هذه التّغيرات ذات العلاقة بالأسرة السّعودية، وبخاصّة فيما يتعلّق بمواضيع الزّواج والطّلاق الّتي تمثّلت في: انتشار تعليم الإناث - خروج المرأة للعمل - النّمو الحضري - توسّع الحضرية كطريقة للحياة - تأثير العولمة.

والمحصّلة النّهائية لهذه التّغيّرات هي أنّ هذه التّغيّرات خلقَتْ واقعًا اجتماعيًّا جديدًا يختلف كمًّا ونوعًا عمّا كان سائدًا قبله، كما أنّها أوجدَتْ إنسانًا جديدًا - وبلغة علم الاجتماع: فاعلًا جديدًا - يحمل من القيم الاجتماعية ما هي مختلف أيضًا كمًّا ونوعًا عن سابقيه. وأهمّ أنواع التّغيرات على المستوى الفردي هي: توسّع المعارف و المدارك، والاستقلال الاقتصاديّ، والإلمام بتجارب إنسانية من مجتمعات أخرى.

وقد أفضت هذه التّغيّرات إلى تغيّر مهمّ على مستوى القيم، وهو بداية التّحلّل من القيم الجماعية والاتّجاه نحو القيم الفردية. ويعني ذلك أنّ الفرد أو الفاعل أصبح أكثر اهتمامًا بمصالحه الفردية، وأنّ اختياراته تتحدّد إلى حدٍّ كبيرٍ بما يحقّق له زيادةَ المنفعة والفائدة، وتقليص الخسائر والتّكلفة.

وهذا التّغيّر لم يتمّ التّعامل معه كما ينبغي على المستوى النّظري في الغالبية العظمى من الدّراسات التي تناولت الطّلاق في المجتمع السّعوديّ. ويلاحظ هيمنة النّظرية الوظيفية ونسخ قديمة من نظرية الدّور ونظرية التّبادل كأطر نظرية للدّراسات الّتي عرضناها في هذا البحث. وكما بيّنّا سابقًا نعتقد أنّ النّظريّة الوظيفة بتركيزها على الوحدات الاجتماعية الكُبْرى، ومواقفها المحافظة تجاه دراسة التّغيّر الاجتماعيّ كلّها لا تمثّل إطارًا نظريًّا مناسبًا لدراسة الطّلاق في المجتمع السّعوديّ.

وبالنسبة للدّراسات الّتي استخدمت نظريتي التّبادل الاجتماعي والدّور، فقد استخدمت هذه الدّراسات نسخ قديمة من هذه النّظريات ،ولم تستصحب التّطوّرات اللّاحقة في هاتين النّظريتَيْن. لذلك نجد أنّ هذه الدّراسات على الرّغم ممّا توصّلت إليها من نتائج مهمّة عن أسباب الطّلاق في المجتمع السّعوديّ، إلّا أنّها فشلَتْ في تفسير تلك الأسباب تفسيرًا سليمًا يأخذ في الاعتبار التّغيّرات الّتي حدثت على المستويَيْن المجتمعيّ والفرديّ في المجتمع السّعوديّ. وقد أوضحنا ذلك عمليًّا عندما طبّقنا نظرية الدّور ونظرية الاختيار العقلانيّ على أسباب الطّلاق في ذلك المجتمع، حيث وجدنا أنّ معظمَ - إنْ لم يكن كل - أسباب الطّلاق في المجتمع الّسعوديّ يمكن تفسيرها بنظرية الدّور المطوّرة، ونظرية الاختيار العقلانيّ.

توصي هذه الدراسة بأن تقترح على الباحثين والدّارسين لموضوع الطّلاق محاولةَ الإفادة من هاتَيْن النّظريتَيْن كأطر نظرية لدراسة الطّلاق في المجتمع السّعوديّ، ذلك من أجل الخروج بمقترحات وتوصيات تساعد على فهم أفضل للطّلاق، وخفض معدّلاته المتصاعدة. كما توصي الجهات ذات الصلة الاهتمام بالمقبلين على الزواج وتزويدهم من خلال الدورات المتخصصة بمتطلبات دور الزوج ودور الزوجة.

**المراجع العربية**

1 - الخريف، رشود محمّد، "التّحضّر في المملكة العربيّة السّعوديّة"، مركز بحوث كليّة الآداب، رقم69، الرّياض، 1419هـ/ 1998م.

2 - الخطيب، سلوى عبد الحميد أحمد، "الطّلاق وأسبابه من وجهة نظر الرّجل السّعوديّ"، مجلّة جامعة الملك سعود، المجلّد الخامس، الآداب (1) 1423هـ/1993م.

3 - الخطيب، سلوى عبد الحميد أحمد، "الطّلاق والتّغيّر الاجتماعيّ في المجتمع السّعودي"، أوراق عمل ندوة الطّلاق في المجتمع السّعوديّ، وزارة الشّئون الاجتماعية، الرّياض، 1429هـ.

4 - الرّديعان، خالد بن عمر، "طلاق ما قلب الزّفاف: أسبابه وسمات المطلّقين"، مركز بحوث كليّة الآداب، جامعة المالك سعود، رقم128 ،1429هـ.

5 - السّيف، محمّد بن إبراهيم، "المدخل إلى دراسة المجتمع السّعوديّ"، دار الخريجي للنّشر والتّوزيع، الطّبعة الثّانية، الرّياض،1424هـ/ 2003م.

6 - شلبي، ثروت محمّد، "الطّلاق والتّغيّر الاجتماعي في المجتمع السّعوديّ"، دهر المجمع العلمي جدة، 1988م.

7 - الصّغير، صالح بن محمد، "التّوافق الزّواجي في المجتمع السّعوديّ"، وزارة الشّئون الاجتماعية، 1428هـ.

8 - عرابي، عبد القادر عبد الله ولعمري، عبيد عبد الله، "التحديث والتّغيّر الثّقافيّ والقيميّ في المجتمع العربيّ السّعوديّ"، مركز بحوث كليّة الآداب، رقم 86، الرّياض، 1422هـ/ 2001م.

9 - العقيل، سليمان عبد الله، "ظاهرة الطّلاق في المجتمع السّعوديّ"، 1426هـ.

10 - غدنز، أنتوني، "علم الاجتماع"، ترجمة فايز الصياغ، المنظمة العربية للترجمة ومؤسّسة ترجمان، الطّبعة الرّابعة، بيروت، 2005م.

11 - الفريح، آمال عبد الله، "التّكيّف الشّخصيّ والاجتماعيّ والأسريّ والاقتصاديّ للمرأة السّعوديّة المطلّقة"، رسالة الماجستير، قسم الدّراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، 1427هـ.

12 - الفوزان، عبد الله محمد، "قضايا ومشكلات اجتماعية معاصرة"، دار الزهراء، 1423هـ/2002م.

13 - الكتاب الإحصائي السّنوي، العدد (51)، المملكة العربية السّعودية، وزارة الاقتصاد والتخطيط، مصلحة الإحصاءات العامة والمعلومات، 2015م.

14 - الهزاني، نورة عبد الله، "العوامل المؤدّية للطّلاق في الأسرة السّعودية المعاصرة"، رسالة الماجستير، جامعة الملك سعود،1407هـ/ 1986م.

15/ بن عثيمين، محمد بن صالح، فقه السنة للنساء، دار الايمان، الاكسندرية، 2006م.

**المراجع الأجنبية**

1- Elster, Jon, The nature and Scope of Rational Choice Explanation, In, Ernest Le Pore and Brian P. McLaughlin, Actions and Events, Perspectives on the Philosophy of Donald Davidson, Oxford Black Well, 1985, P71

2- Elster, Jon, Rationality and Emotions, The Economic Journal,106, September 19963

3- Ritzer, Gorge, Contemporary Sociological Theory and its Classical Roots,McGrawHill,2003.pp 167-168

4- Ruth A. Wallace and Alison Wolf, Contemporary Sociological Theory, Chapter Six, Theories of rational choice, Prentice Hall, Inc, new Jersey, 1995.

5/<http://en.wikibooks.org/wiki/Sociological_Theory/Role_Theory>,<https://global.britannica.com/topic/social-change/> cited 3/10/2016

التعصب القبلي لدى الشباب السعودي مظاهره، وأسبابه، وآثاره

**د.حميد بن خليل الشـــــــــــــايجي د.المــــــــــــــــــأمـــــون الســــــــــــر كرار**

**كلية الآداب- جامعة الملك سعود كلية الآداب- جامعة الملك سعود**

**ملخص البحث**

هدف هذا البحث والذي تم دعمه من قبل مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية إلى محاولة تقديم دراسة موضوعية للوقوف على أبرز مظاهر التعصب القبلي, وأكثرها ممارسة لدى الشباب السعودي والأسباب المؤدية إليه, والوقوف على أبرز الآثار السلبية الناتجة عنه, بغية الخروج بتوصيات علمية لمعالجة مظاهر ومشكلات التعصب القبلي في المجتمع, ولتحقيق الاهداف سابقة الذكر تم تصميم استبيان خاص بالبحث وبأهدافه تساؤلاته المختلفة طبق على عينة بلغت (1416) مفردة من طلاب, وطالبات الجامعات السعودية من المستوى الثالث والسابع من كل جامعة من الجامعات، من اقسام العلوم الانسانية والعلمية, وكشفت نتائج البحث **أن** أبرز مظاهر التعصب القبلي تمثلت في: التفاخر بوصول أفراد القبيلة إلى مناصب كبيرة في الدولة, والتفاخر ببطولات أفراد القبيلة في الماضي, والتفاخر بكبر حجم القبيلة, وتعمدّ استخدام لهجة القبيلة عند الحديث مع الآخرين,وغيرها. كما كشفت نتائج البحث أن أبرز أسباب التعصب القبلي تتخلص في: الجهل بتعاليم الدين المتعلقة بنبذ العصبية, وضعف التوعية بخطورة التعصب القبلي, وضعف تطبيق القانون على المخالفين, وغيرها من النتائج, كما بينت نتائج البحث الآثار السلبية للتعصب القبلي, وكان من أبرزها: ظهور حالات ما يعرف بعدم تكافؤ النسب في الزواج, وارتفاع معدلات التطرف القبلي, وغيرها من النتائج, وفي ضوء ما توصل اليه البحث من نتائج خرج بالعديد من التوصيات التي يمكن أن تسهم في الحد من التعصب القبلي لدى الشباب السعودي, والحد من آثاره السلبية على المجتمع.

**الكلمات المفتاحية:** التعصب، القبيلة، الشباب السعودي, العصبية.

**أولاً: موضوع البحث**

**1-تمهيد:**

تعد العصبية بوجه عام, والعصبية القبلية على وجه الخصوص من أخطر المشكلات الاجتماعية التي واجهتها المجتمعات القديمة والمعاصرة ،وهي في عالمنا العربي ظاهرة أوجدتها طبيعة الحياة البدوية في الصحراء، وهي أيضًا نزعة طبيعية في البشر، ووسيلة من وسائل تكيّف البدوي مع حياة البادية اهتدى اليها؛ وهي لا تظهر ولا تتجلى الا اذا تعرض المجموع الى خطر حال أو محتمل الحلول, وقد كان المتوقع مع التقدم التقني والعلمي الذي شهدته البشرية في آواخر القرن العشرين وبداية الألفية الثالثة أن تخطو البشرية والانسانية الى الأمام، وأن تذوب النعرات التعصبية والعصبية، الا أن الواقع يقول بخلاف ذلك، فقد تزايدت معدلات الجرائم والمذابح بسبب العداء والصراع بين الجماعات العرقية والذي ينتج غالبًا عن التعصب القبلي والعرقي بشكل غير مسبوق.

**2- مشكلة البحث.**

تتلخص مشكلة هذا البحث في محاولة الاجابة عن التساؤل الاتي ما أبرز مظاهر التعصب القبلي لدى الشباب السعودي؟ وما الأسباب المؤدية اليه؟ والآثار الناجمة عنه؟

**3-أهمية البحث:** تتمثل أهمية هذا البحث فيما يلي:

**أولا: الأهمية العليمة وتتلخص في الآتي:-**

1. إن تفسير ظاهرة التعصب القبلي لدى الشباب السعودي له أهميته العلمية لانه سوف يوضح الاسباب الواقعية لتلك الظاهرة، وبالتالي يمكن التعامل معها بموضوعية.
2. أن التفسير العلمي لكيفية حدوثها في المجتمع السعودي يقلل كثيرا من الاعتماد على البحوث والدراسات التي اجريت على مثل الظاهرة في مجتمعات أخرى.
3. أنها سوف تسهم في اثراء المعرفة العلمية في مجال محاربة ظاهرة التعصب القبلي، والسلوكيات المرتبطة بها.

**ثانيًا: الأهمية التطبيقية وتتلخص في الآتي:**

1- يمكن أن تسهم نتائج هذا البحث وتوصياته في إنارة الطريق ومساعد المسؤولين على اتخاذ التدابير اللازمة للحد من انتشار هذه الظاهرة.

**2-** ما سيسفر عنه البحث من نتائج، و ما يستخلصه من توصيات، ومقترحات، تعتبر روافد مهمة من روافد رسم إستراتيجية مكافحة ظاهرة التعصب القبلي لدى الشباب في المجتمع السعودي.

3- يمكن أن يكون هذا البحث أحد منطلقات التخطيط العلمي العملي لمواجهة ظاهرة التعصب القبلي لدى الشباب في المجتمع السعودي، بما يقدمه للمخطط من اقتراحات جاهزة وتوصيات علمية تجعله أكثر استناداً إلى الواقع، وكذلك توفير قاعدة بيانات ومعلومات لا غنى عنها للمخطط وصاحب القرار.

**4- أهداف البحث:** تتلخص أهداف هذا البحث في محاولة التعرف على ما يلي:

1. أبرز مظاهر التعصب القبلي، وأكثرها ممارسة لدى الشباب السعودي.
2. معرفة الأسباب المؤدية للتعصب القبلي لدى الشباب السعودي.
3. التعرف على أبرز الآثار السلبية الناتجة عن التعصب القبلي لدى الشباب السعودي.

**5-تساؤلات البحث:** تتلخص تساؤلات هذا البحث في محالة الاجابة عن ما يلي:

1. ما أبرز مظاهر التعصب القبلي، وأكثرها ممارسة لدى الشباب السعودي؟
2. ما الأسباب المؤدية للتعصب القبلي لدى الشباب السعودي؟
3. ما أبرز الآثار السلبية الناتجة عن التعصب القبلي لدى الشباب السعودي؟

**6- مفاهيم البحث.**

**أ-مفهوم التعصب:**

التعصب لغة: مصدر مشتق من عصب الشيء عصبًا يعني طواه ولواه، "وتعصب شد العصابة"، وأتى بالعصبية (الفيروزآبادي، 1996م:148).

**أما اصطلاحًا** فيعرف قاموس العلوم الاجتماعية التعصب بأنه " غلو في التعلق بشخص أو فكرة أو مبدأ أو عقيدة بحيث لا يدع مكانًا للتسامح، وقد يؤدي إلى العنف والاستماته ( بدوي،154:1987).

والتعصب كما تشير أدبيات العلوم الاجتماعية المعاصرة يشكل موقفا أو اتجاها ينطوي على التهيؤ الفردي أو الجماعي للتفكير أو الإدراك أو الشعور والسلوك بشكل إيجابي أو سلبي تجاه جماعة أخرى أو أي من أفرادها, والتعصب "يجعل الانسان يرى ما يجب أن يراه فقط، ولا يرى ما يجب أن يراه، فهو يعمي ويصم ويشوه ادراك الواقع ويعد الفرد أو الجماعة للشعور والتفكير والادراك والسلوك بطرق تتفق مع اتجاه التعصب" (حمزة،1979), اذاً التعصب حالة مرضية غير سوية على المستوى الفردي والجماعي، فسلوك المتعصب يتميز بالنظرة الحادة الضيقة الأفق، ويتصف بالرعونة والبعد عن التعقل، والتصلب في الرأي، والخضوع لسيطرة الانفعالات الجامحة.

**ب-مفهوم القبيلة:**

**القبيلة في اللغة** "جماعة من الناس تنسب الى أب أو جِدّ واحد" (المنجد الوسيط في العربية المعاصرة، 837:2003)، والقبيلة "من الناس بنو أب واحد، ومعنى القبيلة من ولد اسماعيل: معنى الجماعة؛ يقال لكل جماعة من أب واحد: قبيلة" (ابن منظور، د.ت:3519).

**والقبيلة اصطلاحًا** "نسق في التنظيم الاجتماعي يتضمن عدة جماعات محلية مثل القرى والعشائر، وتقطن عادة اقليمًا معينًا، تسود فيه ثقافة مشتركة، ولغة واحدة، واحساس قوي بالتضامن والوحدة يستند الى مجموعة من العواطف الاولية" (غيث، 490:1988).

ومن خلال مناقشة التعريفات السابقة لمفهومي "التعصب" و"القبيلة" يمكن أن نعرّف التعصب القبلي بأنه تضامن وترابط مجموعة من الناس يجمع بينهم النسب أو رابطة الدم لقبيلة معينة، ويمكن أن يكون التعصب اتجاه سلبي أو ايجابي ينطوي على حكم مسبق ولا ينبني على شواهد معرفية ويصعب تغييره.

**ج-مفهوم الشباب:**

**الشباب في اللغة**:" مفردة لكلمة (شاب)، وهو من في سن الشباب، وقيل: الغلام في حد البلوغ إلى الثلاثين" (المنجد الوسيط في اللغة العربية المعاصرة،544:2003).

**أمّا الشباب اصطلاحًا** فهم: "الأفراد الذين تتراوح أعمارهم ما بين الثامنة عشرة والرابعة والعشرين، أي: الذين أتموا عادة الدراسة العامة. وتتميز هذه المرحلة بأنها مرحلة انتقالية إلى الرجولة أو الأمومة" (بدوي، 452:1978).

ويرى العديد من الباحثين أن مرحلة الشباب هي الفترة التي تمتد من السابعة أو الثامنة عشرة حتى سن الخامسة والعشرين أو ما حولها، وهذه السنوات تحدث فيها تغيرات مهمة في حياة الفرد، ويبدا تدريجيا في الاستقلال عن الراشدين (حجازي،1985، ابو حطب، وصادق، 1999).

ويأخذ البحث بهذا التحديد العمري السابق على اعتبار أن هذا التحديد يشمل الشباب السعودي المنتسب للجامعات في المملكة العربية السعودية, وهو العمر ما بين الثامنة عشر والرابعة والعشرين عامًا.

**7-منهجية البحث**

يعد هذا البحث من البحوث الوصفية التحليلية باستخدام منهج المسح الاجتماعي.وتكون مجتمع البحث من (8) جامعات تمثل مناطق المملكة العربية السعودية المختلفة,وبلغ حجم العينة المراد جمعها (1416) مفردة من المستوى الثالث والسابع من كل جامعة من الجامعات، من اقسام العلوم الانسانية والعلمية، واستبعاد كليات الهندسة؛ حيث لا توجد في بعض الجامعات كليات هندسة، وتم سحبها بطريقة العينة العشوائية, وطلب من أفراد عينة البحث الاجابة عن مظاهر, واسباب ,واثار التعصب القبلي من خلال مقياس خماسي هو (موافق بشدة,موافق,لاأدري,غيرموافق,غيرموافق بشدة).

**ثانيًا: الإطار النظري**

**النظريات المفسرة للظاهرة محور البحث**

توجد العديد من الاتجاهات النظرية التي يمكن أن تسهم في تفسير مظاهر التعصب القبلي وهذا استعراض لبعض الاتجاهات النظرية المرتبطة بموضوع هذا البحث ومنها:-

**1- الاتجاهات النظرية للصراع بين الجماعات:**

يركز هذا المنظور في تفسيره لظاهرة التعصب القبلي على معرفة وفحص متى ينشأ التعصب في مجتمع معين أو ثقافة معينة، وهو في ذلك أقرب ما يكون الى منحنى الثقافي-الاجتماعي (Socio-cultural Approach ) الذي ينصب الاهتمام الاساسي فيه على الجماعات ككل وعلى الأفراد بوصفهم أعضاء في جماعات لها كيان خاصة ومميزات (عبدالله، 1989), ومن أبرزها في هذا الاتجاه ما يلي:

1. **نظرية الصراع الواقعي بين الجماعات (Intergroup Realistic Conflict):**

تقوم هذه النظرية على افتراض أنه حينما يحدث صراع وتنافس بين جماعتين من الجماعات نتيجة لأي عوامل خارجية, من شأنه أن يستثير اتجاهات تعصبية متبادلة فيما بينهما، فلكل فئة أو جماعة مصالحها وأوضاعها التي تتناقض مع مصالح أو أوضاع فئات أو جماعات أخرى, بحيث إن سعى جماعة ما إلى تحقيق أهدافها يمكن أن يشكل تهديد مباشر لمساعي جماعة أخرى نحو تحقيق نفس الأهداف- الأمر الذي يؤدى إلى تكوين مشاعر عدائية بينهما، (عبدالله، 1997 : 120- 121), ويمكن أن يساهم هذا المنظور في تفسير ظاهرة التعصب القبلي باعتبار أن القبيلة عبارة عن جماعة تحمي مصالح أفرادها، والمنتمين اليها ضد مصالح وجماعات القبائل الأخرى.

**ب- نظرية الحرمان النسبي (Relative Deprivation):**

"تعد نظرية الحرمان النسبي لـ(Runciman, 1966, Gurr, 1970) من أهم النظريات التي طرحها السياسيون لتفسير ظواهر التطرف والعنف، ومع ذلك يمكن أن تفيد هذه النظرية في القاء الضوء على الديناميات الاجتماعية المحركة للتعصب، خاصة اذا ما وضعنا في الاعتبار التداخل الشديد بين التعصب والتطرف والعنف.في (الجزار ,131:2015)على ذلك ينشأ الحرمان النسبي من ادراك التعارض بين ما يمتلكه الشخص وما يعتقد أنه يستحقه، وتلعب عمليات المقارنة دورًا بارزًا في هذا الصدد، فالفرد يدرك هذا التناقض من خلال المقارنة مع الجماعات الأخرى، وعندما يدرك أعضاء الجماعة أنهم يعانون الحرمان نسبيًا بالمقارنة مع الجماعات الأخرى، فانهم يعبرون عن استيائهم وسخطهم في شكل عداء ضد هذه الجماعات موضع المقارنة. (Taylor et al., 1997:183).

يمكن أن تسهم هذه النظرية في تفسير الظاهرة محور البحث من أن التعصب القبلي يمكن أن ينشأ عندما تشعر قبيلة ما بأنهم يعانون من الحرمان نسبيًا مقارنة بالقبائل الأخرى.

**2- الاتجاهات النظرية المعرفية:**

تعد هذه النظريات من الاتجاهات النظرية الحديثة التي تهتم باشكال السلوك المختلفة بين الجماعات، وتؤكد هذه النظريات على الدور التي تؤديه العمليات المعرفية في تحديد أفكار الأفراد بين الجماعات الداخلية التي ينتمون اليها والجماعات الخارجية ، كما أنها تؤكد على الكيفية التي تسهم بها العمليات المعرفية العديدة في نشأت التعصب والتعصبية باشكالها المختلفة بين الجماعات. ومن تلك النظريات ما يلي:

**نظريات السلوك بين المجموعات:** وتتلخص أبزر نظريات السلوك بين الجماعات في نظريتين هما:

1. **نظرية التصنيف الاجتماعي (Social Classification Theory):**ركز "تاجفل" (Tajfel, 1964) صاحب هذه النظرية على عملية التصنيف الاجتماعي كونها الآلية المعرفية الاساسية للتعصب، ويعني ذلك التصنيف الادراكي للأفراد الى فئات أو جماعات في (دكت،171:2000)، وهو ينطلق من الأفكار المركزية الآتية لتفسير التعصب وفقًا لما ذكره (مكفلين وغروس، 264:2002):
   1. أن الناس ينزعون الى تصنيف عالمهم الاجتماعي الى صنفين: "نحن" و "هم".
   2. أن التميز لا يحدث إلا اذا تم هذا التقسيم ، وعندما يتم هذا التقسيم يتولد الصراع والتمييز.
   3. أن من أهم المعايير التي تعتمد في عملية التصنيف هي العرف، والقومية، والدين، والجنس.

وفي ذلك يرى "تاجفل" (Tajfel, 1982:112) أن هناك مجموعة من المسائل التي تتصل بعملية التصنيف الاجتماعي تتمثل في:

* أن فعل التصنيف الاجتماعي يؤدي الى أن يكون ما هو داخل الجماعة مفضلًا، وأن ما هو خارج الجماعة غير مفضل ومواجهًا بالتحيز والتعصب.
* اذا كان التصنيف الاجتماعي هو الأداة المعرفية التي يتم بنا ترتيب البنية الاجتماعية وتنظيمها، فان هذه الأداة من الممكن أن تباشر أشكالًا متنوعة من الفعل الاجتماعي، فهي لا تنظم العالم الاجتماعي فقط، ولكنها توفر أيضًا نظامًا توجيهيًا لمرجعية الذات فتعمل على التعريف بمكانة الفرد في المجتمع, الأمر الذي يسهم في ظهور التعصب القبلي بين القبائل المختلفة في المجتمع مما يساعد كثيرًا في تفسير موضوع بروز التعصب القبلي لدى الشباب السعودي.

1. **نظرية الهوية الاجتماعية (Social Identity Theory):**

تقوم هذه النظرية على افتراض أن الفئة الاجتماعية للشخص وعضويته للجماعة تحدد هويته الاجتماعية، والهوية الاجتماعية ركن هام من الاحساس العام من الهوية يسهم في تقييم هذه الفئات الاجتماعية وعضوية الجماعات المختلفة في الشعور بالهوية، كما يسهم تقييم هذه الفئات الاجتماعية وعضوية الجماعات المختلفة في شعور الشخص بتقدير ذاته واحترامها (الشموح،2014: 40-41).

من خلال هذه النظرية تتضح دلالات هامة في ما يتعلق بين السلوك بين الجماعات، ذلك أن احساسنا بمن نكون أو ذواتنا لا يتوقف على هويتنا الشخصية فقط ولكن على هويتنا الاجتماعية ايضا، ومن ثم نتجه إلى رؤية جماعتنا الداخلية بصورة ايجابية في محاولة لتكوين والابقاء على تقدير ذات إيجابي (TajFel & Turner:1979)., وعليه تتوقع النظرية أن الأفراد يسعون الى دعم تقديرهم لذواتهم من خلال التوحد بجماعات اجتماعية, وينشأ التعصب بسبب تصادم هذه الادراكات الاجتماعية، أي بسبب تصادم ادراكات كل جماعة لنفسها على أنها الافضل، وبالتالي ترى كل قبيلة أنها الأفضل وينشأ نتيجة لذلك التعصب القبلي البغيض.

**3-التنشئة الاجتماعية وتعلم التعصب:**

جرت العادة على النظر الى التنشئة الاجتماعية بوصفها "تعليم الفرد كيف يصبح عضوًا في اسرته وفي مجتمعه المحلي وفي جماعته القومية، تبدأ هذه العملية منذ الطفولة المبكرة وتتقدم مع تقدم النمو والتعلم الى الدرجة التي يسلك بها الفرد ويفكر ويشعر ويقيّم الأمور بطرق تشبه ما يفعله كل فرد آخر في المجتمع"(لامبرت، لامبرت،27:1993).

فالتعصب القبلي يتم اكتسابه وتعلمه بنفس الطريقة ومن خلال نفس المكانزمات الاساسية التي يتم بها اكتساب وتعلم القيم والاتجاهات الأخرى في اطار عمليات التنشئة الاجتماعية (Baron et al., 1998:132)، فالفرد لا يولد متعصبًا، وانما يكتسب التعصب من أسرته، ومن أقرانه، ومن مدرسيه، ومن الوسط المحيط، وهو ما يمكن تفسيره في اطار خبرات التعلم الاجتماعي التي يتعرض لها الفرد أثناء تنشئته الاجتماعية (Taylor et al., 1997:181). وعليه اذا اعتبرنا توجيه التعصب ازاء جماعات بعينها أمر مُتعلم، فان التنشئة الاجتماعية يمكن أن تعلب الدور البارز في هذا الصدد.

**4- نظرية المكانة والأدوار الاجتماعية:**

وترى نظرية الأدوار الاجتماعية التي جاء بها بيدل وتوماس (Biddle & Tomas, 1966) أن الدور يمثل المكانة التي يشغلها شخص ما في زمن ونظام معين، وهو يتضمن الاتجاهات، والقيم، والسلوكيات المحددة مسبقًا، التي يتصرف على وفقها الفرد الذي يشغل هذه المكانة وما يجب أن يقوم به (Biddel & Tomas, 1966:65), وترى هذه النظرية أن كل مجتمع ينتظم حول مكانات معينة، والاشخاص الذين يحتلون هذه المكانات يقومون بافعال وادوار معينة ترتبط بالمكانة وليس بالاشخاص الذين يحتلونها، وأن المكانة مفهوم يتجدد اجتماعيًا، وترتبط به التزامات وواجبات تقابلها حقوق وواجبات, وربما يرى بعض الأفراد أن قبائلهم تتميز بمكانة اجتماعية أكبر من أبناء القبائل الأخرى وأن أفرادها يتميزون بأنهم يقومون بأدوار اجتماعية أكبر في المجتمع، وهذا الأمر يكون مدعاة لبروز التعصب القبلي ومظاهره.

**الدراسات السابقة**

حرصًا من الفريق البحثي على التعمق في دراسة المشكلة البحثية فقد قام باجراء مسح لبعض الدراسات والبحوث المرتبطة بموضوع البحث والتي سيتم عرضها من الأحدث الى الأقدم وفقًا للمحاور الآتية:

**المحور الأول: الدراسات التي تناولت التعصب القبلي في المجتمع السعودي:**

تتمثل تلك الدراسات في الآتي:

دراسة القحطاني التي أجرتها في عام (2016) بعنوان "ظاهرة التعصب بين طالبات الجامعة، ودور الخدمة الاجتماعية في حلها"، والتي هدفت الى الوقوف على هذه الظاهرة والتعرف على مشكلة التعصب، والخصائص العامة للتعصب، وتكون مجتمع الدراسة من طالبات قسم الدراسات الاجتماعية بجامعة الملك سعود، وبلغ حجم عينة الدراسة (124) مفردة، حيث بينت نتائج الدراسة رفض الطالبات للجماعات المتعصبة، وان هناك علاقة بين التعصب والتنشئة الاجتماعية، كما ان لوسائل الاعلام دور كبير في انتشار ظاهرة التعصب، وأن للبيئة المحيطة من الاصدقاء والأسر دور في تزايد ظاهرة التعصب.

دراسة الحربي التي اجراها في عام (2014) بعنوان" الصحف الالكترونية القبلية وتوافقها مع توجهات الوحدة الوطنية القبلية في المجتمع السعودي"، والتي هدفت الى تحليل الصحف الالكترونية القبلية في المجتمع السعودي، واظهرت نتائجها بصفة عامة أن الصحف القبلية الالكترونية لا تتوافق مع توجهات الوحدة الوطنية في المجتمع السعودي، وذلك لما تحتويه من توجه يؤيد القبلية ويمجدها بدءًا من اسم الصحيفة الذي يعطي مؤشرًا أولي لتعصب هذه الصحف، كما أن هذه الصحف تنقل أخبار القبيلة من جهود مشايخ هذه القبيلة في الصلح بين الأطراف المتخاصمة من أبناء القبيلة أو في حل الخلافات لأبناء القبيلة مع القبائل الأخرى، ودفع الديات في الحوادث المختلفة والتي قد تصل الى مبالغ كبيرة تفتخر القبيلة في دفعها.

وفي دراسة أجراها المشوح في عام (2014)، بعنوان"واقع ومستوى الانصهار والاندماج الاجتماعي والثقافي بين مكونات المجتمع السعودي"، طرحت الدراسة تساؤل رئيس عن مدى الانصهار والاندماج الاجتماعي بين مكونات المجتمع السعودي، كما يراها طلاب الجامعات في المملكة العربية السعودية.

أظهرت النتائج أن تعصب أفراد العينة للطبقة العرقية القبلية حيث سجلت أعلى نسبة لقبولهم بالزواج والمصاهرة ومن ثم قبول صداقتهم، في حين تبين تدني نسبة القبول الاجتماعي والانصهار والاندماج مع من ينتمون للطبقة العرقية الحضرية.

دراسة الشثري التي أجرها في عام (2012) بعنوان "مظاهر ومشكلات التعصب القبلي والإقليمي بين طلاب التعليم العام" ، هدف من خلالها الى التعرف على وجهة نظر الطلاب في أهم العوامل المؤدية للتعصب القبلي والإقليمي ومدى ممارسة الطلاب للمظاهر المتعلقة بالتعصب القبلي أو الاقليمي وأهم أشكال ومظاهر التعصب القبلي لدى الطلاب, وتوصلت الدراسة الى عدد من النتائج من أبرزها ارتباط التعصب بالتفاخر بالقبيلة ورموزها, وأن من وسائل التعبير عن التعصب القبلي لدى الشباب، استخدام ملصقات على السيارات تحمل رموزًا تدل على القبيلة، وكذا الكتابة على الجدران والمقاعد والطاولات المدرسية لكتابة شعارات وعبارات وأشعار تدل على مدح القبيلة والافتخار بالانتماء اليها, وان من بين مظاهر التعصب القبلي لدى الطلاب ما يسمى (الفزعة)، وهي الانتصار لابن القبيلة ولو كان على غير حق ومن مظاهر التعصب القبلي تردد النكات التي تسيء الى بعض القبائل، والتهكم بمن لا ينتمي لقبيلة الشخص المتعصب، وعدم الجلوس مع الطلاب الذي لا ينتمون الى قبيلة المتعصب وغيرها من المظاهر والتفاخر بمدى وصول أفراد القبيلة لمناصب كبيرة والتفاخر ببطولات أفراد القبيلة في الماضي والتفاخر بكبر حجم القبيلة, وترديد كلمات وأشعار لمدح القبيلة ونشر القصائد التي تمدح القبيلة, وتعمد استخدام لهجه القبيلة عند التحدث مع الأخرين.

وثمة دراسة أجراها العمري في عام (2012)، بعنوان "مضامين المواقع الالكترونية القبلية وأثرها على الوحدة الوطنية"، هدفت الى الاجابة على التساؤل الرئيسي "ما مضامين المواقع الالكترونية القبلية، وآثارها على الوحدة الوطنية؟"، وأكدت نتائج الدراسة بان المنتديات القبلية تمارس اعادة انتاج ثقافة القبيلة وتكتلاتها القديمة، وتمهد الطريق للعصبية القبلية لتظهر بانماط واشكال جديدة تعددت مخاطرها على المجتمع السعودي، وذكر أمجادها وانتصارتها على القبائل الأخرى، والمفاخرة بالمشايخ وحث أعضاء المنتدى افراد القبيلة على الولاء لمشايخ القبيلة وتمجديهم واضفاء أي صفات حميدة عليهم والدعوة لنصرة القبيلة في جميع المجالات، وكذلك دعم شعراء القبيلة في شاعر المليون، وعرض وتغطية مناسبات القبيلة واجتماعتها بمباركة مشايخها واعيانها.

دراسة (آل حجراف،2012) بعنوان "دور التربية الإسلامية في مواجهة العصبية في زمن العولمة الاجتماعية"، وقد هدفت هذه الدراسة إلى معرفة العلاقة بين العولمة الاجتماعية وبين التعصب، ومن النتائج التي توصلت إليها تلك الدراسة هي أن العصبية القومية والقبلية من أشهر أنواع العصبيات، وأن التعصب نقيض العولمة الاجتماعية والتطور، وأن العصبية تؤدي إلى الشعور بالظلم والقهر وعدم العدل والمساواة والحقد والسخرية من الآخرين، ووجود التعصب في أي مجتمع يدل على العنصرية والكراهية والتحيز تجاه أشخاص معينين، وأن منشأ العصبية من الأسرة باعتبارها المكان الأول الذي يقضي الطفل سنواته الأولى فيها.

المحور الثاني: الدراسات التي تناولت موضوعات تتعلق بالتعصب القبلي في المجتمعات العربية.

ونجد في هذا المحور الدراسة التي قام بها الأنصاري في عام (2010م) بعنوان "التعصب القبلي والطائفي في جامعة الكويت"، والتي هدفت الى معرفة هل تعاني جامعة الكويت من مظاهر التعصب وممارسته، والى أي حد تنتشر ظاهرة التعصب في الجامعة، وما نوع هذا التعصب وأشكاله، وفي أي جانب الحياة الجامعية ترْتَع وتَشّتَد الممارسات التعصبية في الجامعة, وقد بينت النتائج حضور كبير للتعصب بنوعيه القبلي والطائفي في المجتمع الكويتي والوسط الاكاديمي لجامعة الكويت بصورة عامة سواء في مستوى سلوك الأساتذة والطلاب والانتخابات الطلابية.

وكذلك الدراسة التي أجراها اللوزي والفرحان في عام (2007م) بعنوان "العنف الطلابي في الجامعة الأردنية"، والتي هدفت الى دراسة مشكلة انتشار ظاهرة العنف الطلابي في الجامعات الاردنية والآثار السلبية الناتجة عن هذا العنف سواء على الطالب الجامعي أو الجامعات, وبينت نتائج الدراسة أن السلوك العدواني له عدة أشكال منها الاعتداء الجسدي، واللفظي، وإتلاف الممتلكات، ومن أهم الاسباب التي تقف وراء العنف في الجامعات قد تبين أن نسبة (91.9%) من أفراد العينة يرون أن التعصب القبلي يحتل المرتبة الأولى في اسباب العنف، والتنشئة الاسرية الخاطئة... إلخ.

دراسة (موسى، 2007) بعنوان التعصب القبلي وأثره على الاتجاه نحـــو المشاركـة في تنمية المجتمع دراسة ميدانيــة على طلاب الجامعة بقنا، وقد هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على أبعاد ظاهرة التعصب القبلي لدى طلاب الجامعة، وأثره على اتجاهاتهم نحو المشاركة في تنمية المجتمع. وقد توصلت الدراسة إلى أن النعرة داخل القبيلة والتعصب لها بأنها الأفضل وأن التنشئة الاجتماعية للأسرة هي من أهم العوامل المؤدية إلى المشكلات القبلية الموجودة في بعض الجامعات، كما أن التعصب القبلي يؤدى إلى زيادة المشكلات داخل مجتمع الجامعات، ويضعف الوعي بالمصلحة العامة ومن هذه المشكلات العنف اللفظي والبدني، والتشاجر بين الطلاب، ومساندة الطلاب بعضهم لبعض من نفس القبيلة ضد الآخرين.

دراسة (علي، 2006) بعنوان "التعصب كأحد مظاهر الانتماء في صعيد مصر"، وقد هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على طبيعة التعصب لدى بعض القبائل في صعيد مصر، وما هي العوامل المؤدية إلى التعصب الاجتماعي والثقافي والسياسي والاقتصادي، وتنمية الوعى لدى المواطنين بأضرار التعصب القبلى ومساوؤه مع غرس الاتجاهات الرافضة للتعصب لديهم, وقد توصلت الدراسة إلى أن المتعصب من رجال القبائل ينظر إلى قبيلته على أنها أقوى القبائل من حيث القوة والسيطرة والمكانة الاجتماعية، وينبع ذلك من التفاخر بالقبيلة، وأن ذلك التفاخر من أهم العوامل المؤدية إلى التعصب، كما أوضحت أن التعصب القبلي يضعف الوعي بالمصلحة العامة بسبب الاهتمام بالمصالح الشخصية لأبناء القبيلة، وأن القبيلة تساهم بشكل فعال في صياغة اتجاهات الفرد.

دراسة الخميسي في عام (1991م) حول تربية التسامح الفكري أو نحو صيغة تربوية مقترحة لمواجهة التطرف, وبينت نتائج الدراسة أن هناك عدة عوامل أساسية تدخل في تكوين ظاهرة التعصب في مصر وهي: الحجر على تفكير الآخرين وفرض الوصايا عليهم باسم الدين وفرض العقوية عليهم, وانتشار ظاهرة العنف الديني وتكفير الآخرين, وشيوع أنماط سلوكية تتسم بالعنف في مجال الأسرة و المدرسة, والتطرف من مظاهر التعصب للرأي وفي النهاية يقترح الباحث مشروعا تربويا يؤكد فيه التسامح و يرفض التعصب.

دراسة عبد الرحمن في عام (1970م) بعنوان " عملية التطبيع الاجتماعي وأزمات التحامل والتعصب في مجتمعاتنا العربية المعاصرة ". يستجوب الباحث قضية التعصب وماهية دوره في ضوء الخلفيات النفسية والاجتماعية لهذه الظاهرة. وفي نسق هذه الدراسة يحاول الباحث أن يفصل بين ظاهرة التعصب وبين مجموعة من الظواهر الاجتماعية التي تجانسها مثل: التطرف والنزعة العرقية والإرهاب والعنف والعدوان. وفي سياق النتائج يؤكد الباحث على الأصول الاجتماعية لهذه الظاهرة مؤكدا أن التعصب ليس فطريا بل اجتماعيا. ومن ثم يتأمل الباحث في العوامل التربوية التي تعزز هذه الظاهرة وتنتجها في الآن الواحد. وفي هذا الخصوص يعلن الباحث أن الأسرة في الوطن العربي تلعب دورا في إنتاج هذه المظاهر التعصبية مبينا خطرها على المجتمع والحياة الاجتماعية.

**المحور الثالث:** الدراسات الاجنبية التي تناولت موضوعات تتعلق بالتعصب.

وفي هذا الصدد نجد دراسة (بورساتو،2008) بعنوان "التمييز العنصري والعرقي وتأثيره على الأمريكيين الآسويين واللاتينيين في مرحلة البلوغ"، وقد هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على الضغوطات التي تواجه الأمريكيين من أصل آسيوي ولاتيني، بسبب عرقهم، ومن إحباطات تؤثر على مستواهم الدراسي، وقد توصلت هذه الدراسة إلى نتائج غاية في الأهمية، وهي أن غالبية أفراد العينة تعرضوا لموقف عنصريّ واحد أو أكثر، أثر سلباً عليهم من الناحية النفسية والأكاديمية، وتعرضوا أيضاً لأعراض الاكتئاب، وأصبحوا بسبب العنصرية يميلون للعنف، أما الأشخاص البيض من العينة فكانوا أقل تعرضاً للعنصرية من غيرهم، في (القحطاني، 2016).

والدراسة التي أجراها كريسان (Krysan 2002) بعنوان " أحياء غير مرغوب فيها" بدأت الدراسة بالقول أن الدراسات التي تبحث في العلاقة بين الأصل العرقي وتفضيل السكن تركز علي أن السود يفضلون الأحياء التي بها نسب كبيرة من الأمريكيين الأفارقة ويتضايق البيض من الإحياء التي تزيد فيها نسبة السود علي ال20%, ووجد أن العوامل التي يستند عليها هذا التفضيل قد تلقت القليل من الاهتمام الامبريقي. استخدمت دراسة كريسان "Krysan" مدي إدراك أن الحي غير مرغوب فيه كمقياس للتفضيل العرقي للسكن, وخلصت الدراسة إلي أن السود قيموا معظم الأحياء كمرغوب فيها أكثر من البيض, ويرى الأمريكيين الأفارقة أن العديد من الأحياء مرغوب فيها بالرغم من أنهم يكونون أقليات في تلك الأحياء.

قيم البيض الأحياء المختلطة عرقياً كأحياء غير مرغوب فيها ويرجع ذلك جزئياً إلي الرغبة في تجنب مجاورة السود, كما يرجع ذلك أيضا إلى التضخيم الزايد لمعدلات الجريمة في تلك الأحياء.

كما خلصت الدراسة إلي أن تقييم الأمريكيين الأفارقة للأحياء يشير إلي أهمية المناخ العرقي في تشكيل الانطباع عن الأحياء ويوفر حجة معارضة للاعتقاد أن التركيب العرقي وحده هو العامل الأساسي في تفضيل السود.

ودراسة فارلي Farley et al 1997)) بعنوان" تفضيل أماكن السكن لدي السود والبيض: دراسة تحليلية لأربع مدن أمريكية ". انطلقت الدراسة من أن هنالك ثلاثة فرضيات تبحث في استمرار العزلة السكنية بين السود والبيض في الولايات المتحدة الأمريكية وهي: التباين الاقتصادي، التمييز في أسواق المساكن والتسليف وأفضلية الجوار, وترى فرضية الجوار أن كلا العرقين، البيض والسود يفضلون السكن في أحياء متجانسة عرقيا, وسعت هذه الدراسة إلي اختبار فرضية التفضيل باستخدام بيانات مقابلات في أربعة مدن أمريكية هي أطلا نطا، بوسطن، ديترويت ولوس انجلس, وخلصت الدراسة إلى أن العنصر أو العرق ما زال مهماً في عملية اتخاذ القرار حول اختيار مكان السكن حيث يفضل البيض الانتقال إلي الأحياء التي تقل فيها نسبة السكان السود ويفضل السود الأحياء مندمجة السكان والتي بها نسبة معتبرة من السود.

وفي كندا أجرت يانغي في عام (Djangi,1993) دراسة حول: العنصرية في التعليم العالي في كندا على عينة واسعة من طلبة علم النفس بجامعة تورنتو الكندية، وتناولت أبعاد التعصب العنصري الموجودة في مؤسسات التعليم العالي. وقد بينت هذه الدراسة أن المؤسسات التربوية تعاني من أشكال مختلفة من التعصب التي عززتها التراكمات الثقافية و التاريخية وغياب القيم الديمقراطية. وقد بينت الدراسة مخاطر الاتجاهات التعصبية في الجامعة والمؤسسات التربوية، فالتعصب يؤدي إلى التفرقة بين الطلبة أنفسهم، ويتجلى هذا التعصب في نوعية الاهتمام الذي يتلقاه الطلبة من المدرسيين، بالإضافة إلى التحيز التعليمي الذي يتجلى في العناية ببعض الطلاب دون الآخرين وبينت الدراسة أن هذه المواقف الانحيازية لطلاب دون آخرين تؤدي إلى إضعاف تفاعل الطلاب الذين يتم تجاهلهم أو عدم الاهتمام بهم.

ومن الدراسات الاجنبية دراسة جوليا Julia في عام 1992)م) حول الجو التعليـمي في جامعـة تشيلي وظاهرة انتشـار التحيـز للجنس الأبيـض، أن ظاهرة العنصرية تأخذ اتجاها متناميا في جميع الجامعات ومؤسسات التعليم العالي في تشيلي, ومن أهم النتـائج التي أظهرتها هذه الدراسـة وجود اتجاهات تعصبية وعنصرية عند الطلاب تجاه الجماعات المخالفين لهم في المستوى الثقافي والعرقي.وفي هذا السياق فإن الطلاب البيض يعانون من تكوين رؤية تعصبية ومن مشاعر الكراهية والاحتقار ضد الطلاب السود. ومع أن بعض الطلاب البيض لا يأخذون اتجاها تعصبيا ضد السود إلا أنهم لا يمتلكون مشاعر إيجابية تجاه الملونين بصورة عامة.

دراسة موريس، وهيفن (1986: Moris & Heaven) وهدفت الدراسة إلى معرفة تأثير المتغيرات الاجتماعية (الجنس- السن- الإقامة "ريف-حضر"- التعليم) على التعصب، وقد أوضحت الدراسة أن أفراد العينة أظهروا اتجاهات عنصرية على مستوى الجنسين، السن، الحضريين والريفيين، الحراك الاجتماعي ، وأن التعليم هو أكثر العوامل الديموغرافية ارتباطا بالتعصب وأن الأفراد الذين عبروا عن اتجاهات سلبية نحو اللاجئين الفيتناميين كانوا أقل تعليما.

وفي دراسة قام الخامري في عام (1982م) عن الهجرة اليمنية إلى أمريكا (نموذج من ديترويت بالولايات المتحدة الأمريكية)، وتهدف إلى الكشف عن أهم خصائص هذه المجموعة السكانية في موقع يعدّ أكبر موقع للتركيز السكاني اليمني في الولايات المتحدة الأمريكية.وبينت الدراسة أن اليمنيين في ديترويت يسكنون مع بعضهم في مناطق ومنازل متجاورة، ويكونون فئة منعزلة عرقياً في مدينة ديترويت، وأن الروابط والعلاقات تعدّ من أهم العوامل التي تحدد المنطقة السكنية في تلك المدينة، وذكر الباحث أن المهاجرين القادمين إلى المدينة حديثاً يميلون للسكن مع أقاربهم وذويهم من الفلاحين، حتى يتمكنوا من الحصول على عمل مضمون.

دراسة كاليك Khalique عام 1981: عن مدى التعصب لدى عينة من التلاميذ الحضريين وأخرى من الريفيين بالهند) استهدفت الدراسة دراسة التعصب لدى الريفيين والحضريين،. وقد توصلت الدراسة إلى أن أفراد العينة حصلوا على درجات متوسطة على أبعاد التعصب وهى البعد الديني والطبقي والطائفي والجنس، كما أوضحت الدراسة أن الريفيين أكثر تعصبا من الحضريين.

**تعليق على الدراسات السابقة:**

وهكذا يتبين من خلال استعراض عدد من الدراسات السابقة المحلية والعربية والأجنبية أنها قد تطرقت في مجملها الى عدة قضايا تتعلق بالتعصب بوجه عام والتعصب القبلي على وجه الخصوص, وتناولت بعض النواحي التي تتفق مع البحث الحالي حول التعصب القبلي ولكنها تختلف معه في تناولها لهذا الموضوع.

وعلى الرغم من الاختلاف والاتفاق مع تلك الدراسات في آن واحد إلا أن البحث الحالي قد استفاد من تلك الدراسات في تحديد الاطار النظري له، وفي تأطير مشكلة البحث ومفاهيمه المختلفة، ، وكذلك الاستفادة من نتائج تلك الدراسات في تحليل النتائج التي يتم التوصل اليها.

ثالثا:نتائج الدراسة ومناقشتها

أولًا: خصائص أفراد العينة.

جدول يوضح خصائص أفراد عينة البحث(ن=1416)

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| المتغير | التكرار | النسبة |
| حسب الجنس | | |
| ذكر | 650 | %45.9 |
| أنثى | 766 | %54.1 |
| حسب العمر | | |
| من 18 إلى أقل من 23 | 1032 | 72.9% |
| من 23 إلى أقل من 28 | 357 | 25.2% |
| من 28 فأعلى | 27 | 1.9% |
| حسب الجامعة | | |
| جامعة الملك سعود | 230 | %16.24 |
| جامعة الملك عبد العزيز | 230 | %16.24 |
| جامعة الامام | 133 | 9.39% |
| جامعة الملك فيصل | 230 | %16.24 |
| جامعة الملك خالد | 230 | 16.24% |
| جامعة الأميرة نورة | 133 | 9.39% |
| جامعة الجوف | 230 | 16.24% |
| حسب القبيلة | | |
| انتسب الى قبيلة | 1095 | 75.30% |
| لا انتسب إلى قبيلة | 356 | 25.7% |
| حسب التخصص | | |
| علمي | 883 | 62.4% |
| أدبي | 460 | 32.5% |
| شرعي | 70 | 4.9% |
| لم يحدد | 3 | .20% |

يظهر الجدول السابق أن نسبة الإناث بلغت (54.1%), بينما بلغت نسبة الذكور (45.9%).كما أوضح أن غالبيتهم يقعون في الفئة العمرية من (من 18 إلى أقل من 23 سنة) وذلك بنسبة بلغت (72.9%), يليهم الذين يقعون في الفئة العمرية (من 23 إلى أقل من 28 سنة) وذلك بنسبة بلغت (25.2%), بينما هناك نسبة بلغت (1.9%) للذين يقعون في الفئة العمرية (من 28 سنة فأعلى). وهذه النتيجة أيضاً سليمة ومنطقية وصحيحة لأن أفراد عينة البحث من طلبة الجامعات وبالتالي أعمارهم تقع في الفئة الشابة.

أما توزيع افراد عينة البحث حسب متغير الجامعة التي يدرسون فيها فيلاحظ أن هناك نسبة بلغت (16.24%) للذين يدرسون في كلٍّ من: "جامعة الملك سعود والملك عبد العزيز والملك فيصل والملك خالد وجامعة الجوف", بينما بلغت نسبة الذين يدرسون في جامعة الإمام وجامعة الأميرة نوره (9.39%).أما من حيث توزيع أفراد عينة البحث حسب التخصص أن هناك نسبة بلغت (62.4%) لأصحاب التخصص العلمي, بينما الذي تخصصهم أدبي قد بلغت (32.3%), والشرعيين بلغت نسبتهم (4.9%), وهناك نسبة بلغت (0.2%) لم يحددوا تخصصاتهم.

ثانيا:مظاهر التعصب القبلي

تمثل التساؤل الأول من تساؤلات هذا البحث في الآتي:

**ما أبرز مظاهر التعصب القبلي؟ وأكثرها ممارسة لدى الشباب السعودي؟**

تم التعرف على رأي أفراد عينة البحث حول مظاهر التعصب القبلي, وأكثرها ممارسة لدى الشباب السعودي, من خلال (16) فقرة واظهرت نتائج ذلك أن افراد العينة بصفة عامة يوافقون على أن هناك مظاهر للتعصب القبلي لدى الشباب إذ بلغ المتوسط العام للمحور (2.56) وجاء أكبر مظهر من مظاهر التعصب القبلي وأكثرها ممارسة " التفاخر بوصول أفراد القبيلة إلى مناصب كبيرة في الدولة " وذلك بمتوسط بلغ (3.39) بانحراف معياري قدره (1.31), وأقل مظهر من مظاهر العصب القبلي " عدم المشاركة في النشاطات الطلابية التي لا يشارك فيها أبناء القبيلة " وذلك بمتوسط حسابي بلغ (2.06), وبانحراف معياري قدره (1.32) وجاء ترتيب مظاهر التعصب وأكثرها ممارسة وفقًا هذا المحور كما يلي:-

1. "التفاخر بوصول أفراد القبيلة إلى مناصب كبيرة في الدولة"، وجاء هذا المظهر في الترتيب الأول بمتوسط حسابي بلغ ((3.39، وانحراف معياري قدره (1.31), إن التفاخر بوصول أحد أفراد القبيلة لمناصب كبيرة لا يعد عيبًا في حد ذاته, لكنه إذا بلغ مرحلة العصبية والتعصب القبلي لهذا الشخص وتعصبه لأبناء قبيلته ومحاباتهم, يعد هذا من أبرز مظاهر التعصب القبلي, ونظرية الأدوار الاجتماعية تسهم في شرح هذا المظهر من مظاهر التعصب القبلي حيث إن وصول أحد أفراد القبيلة لمناصب كبيرة في الدولة تعطية المكانة الاجتماعية للفرد مميزات تجعله مكان استحسان وقبول اجتماعي وفي الوقت نفسه فإن هذا الاستحسان الذي يمنح له أثناء تقويم الجماعه لقيمة ما عنده من خصائص ومميزات وما يقوم به من دورًا يحقق منفعة لجماعته وقبيلته.وهذه النتيجة تتفق مع نتائج دراسة الحربي في عام (2014).
2. "التفاخر ببطولات أفراد القبيلة في الماضي"، وجاء هذا المظهر من مظاهر التعصب في الترتيب الثاني بمتوسط بلغ ((3.38، وانحراف معياري قدره ((1.33, وتتفق هذه النتيجة مع نتائج دراسة كل من الحربي في عام (2014) والشثري التي في عام (2012), والعمري في عام (2012)، وعلي( 2006).
3. "التفاخر بكبر حجم القبيلة"، وجاء هذا المظهر في الترتيب الثالث بمتوسط بلغ (3.20) ، وانحراف معياري قدره (1.39). ذكر القرآن الكريم هذا المظهر لقوله تعالى ألْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ التكاثر (آية 1), وهذا مظهر من مظاهر التعصب القبلي من التفاخر بحجم وعدد أفراد القبيلة, وتتفق هذه النتيجة مع ما توصلت إليه دراسة الحربي في عام (2014), وكذلك مع دراسة (علي، 2006).
4. "تعمدّ استخدام لهجة القبيلة عند الحديث مع الآخرين", وجاء هذا المظهر في الترتيب الرابع، بمتوسط حسابي بلغ (2.94) ، وانحراف معياري قدره (1.3). وهذا يعد أيضًا من أبرز مظاهر التعصب القبلي من تعمد استخدام لهجه القبيلة عند الحديث مع الآخرين, وتتفق هذه النتيجة مع دراسة الشثري في عام (2012).
5. "متابعة الشعراء من أفراد القبيلة في المسابقات والبرامج الشعرية"، وجاء هذا المظهر في الترتيب الخامس وذلك بمتوسط حسابي بلغ (2.93)، وانحراف معياري قدره (1.34), ويلاحظ ذلك من خلال البرامج التلفزيونية المختلفة التي تقدم فيها المنافسات الشعرية بين مختلف الشعراء حيث يلاحظ تعصب أبناء القبائل للشاعر الذي ينتمي لقبيلته ودعمه وحضور تلك المسابقات للوقوف لجانبه وكذلك دعمه من خلال وسائل التواصل الاجتماعية المختلفة وهذا يعد من المظاهر الأساسية للتعصب, وتتفق هذه النتيجة مع ما توصلت إليه دراسة العمري التي أجراها في عام (2012).
6. "نشر القصائد التي تمدح القبيلة"، وجاء هذا المظهر في الترتيب السادس بمتوسط حسابي بلغ ((2.93، وانحراف معياري قدره (1.41), ويعتبر الشعر من أبرز مظاهر التعصب القبلي ويلاحظ أن منذ عصر الجاهلية وحتى يومنا هذا هناك نشر للقصائد التي تمدح القبيلة وتعتز بها وتتعصب إليها, وتتفق هذه النتيجة مع دراسة الشثري التي أجراها في عام (2012).
7. "الإسهام في جمع الديات لفرد من القبيلة ارتكب جريمة من الجرائم", وجاء هذا المظهر في الترتيب السابع بمتوسط بلغ ((2.89 ، وانحراف معياري قدره (1.49), يعد التضامن والإسهام في جمع الديات لفرد من أفراد القبيلة من أبرز مظاهر التعصب القبلي والتفاخر بين القبائل في الاسهام في دفع الديات وتضمينها لأشعارهم والإخبار بها عبر وسائل التواصل الاجتماعي, ولقد أشارت إلى ذلك دراسة الحربي في عام (2014).
8. "تفضيل ابن القبيلة على غيره في المعاملة"، وجاء هذا المظهر في الترتيب الثامن بمتوسط حسابي بلغ (2.49، وانحراف معياري قدره (1.53), ويعد هذا المظهر من المظاهر الواضحة للعيان في التعصب القبلي وذلك من خلال ما يسمى "بالواسطة" فالشخص يفضل ابن قبيلته في المعاملة على أبناء القبائل الأخرى, ويتضامن معه, ويتوسط إليه في تنفيذ معاملاته, وتعد نظرية الصراع الواقعي بين الجماعات من أبرز النظريات التي تسهم في تفسير ظاهرة التعصب القبلي باعتبار القبيلة عبارة عن جماعة تحمي مصالح أفرادها والمنتمون إليها من مصالح وجماعات القبائل الأخرى وهذا يتأتى يظهر من خلال تفضيل ابن القبيلة على غيره في المعاملة وفي طلاقة الوجه والعبوس في وجوه أبناء القبائل الأخرى, وتتفق هذه النتيجة مع دراسة الشثري التي أجرها في عام (2012), ومع دراسة فارلي فarley et al 1997)).
9. " تفضيل الجلوس مع الزملاء الذين ينتمون إلى نفس القبيلة"، وجاء هذا المظهر في الترتيب التاسع بمتوسط حسابي بلغ ((2.43، وانحراف معياري قدره (1.39), وتتفق هذه النتيجة مع دراسة المشوح التي أجراها في عام (2014), و مع دراسة الشثري التي أجرها في عام (2012).
10. "الانتصار (الفزعة) لأحد أبناء القبيلة حتى لو كان على خطأ"، وجاء هذا المظهر في الترتيب العاشر بمتوسط حسابي بلغ ((2.37، وانحراف معياري قدره (1.52), تعد الفزعة لأحد أبناء القبيلة حتى لو كان مخطأ من أبرز مظاهر التعصب القبلي ويعد من التضامن المهم بين أفراد القبيلة الواحدة ونظرية الهوية الاجتماعية من أبرز النظريات التي يمكن أن تسهم في هذا الجانب حيث تفترض هذه النظرية أن الفئة الاجتماعية للشخص وعضويته للجماعة تحدد هويته الاجتماعية, وبالتالي يتعص لهذه الهوية الاجتماعية ويفزع الشخص مع أبناء قبيلته حتى لو كانوا على خطأ لأنه بذلك يكتسب إحساس بتقدير الذات بين جماعة هو عضوًا فيها, وتتفق مع دراسة الشثري في عام (2012), ومع دراسة موسى في عام (2007).
11. "استخدام الملصقات المعبرة عن القبيلة على السيارات الخاصة"، وجاء هذا المظهر في الترتيب الحادي عشر بمتوسط حسابي بلغ ((2.28، وانحراف معياري قدره ((1.39, وهذا المظهر من المظاهر الملاحظة لدى العيان حيث يلاحظ وجود العديد من الملصقات التي ترمز للقبلية والمفاخرة بها على السيارات, وتتفق هذه النتيجة مع ما ذكرته دراسة الشثري في عام (2012).
12. "ترديد النكت التي تسئ إلى بعض القبائل الأخرى"، وجاء هذا المظهر في الترتيب الثاني عشر بمتوسط حسابي بلغ ((2.19، وانحراف معياري قدره (1.45), وهذا المظهر من مظاهر التعصب القبلي بدأت تعج به وسائل التواصل الاجتماعي من ترديد النكات التي تسئ إلى بعض القبائل الأخرى, وهذه النتيجة تتفق مع ما ذهبت إليه دراسة الشثري في عام (2012).
13. "السخرية والتهكم على من لا ينتمي للقبيلة"، وجاء هذا المظهر في الترتيب الثالث عشر بمتوسط حسابي بلغ (2.14)، وانحراف معياري قدره (1.47). وهنا تسهم نظرية التصنيف الاجتماعي والتي ذكر فيها "Tajel" أن فعل التصنيف الاجتماعي يؤدي الى أن يكون ما هو داخل الجماعة مفضلًا، وأن ما هو خارج الجماعة غير مفضل, الأمر الذي يسهم في ظهور التعصب القبلي بين القبائل المختلفة في المجتمع, وكذلك نظرية الهوية الاجتماعية التي تفترض أن الهوية الاجتماعية للأشخاص تستمد من عضويتهم في مختلف الجماعات وتضع في حسابها كلا من العمليات المعرفية والدافعية عدد من تفسير ادراكات الجماعة الداخلية وأشكال سلوكها, وتتفق مع دراسة الشثري في عام (2012).
14. "التقليل من قدر وشأن أي زميل لا ينتمي للقبيلة"، وجاء هذا المظهر في الترتيب الرابع عشر بمتوسط حسابي بلغ (2.07)، وانحراف معياري قدره (1.43), وتتفق هذه النتيجة مع دراسة الشثري في عام (2012).
15. "استخدم العبارات الكتابية على المقاعد الدراسية للتفاخر بالقبيلة"، وجاء هذا المظهر في الترتيب الخامس عشر بمتوسط حسابي بلغ (2.06)، وانحراف معياري قدره ((1.37, وتتفق هذه النتيجة مع دراسة الشثري في عام (2012), والتي ذكر فيها أن من وسائل التعبير عن التعصب القبلي لدى الشباب الكتابة على الجدران والمقاعد والطاولات المدرسية لكتابة شعارات وعبارات وأشعار تدل على مدح القبيلة.
16. "عدم المشاركة في النشاطات الطلابية التي لا يشارك فيها أبناء القبيلة"، جاءت هذه العبارة في الترتيب الأخير بمتوسط حسابي بلغ ((2.06، وانحراف معياري قدره (1.32), وتتفق مع هذه النتيجة دراسة الأنصاري في عام (2010), ومع دراسة يانغي في عام (1993), وتتفق مع دراسة جوليا في عام (1992).

**رابعًا: الأسباب المؤدية للتعصب القبلي.**

تمثل السؤال الثاني من تساؤلات هذا البحث في الآتي:

**ما هي الأسباب المؤدية للتعصب القبلي لدى الشباب السعودي؟**

تم تحديد (17) سببًا من أسباب التعصب وطلب من أفراد عينة البحث رأيهم في تلك الأسباب, واظهرت نتائج ذلك أن افراد العينة بصفة عامة يوافقون على أن هناك أسباب للتعصب القبلي لدى الشباب إذ بلغ المتوسط العام للمحور (3.53), وجاء أكبر سبب من أسباب التعصب القبلي "الجهل بتعاليم الدين المتعلقة بنبذ العصبية", بمتوسط بلغ (4.00) بانحراف معياري قدره (1.17), وأقل سبب من أسباب التعصب القبلي "الخوف من المستقبل " وذلك بمتوسط حسابي بلغ (3.19), وبانحراف معياري قدره (1.22), وجاء ترتيب أسباب التعصب وفقًا لإجابات مجتمع عينة البحث كما يلي:-

1. "الجهل بتعاليم الدين المتعلقة بنبذ العصبية", وجاء هذا السبب في الترتيب الأول بمتوسط حسابي بلغ (4.00)، وانحراف معياري قدره 1.17)), وهذا يعني أن الجهل بتعاليم الدين الاسلامي هي من الأسباب الرئيسية لكل شر في المجتمع المسلم ومنها التعصب القبلي, وتتفق مع هذه النتيجة دراسة الخميسي في عام (1991).
2. "ضعف التوعية بخطورة التعصب القبلي" وجاء هذا السبب في الترتيب الثاني بمتوسط حسابي بلغ ((3.99، وانحراف معياري قدره 1.12)), أن التوعية ترتبط أساسًا بتوعية الأفراد بتعاليم الدين الاسلامي ولابد من تعاون المسجد والمدرسة ووسائل الإعلام ومؤسسات المجتمع المدني للحد من تنامي العصبيات القبيلة في المجتمع, وتتفق هذه النتيجة مع دراسة القحطاني في عام (2016), وأيضا تتفق مع دراسة علي في عام (2006).
3. "ضعف تطبيق القانون على المخالفين", وجاء هذا السبب في الترتيب الثالث بمتوسط حسابي بلغ (3.76)، وانحراف معياري قدره (1.22), وكما يقال إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن, وبالتالي فإن سن القوانين الرادعه وتطبيقها بكل حزم يساهم كثيرًا في الحد من هذه الظاهرة, وتتفق هذه النتيجة مع ما توصلت إليه دراسة القحطاني في عام (2016).
4. "ترسيخ مفهوم الانتساب الى القبيلة من جانب الأسرة" وجاء هذا السبب في الترتيب الرابع بمتوسط حسابي بلغ(3.70)، وانحراف معياري قدره (1.18), تعد الأسرة المؤسسة الأولى من مؤسسات التنشئة الاجتماعية والتي ترسخ في الأطفال القيم الاجتماعية والعقيدة الاسلامية, وبالتالي هي التي يمكن أن ترسخ مفهوم الانتساب للقبيلة لدى الطفل وتعمل على ترسيخ هذا المفهوم بصورة سلبية تؤدي إلى نمو التعصب القبلي داخل الطفل منذ نعومة أظفاره, وهذا ما أكدته نظريات التنشئة الاجتماعية, التي تم التحدث عنها بالتفصيل في الإطار النظري لهذا البحث اذً التنشئة الاجتماعية هي العملية التي عن طريقها يوجّه الطفل لكي يسير على نهج حياة أسرته والجماعات الاجتماعية الأخرى التي ينتسب اليها، ويسلك في غمارها بصورة تتلاءم مع معاييرها ومعتقداتها وقيمها, وتتفق هذه النتيجة مع دراسة القحطاني في عام (2016), وكذلك تتفق دراسة عبد الرحمن في عام (1970م).
5. "ما ينشر في وسائل التواصل الاجتماعي", وجاء هذا السبب في الترتيب الخامس بمتوسط حسابي بلغ (3.69)، وانحراف معياري قدره (1.17), أصبحت وسائل التواصل الاجتماعي بمختلف أنواعها "فيسبوك, تويتر, واتساب, سناب شات, أيمو... إلخ" من الخطورة بمكان لأن ما ينشر من خلالها يعمل على توجيه الشباب نحو التعصب القبلي, وتتفق هذه النتيجة مع دراسة القحطاني في عام (2016).
6. "تشجيع الأقرباء من أفراد القبيلة على التعصب القبلي", وجاء هذا السبب في الترتيب السادس وذلك بمتوسط حسابي بلغ (3.60)، انحراف معياري قدره (1.38), اذا كان الشخص سيتعلم التسامح أو التعصب فان ذلك يعتمد على تنويعة من الظروف البيئية. وايًّا كانت ميول الشخص للشعور بالعدوانية عمومًا، فانه لا يوجه عدوانيته تجاه أي شخص أو جماعة ألا اذا تعلم أن يفعل ذلك، وذلك وفقًا لمنظور الطبيعة المكتسبة المتعلمة للدوافع والاتجاهات, وتتفق هذه النتيجة مع ما توصلت إليه دراسة القحطاني في عام (2016), ومع دراسة فارلي فarley et al 1997)), ومع دراسة يانغي في عام (Djangi,1993).
7. "التفاخر ببطولات أفراد القبيلة وتداولها في المجالس", وجاء هذا السبب في الترتيب السابع بمتوسط حسابي بلغ (3.57)، وانحراف معياري قدره (1.22), وتتفق هذه النتيجة مع دراسة الشثري في عام (2012), حيث أكد على ارتباط التعصب بالتفاخر بالقبيلة ورموزها, وكذلك مع نتائج دراسة العمري في عام (2012)، بأن المنتديات القبلية تمارس اعادة انتاج ثقافة القبيلة وتكتلاتها القديمة، وتمهد الطريق للعصبية القبلية لتظهر بأنماط وأشكال جديدة تعددت مخاطرها على المجتمع السعودي.
8. "تشجيع الأصدقاء على التعصب للقبيلة", وجاء هذا السبب في الترتيب الثامن بمتوسط حسابي بلغ (3.50)، وانحراف معياري قدره 1.41)), وقديمًا قال الشاعر: "عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه  فكل قرين بالمقارن يقتدي", وللأصدقاء أثر كبير في التشجيع على العصبية "التعزيز" حيث كل مجموعة من الأصدقاء من قبيلة معينة يشجعون بعضهم البعض على التعصب لقبيلتهم وتتفق هذه النتيجة مع ما توصلت إليه دراسة القحطاني في عام (2016)، وتتفق مع ما توصلت إليه دراسة جوليا في عام (1992).
9. "التفاخر بالقبيلة ومنجزاتها وأمجادها", وجاء هذا السبب في الترتيب التاسع بمتوسط حسابي بلغ (3.49)، وانحراف معياري قدره (1.30), وتتفق هذه النتيجة مع دراسة الشثري في عام (2012), والتي أكدت على ارتباط التعصب بالتفاخر بالقبيلة ورموزها، وهذا كان من أبرز مظاهر التعصب القبلي.
10. "مسابقات مزاين الإبل", وجاء هذا السبب في الترتيب العاشر بمتوسط حسابي بلغ (3.46)، وانحراف معياري قدره (1.27), ومن الملاحظ أن مهرجانات مزاين الإبل قد خرجت عن دائرة المألوف وأصبحت من خلال بعض القنوات الفضائية ووسائل التواصل الاجتماعي تنقل بالصوت والصورة كثيرًا من المواقف والقصص المرئية لحالة من "الهيجان القبلي" ضد الآخرين من مما أدى إلى ارتفاع مظاهر التعصب القبلي.
11. "ما تبثه وسائل الاعلام", وجاء هذا السبب في الترتيب الحادي عشر بمتوسط حسابي بلغ (3.46)، وانحراف معياري قدره (1.18), ووسائل الإعلام العربي تحمل اليوم لواء معول الهدم، منها على سبيل المثال برنامج "شاعر المليون" الذي أذكى التعصب القبلي بكل أبعاده في كافة مجتمعاتنا الخليجية, وتتفق مع دراسة القحطاني في عام (2016), وتتفق مع دراسة اللوزي والفرحان في عام (2007م).
12. "برامج المسابقات الشعرية", وجاء هذا السبب في الترتيب الثاني عشر بمتوسط حسابي بلغ 3.44))، وانحراف معياري قدره (1.19), أما المعول الآخر في نشر التعصب القبلي ما بات يعرف بالمنتديات القبلية، حيث انها أصبحت من الكثرة بحيث يصعب احصاؤها، وأن بعض هذه المنتديات منتديات فرعية لفخوذ من أبناء قبيلة واحدة، فيما الغالبية منها منتديات عامة لاحدى القبائل، تساهم في التعصب، وفي تأجيج روح العصبية لأبناء تلك القبيلة وحثهم على بذل الولاء لمشايخهم وتمجيدهم, وتتفق هذه النتيجة مع ما توصلت إليه دراسة العمري في عام (2012).
13. "حرص الأسرة وتشجيعها على خروج أفرادها مع أبناء القبيلة فقط", وجاء هذا السبب في الترتيب الثالث عشر بمتوسط حسابي بلغ 3.34))، وانحراف معياري قدره (1.44), تشجع العديد من الأسر أبنائها على الخروج للبر أو الرحلات أو الاستراحات مع أبناء عمومتهم ومع أبناء قبيلتهم, ولا يخرجون مع أبناء القبائل الأخرى, وهذا يعد من الأسباب الرئيسية في غرس روح التعصب القبلي لدى الأطفال, وهذا ما أكدته نظرية الهوية الاجتماعية التي تفترض أن عملية التصنيف الاجتماعية تولد عمليات دافعية أساسية داخل الأفراد، هذه العمليات هي التي تؤدي مباشرة الى حدوث التنافس بين الجماعات، وتتفق هذه النتيجة مع ما توصلت إليه دراسة آل حجراف (2012)، كما تتفق مع ما توصلت إليه دراسة جوليا Julia في عام (1992).وتتفق أيضَا مع ما توصلت إليه دراسة الخامري في عام (1982م), وكذلك مع دراسة فارلي ((arley et al 1997.
14. "التحريض الخارجي", وجاء هذا السبب في الترتيب الرابع عشر بمتوسط حسابي بلغ 3.29))، وانحراف معياري قدره (1.31), أن البُعد الخارجي له خيوط وأهداف متعددة في كثير من قضايانا، خاصةً الجرائم عابرة الحدود، وتستخدم مواقع التواصل الاجتماعي للاتصال بأطراف داخل المملكة, فهناك أياد خارجية من خلال مواقع التواصل الاجتماعي عبر معرفات وهمية، ولا يستبعد أن يكون هناك أشخاص خارج الوطن يعملون من أجل تفريق أبناء المجتمع من خلال التعصب القبلي.
15. "تشجيع بعض الأساتذة للتعصب القبلي", وجاء هذا السبب في الترتيب الخامس عشر بمتوسط حسابي بلغ 3.24))، وانحراف معياري قدره (1.41), إن مخاطر الاتجاهات التعصبية في الجامعة والمؤسسات التربوية، والتعصب يؤدي إلى التفرقة بين الطلبة أنفسهم، ويتجلى هذا التعصب في نوعية الاهتمام الذي يتلقاه الطلبة من المدرسيين، ""بالإضافة إلى التحيز التعليمي الذي يتجلى في العناية ببعض الطلاب دون الآخرين وهذه المواقف الانحيازية لطلاب دون آخرين تؤدي إلى إضعاف تفاعل الطلاب الذين يتم تجاهلهم أو عدم الاهتمام بهم, وتتفق هذه النتيجة مع دراسة يانغي في عام (Djangi,1993).
16. "برامج الحفلات الاجتماعية مثل: الزواج والمواليد", وجاء هذا السبب في الترتيب السادس عشر بمتوسط حسابي بلغ 3.22))، وانحراف معياري قدره (1.28), المناسبات لقد استغلت المناسبات لتجديد النعرات الجاهلية والعصبيات القبلية وإن استترت وراء التعارف الذي يدعى لها مشائخ القبائل والأعيان فتكون خطبها وشعرها في تمجيد هذه القبيلة ومدحها بشكل مبالغ فيه، وكذا بعض القنوات الفضائية وما تتبناه من برامج ذات توجهات عصبية قبلية وما يدور فيها من أشعار تمجد القبيلة الفلانية والعرق الفلاني وهي تختص بدعم هذه القبيلة وتمويلها.
17. "الخوف من المستقبل", وجاء هذا السبب في الترتيب الأخير وذلك بمتوسط حسابي بلغ 3.19))، وانحراف معياري قدره (1.22), وتتفق هذه النتيجة مع دراسة الحربي في عام (2014), والتي بينت ما يؤديه المسؤوليين من أبناء القبيلة من دعم لأبناء القبيلة الآخرين في التوظيف أو الحصول على الترقيات, مما يجعل هنالك تخوف من المستقبل.

**رابعًا: الآثار السلبية الناتجة عن التعصب القبلي.**

حدد التساؤل الثالث من تساؤلات هذا البحث في الآتي:

**ما أبرز الآثار السلبية الناتجة عن التعصب القبلي لدى الشباب السعودي؟**

تم التعرف على رأي أفراد عينة البحث حول الآثار السلبية للتعصب القبلي من خلال (19) أثرًا, واظهرت نتائج ذلك أن افراد العينة بصفة عامة يوافقون على الآثار السلبية للتعصب القبلي لدى الشباب إذ بلغ المتوسط العام للمحور (3.66), وجاء أكبر أثر من الآثار السلبية للتعصب القبلي " ظهور حالات ما يعرف بعدم تكافؤ النسب في الزواج " بمتوسط بلغ (3.89) بانحراف معياري قدره (1.28) وأقل أثر من الآثار السلبية للتعصب القبلي " تكتل طلاب الجامعة على أسس قبلية " وذلك بمتوسط حسابي بلغ (3.29), وبانحراف معياري قدره (1.35), وجاء ترتيب الآثار السلبية في هذا المحور وفقًا لما يلي:

1. "ظهور حالات ما يعرف بعدم تكافؤ النسب في الزواج" وجاء هذا الأثر في الترتيب الأول، وذلك بمتوسط حسابي بلغ 3.89))، وانحراف معياري قدره (1.28), أن ظاهرة عدم تكافئ النسب أضرت بالجنسين، وتعد المرأة الأكثر تضرراً، وما يهم في الدرجة الأولى هو توافق القبيلة، فالشروط الأساسية لنجاح الزواج هي التوافق القبلي, وتتفق هذه النتيجة مع دراسة المشوح في عام (2014).
2. "ارتفاع معدلات التطرف القبلي", وجاء في الترتيب الثاني، وذلك بمتوسط حسابي بلغ (3.86)، وانحراف معياري قدره (1.21), ويؤدي التعصب القبلي إلى التناقض في التعامل بين أفراد المجتمع وإلى التطرف وتغذية ثقافة التطرف, والشعور بالظلم والإحباط والرغبة في الانتقام, وتتفق هذه النتيجة مع ما توصلت إليه دراسه الخميسي في عام (1991), وكذلك تتفق مع دراسة كريسان (Krysan 2002).
3. "حدوث المنازعات المتكررة بين القبائل", وجاء هذا الأثر في الترتيب الثالث، وذلك بمتوسط حسابي بلغ (3.85)، وانحراف معياري قدره (1.29), ولا تزال القبائل في السعودية من مكوّنات المجتمع الأساسية التي يتعذر تجاهلها، ويمكن لمتابعي الشأن السعودي ملاحظة محاولات المملكة العربية السعودية الدائمة لمراعاتها,حيث يوجد بها حوالى 72 قبيلة تقريبًا وهذا ما يؤكّد أهمّية القبائل في المجتمع السعودي, وتتفق هذه النتيجة مع نتيجة الدراسة التي أجارها العمري في عام (2012).
4. "انقسام المجتمع إلى العديد من الفئات والطبقات على أساس قبلي", وجاء هذا الأثر في الترتيب الرابع، وذلك بمتوسط حسابي بلغ (3.79)، وانحراف معياري قدره (1.24), اعتقد كثير من المتابعين تاريخيا للمجتمع السعودي أن مظاهر التعصب القبلي ستختفي مع تقدم المجتمع ماديا وفكريا، ولكن الحقيقة اليوم أنه مع تزايد فرص التعليم على جميع المستويات تزايدت هذه الظاهرة بشكل كبير، ولا سيما لدى فئة الشباب، الذي كان الجميع يتوقع منهم ذوبان ما لديهم من أي عنصريات قبلية, ونجد أن دراسة كريسان (Krysan 2002), تتفق مع هذه النتيجة, وكذلك تتفق دراسة كاليك "Khalique " في عام (1981).
5. "انتشار الفرقة بين أبناء المجتمع الواحد", وجاء هذا الأثر في الترتيب الخامس، وذلك بمتوسط حسابي بلغ (3.78)، وانحراف معياري قدره (1.22), أن عدم التعصب القبلي هو الذي يقود التعايش والاستقرار الاجتماعي وتطوير أواصر وأسباب التعاون بين مختلف أبناء المجتمع, والأصل في العلاقات الاجتماعية والإنسانية، أن تكون علاقات قائمة علي المحبة والمودة والتآلف، حتي ولو تباينت الأفكار والمواقف, وتتفق مع نتائج دراسة موريس، هيفن (1986), وتتفق مع نتائج دراسة كاليك "Khalique " في عام (1981).
6. "ظهور أشكال جديدة من العنف", وجاء هذا الأثر في الترتيب السادس، وذلك بمتوسط حسابي بلغ (3.67)، وانحراف معياري قدره 1.28)), ومما هو معروف أن الشدة ملازمة لكل متعصب، وهو شديد في قوله، وشديد في حواره، وقد يتطور الأمر إلى العنف، وإلى أمور أكبر من ذلك، ومن الناحية النظامية أو القانونية لا يوجد شيء يكافح التعصب في حد ذاته، بل يعاقب ويحاسب ما ترتب عليه المتعصب لشيء معين, وتتفق هذه النتيجة مع نتائج الدراسة التي أجراها اللوزي والفرحان في عام (2007م), وكذلك تتفق مع نتائج دراسة الموسى التي أجراها في عام (2007), ومع نتائج دراسة الخميسي في عام (1991) وتتفق كذلك مع نتائج دراسة بورساتو التي أجراها في عام (2008).
7. "نشر ثقافة الانتقام بين أبناء الوطن", وجاء هذا الأثر في الترتيب السابع، وذلك بمتوسط حسابي بلغ (3.64)، وانحراف معياري قدره 1.34)), التعصب القبلي يقود إلى انتهاج التمييز المقيت في التعامل مع الآخر، تلك المعاملة التي تولد الضغائن والأحقاد والشعور بالقهر والكراهية، الأمر الذي يغذي شهوة الانتقام بين أبناء الوطن الواحد, وتتفق هذه النتيجة مع دراسة بورساتو التي أجراها في عام (2008).
8. "ارتفاع معدلات التفكك الاجتماعي" وجاء هذا الأثر في الترتيب الثامن، وذلك بمتوسط حسابي بلغ (3.63)، وانحراف معياري قدره 1.28)), يقف التعصب القبلي وراء انتشار القبلية والمذهبية والانعزال والتوتر الداخلي مما يسهم في ارتفاع معدلات التفكك الاجتماعي في المجتمعات.
9. "إحداث خلل في عملية الضبط الاجتماعي", وجاء هذا الأثر في الترتيب التاسع، وذلك بمتوسط حسابي بلغ (3.63)، وانحراف معياري قدره 1.18)), يعد التعصب القبلي بيئة خصبة لإظهار السلوكيات والتجاوزات الخارجة عن قواعد الضبط الاجتماعي والقيمي والديني، وبالتالي يعتبر التعصب القبلي إحدى الظواهر الاجتماعية الموجودة في جسد الحياة القبلية. ويؤدي إلى خلل في الضبط الاجتماعي, تتفق هذه النتيجة مع ما توصلت إليه دراسة يانغي في عام (Djangi,1993).
10. "ارتكاب مخالفات شرعية من أجل القبيلة", وجاء هذا الأثر في الترتيب العاشر، وذلك بمتوسط حسابي بلغ (3.62)، وانحراف معياري قدره 1.32)), ما يسببه التعصب القبلي من غلو وتشدد وتفاخر بالاحساب والانساب وإقصاء الأطراف الآخرى, وما قد يتطور إلى السباب والشتائم وما يجره ذلك من عنف وإيذاء بكافة أشكاله, وما يلعبه المسؤولون من دور في توظيف أبناء قبائلهم في إداراتهم وأماكن عملهم دون استحقاق مع وجود من هم أحق بها منهم كل ذلك يورث الشعور بالظلم, والعدوان وهو ما يعتبر مخالفة صريحة للشريعة الإسلامية التي لا فضل فيها لعرق أو قبيلة أو طائفة وإنما الفضل فيها بتقوى الله عز وجل, وتتفق هذه النتيجة مع ما توصلت إليه دراسة الحربي في عام (2014).
11. "ارتكاب مخالفات نظامية من أجل القبيلة", وجاء هذا الأثر في الترتيب الحادي عشر، وذلك بمتوسط حسابي بلغ (3.62)، وانحراف معياري قدره 1.31)), وتتفق مع دراسة الحربي في عام (2014).
12. "ظهور ظاهرة العزلة الاجتماعية", وجاء هذا الأثر في الترتيب الثاني عشر، وذلك بمتوسط حسابي بلغ (3.56)، وانحراف معياري قدره 1.22)), يؤدي التعصب القبلي إلى العزلة الاجتماعية لما ينبني عليه التعصب والتطرف القبلي من انتقاص الآخرين واحتقارهم والتعالي عليهم, والتفاخر بالاحساب والأنساب فالشخص الذي لا ينتمي إلى قبيلة لا يجد له مكان في المجتمع القبلي مما يضطره إلى الانطواء على نفسه ويجعله في حالة عزلة اجتماعية, وتتفق هذه النتيجة مع نتائج دراسة كريسان التي أجراها في عام (Krysan 2002), وتتفق مع نتائج دراسة فارلي التي أجراها في عام (1997), ونتائج دراسة الخامري التي أجراها في عام (1982م).
13. "الإخلال بالأمن في المجتمع", وجاء هذا الأثر في الترتيب الثالث عشر، وذلك بمتوسط حسابي بلغ (3.52)، وانحراف معياري قدره 1.34)), وتتفق هذه النتيجة مع دراسة بورساتو في عام (2008), وكذلك تتفق دراسة كريسان في عام (2002).
14. "تكتل طلاب الجامعة على أسس قبلية", وجاء هذا الأثر في الترتيب الأخير، وذلك بمتوسط حسابي بلغ (3.29)، وانحراف معياري قدره 1.35)), وتتفق مع نتائج دراسة الشثري في عام (2012), ونتائج دراسة الأنصاري في عام (2010م).

**خامسًا التوصيات:**

**من خلال ما تم التوصل إليه البحث من نتائج فإنه يوصي بالآتي:**

1. ضرورة نشر الوعي بتعاليم الدين الإسلامي وخاصة ما يتعلق بخطورة التعصب القبلي.
2. تعزيز قيم التسامح، ونبذ التعصب القبلي في مختلف مستويات الحياة المدرسية.
3. اجراء دراسات اجتماعية, وتربوية جريئة تباشر هذا الخطر (التعصب القبلي) دون خوف أو خجل.
4. العمل على توظيف ثقافي وتربوي للإعلام وطاقاته في مواجهة هذا التحدي الذي يواجه المجتمع.
5. توعية أعضاء هيئة التدريس بهذه القضية وتأكيد دورهم الحيوي في السيطرة على مخاطرها.
6. وضع سياسة واضحة للمؤسسات التربوية تعمل بموجبها على محاربة مختلف أشكال التعصب القبلي والتمييز العنصري والثقافي بين الطلاب.
7. عمل حملات إعلامية مكثفة تشارك فيها كل الجهات, واستخدام كل وسائل التواصل الاجتماعي لمحاربة العصبية القبلية.
8. تكثيف دور الخطباء والدعاة بتوعية المجتمع بخطورة التعصب القبلي من الناحيتين الشرعية والوطنية.
9. العمل على إصدار الأنظمة والقوانين الرادعة لمثيري التعصب القبلي.

**أولاً:المراجع العربية:**

* القرآن الكريم.
* ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين بن محمد بن مكرم، (د.ت)، **لسان العرب**، دار المعارف، القاهرة.
* ابوحطب، فؤاد، آمال، (1999)، **نمو الانسان من مرحلة الجنين الى مرحلة المسنين**، الأنجلو المصرية، القاهرة.
* آل حجراف، عايض بن محمد بن عايض، (2012)، **دور التربية الاسلامية في مواجهة العصبية في زمن العولمة الاجتماعية،** رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
* الانصاري، عيسى محمد، (2006)، **التعصب القبلي والطائفي في جامعة الكويت**، مؤتمر المواطنة الاول، الواقع والمستقبل فبراير 2010، الكويت.
* بدوي، أحمد زكي (1978)، **معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية**، بيروت، مكتبة لبنان.
* الجزار، هاني، (2015)، **أزمة الهوية والتعصب، دراسة في سيكولوجية الشباب،** دار هلا للنشر والتوزيع، القاهرة.
* حجازي، عزت، (1985)، **الشباب العربي والمشكلات التي يواجهها**، عالم المعرفة ط(1)، ع(6)، المجلس الوطني والثقافة والفنون والآداب، الكويت.
* الحربي، محمد بن بادي الرشيد، (2014)، **الصحف الالكترونية القبلية وتوافقها مع توجهات الوحدة الوطنية القبلية في المجتمع السعودي،** كرسي الأمير نايف للوحدة الوطنية، جامعة الامام محمد بن سعود، الرياض.
* حمزة ، مختار، (1979)، **أسس علم النفس الاجتماعي** دار المجتمع العلمي، جدة .
* الخامري؛ شكيب (1982م**)، الهجرة اليمنية إلى أمريكا، نموذج من ديترويت بالولايات المتحدة الأمريكية**، الكويت، جامعة الكويت، كلية الآداب.
* الخميسي ، السيد سلامة (1991) تربية التسامح الفكري (صيغة تربوية مقترحة لمواجهة التطرف **)، التربية المعاصرة، عدد 26، مارس /آذار، 77-109** .
* دكت، جون،(2000)، **علم النفس الاجتماعي والتعصب**، ترجمة عبدالحميد صفوت،ط (1)، دارالفكر العربي، القاهرة.
* الشثري، عبدالعزيز بن حمود، (2012)، **مظاهر ومشكلات التعصب القبلي والاقليمي بين طلاب التعليم العام،** دراسة ميدانية لعينة من طلاب المرحلة الثانوية بالمملكة العربية السعودية، كرسي الأمير نايف للوحدة الوطنية، جامعة الامام محمد بن سعود، الرياض.
* عبد الرحمن، سعد (1970) . **عملية التطبيع الاجتماعي وأزمات التحامل والتعصب في مجتمعاتنا العربية المعاصرة** ، عالم الفكر الكويتية ، عدد 1 ، أبريل/ مايو / يونيو ، 83 - 132.
* عبد الله، معتز سيد،(1997)، **التعصب دراسة نفسية اجتماعية**، دار غريب للطباعة والنشر، طـ2، القاهرة.
* عبدالله، معتز سيد، (1989)، **الاتجاهات التعصبية**، عالم المعرفة، ع (137)، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
* علي،عبد السلام إبراهيم محمد، (2006)، التعصب كأحد مظاهر الانتماء في صعيد مصر، دراسة ميدانية على محافظة أسوان، **مجلة كلية التربية**، ع(4)، 75-121، الفيوم،مصر.
* العمري، عبيد بن عبدالله، (2012)، **مضامين المواقع الالكترونية القبلية وأثرها على الوحدة الوطنية،** دراسة تحليلية، كرسي الأمير نايف للوحدة الوطنية، جامعة الامام محمد بن سعود، الرياض.
* غيث، عاطف، (1988)، **قاموس علم الاجتماع**، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية.
* الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، (1996)، **القاموس المحيط**، بيروت، مؤسسة الرسالة.
* القحطاني، شعفة محمد عبدالله، (2016)، **ظاهرة التعصب بين طالبات الجامعة، ودور الخدمة الاجتماعية في الحد منها،** رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض.
* لامبرت، وليم، لامبرت، وولاس،(1993)، علم النفس الاجتماعي، ترجمة سلوى الملا، ط (2)، القاهرة، دار الشروق.
* اللوزي، صلاح، فرحان، يحي، (2007)، العنف الطلابي في الجماعة الاردنية**، مجلة العلوم الاجتماعية الصادرة عن الجامعة الادرنية.**
* المشوح، سعد بن عبدالله، (2014)، **واقع ومستوى الانصهار والاندماج الاجتماعي والثقافي بين مكونات المجتمع السعودي،** دراسة تطبيقية على شريحة من الشباب الجامعي بالمملكة العربية السعودية، كرسي الأمير نايف للوحدة الوطنية، جامعة الامام محمد بن سعود، الرياض.
* مكفلين، روبرتس، وغروس، ريتشارد، (2002)، **مدخل الى علم النفس الاجتماعي**، ترجمة ياسمين حداد وآخرون، ط1، دار وائل للنشر، عمان.
* **المنجد الوسيط في العربية المعاصرة**، (2003)، بيروت، دار المشرق.
* موسى، عبدالفتاح تركي، (2007)، التعصب القبلي وأثره على الاتجاه نحـــو المشاركـة في تنمية المجتمع دراسة ميدانيــة على طلاب الجامعة بقنا،**مجلة كلية الآداب بقنا**، ع(17)، 235 - 284، جامعة جنوب الوادي، مصر.

**ثانيًا:المراجع الاجنيبة:**

* Baron, R.A., Byrne, D., & Johnson, B.T., (1998), **Exploring social psychology,** (4th ed.), Boston: Allyn & Bacon.
* Farley et al,(1997), The Residential Preferences of Black and White: Four MetropolisAnalysis**, Housing Policy Debate**, Vol.8. Issue,4.

Khalique, (1981), A Extent of prejudice in Muslim school students. **Journal of psychology**, 25 (1). pp. 37-41.

Khalique, (1981),A Extent of prejudice in Muslim school students. **Journal of psychology** 25 (1), pp. 37-41.

Morris J.W. & Heaven P.V. (1986), Atitudes and Behavioral intentins towards vietnamene in **Australia journal of social psychology**, vol. (125) No. 4. PP. 513-520.

* Myers, D.G (1996). **Social psychology**. (5th ed.) New York: The McGrew – Hill Companies. Inc.
* Taylor, S.E., Peplau, L.A., & Sears, D.O. (1997). **Social psychology**. (9th ed.), New Jersey: Prentice – Hall. Inc.
* Yang, Julia (1992) Chilly campus climate. **Qualitative study on white racial identity development attitudes** , University of Pennstlvania ( Researsh report) , Pennsylvania .

**بعض معوقات المشاركه السياسيه للمرأه السودانيه**

**د.اشتياق عبدالله محمد حسن**

أ.مساعدـ كليه الاقتصادوالعلوم الاداريه ـ جامعه دنقلا

ان المشاركه السياسية للمرأه هي مرتبطة بظروف المجتمع الذي تعيش به وتتوقف هذه المشاركه علي مقدار ما يتمتع به المجتمع من حريه وديمغراطية من الناحيه السياسيه وعلي ما يمنحه المجتمع من حريات اجتماعيه للمرأه لممارسه هذا الدور،اما في السودان تظهر المشاركه السياسيه للمرأه السودانيه من خلال الممارسات السياسيه التي تقوم بها داخل المجتمع حيث نالت المرأه السودانيه العديد من حقوقها السياسيه من خلال القوانين التي تم وضعها فمشاركة المرأه السودانيه في السياسه منذ القدم (كانت تحمل الرسائل لقوات المهدي المنتشره في السودان ) ، وشاركت في معارك الاستقلال الاجتماعي والسياسي بالرغم من الصعوبات التي كانت ومازالت تواجهها والتي تتمثل في بعض القيم الاجتماعيه والعادات والتقاليد السودانيه خاصه في بعض المناطق الريفيه. ومن خلال هذه الدراسه يمكن تناول بعض معوقات المشاركة السياسيه للمرأه السودانيه من خلال تناول مفهوم المشاركه السياسية ومفهوم القيم الاجتماعيه ومفهوم المعوقات السياسيه ومن ثم تناول المشاركه السياسيه للمرأه السودانيه وبعض المعوقات التي تواجهها.

**مفهوم المشاركه السياسيه:ـ**

يمكن الاتفاق علي تعريف علمي للمشاركه السياسيه علي انها كل انشطه الافراد والجماعات التي تؤثر في انتقال السلطة من مجموعة الي مجموعة ، اخري، وما يتعلق بمراقبه السلطة ومحاسبتها بالاضافه الي كل انواع الافعال والممارسات التي يقوم بها افراد المجتمع بغرض التاثير بطريقة مباشرة و غير مباشرةعلي وضع السياسات في مختلف مستوياتها باختصار هي كل انواع النشاطات السياسيه المختلفة وهذه ممارسه وافعال في صورتين:ـ الاولي تنحصر في الانشطه الفرديه الاقرب الي الحركات التلقائيه منها الي العمل المنظم(الساعوري ،2013،ص82-83) وامثله ذلك التصويت في الانتخابات ومتابعه الاحداث السياسيه والتبرع بالمال للحملات الانتخابيه .

اما الصوره الثانيه للمشاركة هي الافعال والممارسات السياسيه، فهي كل نشاط سياسي طابعه التنظيم مثل عضويه الاحزاب وانشطتها المختلفه والدخول في الصراع السياسي بغرض الصعود الي مناصب الدوله الرسميه، وهنالك صور اخري من النشاط السياسي لا يمكن تجاهلها وهي الانشطه الفئويه والنقابيه والمهنيه المنظمه التي لها دور في ملاحظه الاحداث السياسيه المتعلقه بمصالح عضويتها المختلفة (الساعوري ، 2013م ، ص83).فالمشاركه السياسيه ترتبط بالحريه الشخصية للمواطن وبسياده قيم المساواة وباقرار الحاكمين بحق المحكومين بان لهم حقوق دستوريه وقانونيه تمنحهم الحق بالمشاركه في اتخاذ القرار وان من حق الحاكمين اتاحه الفرصه امام المواطنين لممارسه حقهم في المشاركه السياسيه دون ضغط او ارهاب(محمود ، 2015م، ص11)

**مفهوم القيم الاجتماعيه**:ـ

القيم من المنظور الاجتماعي هو ذلك الحكم الذي يصدره الانسان علي شيئ ما مهتديا بمجموعه من المبادئ والمعايير التي وضعها المجتمع الذي يعش فيه (اليمين ،2015م، ص23) ،فالقيم الاجتماعيه هي اسس ومعايير متعارف عليها ضمن المجتمع الواحد وتشير الي طرق تعامل الافراد معا من حيث الموافقه علي السلوك القبول ورفض السلوك الغيرمقبول (خضر، 2016م،ص1) وهي مجموعه من المعتقدات الي تتسم بقدر من الاستمرار النسبي والتي تمثل موجهات للاشخاص نحو غايات او وسائل لتحقيقها او انماط سلوكيه يختارها وبفضلها هؤلاء الاشخاص بديلا لغيرها(الحسنيه،2005م،ص18) حسب ثقافه المجتمع المعني حيث هنالك عدد من العوامل التي تساهم في تشكيل القيم الاجتماعيه داخل المجتمع مثل التربيه والتعليم وتعتبر المصادر الاسياسيه للقيم هي (خضر.2016م، ص17):ـ 1/ الدين 2/ طبيعه المجتمع 3/ الاسره والمدرسه 4/ العرف 5/ القوانين الوضعيه .

**مفهوم المعوقات السياسيه :**

المعوقات السياسيه هي المشاكل والعقبات التي تواجهة العمليه السياسيه داخل الدوله حيث تعني السياسه كل ما يعود علي المجتمع بالنفع من تحقيق الاستقرار والرفاهيه (السياسه هي جلب مصلحه ودرء مفسده) (الساعوري ،2005،ص1) وتتمثل المعوقات السياسيه في عدم الاستقرار السياسي والنزاعات من نزاعات داخليه ونزاعات حول السلطه ونزاعات بين الاحزاب السياسيه ففي السودان تظهر المعوقات السياسيه لمشاركه المراه من خلال الوضع الدوني والمتخلف للمراه السودانيه حيث ان ذلك متاصل في النسيج الاجتماعي والثقافي للمجتمع وانها العنصر الاضعف وانها تعتمد علي الرجل لمساعدتها وحمايتها (بيبرس، د.ت، ص15)ومن المعوقات السياسيه ايضا عدم وجود اراده سياسيه مترجمه الي واقع عملي فالنظره البويه والتفكير الذكوري لا زال يتحكم في المجتمع(بيبرس، دت،ص16) خاصه في بعض المجتمعات الولائيه.

**مشاركة المرأة السودانية في السياسة:ـ**

تأتي أهمية المشاركة السياسية للمرأة من اهميه دور المرأه في المجتمع (فالمرأه جزءًا لا يتجزأ من المجتمع)، وهي الجناح الآخر للمجتمع، وبدورها تكتمل جميع الأدوار المجتمعية، وقضية مشاركة المرأة في صياغة القرار الوطني هي قضية مجتمعية، تحتاج إلي وعي جميع أفراد المجتمع، ويعتقد البعض أن هذه القضية هي قضية تخص النساء فقط (قضية نسوية) غير ان الصحيح هي قضية جميع أفراد المجتمع، فمشاركة المرأة السياسية هي مسؤولية جميع أفراد المجتمع وليست من مسؤولية المرأة، فالمرأة بتكوينها الإنساني الخلقي قادرة على هذه المشاركة وذلك من خلال التفاعل مع قضايا الرأي العام السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، سواء بحضورها الندوات وورش العمل وبالكتابة عنها في الصحف والمجلات وفي المواقع الإلكترونية ، كذلك من خلال المشاركة في الانتخابات البرلمانية والولائيه، ترشحاً وانتخاباً، والانضمام إلى الأحزاب السياسية وترؤسها لها، وفي بعض الدول تصل المرأة إلى أن تترشح إلى رئاسة الدولة ورئاسة مجلس الوزراء، وكثير من النساء يتحملن مسؤولية رئاسة مجموعة من مؤسسات المجتمع المدني، ولا تختلف أهداف مشاركة المرأة السياسية عن أهداف مشاركة أخيها الرجل، فالمشاركة واحدة وكذلك الهدف، كون الرجل والمرأة يعيشان في مجتمع واحد لمواجهة الظروف والمشاكل التي تتعلق بجميع أفراد المجتمع، فليست هناك مشاكل خاصة بالرجل وأخرى بالنساء، فالجميع يسعى للحصول على حرية الرأي والتعبير، وجميعهم يخضعون لقانون واحد، ولا يوجد ما يُفرق بين الاثنين باستثناء ما يتعلق ببيولوجية المرأة(العسير،2016،ص1).

إن الشريعه الاسلاميه لم تحرم اي فئة من المجتمع من حقها في بناء الدولة المسلمة وخوض جميع المجالات فيها ولكنها في المقابل لم توجب نسبة معينة للنساء في المشاركه فالامر متعلق بحاجه الدوله والمجتمع المسلم ( خميس، 2006م، 104).اما في الفكر الغربي بدأت المطالبه بمنح حق التصويت للنساء في القرن التاسع عشر من قبل الحركات النسويه الامريكيه والبريطانيه وخاصه بين الشريحه المتعلمه وقبل ذلك بدأت الحركه النسويه بالمطالبه بقوانين وتشريعات تضمن حق الزواج وحق التملك في اواسط القرن التاسع عشر واستمراراها لاوائل القرن العشريين وسن التشريع التقدمي في الولايات المتحده وقوانين الامومه والطفوله في اوربا الغربيه(محمود ، 2015، ص12) .

يعتبر السودان من أوائل الدول العربية والإسلامية الذي إهتم بقضية المشاركة السياسية للمرأة . فكان الاهتمام بالمرأة السودانية ، عبر إشراكها في مسيرة النهضة والبناء له أثره الكبير في التحول الديمقراطي وذلك بإتاحة الفرص المتكافئة في العمل والإنتاج والمشاركه في الشأن العام .حيث أسهم ذلك الفهم في بلورة الأفكار والخطط والبرامج من أجل إيجاد فهم متكامل للمشاركة السياسية للمرأة السودانية ، كأصل وأساس لمشاركتها في سائر أوجه النشاط والحياة إجتماعياً وإقتصادياً وثقافياً ، فضلاً عن مشاركتها في عملية صنع القرار والتي تضمن به حقها في شتى المجالات( العتباني ، 2002م،ص1).

عرفت المرأة السودانية المشاركة في العمل السياسي غير المنظم قبل بداية تعليمها في أوائل القرن العشرين وذلك أثناء نشوب الحروب والصراعات الداخلية - أو ضد المستعمر الغاصب حيث كانت لها مواقف محددة ومشهودة في إنشاد شعر الحماس والتحريض على القتال والصمود ، ومداواة الجرحى وإعداد الطعام للمقاتلين ، وصناعة طبول الحرب - وتطور الأمر فيما بعد إلى عملها في تأمين سرية الاجتماعات للمناضلين وتوصيل الرسائل السرية والمنشورات ولقد ظهرت بطولات نسائية فردية هنا وهناك يجد الدارس في تحليلها انعكاساً لسمات في شخصية المرأة السودانية(البدري، 2002م،ص12).

كما أن المشاركة في العمل السياسي بمفهومها الحديث كان مدخلها الأساسي تعليم المرأة الذي بدأ أهلياً على يد/ المرحوم الشيخ بابكر بدري مؤسس مدارس الأحفاد التي تحولت الي جامعة الأحفاد للبنات وللدراسات فوق الجامعية، ولقد سبق أن وضع الاستعمار البريطاني كل العراقيل الممكنة أمام الشيخ بابكر بدري لكنه صمد ولم يتراجع مما اضطر الاستعمار لفتح مدارس أولية للبنات في عام 1907م (البدري ، 2002، ص1)،في وقت يرفض فيه المجتمع السوداني خروج المراه ويعتبره عاراً وعيبا ، ثم تتواصل الجهود الشعبية والحكومية . فكان إنشاء أول مدرسة لتدريب المعلمات وأول مدرسة للممرضات عام 1920 ثم أُنشئت أول مدرسة متوسطة عام1938م.

بصفة عامة اتسمت نسبة دخول الطالبات إلى الطلبة في الجامعات بالتدني . حيث بلغت نسبة الطالبات في الخمسينات من القرن الماضي 3% ثم إرتفعت عام 1976 لتبلغ 15% ربما يرجع ذلك إلى موقف المجتمع السوداني المتحفظ تجاه التعليم المختلط. وبزيادة الوعي إرتفعت نسبة الطالبات في الجامعات لتبلغ فيما بعد أكثرمن 50%( العتباني، 2002، ص1).  
 رغم حصول المرأة السودانية علي حق الانتخاب والترشيح منذ عام 1964م ، إلا أنة لم تصل الي البرلمان منهن الا نسبه بسيطه عبر الانتخاب الحر الديمقراطي، فإذا نظرنا إلي مشاركة المرأة السودانية في السياسة بصورة عامة نجد أن مشاركتها السياسية تعود إلي العهد التركي الذي شاركت فيه عدد من النساء مثل" بنت المني" أخت المناضل ود حبوبه و"مهيره بنت عبود "التي شاركت ضد إسماعيل باشا ومندي بنت السلطان عجبنا التي حاربت مع ابيها في مقاومة الانجليز في جبال النوبه و"رابحة الكنانية" التي كانت تحمل الرسائل لقوات المهدي التي كانت منتشرة في مختلف بقاع السودان وفي العشرينات من القرن الماضي ظهرت أسماء زوجات المناضلين مثل زوجة علي عبد اللطيف وعرفات محمد عبدا لله اللتان كانتا حلقة الوصل بين الجمعيات السرية وفي بداية الأربعينيات تبلور النضال ضد المستعمر فكان للنقابات دور مقدر في مناهضة الاستعمار فكان انضمام السودانيات للنقابات (نقابة العاملين بالتمريض ـ اتحاد المدرسات ) سنداً جديداً للحركة الوطنية لقيادة الصراع من اجل النساء وفي الوقت نفسه كان هناك أربع طالبات داخل جامعة الخرطوم يشاركن اتحاد الطلاب نشاطه في إطار القوي الوطنية السودانية(محمد،2009، ص3) .

في الفترة الممتدة من (1946\_1955)م وبتزايد مستوي الوعي القومي تزايد نشاط النساء ولكنة انحصر في:-

1/ محو الأمية

2/ محاربة العادات والتقاليد الضارة.

3/ التدريب علي رعاية الأمومة والطفولة إلي جانب الأعمال الخيرية.

كانت هنالك مطالبة بالحقوق في العمل في الاجر المتساوي منذ اواخر الاربعينات من القرن العشرين غير ان هذه المطالبه لم تاتي من الحركه النسويه وانما من بعض القيادات الرجاليه لمنح المراه الحق في التعليم النظامي الحديث كالرجل(بدري، 2007،ص106) ويعتبر قيام الاتحاد السوداني عام1952 م بمثابة فتح جديد للعمل النسوي في السودان حيث حدث تطور ملحوظ في اهتمام الحركة النسويه بالقضايا العاجلة والأمور التي تهم النساء فالمرأة طالبت بحقوقها السياسية قبل الاستقلال عند انتخابات الجمعية التشريعية في عام 1954 م(محمد،2009م،ص3)فكان الأتي :\_

1/ منح حق التصويت لخريجات الثانوية فقط وآلائي بلغ عددهن العشرين خريجة وشاركن في الانتخابات.

2/ طالبت المرأة بالمشاركة في أول لجنة وضعت الدستور المؤقت ونالت هذا الحق السيدة" ثريا الدر ديري" في أول لجنة دستور.

أما بعد الاستقلال في عام 1956م نالت المرأة الآتي:ـ

1/ المساواة في الأجور حيث كانت تأخذ 4|5(اربعه اخماس) من اجر الرجل.

2/ توسيع فرص العمل في الخدمة المدنية التي كانت محصورة في بالتمريض والتدريس فقط. والاهتمام بحقوق الام العامله.

3/ خضوع قوانين الأحوال الشخصية للمراجعة ووقف ما يسمي بيت الطاعة .

4/المشاركة الدولية للنساء دون رقيب أو مرافق

5/ إلغاء العمل بالمشاهرة بعد الزواج مع تأكيد معاش المرأة العاملة .

ثم كان انقلاب عبود عام 1958م الذي عطل الدستور والعمل به، وبعد ثورة أكتوبر 1964م دخلت أول امرأة سودانية البرلمان عن دوائر الخرجين وهي فاطمة احمد إبراهيم وكانت تلك الانتخابات هي الأولي بعد ثورة أكتوبر التي تؤكد مدي استفادة الأحزاب من أصوات النساء فكان مجموع الذين صوتوا في كل المديريات 72% نساء و74%رجال ونسبة التصويت في مديرية الخرطوم (العاصمة)83%نساء و78%رجال وكان للاتحاد النسائي الدورالأكبر في دفع النساء للمشاركة الفاعلة في الانتخابات(محمد،2009م،ص3) اما في مايو 1969م وقع الانقلاب العسكري الثاني بقيادة جعفر محمد نميري وقام بتعيين أول وزيرة تتولي وزارة الشئون الاجتماعية، واصدر أول دستور سوداني يهتم بالحقوق العلمية والاجتماعية والسياسية للمرأة كونها كائن مستقل لها حقوق وعليها واجبات بالإضافة لمساواتها مع بقية مواطني الدولة في الحقوق والواجبات السياسية والمدنية والحريات ،كما اهتمت المادة (29) من الدستور برعاية الأمومة والطفولة و محو الأمية وتعليم الكبار باعتبارها واجبا وطنيا ،كما نصت المادة (55)منة أن للأمهات والأطفال الضمانات الكافية وذلك بالإضافة لعدم التمييز في العمل بين المرأة والرجل وكفل حق الانتخابات متى ما بلغ الشخص 18 عاما كما منح المرأة حق التنقل في المادة (41)ولكن قيدها بكثير من اللوائح(محمود،2015م،ص19).

كذلك نجد أن المرأة شاركت في انتفاضة ابريل 1985م ونجد أن دستور الفترة الانتقالية اقر لها حق المساواة وفرص العمل والكسب ولكنة لم يطور كثير من الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للمرأة بل لم يدرج العمل بالمواثيق الدولية المصادق عليها من قبل الدولة .أما في فترة الديمقراطية الثالثة سنة 1986م فقد ازداد عمل المرأة عبر الجمعيات الطوعية التي عملت في ظروف الجفاف والتصحر والحرب في الجنوب قبل انفصاله وعند إجراء الانتخابات العامة ترشحت النساء في الدوائر الجغرافية ومقاعد الخريجين، ولم تفز سواء امرأتان في مقاعد الخريجين هما" سعاد الفاتح" و"حكمات حسن" عن الجبهة القومية الاسلامية). ويبدو أن غياب الديمقراطية لفترة طويلة إنعكس سلبا عن مشاركه المرأه السياسيه في السودان.

أما في ظل نظام الإنقاذ 1989م بدا النظام عقد مؤتمرات قومية للحوار الوطني بقرارات من رئيس الجمهورية عمر حسن احمد البشير منها مؤتمر دور المرأة في الإنقاذ الوطني وكان الهدف هو توسيع مشاركة المرأة في العمل النسوي الجماهيري ،وكان من توصيات المؤتمر الذي انعقد في يناير 1989م قيام تنظيم باسم الاتحاد العام للمرأة السودانية، أيضا هناك ما يسمي بالتجمع النسائي الوطني الديمقراطي ،فالإنقاذ خصصت نسبة 10%للنساء داخل المجلس الوطني وعينت في الجهاز التنفيذي عددا من القيادات النسائية ،وما تزال المرأة تشارك في منظمات المجتمع المدني بفعالية(محمد،2009م،ص6). مما يعني تطورملحوظ في المشاركة السياسية للمرأه السودانيه وبالنظر إلي دستور الإنقاذ 1989م خلا الدستور من أي إشارة للحقوق السياسية والمدنية والاقتصادية للمرأة وما ذكر من حقوق جاء في الموجهات العامة ، هكذا توالي اهتمام المرأة بالعمل السياسي والمشاركة السياسية فوضعت الاستراتيجة الربع قرنية من2003\_2027م والتي تلخصت أهم أهدافها في :\_

1/ تحريك قطاع المرأة كمورد بشري هام في تحقيق التنمية الشاملة من اجل تمكينها اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا وتقنيا وتأهيلها للعالمية.

2/ التأكيد علي دور الأسرة كركيزة أساسية ومأوي طبيعي لأفراد المجتمع وأداة لتحقيق الاستقرار السياسي وتعبئة طاقاتهم للمساهمة الفاعلة في المجتمع .

3/ تبني السياسات والتشريعات في الخطط والبرامج التنموية التي تساعد علي مشاركة المرأة وإدماج قضاياها في كافة القطاعات التنموية الاجتماعية والاقتصادية.

عقدت عدة مؤتمرات تؤكد علي أهمية دور المرأة في المجتمع منها مؤتمر فيينا الذي عقد في مايو 2005م تحت عنوان تحديات المرأة السودانية في توسيع المشاركة الشعبية والتحول الديمقراطي وإعادة البناء في السودان وشاركت في المؤتمر 40 منظمة طوعية عاملة في مجال المرأة وهدف المؤتمر إلي تجميع قدرات المرأة السودانية وتعزيز دورها في التنمية والمشاركة السياسية بداخل السودان ودول المهجر والتي شارك فيها ممثلات من السودان \_نيروبي \_ مصر \_ الخليج \_ أمريكا \_ كندا \_ أوربا ومن أهم محاور المؤتمر دور الحركة النسائية في التحول الديمقراطي والمشاركة الشعبية(محمد،2009م،ص6) . أيضا في منتصف العام 2008م انعقد مؤتمر القطاع السنوي بالمؤتمر الوطني تناول ثلاثة محاور هي:\_

1/ المحور السياسي: من خلاله تمت مناقشة دور المرأة في الانتخابات

2/ المحور التنموي: من خلاله تمت مناقشة دور المرأة في التنمية الاجتماعية.

3/ المحور الفكري: من خلاله تمت مناقشة التمييز الايجابي للمرأة .

حيث تتضح لنا أهمية دور المرأة في عملية التنمية السياسية في المجتمع من خلال الشعارات التي تبنتها المؤتمرات مثل (المرأة شقيق عملاق لوطن عملاق وحزب عملاق ونشارك سواء بسواء لبناء السودان) وهكذا تنوعت الشعارات دليلا علي أهمية دورها.

**تقييم المشاركه السياسيه للمرأه السودانيه :ـــ**

رغم ان المرأه السودانيه اصبح لها وجود في كل المجالات سالفة الذكر وان هنالك الكثير من القوانين والتشريعات التي تضمن للمرأه السودانيه حقوقها في المشاركة السياسية خاصه في ظل الوعي السياسي والاجتماعي الذي اصبحت تتمتع به المرأه السودانيه، هنالك بعض المعوقات التي تقف حجر عثرة في طريق تقدمها خاصه في الولايات والمناطق الريفيه، حيث ان مشاركه المرأه في الحياه السياسيه هي رهن بقيم وتقاليد المجتمع الذي تعيش فيه وتتوقف درجه هذه المشاركه علي مقدار ما يتمتع به المجتمع من حرية وديمغراطية من الناحيه السياسيه وعلي ما يمنحه المجتمع من حريات اجتماعيه للمرأه لممارسه هذا الدور(بيبرس ؛ د.م، ص 3) .

كما تتمثل معوقات المشاركه للمراه من الناحيه السياسيه في عدد من المحاور والتي يمثل المناخ الانتخابي اولها حيث تسيطر علي جو المنافسه الانتخابيه اليات العنف والمنافسه غير الشريفه التي تجعل المرأه عرضه للمهاترات السياسيه مما يجعل المراه في بعض المناطق توزان ما بين مشاركتها وما بين سمعتها واطفالها، و يعتبر ذلك من العوائق الاساسيه امام المرأه ونجد ان ضعف وهشاشه الدعم الحزبي للمرأه وهيمنه القبليه والطائفيه والعشائريه من خلال العادات والتقاليد التي هي الحاكم في العديد من المناطق في السودان وبعض القبائل تري ان خروج المراه للتعليم عار ناهيك عن مشاركتها في الحياه السياسية.

كذلك تظهر المعوقات من خلال الجانب الاقتصادي حيث ان التحولات الاقتصاديه في المجتمع تؤثر علي المرأه بصوره اكبر، فالمرأه في العديد من المناطق السودانيه لا تتمتع باستغلاليه اقتصاديه لذا فان الفقر والانشغال بمطالب الحياه اليوميه يمثلان اهم العوائق الاقتصاديه لمشاركه المرأه السياسية حيث انها من ناحيه تاريخه كانت لا تتساوي مع الرجل في الاجر وان اهتمامها بالجانب الاقتصادي جعلها تجتهد من اجل توفير العيش لاطفالها.

اما المعوقات الاجتماعيه تتضح من البيئه الاجتماعيه في السودان، حيث سياده الثقافه الشعبية التي تري ان دور المراه يقتصر علي المنزل مما ادي الي ارتفاع نسبه الاميه وضعف مشاركة المرأه السياسيه. بالاضافه الي ان الحرب والنزاعات الداخليه ونتائجها من نزوح وفقر تعتبر من اهم المعوقات امام مشاركه المرأه(العتباني، 2002،ص7) وان تاثير هذه الحروب والنزاعات في بعض مناطق السودان هو الذي اثر علي وضعيه المرأه اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا وادي الي ارتفاع نسبه الاميه وضعف المشاركة السياسية للمرأه.

**خلاصه الدراسه:ـ**

من كل ما ذكر نخلص الي اهميه مشاركه المراه السياسيه وفي السودان بالرغم من انها حققت نسبه عاليه، من المشاركه خاصه في المدن الا انه ما تزال هنالك بعض المناطق الريفيه في الولايات تعاني من ضعف مشاركه المرأه، ويعتبر السبب الاساسي في ذلك العادات والتقاليد وقيم هذه المجتمعات.

حيث هنالك تدني في معدلات تعليم المرأه السودانيه مما ادي الي غياب الوعي بالنسبه للمراه بالرغم من وجود القوانيين والتشريعات بالاضافه الي انه في بعض المناطق تتمثل العوائق في الفقر وتدني مستوي الدخل مما ادي الي انشغالها بالاعمال الهامشيه مثل بائعات الشاي ،عاملات في المنازل وغيرها الامر الذي ادي الي ضعف المشاركه السياسية.

اوضحت الدراسه ان بعض العالدات والتقاليد في السودان تتحكم في بعض المناطق الريفية مما اصبح عائق امام مشاركه المراه السياسيه. كما ان النزاعات والحروب اثرت سلبا علي المشاركة السياسية للمرأه السودانيه.

**توصيات الدراسة:ـ**

1/ الاهتمام بالمرأه باعتبارها الشريحه الاسياسيه في المجتمع (فهي التي تربي الاجيال) خاصه في جانب التعليم والتوعيه .

2/ متابعه التشريعات والقوانين وتطبيقاتها في كل المجتمعات خاصه المناطق الريفيه .

3/ قيام منظمات المجتمع المدني والاحزاب السياسيه بالتوعيه السياسيه باهميه دور المرأه في المجتمع.

4/ الاهتمام بدور المراه في المجتمع وعكس ما تقوم به من نجاحات عبر وسائل الاعلام ومراحل التعليم المختلفه.

**المصادر والمراجع:ـــــ**

1/ امنه الصادق البدري ، مشاركه المراه السودانيه في العمل السياسي ،ورشه العمل الاقليميه حول قضايا النوع الاجتماعي والتحول الديمقراطي في الوطن العربي، يناير 2002م، المركز الاقليمي للامن الانساني ، 2004م.

2/ ايمان بيبرس، المشاركه السياسيه للمراه في الوطن العربي ، جمعيه نهوض وتنميه المراه ، د.م.

3/ ايمان رمزي خميس ، دور المراه السياسي في الاسلام (دراسه مقارنه) ، جامعه النجاح الوطنيه (كليه الدراسات العليا) ، 2006م.

4/ اشتياق عبدالله محمد، دور المشاركه السياسيه في تحقيق التنميه السياسيه ، ورشه التثقيف الانتخابي وقضايا النوع ، جامعه شندي ،مارس 2009 م،

5/ بلقيس بدري، الحصص الانتخابيه للمراه في قوانين الانتخابات‘ معهد دراسات المراه والنوع والتنميه ،جامعه الاحفاد،2007م

6/ بن منصور اليمين، دور القيم الدينيه في التنميه الاجتماعيه،جامعه الحاج خضرـ باتنه،2015م

7/ حسن علي الساعوري،السياسيه بين الاصاله والتاصيل ، المكتبه الوطنيه ،السودان، 2013م.

8/ حسن علي الساعوري ، التحليل السياسي ، جامعه النيلين ،2005م.

9/دريه احمد محمود ،المشاركه السياسيه للمراه السودانيه منذ 1989م، المكتب العربي للمعارف، 2015م.

10/ ساميه خضر صالح ، المشاركه السياسيه والديمغراطيه ( اتجاهات نظريه ومنهجيه) ، كتب عربيه، 2005م.

11/سعيد علي الحسينه، دور القيم الاجتماعيه في الوقايه من الجريمه،(ماجستير) ،جامعه نايف للعلوم العربيه،2005م.

12/ عبده علي العسير ، اهميه المشاركه السياسيه للمراه ، صحيفه الوطن البحرينيه العدد2506، شركه الوطن للحافه والنشر ، 2016م.

13/ مجد خضر، تعريف القيم لغه واصطلاحا، في maud003.com،يناير 2016م.

14/ هويدا صلاح الدين العتباني ، قضيه النوع والتحول الديمغراطي في السودان ، ورشه العمل الاقليميه حول قضايا النوع والتحول الديمغراطي في الوطن العربي ،المركز الاقليمي للامن الانساني، 2002م.

**وظيفة السياق القرآني وأثره في تحديد دلالة الألفاظ**

(دراسة بلاغية)

**د/ عبد الحكيم أحمد سر الختم جيني**

أستاذ البلاغة والنقد المشارك، بجامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم، وجامعة الملك فيصل، المملكة العربية السعودية

ملخص بحث:

**الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين. وبعد ...**

**فإن القرآن الكريم يُعد أعلى قمة لغوية وأرفع قيمة بلاغية، إذ تعتمد ألفاظه وتعبيراته على سياقه، فلا تُفهم معانيه بمعزل عنه.**

**والمفردة القرآنية لها قيم وأبعاد دلالية كثيرة، تنشأ عن طابعها الدلالي داخل سياقها، فينتج عن ذلك تفاعل بين المرسل والمتلقي، ويكون لذلك أثر نفسي يحقق أغراض التواصل.**

**والمفردة في السياق القرآني تأتي متسقة اتساقاً تاماً، وهي فوق ذلك مختارة منتقاة، يختص كل لفظ بمعنى دقيق لا يتعداه إلى غيره، فقد تأتي المفردة الواحدة لمعان متنوعة، حسب السياق الذي وردت فيه، وحسب مقتضيات الأحوال، هيئة، أو صورة، أو نغماً، أو غير ذلك، فتكون قوية في مواطن القوة، رقيقة عند الرقة، هادئة وقت الهدوء، حسب ما يقتضيه المقام، ويدعو إليه السياق الواردة فيه.**

**وقد جاء هذا البحث موسوماً بـ (**وظيفة السياق القرآني وأثره في تحديد دلالة الألفاظ (دراسة بلاغية) **لمحاولة الكشف عن القيم المختلفة للألفاظ القرآنية في سياقها، ومعرفة تلك القيم التي يمتاز بها السياق القرآني عن غيره في إشاراته الخفية، وقيمه البلاغية، مبيناً أن المصطلحات الحديثة التي يُنادَى بها حاضرة في تراثنا العربي بمسميات قد تكون مختلفة وفقاً لخصوصية اللغة وأفراد التواصل. وأن من أراد أن يفسر القرآن عليه معرفة وجوه الأساليب وما تحمله من معاني دقيقة وإشارات خفية كامنة يُظهرها التحليل وفق السياق.**

**وقد اقتضت طبيعة البحث أن يجيء في مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة اشتملت على نتائج وتوصيات. يمكن تفصيل ذلك على النحو التالي:**

**المبحث الأول: يتحدث عن** مفهوم السياق**، أما المبحث الثاني فقد جاء تحت عنوان:** الدلالة الوظيفية لألفاظ القرآن**، ويتعرض المبحث الثالث** للسياق القرآني ودلالة المترادفات.

**ولطبيعة هذا البحث فقد اُتبِع فيه المنهج التحليلي والوصفي؛ للوصول إلى عدد من النتائج أهمها: أن الإعجاز القرآني يرتكز على النظم، وأن المفردة وفق سياقها هي أساسه وعماده، وهي ذات قيم ومعاني، وأن ألفاظ القرآن تختلف حسب مقتضيات الأحوال فتأتي محققة لأغراض التواصل.**

مقدمة:

**يعد السياق القرآني أعلى نمط خطابي، فهو معجزة النبي- صلى الله عليه وسلم- لأنه ينتظم القرآن الكريم كله كما يقول الشهيد سيد قطب (ينظر قطب، 1415هـ 1995م، ص19) وإن أعظم وأهم وجوه الإعجاز فيه الإعجاز البياني القائم على النظم، ذلك الترتيب المعتمد على الألفاظ باعتبارها لبنة فيه، وهي ذات خصائص متناهية في دقته التعبير، وحلاوة الجرس، وسهولة المخرج، وجمال الإيقاع، وسلاسة الحروف وجزالتها من غير عنجهية بدوية، ولا ركاكة سفسفية (ينظر ابن الأثير،9391م، 1/170 – 185).**

**وقد كان لألفاظ القرآن في جُملها من جهة، واختيار هذه الألفاظ من جهة أخرى، ثم ترتيب الجمل والآيات في السورة أثر كبير في توضيح معاني القرآن، وما تحمله من أغراض ودلالات. فالكلمة في القرآن إذن هي أساس نظمه، ومفتاح نصه القائم على المعاني والإرشادات التي لا يعرفها إلا من ملك آلة البلاغة، وعرف وجوه الأساليب وخصائصها، وما تحمله من معان دقيقة، وإيحاءات خفية بحسب مقامات الكلام (ينظر ابن عاشور، 1984م، 1/93).**

**وبما أن مفهوم الدلالة يرتكز على تحليل الخطاب وبيان دلالته وما يرمي إليه، بهدف التواصل بين المتكلم والمخاطب، فقد رأى الباحث أن يقف عند بعض المعاني الدلالية في النسق القرآني المعجز. وقد كان من أهم أسباب اختيار الموضوع، شيوع المصطلحات الحديثة في الدراسات النقدية، ما أدى إلى تلاقح الثقافات الأدبية، بالإفادة من الثقافات الأخرى، بما يخدم اللغة العربية، ويتلاءم مع طبيعة اللغة العربية وقابلية الأخذ والعطاء؛ للإسهام في بلورة منهج سياقي عربي.**

**من هنا تأتي أهمية البحث متمثلة في إلقاء الضوء على ظاهرة أدبية لها جذور في التراث العربي، ومن ثم العودة بالمصطلحات البلاغية والنقدية إلى جذورها العربية، وبيان أثر الموروث الثقافي العربي في الدراسات الغربية الحديثة، وإثراء المكتبة العربية بمثل هذه البحوث، التي تجعل القرآن الكريم مجالاً للتطبيق، بالكشف عن قيمة الكلمة وفق سياقها.**

**ويمكن تمثيل مشكل البحث في الأسئلة التالية: هل من الممكن تفسير معاني القرآن دون النظر إلى سياقها؟ . وهل يستطيع المفسر أن يوضح معاني القرآن دون معرفة وجوه الأساليب وما تحمله من معاني دقيقة وإشارات خفية. وعلى أي شيء يعتمد النظم القرآني؟ .**

**وهذه الأسئلة وغيرها يمكن الإجابة عنها من خلال الفرضيات التالية: وجوب معرفة وجوه الأساليب وما تحمله من معاني دقيقة وإشارات خفية لمن أراد أن يتطرق لتفسير القرآن الكريم، إذ لا يمكن تفسيره دون النظر إليه في سياقه؛ لاعتماده على المفردة وملاءمتها لسياقها. وأن التأويلات الخفية في الأسلوب القرآني، تنكشف من خلال التحليل داخل السياق .**

**وسيتبع الباحث بمشيئة الله تعالى المنهج الوصفي والتحليلي، باستقراء الآيات القرآنية وتحليلها وفق سياقها. إلا أن**

**طبيعة البحث قد اقتضت أن يجيء في مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة مشتملة على نتائج وتوصيات، يمكن تفصيلها على النحو التالي:**

**المبحث الأول: يتحدث عن مفهوم السياق، أما المبحث الثاني فقد جاء تحت عنوان: الدلالة الوظيفية لألفاظ القرآن، ثم تعرض المبحث الثالث لأثر** **السياق القرآني في تحديد دلالة المترادفات.**

فإن يكن الباحث قد وفق في تناوله، فتلك نعمة من الله، وإن تكن الأخرى فحسبه أن اجتهد وأخلص النية ويمَّم وجهه شطر الصواب.

{لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ}(سورة البقرة الآية: 286)*.*

*مفهوم السياق*

**عَرِف العرب مفهوم السياق منذ أن عرفوا قيمة المفردة، فكانوا يؤثرون كلمة على أخرى وفق ما يقتضي السياق. فهذا طرفة بن العبد، ينتقد المسيب بن علس في وصفه البعير بوصف الناقة، إذ يقول: "استنوق الجمل"(ينظر الضبي، ص60، ومطلوب، 1982م، ص11) وذلك عندما وقف عند قوله:**

**وقد أتناسى الهم عند احتضاره \* بناج عليه الصيعرية مقدم**

**وكذا النابغة يستنكر على حسان بن ثابت - رضي الله عنه - لعدم مناسبة مفرداته للسياق ( ينظر الأصفهاني، 9/340، والرافعي 1953م، ص11) في قوله:**

**لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى \* وأسيافنا يقطرن من نجدة دما**

**ولدنا بني العنقاء وابني محرق \* فأكرم بنا خالاً و وأكرم بنا ابنما**

**ومثل ذلك كثير، وهو ما يدخل في صميم تحديد دلالة المفردات (ينظر ابن الأثير، 1939م، 1/149). ومهما يكن من أمر فإن مفهوم السياق له جذور في تراثنا العربي، وإن جاء بمصطلحات مختلفة، فتأليف الكلام يخضع في المقام الأول لغرض المتكلم وما يرمي إليه، فعليه أن يختار الكلمات وفق سياقها لغرض التواصل مع المتلقي.**

**يعرف ابن منظور مفهوم السياق فيقول: "ساق الإبل وغيرها يسوقها سوقاً وسياقاً، وهو سائق وسواق" (ابن منظور، 1988م، 3/242).**

**ويعرفه الزمخشري فيقول: "سوق: ساق النعم فانساقت، ومن المجاز ساق الله إليه خيراً، وساق إليها المهر، وساقت الريح السحاب...، وإليك يساق الحديث، وهذا الكلام مساقه إلى كذا، وجئتك بالحديث على سوقه، أي على سرده" (الزمخشري، 1979م، ص225).**

**وقد حظي مفهوم السياق الاصطلاحي عند علماء اللغة العربية، منهم ابن جني، والجاحظ، والآمدي والجرجاني وغيرهم، فالآمدي يقسم دلالات السياق، فهي عنده ثلاث، دلالة التنبيه ودلالة الإيماء، ودلالة المفهوم، ودلالة الإشارة. ويرى أنه لا يتم فهم أي دلالة من هذه الدلالات إلا عن طريق السياق (ينظر الآمدي،1992م، ص81).**

**ويظهر هذا المصطلح (مصطلح السياق) جلياً عبد القاهر الجرجاني في نظريته القيمة (النظم) فقد أشار للنظرية السياقية من خلال كتابه (دلائل الإعجاز) بهدف الفهم الصحيح للقرآن الكريم وبيان إعجازه (ينظر الجرجاني، 2005م، ص267) إذ يقول: "فاعلم أن أغراض الناس تختلف في ذكر الأفعال المتعدية، فهم يذكرونها تارة، ومرادهم أن يقتصروا على إثبات المعاني التي اشتفت منها للفاعلين، من غير يتعرضوا لذكر المفعولين." (الجرجاني، 2005م، ص267).**

**ونجده يذكر القصدية التواصلية عند المتكلم فيسميها "معاني النفس"ويربطها بغرض المتحدث، فقد يكون هناك تقديم أو تأخير، أو حذف أو ذكر، أو وصل أو فصل، أو غير ذلك ( ينظر الجرجاني،2005م، ص373).**

**أما مفهوم السياق في الدراسات الغربية، فهو الخطاب القابل للفهم، وتأويل الموضوع في سياقه، لما له من دور فعال في تواصلية الخطاب، إذ ليس للخطاب معنى دون الإلمام بسياقه. فعلى محلل الخطاب أن يأخذ بعين الاعتبار السياق الذي يظهر فيه الخطاب، وهو يتكون من المتكلم، الكاتب، المستمع، القارئ، الزمان، المكان، وهذا بدوره يؤدي إلى تأويل الخطاب، فظهور قول واحد في سياقين مختلفين، غالباً ما يؤدي إلى تأويلين مختلفين. فالسياق ّإذن له دور مزدوج، فهو يحصر مجال التأويلات الممكنة، ويدعم التأويل المقصود (ينظر المركز الثقافي العربي،1991م، ص17).**

**وهناك استراتيجيات وآليات يوظفها المرسل في خطابه انطلاقاً من معايير مختلفة تتحكم في عملية التواصل، أهم هذه المعايير مراعاة المرسل أو المخاطب لمعالم السياق، فلا يمكنه إنتاج خطاب معين إلا بمراعاة المعايير التي يتوفر عليها السياق، وهي العناصر السياقية التواصلية التي تتوفر بين المرسل والمتلقي، وبينهما وبين الظروف المحيطة بالخطاب.**

**وبما أن اللغة ذات نظام متداخل العلاقات، بنية، وتركيباً، فلا بد من النظر إلى المفردة من خلال السياق الذي ترد فيه، لذا فإن منهج النظرية السياقية يعد من المناهج الموضوعية لتحديد معاني المفردة، وذلك لاهتمامه بالسياق كأداة تحدد من خلالها المعاني؛ لأن السياق يحمل معان إضافية تشترك مع المعاني المعجمية في تحديد المعنى الذي قصد إليه المرسل، فالكلمة إذن لها معنى قاعدي ومعنى سياقي (ينظر أوشان، 2000م، ص15).**

**وفي المصطلحات الحديثة تتعرض دراسة السياق للبعد الاستخدامي للغة، فهي ليست علماً لغوياً محضاً يكتفي بوصف وتفسير البنى اللغوية ويتوقف عند حدودها وأشكالها الظاهرة، ولكنها علم يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال التواصلي اللغوي، بما يتوافق مع طبيعة اللغة والمجتمع. فهي تشتمل على مستويات متداخلة كالبنية اللغوية، وقواعد الخطاب، والاستدلالات، وغيرها (ينظر صحراوي، 2005م، ص16).**

**وليست المعاني والمقاصد التواصلية مضامين لغوية فحسب، فهي أفعال كلامية، بل هي إنجازات وأفعال تواصلية، ترمي إلى صناعة أفعال ومواقف اجتماعية، أو مؤسسية، أو فردية، بالكلمات فتؤثر في المخاطب، بحمله على فعل، أو ترك، أو دعوة، أو تقرير، أو توكيد، أو تشكيك، أو نفي، أو غير ذلك (ينظر صحراوي، 2005م، ص11).**

**ويطلق هذا المصطلح أيضاً على التخصص الذي يعنى بدراسة ما هو موجود على مستوى معالجة معنى الملفوظات في سياقها، وفق استراتيجيات خاصة، تعتمد على مفاهيم أساسية، كمفهوم الفعل، ومفهوم السياق، فهي بذلك تمثل حلقة وصل مهمة بين حقول معرفية متعددة، منها الفلسفية التحليلية، ونظرية الملائمة، وعلوم التواصل، وغيرها (ينظر علوش، الإنماء القومي، ص5 ).**

**إذن فمفهوم السياق في أدق تعريفاته، يعني دراسة النشاط اللغوي، بطرائق دقيقة، يمكن من خلالها استخدام الألفاظ اللغوية لتحقيق العملية التواصلية، بما يوافق السياق والمقام (ينظر صحراوي، 2005، ص5).**

الدلالة الوظيفية لألفاظ القرآن

**اللفظ أصل الدقة في التعبير، إذا وضع موضعه، ضمن المتحدث الدقة، والقوة، والصدق، والوضوح، وأمن الترادف والغموض، وهذا ما عليه سياق القرآن الكريم، فلو وضع فيه لفظ مكان لفظ لم يؤد المعنى المطلوب (ينظر الزيات، 1967م، ص4).**

**فالألفاظ القرآنية إذن هي لب الكلام، عليها اعتماد الفقهاء والحكماء، وإليها يفزع حذاق الشعراء والبلغاء، فإذا أبدل اللفظ القرآني وجُعل مكانه غيره تبدل المعنى، وذهب الرونق فهي منتقاة بعناية فائقة؛ لتؤدي وظيفة دلالية، لا يمكن أن يؤديها غيرها (ينظر الخطابي، ص29، والأصفهاني ،1961م، ص6، وقصاب،2000م، ص51).**

**تأمل قوله تعالى:** **{قَالُواْ يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لِّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ} (سورة يوسف الآية: 17) تجد لفظ (أكله) قد وضع في موضعه تماماً، حيث لم يقل (افترسه الذئب) لما يستعمل في فعل السباع عادة؛ لأن الافتراس معناه القتل فحسب، وأصل الفرس دق العنق، والقوم إنما ادعوا على الذئب أنه أكله أكلاً، وأتى على جميع أعضائه وأجزائه، فلم يترك مفصلاً ولا عظماً. فلما خافوا مطالبة أبيهم إياهم بأثر باقٍ يشهد بصحة ما ذكروه، ادعوا فيه الأكل ليزيلوا عن أنفسهم المطالبة. و ولما كان لفظ (افترسه) لا يعطي تمام هذا المعنى، فلا يصح أن يعبر عنه بـ (الأكل) (ينظر الخطابي، ص41، وقصاب، ص51 ).**

**ومثله قوله تعالى:{فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاء بِعِجْلٍ سَمِينٍ}(سورة الذاريات، الآية: 26) حيث م يقل: (عدل إلى أهله) أو ذهب إلى أهله، بل اختار لفظ (راغ) الذي يدل على الميل في خفة وتلطف، فكأنه أرد هنا أن يبين أنه مضى إلى أهله في سرعة وخفية عن ضيفة؛ لأن من أدب المضيف أن يبادر بإحضار الضيافة من غير أن يشعر به الضيف، حذراً من أن يمنعه، فلا يكون( الرواغ) إلا أن تخفي ذهابك ومجيئك (ينظر ابن الجوزي، 8/36، قصاب، ص52).**

**وكذا قوله سبحانه: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}(سورة البقرة، الآية: 54) فقد اختص هذا الموضع بذكر (البارئ) دون غيره من أسمائه تعالى؛ لأن البارئ هو الذي خلق الخلق بريئاً من التفاوت، متميزاً بعضه من بعض، بالأشكال المختلفة والصور المتباينة، فكان في ذلك تقريع بما كان منهم من ترك عبادة العالم الحكيم، الذي برأهم بلطف حكمته على الأشكال المختلفة أبرياء من التفاوت والتنافر، إلى عبادة البقرة التي هي مثل في الغباوة والبلادة كما يقول الزمخشري ( ينظر الزمخشري، 1/92) .**

**وتظهر الوظيفة الدلالية لألفاظ القرآن أيضاً في قوله تعالى: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ} (سورة آل عمران، الآية: 59) حيث لم يقل من (طين) كما أخبر في قوله: {إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِن طِينٍ}(سورة ص، الآية:71) إنما عدل عن (الطين) الذي هو مجموع الماء والتراب إلى ذكر مجرد التراب؛ لمعنى لطيف، وذلك أنه أدنى العنصرين وأكثفهما، ولما كان المقصود مقابلة من ادعى في المسيح الألوهية، أتى بما يصغر أمر خلقه عند من ادعى ذلك، فلهذا كان الإتيان بلفظ التراب أمس في المعنى من غيره من العناصر.**

**ولما أراد الله الامتنان على بني إسرلئيل، أخبرهم أنه يخلق من الطين كهيئة الطير؛ تعظيماً لأمر ما يخلقه بإذنه؛ ليعظموا قدر نعمته (ينظر قصاب، 2000م، ص55).**

**والمفردة في القرآن الكريم – فوق ذلك - لها وظيفة سياقية أخرى، غير وظيفتها اللغوية، وكل ذلك يرد حسب السياق الذي ذكر فيه، فقد جاء عند الزمخشري أن قارئاً قرأ (غفور رحيم) فسمعه أعرابي لم يقرأ القرآن فأنكره وقال: إن كان هذا كلام الله، ولا يقول كذا الحكيم، لا يذكر الغفران عند الزلل؛ لأنه إغراء عليه (ينظر، الزمخشري، 1/183).**

**إذن هناك مميزات للألفاظ القرآنية، تتمثل في اتساقها الكامل وانسجامها مع النص، ودقتها في التعبير، وإصابتها للمعنى، فقد يُنظر إلى بعض السياقات اللفظية في القرآن الكريم، فيُظن عدم التناسق بينها، ولكن إذا أمعن النظر وفق سياق اللفظ، انكشف التقارب الخفي الذي يدل دلالة واضحة على المعنى المراد.**

**ومن وظائف الألفاظ القرآنية أيضاً "أنك ترى لفظتين تدلان على معنى واحد، وكلاهما حسن في الاستعمال، وهما على وزن واحد، وعدة واحدة، إلا أنه لا يحسن استعمال هذه في كل موضع تستعمل فيه هذه، بل يفرق بينهما في مواضع السبك، وهذا لا يدركه إلا من دق فهمه وجل نظره.**

**من ذلك قوله تعالى: {ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه} وقوله تعالى: {إني نذرت لك ما في بطني محرر}اً فاستعمل الجوف في الآية الأولى، والبطن في الآية الثانية، ولم يستعمل الجوف موضع البطن، ولا البطن موضع الجوف، واللفظتان سواء في الدلالة، وهما ثلاثيتان في عددٍ واحد، ووزنهما واحد أيضاً، فانظر إلى سبك الألفاظ كيف تفعل؟ (ابن الأثير، 1939م، ص51).**

**ويظهر هذا جلياً في مثل قوله تعالى: {مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَن بِالْغَيْبِ وَجَاء بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ} (سورة (ق) الآية: 33).فإن القارئ لهذه الآية الكريمة عندما يمر بلفظ (الرحمن) قد يتبادر إلى ذهنه عدم اتساق لفظ (الرحمن) مع لفظ (الخشية) الوارد في الآية نفسها، فيجول بخاطره السؤال التالي: كيف يطابق لفظ الخشية لفظ الرحمن؟ أليس من الطبيعي أن يلائمه لفظ (الجبار) أو نحو ذلك؟ ولكن إذا أعاد النظر كرتين إلى اللفظ من زاوية السياق، علم أن اختيار اللفظ هنا لم يأت إلا لتأدية هدفين من أجلهما سيقت الآية الكريمة، الأول: إرادة الثناء على المتحدث عنه، بأنه قد خشي الله بالغيب مع علمه أن الله تعالى واسع الرحمة والمغفرة، والثاني: التعريض بالمشركين الذين أنكروا اسم (الرحمن) مصداقاً لقوله تعالى: {وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن} (سورة الفرقان الآية:60) (وينظر ابن عاشور،1984م، 14/74).**

**وفي السياق القرآني قد يثبت المعنى بنفي ضده، فكلمة (فاسد) لا تؤدي معنى كلمة (غير صالح) في مثل قوله تعالى: {قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ }(سورة هود الآية: 46) لأن المعنى المتبادر إلى الذهن وحده قد لا يكون هو المراد من الآية في هذا السياق، فقوله تعالى: (إنه ليس من أهلك) نفي لأن يكون من أهل دينه واعتقاده، وليس ذلك إبطالاً لقول نوح -عليه السلام-: {إن ابني من أهلي}(سورة هود الآية: 45) ولكنه إعلام بأن قرابة الدين بالنسبة لأهل الإيمان هي القرابة المعتبرة، وأنه إنما أنجى من أنجى من أهله لصلاحهم لا لأنهم أهله وأقاربه. وجملة (إنه عمل غير صالح) تعليل لمضمون جملة (إنه ليس من أهلك) فلما نفاه عن أهله، نفى عنه صفتهم بكلمة النفي التي يستبقى معها لفظ المنفى، وأن هذا لما انتفى عنه الصلاح، لم تنفعه الأبوة (ينظر ابن عاشور، 1984م، 7/194).**

**ومثله كذلك قوله تعالى: {فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ\* فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ\*عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِير} فالسؤال هنا هل يغني لفظ (عسير) دون ذكر لفظ (غير يسير)؟**

**تأتي الإجابة من داخل السياق نفسه، فالمتدبر للآية الكريمة يجد أن المعنى يحدده السياق تحديداً دقيقاً، فقوله تعالى: (على الكافِرِين) يعني قصر العسر عليهم دون سواهم، وقوله: (غير يسير) أفاد أنه لا يكون ذلك اليوم عليهم يسيراً كما يكون على المؤمنين؛ ليجمع سياق الآية الكريمة بين وعيد الكافرين، ووعد المؤمنين (ينظر الزمخشري، 4/157).**

**ومن المعاني الوظيفية للسياق القرآني، قوله تعالى: {قُرآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ}(سورة الزمر الآية: 28) فكلمة (مستقيم) أو كلمة (غير معوج) لا تؤدي معنى الآية الكريمة؛ لِما لذكر الفظ المرشح للاستعمال من معاني زائدة، منها: نفي أن يكون فيه عوج قط، وأن لفظ العوج مختص بالمعاني دون الأعيان كما يقول الزمخشري (ينظر الزمخشري، 3/346).**

**ويتضح ذلك جلياً في قوله تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا)} (سورة الكهف الآيتان: 1 -2) حيث جمع بين نفي العوج وإثبات الاستقامة وفي ذلك تأكيد على تأكيد.**

**إذن فإن اللفظ القرآني منتقى بعناية فائقة، يؤدي وظيفة دلالية لا يؤديها غيره، فكل معنى مصوغة له ألفاظه على مقاسه، مفصلة دون زيادة أو نقصان، فكل كلمة في كتاب الله تعالى متمكنة في موضعها، لا يمكن أن تنوب منابها كلمة أخرى؛ لأن اللفظ القرآني إذا أبدل مكانه غيره جاء منه تبدل المعنى وذهاب الرونق وفساد الكلام.**

**ومما توحي به المفردة القرآنية في سياقها تصوير النفس البشرية، في مثل قوله تعالى: {وَآتُواْ النَّسَاء صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَّرِيئاً}(سورة النساء الآية:4) فكلمة (طبن) تكمن خلفها معان بلاغية، تتمثل في ضيق المسلك، ووجوب الاحتياط، حيث بني الشرط على طيب النفس، فقيل: (فإن طبن) ولم يقل (فإن وهبن) أو (سمحن) إعلاماً بأن المراعى هو طيب نفسها عن الموهوب. وقيل: (فإن طبن لكم عن شئ منه) ولم يقل: (فإن طبن لكم عنها) حثاً لهن عن تقليل الموهوب (ينظر الزمحشري، 1/246).**

**ومن هذه المعاني معنى الازدراء والاحتقار الكامن خلف كلمة (أدبر) في قوله تعالى: {ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى} (سورة النازعات الآية: 22) فالمعنى: أدبر مرعوباً يسعى، أي يسرع في مشيته، والمراد: (ثم أقبل يسعى) كما تقول: أقبل فلان يفعل كذا ، بمعنى أنشأ يفعل، فوُضع أدبر موضع أقبل لئلا يوصف بالإقبال، ازدراءً واحتقاراً له (ينظر الزمخشري، 4/182).**

**ومما يكمن خلف اختيار اللفظ وفق سياقه اكتمال الصورة، فقد يستقل لفظ واحد في الأسلوب القرآني برسم صورة شاخصة، تارة بجرسه الذي يلقيه في الأذن، وتارة بظله الذي يلقيه في الخيال، وتارة بالجرس والظل جميعاً كما يقول الشهيد سيد قطب (ينظر سيد قطب، 1995م، ص91-96).**

**استمع إلى كلمة (اثاقلتم) في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ }(سورة التوبة الآية: 38) تجدها تصور ذلك الجسم المتثاقل، يرفعه الرافعون في جهد، فيسقط من أيديهم في ثِقل. فالكلمة هذه ة فيها ما فيها من الأثقال، ولو أنك قلت: (تثاقلتم) لخف الجرس، ولضاع الأثر المنشود، ولتوارت الصورة المطلوبة التي رسمها هذا اللفظ واستقل برسمها (ينظر سيد قطب، 2006م، ص46).**

**وتأمل كذلك قوله تعالى: {وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيد}(سورة النساء، الآية: 72) لترتسم لك صورة التبطئة في جرس العبارة كلها، وفي جرس (ليبطئن) خاصة، ولتجد اللسان يكاد يتعثر وهو يتخبط فيها حتى يصل ببطء إلى نهايتها.**

**ومثلها قوله تعالى حكاية عن هود - عليه السلام-: {قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّيَ وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ}(سورة هود، الآية: 28) فكلمة (نلزمكموها) هنا توحي بجو الإكراه، الناتج عن إدماج كل هذه الضمائر في النطق وشد بعضها إلى بعض، كما يدمج الكارهون مع ما يكرهون ويشدون إليه وهم منه نافرون.**

**ونستمع أيضا إلى جرس كلمة (يصطرخون) في قوله تعالى: {** **وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ}(سورة قاطر، الآية: 37) فيخيل إلينا جرسها الغليظ، غلظ الصراخ المختلط المتجاوب من كل مكان، المنبعث من حناجر مكتظة بالأصوات الخشنة، كما تلقي إلينا ظل الإهمال لهذا الاستصراخ، الذي لا يجد من يهتم به أو يلبيه، ونلمح من وراء ذلك كله صورة ذلك العذاب الغليظ، الذي هم فيه يصطرخون.**

**ونتأمل كذلك جرس كلمة (صر) في قوله تعالى: {مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هِـذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللّهُ وَلَـكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} (سورة آل عمران، الآية: 117) لتجد تصويراً لمدلولها, وكأنما قذائف تنطلق على الحرث فتهلكه، وهذا لون من التناسق، يصور الحرث تأخذه الريح، فتضرب الزرع والثمار فتهلكه, فلا ينال صاحبه منه ما كان يرجو بعد الجهد فيه.**

**وحين يستقل لفظ واحد بهذه الصور كلها، يكون ذلك فناً من التناسق الرفيع، في مثل كلمة (عتل) المصورة للغليظ الجافي المتنطع، في قوله تعالى: {عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ}(سورة القلم، الآية: 13).**

**وإذا سمعت قوله تعالى: {وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ} (سورة البقرة، الآية: 96) تصوير لكلمة (بمزحزحه) صورة الزحزحة المعروفة كاملة متحركة من وراء هذه اللفظة المفردة (ينظر سيد قطب، 2006م، ص47) وكذلك قوله تعالى: {فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ} (سورة الشعراء، الآية: 94) حيث أحدث جرس كلمة (كبكبوا) صوت الحركة التي تتم بها.**

**ومنها الأوصاف التي اشتقها القرآن ليوم القيامة، مثل (الصاخة) و(الطامة) فالصاخة لفظ يكاد يخرق صماخ الأذن في ثقله، وعنف جرسه، وشقه للهواء شقاً، حتى يصل إلى الأذن صاخاً. والطامة لفظ ذو دوي وطنين، يخيل بجرسه المدوي أنه يحطم ويعم ,كالطوفان يغمر كل شيء ويطويه.**

**وبما أن قيمة اللفظ لا تبرز إلا من خلال سياقه، وذلك بفضل التركيب، فقد جاءت لفظة واحدة في آية من القرآن، وبيت من الشعر، فكانت في القرآن جزلة متينة، وفي الشعر ركيكة ضعيفة، وما ذلك إلا لأثر السياق فيها. فالآية هي قوله تعالى: {فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ} (سورة الأحزاب، الآية: 53).**

**وأما بيت الشعر فهو قول أبي الطيب المتنبي:**

**تلذ له المروءة وهي تؤذي \*\*\* ومن يعشق يلذ له الغرام**

**فهذا البيت من أبيات المعاني الشريفة، جاء فيه لفظ (يؤذي) كما جاء في الآية من القرآن، فحط من قدر البيت لضعف تركيبه – كما يقول النقاد - وحسن موقعه في تركيب الآية الكريمة (ينظر ابن الأثير، 1939م، ص52).**

**ومنها تهذيب الألفاظ وانصهارها وفق سياقها، فقد تكون قويه عنيفة أو رقيقة عذبة، فتجيء مهذبة دون عيب أو شذوذ. تأمل كلمة (مقاعد) الواردة عند الشريف الرضي في قوله:**

**أعْزِزْ عليَّ بأن أراك وقد \* خلت من جانبك مَقَاعِدُ العُوادِ**

**تجدها توافق ما يُكره في مثل هذا السياق؛ لإضافتها لكلمة (العواد) وفي ذاك قبح واضح(الخفاجي، ص75) ولكن تأمل الكلمة نفسها (مقاعد) في قوله تعالى: {وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }( سورة آل عمران، الآية: 121) تجدها عذبة مستساغة، وكذا قوله تعالى: {وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَّصَداً}(سورة الجن، الآية: 9) فهي في هذا السياق بمعنى (المنازل) وهنا اختلف المعنى الذي كرهه النقاد (ينظر الخفاجي، 75-76).**

**والقرآن يرشد إلى انتقاء الألفاظ ذات المعنى والمدلول وينهى عن غيرها، فقد نهى القرآن المسلمين أن يقولوا (راعنا) لأن هذه الكلمة كانت لليهود كلمة مثلها يستعملونها في السب، وهي كلمة عبرانية، بمعنى "أحمق"، من هنا ورد النهي عنها، وجيء بلفظ يعدلها في المعنى، لا شبهة فيه، وهو لفظ (انظرنا) لعدم التشبه باليهود فيما يقولون (ينظر الزمخشري، 1/13).**

**جاء ذلك في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا وَقُولُواْ انظُرْنَا وَاسْمَعُوا ْوَلِلكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ } (سورة البقرة، الآية: 104) وكذلك في قوله تعالى: {** **قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }(سورة الحجرات، الآية: 14) فهناك فرق بين كلمتي أسلمنا وآمنا، واللغة والشرع يفرقان بين معنى ومعنى.**

**والسياق القرآني فوق ذلك قد ينتقي نوعاً من الألفاظ؛ لتحقيق معان معينة، وأغراض خاصة، من ذلك اختيار لفظي (صافات) و(يقبضن) في قوله تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ}( سورة الملك، الآية: 19) فالمعروف أنه عند الطيران تصف الأجنحة، لذلك جيء بما هو طارئ غير أصل، وهو (القبض) الذي يكون تارة بعد تارة (ينظر الزمخشري، 4/124، وأبو موسى،1427هـ 2006م، ص265).**

**ومنها الفعل المضارع (تثير) في قوله تعالى:** **{وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا} (سورة فاطر، الآية: 9)فالفعل هنا يوضح الحال التي تقع فيها إثارة الرياح السحاب.**

**وقد يكون الغرض من الفعل المضارع دوام الحال، في مثل قوله تعالى:** **{أَفَكُلَّمَا جَاءكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ}(سورة البقرة، الآية: 87) فقد أريد بذلك استحضار الفعل في النفوس، وتصويره في القلوب (ينظر، الزمخشري، 1/80).**

**ومثله قوله تعالى:** **{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاء الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ}(سورة الحج، الآية: 25) فالفعل هنا دال على صدود مستمر متصل.**

**ومثل هذا وارد في قوله تعالى: {** **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ}(سورة الحج، الآية: 63) وفي هذا دلالة واضحة على الخضرة التي تبقى وتتجدد على الدوام.**

**وقد يقع الفعل الماضي موقع المضارع، دلالة على التحقيق، وعلو شأن المخبر، كما في قوله تعالى: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً}(سورة الحج، الآية: 1).**

**وقد يبنى الفعل للمجهول فيوحي بقيمة بلاغية رائعة، كما في قوله تعالى: {** **فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}(سورة الأعراف، الآية: 118-120) إذ المعنى: خروا سجداً، كأنما ألقاهم مُلق لشدة خرورهم، وهذا دلالة على الإجلال (ينظر الزمخشري، 2/12).**

**وفي السياق القرآني أيضاً فروق بين صيغ الأفعال، كصيغة (فعل) و(افتعل) الواردتين في قوله تعالى: {لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ}(سورة البقرة، الآية: 286) فالملاحظة أنه مع الخير، جاء لفظ الكسب، ومع الشر أُختير لفظ الاكتساب؛ لأن الاكتساب فيه عمل، وهذا يناسب الشر وما تشتهيه النفس؛ لذا جُعلت النفس مكتسبة فيه، وهي لم تكن كذلك في عمل الخير، لذا وصفت بالكسب (ينظر الزمخشري، 2/218).**

**ومثلما للصيغ السابقة دلالات، فللمشتقات دلالات أيضاً. فمثلاً استعمال لفظ (مرضعة) بخلاف استعمال لفظ (مرضع). ذلك واضح قوله تعالى:** **{يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ}(سورة الحج، الآية: 2) حيث نجد السياق دال على الفزع والهول، وأن ذلك الهول إذا فوجئت به هذه المرضعة، وقد ألقمت الرضيع ثديها، نزعته عن فيه؛ لما يحلقها من الدهشة (ينظر الكشاف، 3/24).**

**ومثله كذلك كلمة (مطهرة) في قوله تعالى:** **{وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}(سورة البقرة، الآية: 25) فهذا إشعار بأن مطهراً طهرهن، وهو الله عز وجل.**

السياق القرآني ودلالة المترادفات

**لكل لفظ في النسق القرآني معنى يؤديه بدقة فائقة، كأنه قد خُلق لذلك المعنى، لا يؤديه لفظ سواه، وهذا ما يدعو للاطمئنان أنه لا يوجد ترادف لفظي في القرآن، بل كل كلمة تحمل معنى جديداً في ذلك النسق المعجز، وأن كل لفظ ينهض بدلالة لا يؤديها أي لفظ آخر (ينظر المطعني، 1413هـ 1992م، وقصاب، ص56).**

**والمتتبع لألفاظ القرآن في سياقها، يلاحظ دقتها المتناهية في تحديد الدلالة، فالكلمات التي قد يُظن أنها مترادفة، إذا أُمعن فيها النظر، وُجد أن لكل كلمة معناها الدقيق.**

**وهناك ألفاظ كثيرة لا يفرق كثير من الناس بينها، مع أن بينها فروق كثيرة. ولطبيعة مثل هذا البحث فليس بالاستطاعة حصرها، ولكن يمكن الإشارة لبعضها على سبيل المثال.**

**فمما يُظن به الترادف: لفظا (الغيث والمطر) حيث يقول الجاحظ "وقد يستخف الناس ألفاظاً ويستعملونها، وغيرها أحق بذلك، ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوع إلا في موضع العقاب، أو في موضع الفقر المدقع، والعجز الظاهر، والعامة وأكثر الخاصة، لا يفصلون بين ذكر المطر وبين ذكر الغيث" (الجاحظ، 1/20)**

ويذكر الجاحظ مثالاً لذلك، قوله تعالى: {وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَراً فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ}سورة الأعراف، الآية: 84) وقوله جل شأنه: {وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ}(سورة هود، الآية: 82) فالسياق القرآني هنا اقتضى أن يذكر المطر لا الغيث؛ لأنه أقوى وأغزر تدفقاً للمياه، فناسب عقوبة المجرمين، وقد ذكره القرآن على سبيل الاستعارة في قوله عز وجل: فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ (سورة الأنفال، الآية: 32).

أما قوله تبارك وتعالى: {ثمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ }(سورة يوسف، الآية: 49) وقوله سبحانه: {وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ}(سورة الشورى، الآية: 28) فقد ورد في سياق كلامه سبحانه وتعالى عن نعمته في الأرض، قل؛ ليدل البشر على سنّته في الكون في ترعرع النبات؛ لأن النبات يريد رحمته التي تتجلّى في الماء الخفيف لينتعش؛ ولذلك لم يذكر المطر الذي يغرقه (ينظر ياسوف،1419هـ 1999،ص 45)

ومنها: (الجوع والسغب) يقول عزّ شأنه: {فَأَذاقَهَا اللَّهُ لِباسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِما كانُوا يَصْنَعُونَ}(سورة النحل، الآية: 112) فهنا تطلّبت الإهانة والتهديد أقسى حاجة للطعام، فحُقّ لهذه الكلمة أن تذكر في أصحاب النار، حيث يكون الجوع غاية الحاجة (الفيزيولوجية للطعام) وفي أبشع طلب لهذه الحاجة. وهذا ليس كالسّغب الذي اختير في مكان الرحمة، وبعث همّة المؤمنين لمساعدة الآخرين المحتاجين خصوصاً إذا كانوا يتامى، قال تعالى: {أَوْ إِطْعامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ، يَتِيماً ذا مَقْرَبَةٍ}(سورة البلد الآيتان 14-15)(ينظر ياسوف،1419هـ 1999،ص 45).

**ومن الألفاظ: (الخشية والخوف) في قوله تعالى: {وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ}(سورة الرعد، الآية: 21) فلفظ (الخشية) قد يكون معناه أعلى من لفظ (الخوف) وأشد منه؛ لذا خصت الخشية بالله تعالى في كثير من آي الذكر الحكيم. وفرق آخر هو أن الخشية تكون من عظم المخشي، وإن كان الخاشي قوياً، والخوف يكون من ضعف الخائف، وإن كان المخوف أمراً يسيراً (ينظر السيوطي،1/612، وفضل عباس،1412هـ1991م، ص171) لذلك وردت الخشية غالباً في حق الله تعالى، كقوله سبحانه:** **{وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللّهِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ}(سورة البقرة، الآية: 74)وقوله تعالى: {** **فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}(سورة المائدة، الآية: 3) وقوله تعالى: {** **َفاللّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤُمِنِينَ}(سورة التوبة، الآية: 13).**

**ومنها أيضاً لفظا (جاء وأتى) فالأول: يقال في الجواهر والأعيان، والثاني: للمعاني والأزمان، وقد جاء ذلك في قوله تعالىَ: {قالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاء بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَاْ بِهِ زَعِيمٌ}(سورة يوسف، الآية: 72)وقوله سبحانه: {وَجَآؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ}(سورة يوسف، الآية: 18) {وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ}(سورة الفجر، الآية: 23)وقوله عز وجل: {أَتَى أَمْرُ اللّهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}(سورة النحل، الآية: 1) وقوله: {أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}(سورة يونس، الآية: 24).**

**ومما يُظن به التشابه (القعود) و(الجلوس) في قوله تعالى: {وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاء اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحاً فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }(سورة النور، الآية: 60) وقوله سبحنه: {وَقِيلَ اقْعُدُواْ مَعَ الْقَاعِدِينَ}(سورة التوبة، الآية: 46) وقوله تعالى: {فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ}(سورة القمر، الآية: 55) وقوله: {وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَّصَداً}(سورة الجن، الآية: 9). فالمتتبع لهذين اللفظين في سياقهما يدرك الفرق بينهما، فالأول: يستعمل لما فيه لبث ومكث، أما الثاني فيستعمل فيما ليس كذلك، فهذه المجالس عادة لا يطول المكث فيها (ينظر فضل عباس،1412هـ1991م، 176).**

**وهناك فرق في استعمال الألفاظ وفق السياق، يمتد إلى استعمال الجمع والمفرد، فكل موضع يناسب المقام الذي يذكر فيه اللفظ، من ذلك لفظ (الرياح) و(الريح) فلا تذكر الريح مفردة إلا في موضع العذاب، كقوله تعالى: {إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ \* تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ}(سورة القمر، الآيتان: 19-20)وقوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً}( سورة الأحزاب، الآي: 9) وقوله: {مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هِـذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللّهُ وَلَـكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ }(سورة آل عمران، الآية: 117) وقوله جل شأنه: {مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَّ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلاَلُ الْبَعِيدُ }(سورة إبراهيم، الآية: 18) وقوله: {أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لاَ تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعاً}(سورة الإسراء، الآية: 69).**

**أما إن جاء اللفظ بالجمع فهو دال على الرحمة أو البشرى كقوله تعالى: {وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ }(سورة الحجر، الآية: 22) وقوله: {وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْموْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}(سورة الأعراف، الآية: 57) وقوله: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}(سورة الروم، الآية: 46) {وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ}(سورة فاطر، الآية: 9) (ينظر الراغب، 370).**

**ومنها كذلك (العمل) و(الفعل) في قوله تعالى:{الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ}(سورة الرعد، الآية: 29) {يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ}(سورة سبأ، الآية: 13) وقوله: {وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ}(سورة التوبة، الآية: 105){أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ}(سورة الفيل، الآية: 1){وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ}( سورة الشعراء، الآية: 19) فاللفظ الأول (عمل) يستعمل لما يمتد زمانه، أما الثاني (فعل) فليس له زمان مستمر.**

**ومنها (السنة) و (العام) في قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ}( سورة العنكبوت، الآية: 14) وقوله: {ثمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ}(سورة يوسف، الآية: 49) فـ (السنة) تستعمل أكثر في السنة الشمسية، وفيها شدة وقحط وصعوبة، أما (العام) فيستعمل في القمرية، دون شدة وقحط وصعوبة، فهو خلاف ذلك. وفي الآية توجيه رائع أشار إليه فضل عباس، وهو أن السنة ذُكرت فيما قضاه نوح عليه السلام، بينما ذكرت كلمة العام بجانب المدة التي استثنيت من ذلك (ينظر فضل عباس، 1412هـ1991م، ص178).**

**ومن الألفاظ (الرؤيا والحلم) فالأولى جاءت في السياق القرآني بصيغة المفرد، حكاية عن الرؤيا الصادقة، وقد تحققت، وهي دلالة على التميز والوضوح والصفاء، قال تعالى:** **{قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ}(سورة الصافات، الآية: 105)وقال: {قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْداً إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ }(سورة يوسف، الآية: 5) وقال تعالى: {هَـذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حقاً}(سورة الإسراء، الآية: 60) وقال سبحانه: {لقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ}(سورة الفتح، الآية: 27) وقال تعالى: {وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ}(يوسف، الآية: 43).**

**أما الثانية فقد جاءت بصيغة الجمع، في سياق يشهد أنها أضغاث وهواجس مختلطة، قال تعالى: {بَلْ قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ}(سورة الأنبياء، الآية: 5){قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلاَمِ بِعَالِمِينَ}(سورة يوسف، الآية: 44).**

**ومنها كذلك:(الحلف والقسم) فالحلف في القرآن الكريم لم يأتِ إلا بمعنى اليمين الكاذب، أما (القسم) فيأتي في الأيمان الصادقة، وقد جاء موصوفاً بالعظمة في قوله تعالى: {وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ}(سورة الواقعة، الآية: 96)وقوله تعالى: {وأَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءتْ لاَ يُؤْمِنُونَ}(سورة الأنعام، الآية: 109) إلى غير ذلك من الأمثلة التي لا يمكن أن نفسِّر فيها (الحلف) بـ(القسم)، أو أن نضع أحدهما محلَّ الأخر، إذ يلفت القرآن أنظارنا إلى الفرق الدقيق بينهما وأقلُّ ما يمكن أن يقال في الفرق بينهما: أنَّ (القسم) يكون لمطلق اليمين، في حين يختصُّ (الحلف) باليمين الكاذب فقط (ينظر الخاقاني، كلية الآداب، ص14).**

**ومنها: (التصدع والتحطم) فالأول ليس مرادفاً للثاني، فالتصدع من الصدع، والأصل فيه الشق في الأجسام الصلبة، قال تعالى: {لوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ}(سورة الحشر، الآية: 24) وقال تعالى:{وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ }(سورة الطارق، الآية: 11) وقوله سبحانه: { فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ}(سورة الحجر، الآية: 94). والصدع يستعمل مجازاً في الصداع، كأنه انشقاق في الرأس من الألم، قال تعالى: {لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ}(سورة الواقعة، الآية: 19)كما يستعمل التصدع معنوياً بمعنى التفرق والتمزق.**

**أما الثاني، وهو (الحطم) فيستعمل في السياق القرآني بمعنى الهشم، في مثل قوله تعالى:** **{حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ}(سورة النمل، الآية: 18) وقوله: {ألَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَاماً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُوْلِي الْأَلْبَابِ}(سورة الزمر، الآية: 21) وقوله تعالى: {كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ\*وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ}(سورة الهمزة، الآية: 5-6).**

**وقد ترد في السياق القرآني ألفاظ مختلفة في مواضع متشابهة، كل وفق سياقه، فمثلاً كلمتا (الإلقاء والقذف) وردتا في سياق الجهاد ومحاربة الأعداء، قال تعالى:** **{سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ}(سورة آل عمران، الآية:151)وقال سبحانه: {وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقاً}(سورة الأحزاب، الآية: 26) فلفظ (القذف) إذن اتستعمل لما فيه الشدة والقوة والضخامة، وقد أعطى من الدلالة ما لم يعطه لفظ (الإلقاء) الوارد في سياق لم يتسم بالشدة والقوة، حيث لم يجد أولئك ما يتحصنون به إلا تروسهم وأسلحتهم (ينظر فضل عباس، 1412هـ1991م، ص 185).**

**ومما يُدَّعى فيه الترادف كذلك لفظا (الإغراء والإلقاء) الواردان في سياق الحديث عن أهل الكتاب، قال تعالى:** **{وَمِنَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُواْ حَظّاً مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ}(سورة المائدة، الآية: 64) فقد استعملت لفظتا (أغرينا) و(ألقينا) في سياقهما، فجاء لفظ (الإغراء) حكاية عن النصارى حيث العداء المستحكم، أما لفظ "الإلقاء" فقد جاء حكاية عن اليهود؛ لأن العداوة بينهم لم تصل إلى ما هي عليه عند النصارى (ينظر فضل عباس، 1412هـ1991م، ص188).**

**واللفظ الواحدة في القرآن قد يكون له معنى في سياق معين، ومعنى آخر في سياق آخر، من ذلك لفظ (القرية) في قوله تعالى: {وَإِن مَّن قَرْيَةٍ إِلاَّ نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَاباً شَدِيداً كَانَ ذَلِك فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً}(سورة الإسراء، الآية، 58) فاللفظ هنا مقصود به القوم. وهذا اللفظ ذاته إذا وقفنا عنده في قوله تعالى: {وَلَمَّا جَاءتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ}(سورة العنكبوت، الآية: 31) نجد المراد به مساكن القوم، والحديث هنا عن ضيف إبراهيم، فالسياق وحده هو الذي يحدد المراد من الآيتين الكريمتين.**

**خاتمة:**

**بعد الطواف مع السياق القرآني، وفي خاتمة هذه الدراسة تظهر النتائج التالية:**

1. **إن القرآن الكريم يُعد أعلى قمة وأرفع قيمة لغوية، وأن النظم فيه يقوم على المفردة وملاءمتها لسياقها، إذ تعتمد ألفاظه وتعبيراته على سياقه، فلا تُفهم معانيه بمعزل عنه.**
2. **من أراد أن يتطرق لتفسير القرآن عليه معرفة وجوه الأساليب وما تحمله من معاني دقيقة وإشارات خفية وفق السياق، فهناك تأويلات خفية في الأسلوب القرآني تنكشف من التحليل داخل السياق.**
3. **للمفردة القرآنية قيم وأبعاد دلالية كثيرة، تنشأ من سياقها، فينتج عن ذلك تفاعل بين المرسل والمتلقي، ويكون لذلك أثر نفسي يحقق أغراض التواصل.**
4. **الألفاظ في السياق القرآني تأتي متسقة اتساقاً تاماً، وهي فوق ذلك مختارة منتقاة، يختص كل لفظ بمعنى دقيق لا يتعداه إلى غيره.**
5. **إن المفردة الواحدة في النسق القرآني قد تأتي لمعان متنوعة، حسب السياق الذي وردت فيه، وحسب مقتضيات الأحوال، هيئة، أو صورة، أو نغماً، أو غير ذلك، فقد تكون الألفاظ قوية في مواطن القوة، رقيقة عند الرقة، هادئة وقت الهدوء، حسب ما يقتضيه المقام ويدعو إليه السياق الواردة فيه.**
6. **إن الإعجاز القرآني يرتكز على النظم، وأن المفردة وفق سياقها هي أساسه وعماده، وهي ذات قيم ومعاني، وأن ألفاظ القرآن تختلف حسب مقتضيات الأحوال، فتأتي محققة لأغراض التواصل.**

**ويوصي الباحث بما يلي:**

1. **إلقاء مزيداً من الأضواء علي الدراسات القرآنية بصفة عامة، والألفاظ القرآنية وفق سياقها بصفة خاصة، ودراسة هذه المفردات القرآنية وتحليلها.**
2. **إثراء المكتبة العربية ببحوث تأصيلية، تؤدي إلى بلورة منهج سياقي.**
3. **العودة بالمصطلحات البلاغية والنقدية إلى جذورها العربية، مع الأخذ من الثقافات الأخرى بما يتوافق مع الخصوصيات .**
4. **قراءة التراث البلاغي العربي بعيداً عن القواعد الجافة التي لا تخدم القضايا البلاغية والنقدية وفق رؤية تأصيلية معاصرة.**
5. **جعل القرآن الكريم مجالاً للتطبيق مع مراعاة قدسية الكتاب العزيز.**

مصادر ومراجع

**القرآن الكريم.**

**1- الإتقان في علوم القرآن، السيوطي. السيوطي، الطبعة الثانية العلمية، بيروت، 1991م.**

**2- تاريخ آداب العرب، مصطفى الرافعي، الطبعة الثانية 1953م.**

**3- التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، مسعود صحراوي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط2005م  
4- السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، علي أوشان، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2000م.**

**5- التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2005م.**

**6- التصوير الفني في القرآن – سيد قطب – دار الشروق – 1415هـ - 1995م .**

**7- تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، 1984م.**

**8- التناسب الإحصائي والبياني في التعبير القرآني، عقيل الخاقاني، جامعة الكوفة، كلية الآداب.**

**10- خصائص التراكيب – محمد محمد أبو موسى - مكتبة وهبة 1427ه- 2006م.**

**11- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية،عبد العظيم المطعني مكتبة وهبة، الطبعة الأولى، 1413ه – 1992م.**

**12- الإحكام في أصول الأحكام، الآمدي، دار الكتب العلمية، بيروت،1992م.**

**13- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، دار الكتاب العربي، بيروت، 2005م.**

**14- رسالة بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، الخطابي.**

**15- سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، مطبعة صبيح.**

**16- لسان العرب، ابن منظور، دار الجيل، بيروت، 1988م.**

**17- لسانيات النص، مدخل إلى انسجام النص، المركز الثقافي العربي، المغرب، الطبعة الأولى، 1991م.**

**18- المثل السائر، ابن الأثير، تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، 1939م.**

**19- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر،1381هـ1961م.**

**21- المقاربة التداولية، سعيد علوش، مركز الإنهاء القومي.**

**22- النقد الأدبي أصوله ومناهجه، سيد قطب، دار الشروق، 1427هـ 2006م .**

**23- التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار الشروق، 1415هـ 1995م .**

**24- أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق عبد الرحيم محمود، دار المعرفة بيروت، 1979م.**

**25- تفسير ابن الجوزي، زاد المسير، المكتب الإسلامي، دمشق.**

26- دفاع عن البلاغة، أحمد حسن الزيات، مطبعة النهضة، 1967م.

27- جماليات المفردة القرآنية، أحمد ياسوف، دار المكتبى، دمشق، الطبعة الثانية، 1419 هـ 1999م.

28- إعجاز القرآن الكريم، فضل حسن عباس وسناء فضل عباس، المكتبة الوطنية، عمان 1412هـ1991م **.**

**29- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت الطبعة التاسعة، 1393هـ1973م.**

**30- الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، دار الكتب.**

**31- البلاغة تطور وتاريخ، شوقي ضيف، دار المعارف، الطبعة السابعة، القاهرة، 1965م.**

**32- البلاغة والتطبيق، أحمد مطلوب وحسن البصير، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، العراق، الطبعة الأولى1982م- 1402هـ.**

**33- البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل.**

**34- الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، وليد قصاب، دار القلم للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى،2000م.**

**من قواعد التوجيه الاستدلالية: إِذَا دَخَلَ الدَّلِيلَ الاحْتِمَالُ سَقَطَ بِهِ الاسْتِدْلالُ**

المراد بالاحتمال، أنواعه، طرقه، ضوابط الاعتداد به في إسقاط الاستدلال

**د. عصام محمد ناصر العصام**

كلية الآداب - جامعة الملك فيصل

ملخص البحث:

يتناول هذا البحث إحدى قواعد التوجيه الاستدلاليَّة المهمَّة، وهي القاعدة القائلة بأنَّهُ"إذا دخل الدليل الاحتمال سقط به الاستدلال، ويتتبع مواطن الاستدلال بها في مدونات النحو وأصوله للوقوف على مراد النحويين من الاستدلال بهذه القاعدة وهل طابق عموم اللَّفْظِ فيها عموم الدلالة أم أَنَّ هناك ضوابط ومقيدات لهذه القاعدة تبين المراد منها، حيث لا يكون الاستدلال بها على إطلاقه صحيحًا، و قد حرص الباحث على جمع ما يتعلق بهذه القاعدة مما صحَّ له الوقوف عليه من محاورات النحويين بعضهم بعضًا ومناقشاتهم في مدونات النحو وأصوله للتعرف على المراد بالاحتمال، وأنواعه، وطرقه، وضوابط الاعتداد به في إسقاط الاستدلال.

تقدمة:

تُعَدُّ قواعد التوجيه النحوي إحدى العوامل المؤثرة في الدرس النحوي على اختلاف فروعه، وفي بناء أحكامه المختلفة، وسببًا من الأسباب التي دعت إلى توسع الخلاف بين النحاة على اختلاف مدارسهم، وتنوع الأحكام النحوية المختلفة مما يدل على مرحلة الازدهار النحوي، وسلامة الفكر الناضج الذي تَمَيَّزَ به النحاة المتقدمون، والمتأخرون.

وقد تردَّدَتْ قواعد التوجيه عند أبرز النحاة، وَتَنَاثَرَتْ في مختلف مباحثهم لِمَا لها من أهمية في التأثير على الأحكام المتنوعة على اختلاف أنواعها، والاستدلال على صحة ما تراه المدرسة النحوية، أو يراه النحوي في مسألة ما.

على أنَّ أبرز الكتب النحوية التي تشيع قواعد التوجيه فيها وتَتَضِحُ هي تلك الكتب التي تُعنى بذكر الخلاف النحوي، وذكر الأصول النحوية وتلك التي تهتم بتعليل الأحكام النحوية.

فالوظيفة الأساسية لقواعد التوجيه عند عموم النحاة هي الاستدلال على إثبات الحكم النحوي على اختلافه، والاستدلال على نفي هذا الحكم، وعرفنا كذلك أنّ السياق الذي تذكر فيه قواعد التوجيه النحوي هو سياق التعليل، ولا تنفك أبدًا عن هذا السياق، فمتى ما رأينا النحوي يعلل الحكم الذي أطلقه وجدنا في طيِّ هذا التعليل القاعدة التوجيهية ظاهرة وبارزة.

ولكن يبقى توظيف النحاة لهذا الاستدلال الذي لعبت فيه قواعد التوجيه دورًا كبيرا في الوصول إلى الحكم فالنحوي يقوم بالاستدلال على الحكم، أو نفيه بواسطة قاعدة التوجيه، وهذا الحكم هو ما يبين توظيف النحاة لهذه القواعد؛ لأنَّ الحكم النحوي هو مدار اهتمام النحاة، ويتخذ النحاة شتى السبل للوصول إلى هذا الحكم أو نفيه، ونحن لا نعني بذلك الحكم الذي هو الركن الرابع من أركان القياس بل نعني الأحكام المتعلقة بكل من الأصول النحوية عموما، وأحكام الظواهر العامة، وتوجيه الحكم الإعرابي، وقواعد الأبواب النحوية والصرفية، والأحكام المتعلقة بالمسائل الخلافية في الفصل فيها.

وعلى ذلك من الممكن أن نقول إِنَّ الحكم النحوي يكون على هذه الصورة:

1- الحكم الأصولي: وهو الحكم الذي يتعلق بصحة الاستدلال بأصل من الأصول النحوية أو عدمها، كالذي يتعلق بالسماع، وشروطه والقياس، وأركانه، وما يتعلق بكل ركن من هذه الأركان، واستصحاب الحال.

2- أحكام الظواهر العامة، كالعامل والمعمول والذكر والحذف والتقدير، والتقديم والتأخير، والإثبات والنفي، وغيرها من الظواهر التركيبية الكبرى في النحو العربي، وتلعب قواعد التوجيه دورًا في وضع أحكام وضوابط عامة لهذه الظواهر تكون نبراسًا وطريقًا يهتدي به النحويُّ الأصوليُّ للوصول إلى ترجيح الحكم في مسائل عدة تنضوي تحت هذا الحكم العام من أحكام الظاهرة الواحدة.

3- الحكم الإعرابي: وهو ما يتعلق بإعراب الكلمات وتوجيهها الإعرابي، وذلك بإثبات حكم إعراب ما ونفي حكم إعراب ما.

4- الحكم المتعلق بقواعد الأبواب النحوية، والصرفية: وهو ما يتعلق بالقواعد الجزئية النحوية، كباب المبتدأ، وباب الخبر، والنواسخ، والفعل، والفاعل، والمنصوبات، وغيرها.

فيستدل بقواعد التوجيه للوصول إلى الحكم النهائي مثلاً في وجوب تقديم الخبر على المبتدأ، ووجوب تأخير الفاعل عن الفعل وغيرها، وكذلك قواعد الأبواب الصرفية نحو: كراهة الخروج من ضمٍّ إلى كسرٍ أو من كسرٍ إلى ضمٍّ وما نتج عنها من الحكم بضم همزة الوصل التي تلحق الأمر من الأفعال إذا كان الثالث مضمومًا، أو كراهة الجمع بين أربع متحركات في جملة واحدة وما نتج عنها من الحكم بتسكين فاء المضارع من الثلاثي عند إلحاق أحرف المضارعة بالماضي .

5- حكم الفصل في المسائل الخلافية: ونعني بذلك أنَّ اختلاف النحاة في مسألة ما يجب أن ينتهي إلى حكم نهائي يفصل بينهم، فقواعد التوجيه تتدخل هنا للفصل في المسائل الخلافية.

فالإثبات والنفي اللَّذان تقوم بهما قواعد التوجيه للحكم يشمل هذه الأحكام النحوية جميعها، فيختلف الحكم الذي يُستدل بقواعد التوجيه للوصول إليه، من إثبات، ونفي ما بين الجواز أو القبح أو الوجوب أو المنع أو الحسن وغيرها مما يكون في الأحكام النحوية المتعلقة بجميع جوانب الدرس النحوي.

وإذا رجعنا إلى دور قواعد التوجيه في الاستدلال على الحكم الأصولي أو ما يمكن أن نسميه قواعد التوجيه الاستدلالية أو قواعد الدليل فإننا نجد أنَّ النحاة قد أجروا ذلك في سياقاتٍ وُظفت فيها هذه القواعد للوصول إلى الحكم الأصولي المتعلق بالدليل النحوي.

ومن قواعد التوجيه الاستدلالية المتعلِّقَةِ بدَلِيلِ السَّمَاعِ: إِذَا دَخَلَ الدَّلِيلَ الاحْتِمَالُ سَقَطَ بِهِ الاستِدْلالُ، وَهِيَ مِنَ القَوَاعِدِ التي نَقَلَهَا السُّيُوطِيُّ عَنْ أَبِي حَيـَّانَ، وَرَدَّ بِهَا عَلَى ابْنِ مَالكٍ كَثِيرًا مِنَ المَسَائِلِ التِي اسْتَدَلَّ عَلَيْهَا بِأَدِلَّةٍ تَقْبَلُ التَّأْوِيلَ(فجال، 1989م، ص: 131)، وَيُقَارِبُهَا فِي المَعْنَى قَاعِدَةُ: القَوَاعِدُ لا تَثْبُتُ بالمُحْتَمَلاتِ (ابن هشام، 1979م، ص: 581).

المبحث الأَوَّلُ: المراد بالاحتمال:

هذه قاعدةٌ صارتْ من القواعدِ البارزةِ التي يَرْكَنُ إِلَيهَا بَعْضُ مَنْ أَرَادَ هَدْمَ أيِّ أَصْلٍ أَوْ رَدَّ أَيِّ دَليلٍ. فَهَلِ صَحِيحٌ أَنَّ هذه القاعدة تطَّرِدُ عَلَى إِطْلاقِهَا عند النُّحَاةِ؟، وَهَلْ صَحِيحٌ أَنَّ الدَّلِيلَ يسقطُ بمجردِ تَطَرُّقِ الاحتمالِ إِلَيهِ؟ وَهَلْ بمجرَّدِ إِيرادِ الإِشْكَالِ عَلَى الدَّلِيلِ يَعْنِي إِبْطَاله؟ أقول: لو قُلْنَا بِهَذَا عَلَى إِطْلاقِهِ لَمَا بَقِيَ لَنَا دَلِيلٌ مُطْلَقًا، ولا اسْتَقامَ لَنَا أَصْلٌ من الأُصُولِ، لاَّنَّ أيَّ احتمالٍ ليس من الصعب إيراده على الدَّليلِ، لذا -والله أعلم – فإِنَّ مُرادَ النحاة ليس هو الإطلاق لكلِّ احتمالٍ أو إيرادِ كلِّ إشكالٍ، وإنما مَا كَانَ من الاحتمالات قويًّا له وَجْهٌ لُغَوِيٌّ يَسْنُدُهُ، وَقَرَائِنُ احتَفَتْ بِهِ تُقَوِّيه، وغيرُ هَذَا من الاعتباراتِ لا بمجردِ الاحتمالِ ذَاتِهِ، لأَنَّ أكثرَ الأَدِلَّةِ لا بُدَّ وأَنْ يَتَطَرَّقُ إِلَيها الاحتمالُ، وَلَوْ فُتِحَ بابُ إبطالِ الأَدِلَّةِ بالاحتمالاتِ لَمْ يَبْقَ شيءٌ من الأَدِلَّةِ إلَّا وَسَقَطَ الاستدلالُ بِهِ، لَيْسَ في الفروعِ فَقَطِ، وَإِنَّمَا حَتَّى فِي الأُصُولِ، فَتَبْطُلُ أَدِلَّةٌ كَثِيرَةٌ فِي الأُصُولِ والفُرُوعِ بِدَعْوَى تَطَرُّقِ الاحْتِمَالْ إِلَيْهَا.

يُؤَيّْدُ هَذَا مَذْهَبُ النُّحَاةِ في القَطْعِ بِمَا عَلَيهِ الأَصْلُ والظَّاهِرُ وَإِنْ عَارَضَ ذَلِكَ احتمالٌ ضعيفٌ بإمكانيةِ وُرُودِ السَّمَاعِ بخِلافِهِ، جَاءَ في الخَصَائِصِ:" بابٌ في الشَّيءِ يَرِدُ فَيُوجِبُ لَهُ القِيَاسُ حُكْمًا، وَيَجُوزُ أَنْ يَأْتِي السَّمَاعُ بِضِدِّهِ أَيُقْطَعُ بِظَاهِرِهِ، أَمْ يُتَوَقَّفُ إِلى أَنْ يَرِدَ السَّمَاعُ بِجَلِيَّةِ حَالِهِ؟، وذلك نَحْوَ: عَنْتَر، وَعَنْبَر،وَحِنزقر، وَحِنْبَتر،وَبَلْتَع،وَقرناس. فَالمَذْهَبُ أَنْ يُحْكَمَ في جميعِ هَذِهِ النُّونَاتِ والتَّاءَاتِ وَمَا يَجْرِي مَجْرَاهَا - مِمَّا هُوَ وَاقِعٌ مَوْقِعَ الأُصُولِ مثلها - بِأَصْلِيَّتِهِ، مَعَ تَجْوِيزِنَا أَنْ يَرِدَ دَلِيلٌ عَلَى زِيَادَةِ شَيْءٍ مِنْهُ؛ كَمَا وَرَدَ فِي عَنْسَل وَعَنْبَس مَا قَطَعْنَا بِهِ عَلَى زِيَادَةِ نُونِهِمَا، وَهُوَ الاشْتِقَاقُ المَأْخُوذُ مِنْ عَبَسَ وَعَسَلَ، وَكَمَا قَطَعْنَا عَلَى زِيَادَةِ نُونِ قِنْفَخْر لقَوْلِهِم: امْرَأَةٌ قَفَاخِريَّة، وَكَذَلِكَ تَاء تَأْلَبُ؛ لقَوْلِهِم: أَلَبَ الحمارُ طَرِيدَتَهُ يَأْلِبُهَا، فَكَذَلِكَ يَجُوزُ أَنْ يَرِدَ دَلِيلٌ يَقْطَعُ بِهِ عَلَى نُونِ عَنْبَر فِي الزِّيَادَةِ، وَإْنِ كَانَ ذَلِكَ كَالمُتَعَذِّرِ الآنَ لِعَدَمِ المَسْمُوعِ مِنْ الثِّقَةِ المَأْنُوسِ بِلُغَتِهِ، وَقُوَّةِ طَبِيعَتِهِ؛ أَلا تَرَى أَنَّ هَذَا وَنَحْوَه مِمَّا لَوْ كَانَ لَهُ أَصْلٌ لَمَا تَأَخَّرَ أَمْرُهُ، وَلَوُجِدَ فِي اللُّغَةِ مَا يَقْطَعُ لَهُ بِهِ. وَكَذَلِكَ أَلِفُ أَءَةٍ، حَمَلَهَا الخَلِيلُ- رَحِمَهُ اللهُ - عَلَى أَنَّهَا مُنْقَلِبَةٌ عَنِ الوَاوِ؛ حَمْلاً عَلَى الأَكْثَرِ، وَلَسْنَا نَدْفَعُ مَعَ ذَلِكَ أَنْ يَرِدَ شَيْءٌ مِنَ السَّمَاعِ يَقْطَعُ مَعَهُ بِكَوْنِهَا مُنْقَلِبَةً عَنْ يَاءٍ؛ عَلَى مَا قَدَّمْنَاهُ مِنْ بُعْدِ نَحْوِ ذَلِكَ وَتَعَذُّرِهِ"(ابن جني، د.ت، 1: 66).

وقال في موضع آخر: "بَابُ فِي الحَمْلِ عَلَى الظَّاهِرِ، وَإْنِ أَمْكَنَ أَنْ يَكُونَ المُرَادُ غَيْرَهُ، اعْلَمْ أَنَّ المَذْهَبَ هُوَ هَذَا الذِي ذَكَرْنَاهُ، وَالعَمْلُ عَلَيهِ، وَالوَصِيَّةُ بِهِ. فَإِذَا شَاهَدْتَ ظَاهِرًا يَكُونُ مِثْلُهُ أَصْلاً أَمْضَيْتَ الحُكْمَ عَلَى مَا شَاهَدْتَهُ مِنْ حَالِهِ، وَإِنْ أَمْكَنَ أَنْ تَكُونَ الحَالُ فِي بَاطِنِهِ بخلافه، ألا تَرَى أنَّ سيبويه حمل سَيِّدًا على أَنَّهُ مِمَّا عَيْنُهُ يَاءٌ، فَقَالَ فِي تَحْقِيرِهِ: سُيَيْد، كَدِيْك، وَدُيَيْك، وَفِيْل وَفُيَيْل. وَذَلِكَ أَنَّ عَيْنَ الفِعْلِ لا يُنْكَرُ أَنْ تَكُونَ يَاءً، وَقَدْ وُجِدَتْ فِي سَيِّدٍ يَاءً، فَهِيَ فِي ظَاهِرِ أَمْرِهَا، إلى أَنْ يَرِدَ مَا يَسْتَنْزِلُ عَنْ بَادِي حَالِهَا. فَإِنْ قُلْتَ: فإِنَّا لا نَعْرِفُ فِي الكَلامِ تَرْكِيبَ "سَ يَ د" فَهَلاَّ لَمَّا لَمْ يَجِدْ ذَلِكَ، حَمَلَ الكَلِمَةَ عَلَى مَا فِي الكَلامِ مِثْلُهُ، وَهُوَ مَا عَيْنُهُ مِنْ هَذَا اللَّفْظِ وَاوٌ، وَهُوَ السَّوَادُ وَالسُّوْدَدُ، وَنَحْوُ ذَلِكَ؟ قِيلَ: هَذَا يَدُلُّكَ عَلَى قُوَّةِ الظَّاهِرِ عِنْدَهُم، وَأَنَّهُ إِذَا كَانَ مِمَّا تَحْتَمِلُهُ القِسْمَةَ، وَتَنْتَظِمُهُ القَضِيَّةُ، حُكْمَ بِهِ وَصَارَ أَصْلاً عَلَى بَابِهِ. وَلَيْسَ يَلْزَمُ إِذَا قَادَ الظَّاهِرُ إِلَى إِثْبَاتِ حُكْمٍ تَقْبَلُهُ الأُصُولُ وَلا تَسْتَنْكِرُهُ أَلَّا يُحْكَمُ بِهِ، حَتَّى يُوْجَدُ لَهُ نَظِيرٌ. وَذَلِكَ أَنَّ النَّظِيرَ- لَعَمْرِي - مِمَّا يُؤْنسُ بِهِ، فَأَمَّا ألَّا تَثْبُتَ الأَحْكَامُ إِلَّا بِهِ فَلا " (ابن جني، د.ت، 1: 251) .

وقالَ الطَّيِّبُ الفَاسِيُّ شَارِحًا وَمُعَلِّقًا عَلَى هَذِهِ القَاعِدَةِ التِي أَوْرَدَهَا السِّيُوطِيُّ نَقْلا عَنْ أَبِي حَيَّانَ: " أَيْ إِذَا احْتَمَلَ وَجْهًا آخَرَ ظَاهِرًا مَعَ الوَجْهِ الذِي ثَبَتَ بِهِ المُدَّعَى سَقَطَ لِضَعْفِهِ وَعَدَمِ كَوْنِهِ نَصًّا فِي المُدَّعَى بِدُخُولِ الاحْتِمَالِ وَهَذَا أَصْلٌ اتُّفِقَ عَلَيْهِ أَهْلُ الفُنُونِ تَبَعًا لأُصُولِ الفِقْهِ الذِي هُوَ مَنَاطُ الشَّرَائِعِ فَضْلاً عَنِ الصَّنَائِعِ" (الفَاسِيُّ، 2002م،1: 640).

وقال في توجيه أبي حيان للبيت الوارد في شرح التسهيل:

أَخَاكَ الذِي إِنْ تَدْعُهُ لِمُلِمَّةٍ يُجِبْكَ بِمَا تَبْغِي وَيَكْفِيكَ مَنْ يَبْغِي

(ابن مالك، د.ت، 1: 49) باحتمال كونه منصوبا على الإغراء على اللُّغَةِ المشهورة في الأسماء الستة : " ولا يخفاك أنه بعيد عند بادي الرأي وما يسبق إليه الفهم أولى عنهم فإن ما يبادر إليه الفهم كالحقيقة لا يعدل عنه بمجرد الاحتمال، لكنهم بنوه على مجرد وجود الاحتمال، والله أعلم" (الفاسي، 2002م، 1: 641).

وفي هذا المعنى نجد من قواعدهم: "الاحتمال البعيد لا يقدح في الأَدِلَّةِ الظَّنِّيَّة" (الصبان، د.ت،3: 275)، و" الشَّاهِدُ لا يَكْفِي فِيهِ الاحْتِمَالُ" (الصبان، د.ت،1: 442) و" المِثَالُ يَكْفِيهِ الاحْتِمَالً"(الصبان، د.ت،2: 3).

ومن ضوابط النُّحَاةِ لهذه القاعدة أَلَّا يُؤَدِّي الاحْتِمَالُ إلى مُخَالَفَةِ الأَصْلِ، يقول الصَّبَّانُ:"قوله: (لا خير بخير) بحث فيه باحتمال كون الباء ظرفية لا زائدة والخبر الجار والمجرور. وأجاب غير واحد كالبعض بأنَّ هذا الاحتمال خلاف الظاهر وَإْنِ ادَّعَى الدَّمَامِيني ظهورَهُ. وَأَنَا أَقُولُ: لا بُّدَّ مِنْ التزَامِ هَذَا الاحتمالِ أو التِزَامِ كَوْنِ الكَلامِ عَلَى زيادة الباء مقلوبًا؛ لأَنَّ المَعْنَى المَقْصُودَ مِنْ هَذَا الكَلامِ نَفْيُ كينونةِ الخَيْرِ في الخَيْرِ الذِي بَعْدَهُ النَّار أَيْ نفي وجود شيء من الخير في الخير الذي بعده النار، وهذا إنما يفيده الكلام إذا جعل مقلوبًا والأصل: لا خير بعده النار خير، وليس المقصودُ نفيَ الخَيْرِيَّةِ التي بعدها النار عن الخير كما يفيده جعل الباء زائدة من غير التزام القلب؛ لأَنَّ مَعْنَى كونِ (لا) لنفي الجنس أَنَّهَا لنفي الخبر عن الجنس. فإن قلت: يغني عن التزام القلب جعل بعده النار صفة لاسم (لا). قلتُ: يلزم حينئذٍ الفصل بين الصفة والموصوف بأجنبي، وهو (خير)، وحيث كانت دعوى الزيادة محوجةً إلى ارتكابِ القلبِ الذي هو خلاف الأصل كان احتمال الظرفية هو الظاهر وفاقًا للدماميني، فتدبره في غاية الحسن والمتانة" (الصبان، د.ت،2: 3).

ومن فروقهم الدقيقة في هذا الصدد أنَّ الاحتمالَ الرَّاجِحَ إذا تعدَّدَتْ احتمالاتُ الفهم لدى المتلقي هو المعوَّل عليه في بناء الحكم وفي حال استواء الاحتمالات فالحُكْمُ يَؤُولُ إِلَى الجَوَازِ، حيثُ الاحتمالُ عَلَى الاسْتِوَاءِ إِجْمَالٌ، ولا مَحْذُورَ فِي الإِجْمَالِ (الصبان، د.ت،1: 331)، بل هو من مقاصد البلغاء (الصبان، د.ت،2: 68).

فمثالُ الاحتمالِ الرَّاجِحِ: وُجُوبُ تَقَدُّمِ الخَبَرِ في نحو: عندي درهم ولي وطر، وقصدك غلامه رجلٌ لإيهام كون الخبر لو تأخر نعتًا في مقام الاحتمال "إذ لو قلت: درهم عندي، ووطر لي، ورجل قصدك غلامه، احتمل أن يكون التابع خبرًا للمبتدأ، وأن يكون نعتًا له؛ لأنه نكرة محضة، وحاجة النكرة إلى التخصيص ليفيد الإخبار عنها فَائِدَةً يُعْتَدُّ بِمِثْلِهَا آكَدُ مِنْ حاجتها إلى الخبر، ولهذا لو كانت النكرة مختصة جاز تقديمها نحو: وأجلٌ مسَمًّى عنده" (الأشموني، د.ت، 1: 212)، فَلَمَّا رَجُحَ احتمال كون الجملة أو شبهها نعتًا لما قبلها عند المتلقِّي في حال التأخُّر،وكانَ مرادُ المُتَكَلِّمِ هُوَ الإِخْبَارُ بالجُمْلَةِ أو شبهها لا نَعْتُ النَّكِرَةِ بِهَا وَجَبَ تقدُّمُ الخَبَرِ خَشْيَة َالإِلْبَاسِ عَلَى المتلقِّي.

ومنه أيضًا ما يمكن أن يكون في مثل: أخي صديقي حيث تساوى المبتدأ والخبر في التعريف ولا قرينة تبين مراد المتكلم واستوى عند المتلقي الاحتمالان، وصحَّ عنده الفهمان فجاز له الإعرابان من حيث تعدد المعنى، لكنَّ الرجوعَ إلى الأصل والكثير المطرد من كلام العرب من تَقَدُّمِ المبتدأ، وَتَأَخُّرِ الخبر رَجَّحَ احتمالَ أَنَّ المتقدمَ مِنْهُمَا مبتدأٌ، والمُتَأَخِّرُ خَبَرٌ بَلْ أَوْجَبَهُ عِنْدَ النُّحَاةِ، فعُمِلَ به.

ومثال استواء الاحتمالات (الإجمال) ما يمكن أن يكون في مثل: زيدٌ قامَ وعمرو أكرمته، حيث استوى عند المتلقي احتمالان لمعنى التركيب الذي نطق به المتكلم، وصحَّ له هذان الفهمان، فجاز له في (عمرو) أن يعرب مبتدأ فيكون من قبيل عطف الجملة الاسمية على نظيرتها وذلك مراعاة لصدر الجملة الأولى وهو (زيد) ويجوز في (عمرو) النصب على الاشتغال فيكون من قبيل عطف الجملة الفعلية على نظيرتها السابقة على تقدير أَنَّ (زَيْدًا) فاعلٌ مُقَدَّمٌ عَلَى فِعْلِهِ كَمَا يجيز ذلك الكوفيون فتكون جملة فعلية، وذلك مراعاة لعجز الجملة السابقة وهو (قام). وتسمَّى هذه الجملة بالجملة ذات الوجهين، (ابن عقيل، 1964م، 2: 102).

هذا كله في سياق بناء الأحكام أما في سياق صحة الاستدلال بالدليل وكونه نصًّا في المستدل عليه فإنه إذا تساوت الاحتمالات فإنه من قواعدهم الأصولية أنه مع الاحتمال لا تقوم حُجَّةٌ، وإذا تردَّدَ الحَالُ وَقَفَ الاستدلالُ (ابن الملقن، 1997م، 2: 380)، فَإِنْ وُجِدَ دَلِيلٌ عَلَى هَذَا التَّرْجِيحُ تَمَّ الاسْتِدْلالُ، وَإلا وَقَعَ الإِجْمَالُ.

وهذا مبنيٌّ عَلَى الفَرْقِ بَيْنَ (اللَّبْسِ) و(الإِجْمَال) فَـــ" الأَوَّلُ تَبَادُرُ فَهْمِ غَيْرِ المُرَادِ، والثَّانِي احْتِمَالُ اللَّفْظِ للمُرَادِ وَغَيْرِهِ مِنْ غَيْرِ تَبَادُرٍ لأَحَدِهِمَا، وَأَنَّ الأَوَّلَ مُضِرٌّ دُوْنَ الثَّانِي" (الصبان، د.ت،2: 56) وذلك " لِتَبَادُرِ غَيْرِ المُرَادِ فِيهِ" دُوْنَ الإِجْمَالِ" لِعَدَمِ تَبَادُرِ شَيْءٍ فِيهِ"(الصبان، د.ت، 2: 56) نَقَلَهُ الصَّبَّانُ عَنْ ابنِ أُمِّ قَاسِمٍ المُرَادِيِّ (الصبان، د.ت،2: 56).

أي أنَّ الاحتمال المساوي الذي يكون في النَّصِّ المُجْمَلِ حَيْثُ يَجْعَلُ دِلالَةَ النَّصِّ فِي حُكْمِ المُجْمَلِ يُفْسِدُ وَيُسْقِطُ الاسْتِدْلالَ بالدَّلِيلِ.

وقد تأثر النُّحَاةُ بالأصوليين في تعريفهم للمُجْمَلِ بأنَّهُ مَا دَلَّ عَلَى أَحَدِ معنيين لا مَزِّيَّةَ لأَحَدِهِمَا عَلَى الآخَرِ، أو اللَّفْظُ لا يُفْهَمُ مِنْهُ عِنْدَ الإِطْلاقِ شَيْءٌ (الزركشي، 199، 3: 43، والجرجاني، 1987م، ص: 274، والشوكاني، 2000م، 2: 721، والتهانوي، 1998م،1: 240، 343)، وقد جعل الغزالي المُجْمَلَ والمُبْهَمَ شَيْئًا وَاحِدًا حَيْثُ يَقُولُ:" أو يتعارضَ فِيهِ الاحتمالاتُ مِنْ غَيْرِ تَرْجِيحٍ فَيُسَمَّى مُجْمَلا وَمُبْهَمًا" (الغزالي، 1222ﻫ، 2: 21)، وقد فَسَّرَ السُّيُوطِيُّ المُجْمَلَ بالمُبْهَمِ أَيْضًا (السيوطي، 1987م، 3: 58).

وأَوَّلُ مَنْ حَدَّهُ مِنَ النَّحْوِيينَ هو ياسين العليمي في حديثه عن الفرق بين اللَّبْسِ والإجمال، ومن مقولاته في ذلك:

-" والفرق بينهما أنَّهُ في الأَوَّلِ يتبادر الفهم إلى خلاف المراد وفي الثاني لا يتبادر إلى شيءٍ بل يقف لاستواء الأمرين عنده"(العليمي، د.ت، 1: 66) .

-" الإجمال ألا يفهم السامع شيئًا من المراد ولا غيره" (العليمي، د.ت، 1: 171).

-" الإجمال ألا تتضح الدلالة، واللَّبْسُ أن يدُلَّ اللَّفْظُ على غير المراد" (العليمي، د.ت، 1: 281).

وتابعه من جاء بعده من النحويين (الخفاجي، 1997م، 1: 456، والصبان، د.ت،2: 56، وابن حمدون، 1995م، 2: 735، و الخضري، 1998م، 1: 123).

ومما سبق يتضح أنَّ الإجمال في الاصطلاح يأخذ منحيين:

الأَوَّل: أنَّ المجمل لا يفهم منه شيء.

الثَّاني: أنَّ المجمل ما تعدَّدَتْ الاحتمالاتُ فِيهِ عَلَى السَّوَاءِ.

وما سمَّاه النُّحْوِيُّونَ الإِجْمَالَ فِي المَنْحَى الأَوَّلِ هُوَ فِي حَقِيقَتِهِ الإِبْهَامُ، ذلك أنَّ الإِبْهَامَ هُوَ الخَفَاءُ وَعَدَمُ وضوحِ الدِّلالَةِ النَّاشِئَانِ مِنْ احْتِمَالِ الكَلِمَةِ المُفْرَدَةِ أو التَّرْكِيبِ دِلالَتَينِ أَوْ أَكْثَر، ولا يَتَبَادَرُ إلى الذِّهْنِ مِنْهُمَا أَوْ مِنْهَا شَيْءٌ بِسَبَبِ الشِّيُوعِ وَنُقْصَانِ الدِّلالَةِ أَوْ قَصْدِ المُتَكَلِّمِ إْخِفَاءَ الأَمْرِ عن المُتَلَقِّي (الأشولي، 2010م، ص:20).

فإِنْ دَلَّ اللَّفْظُ أو التَّرْكِيبُ عَلَى مَعْنَاهُ مِنْ غَيْرِ احْتِمَالٍ أَوْ احْتَمَلَ المَعْنَى وغَيْرَهُ وَتَبَادَرَ إلى الذِّهْنِ المَعْنَى المُرَادُ فَذَلِكَ الوُضُوحُ (أبا حيان،1980م،1: 41)، وَإِنْ تَبَادَرَ إلى الذِّهْنِ المَعْنَى غَيْرُ المرادِ، أو فَهِمَ المُتَلَقِّي المُرَادَ وَغَيْرَهُ لا بِقَصْدِ احْتِمَالِ إِرَادَتِهْمَا كِلَيْهِمَا، وَذَلِكَ بِأَنْ تَصِحَّ عِنْدَهُ إِرَادَةُ المُتَكَلِّمِ لأَحَدِ المَعْنَيينِ دُوْنَ مَقْدِرَتِهِ عَلَى تَحْدِيدِهِ فَذَلِكَ اللَّبْسُ (العليمي،د.ت،1: 66، 281،161، الصبان،د.ت، 2: 56، ابن حمدون،1995م،2: 735، الخضري،1998م،1: 409، والحبشي، 2009م، ص: 7)،وَإِنْ احْتَمَلَ اللَّفْظُ أو التَّرْكِيبُ المَعْنَى المُرَادُ وَغَيْرُهُ، ولم يتبادرْ إلى الذّْهْنِ أحدهما، فذلك الإبهام (العليمي، د.ت، 166، الصبان، د.ت، 1:20، 2: 56،والخضري، 1998م، 1:123،375، 409)، فإن فَهِمَ المُّتَلَقِّي المُرَادَ وَغَيْرَهُ دُوْنَ تَرْجِيحِ بَيْنَهُمَا، وَصَحَّ عِنْدَهُ إِرَادَةُ المُتَكَلِّمِ للمَعْنَيَينِ أَوْ المَعَانِي جَمِيعًا فَذَلِكَ الإِجْمَالُ (الحبشي، 2009م، ص: 23-24).

ومن شواهد الإجمال: قوله تعالى: ﴿ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ﴾ (سورة البقرة، الآية: 282)"لأنَّ النسيان والإنكار لا يتعين من واحدة منهما بل ذلك على الإبهام"(العكبري، 1976م،1: 230)،والمعنى: إن ضلت هذه أذكرتها هذه وإن ضلت هذه أذكرتها هذه، فالتي تذكِّر هي الذاكرة، والتي تذكَّر هي الناسية(أبا حيان،1980م، 2: 734،والعليمي،د.ت،2: 215،وحاشية الشهاب،1997م،2: 612.)، ومن شواهده أيضًا قوله تعالى:﴿ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾(سورة النساء، الآية: 127.) فإرادة حرفي الجر (في) و(عن) في هذه الآية محتملة دون ترجيح وصحَّ عند المتلقي صحة إرادة المعنيين جميعًا:" لقرينة كانت، أو أن الحذف لأجل الإبهام ليرتدع من يرغب فيهن لجمالهن، ومن يرغب عنهن لدمامتهن" (الصبان، د.ت، 2: 91.).

ويُلاحَظُ أَنَّ العكبريَّ في الموضعين سَمَّى الإجمالَ إبهامًا، وهذا أَمْرٌ طَبَعِيٌّ؛ لأَنَّهُ لَمْ يتم التفرقةُ بَيْنَهُمَا في الاصطلاح، ولم يأخذ مصطلح الإجمال في الظهور إلَّا عند المتأخرين من النُّحَاةِ.

وإذا طبقنا هذه المفاهيم على جملة: ضرب عيسى موسى حيث انعدمت القرينة الإعرابية وتعدَّدَتْ الاحتمالاتُ، أعيسى هو الفاعل أم موسى؟ وكانت قرينة الرتبة بحسب الأصل تقود المتلقي إلى أن يكون الفاعل هو عيسى في حين أنَّ مراد المتكلم أن الفاعل هو موسى فذلك ما يوقع في اللَّبْسِ؛ ولذا فقد ذهب ابن السراج وغيره من المتأخرين في هذه الحالة ودفعًا للبس إلى وجوب تقديم الفاعل بحسب ما تقتضيه قرينة الرتبة وأن يكون مراد المتكلم متوائما مع دلالة قرينة الرتبة.

وأما إذا فهم المتلقي من هذه الجملة الاحتمالين، وصحَّ عنده إرادة المتكلم للمعنيين على سبيل أنَّ الضربَ بينهما وَقَعَ عَلَى طريق المفاعلة، فكلٌّ منهما ضَارِبٌ وَكُلُّ منهما مَضْرُوبٌ، فَهَذَا هو الإجمالٌ، وهذا ما فهمه ابن الحاج من الجملة فخالف النحاة فَأَجَازَ تقديم المفعول على الفاعل في هذه الحالة(الصبان، د.ت، 2: 56.).

وما يهمنا الآن هو معرفة المزيد من ضوابط هذه القاعدة الأصولية عند النحاة والأصوليين حيث لم تكن هذه القاعدة مطلقة في كتب النحاة بل كانت لها ضوابطها وتظهر هذه الضوابط في مناقشاتهم ومحاوراتهم وتعليقاتهم ومؤاخذاتهم على بعضهم بعضًا .

المبحث الثاني: أنواع الاحتمال:

1- للاحتمال الذي يسقط الاستدلال نوعان:

أ- احتمال تأويلي، غايته ردُّ مَا ظَاهِرُهُ مُخَالَفَةُ المُطَّرِدِ من كلام العرب إلى وجهٍ قِيَاسِيٍّ مُوَافِقٍ للمُطَّرِدِ:

التَّأْوِيلُ فِي اللُّغَةِ مَأْخُوذٌ مِنَ الأَوَّلِ وَهُوَ الرُّجُوعُ(الأزهري، 1964م، مادة (آل)،15 : 437، وابن فارس،د.ت، مادة (أول)،1: 159 وابن منظور، 1968م، مادة (أول)،11: 32، الفيروز أبادي،د.ت، مادة (آل)، 3: 341.). ويقال: أَوَّلَ الحكمَ إلى أهله، أي: أرجعه وَرَدَّهُ إليهم(ابن فارس،د.ت،مادة (أول)، 1: 159.). وَأّوَّلَ الكلامَ تأويلاً وَتَأَوَّلَهُ: دَبَّرَهُ وَقَدَّرَهُ وَفَسَّرَهُ(الفيروز أبادي، د.ت،مادة (آل)، 3: 341.).

وقد استعمل المفسرون والأصوليون والنحويون هذا المصطلح في معانٍ يمكن إرجاع بعضها إلى بعض؛ لأَنَّهَا منبثقةٌ من المعنى الأصلي للكلمة: (أَوَّلَهُ) أي: أرجعه.

فالتأويل عند المفسرين: صرف الآية إلى ما تحتمله من المعاني(السيوطي،1987م، 4: 167.)، وإن جعلها بعضهم مرادفة لكمة (التفسير)(السيوطي،1987م، 4: 167.).

والتأويل في اصطلاح الأصوليين: صرفُ اللَّفْظِ عن الاحتمال الظَّاهِرِ إلى احتمال مرجوح به، لاعتضاده بدليلٍ يصيرُ به أغلبَ عَلَى الظَّنِّ من المَعْنَى الذي دَلَّ عليه الظاهر(ابن قدامة المقدسي، 1391ﻫ، ص: 92.).

أما في اصطلاح النحاة فيستعمل في غير معنى: فمنها ردُّ الفعل أو غيره مما يسبق بموصول حرفي إلى مصدر يكون مبتدأ أو فاعلاً أو مفعولاً أو بحسب ما يقتضيه موقعه في الجملة(اللبدي، 1985م، ص: 15.). والذي يعنينا من معنى التأويل عند النحاة استعماله في مقام صرف الدَّلِيلِ عَمَّا يَدُلُّ عَلَيهِ ظَاهِرُهُ؛ وَهُوَ الذي عَنَاهُ الأنباريُّ حِينَ سَاقَهُ اعتراضًا على النَّقْلِ مِنْ جِهَةِ مَتْنِهِ، واجْتَزَأَ عَنْ تَعْرِيفِهِ بالتَّمْثِيلِ لَهُ فَقَالَ: "مثل أَنْ يَقُولَ الكُوفِيُّ: الدَّلِيلُ عَلَى جَوَازِ تَرْكِ صَرْفِ مَا يَنْصَرِفُ فِي ضَرُورَةِ الشِّعْرِ قَولُ الشَّاعِرِ:

وَمِمَّنْ وَلَدُوا عَامِرُ ذُو الطُّوْلِ وذُو العَرْضِ

(البيت لذي الأصبع العدواني، وهو في: ابن السراج، 1985م،3: 438،والأنباري، 1961م،2: 501 وابن يعيش، د.ت، 1: 68، وابن منظور، 1968م، مادة (عمر)، 4: 608.).

فترك صرف (عامر) وهو منصرف، فدَلَّ على جوازه.

فيقول له البَصْرِيُّ: إِنَّمَا لَمْ يَصْرِفْهُ؛ لأَّنَّهُ ذَهَبَ بِهِ إلى القَبِيلَةِ"(الأنباري، 1957م، ص: 49.). ومنه يفهم أَنَّ مُرَادَهُ بالتَّأْوِيلِ حَمْلُ الشَّاهِدِ عَلَى وَجْهٍ لا يَدُلُّ عَلَى مَا سَاقَهُ المُسْتَدِلُّ مِنْ أَجْلِهِ.

وهذه المعاني الاصطلاحية جميعها – عند المفسرين والأصوليين والنُّحَاةِ – يَجْمَعُهَا المَعْنَى اللُّغَوِيُّ للكَلِمَةِ وَهُوَ الرُّجُوعُ، فَفِيهَا كُلِّهَا رُجُوعٌ مِنْ مَعْنًى إلى مَعْنًى غَيْرِهِ.

وللتَّأْوِيلُ مَوْضِعٌ نَصَّ عَلَيهِ أَبُو حَيَّانَ -فِيْمَا نَقَلَهُ عَنْه السُّيُوطِيُّ- لا يَسُوغُ فِي غَيْرِهِ، وَذَلِكَ "إِذَا كَانَتِ الجَادَّةُ عَلَى شَيْءٍ ثُمَّ جَاءَ شَيْءٌ يُخَالِفُ الجَادَّةَ فَيُتَأَوَّلُ"(السيوطي،د.ت، 1: 258 والسيوطي، 1976م،ص: 75)، وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ مَا جَاءَ كَثِيرًا فِي كَلامِ العَرَبِ فَتَأْوِيلُهُ ضَعِيفٌ لا يَسُوغُ، وَإِنْ كَانَ القِيَاسُ لَهُ قَابِلاً، وَلِذَلِكَ قَالَ أَبُو حَيَّانَ: "تَأْوِيلُ الشَّيْءِ الكَثِيرِ ضَعِيفٌ جِدًّا، لأَنَّا إِنَّمَا نَبْنِي المَقاَيِيسَ العَرَبِيَّةَ عَلَى وُجُودِ الكَثْرَةِ"(أبو حيان، د.ت، ص: 214.).

والحاملُ على التَّأْوِيلِ أَنَّ اطِّرَادَ القَوَاعِدِ أَمْرٌ ضَرُورِيٌّ للحُكْمِ بِصِحَّتِهِا، وَلَمَّا كَانَ إِدْخَالُ ظَوَاهِرِ اللُّغَةِ جَمِيعِهَا تَحْتَ إِطَارٍ واحِدٍ أَمْرًا عَسِيرًا تَمْنَعُهُ طَبِيعةُ اللُّغَةِ ذَاتِ الظَّوَاهِرِ المُخْتَلِفَةِ وَمُسْتَوَياَتِ التَّعْبِيرِ المُتَبَاينَةِ لَجَأَ دَارِسُوهَا إِلى التَّأْوِيلِ لِحِفْظِ ذَلِكَ الاطِّرَادِ، وَمَقْصِدُهُمُ مِنْ ذَلِكَ -بإيجازٍ- رَدُّ مَا يَخْرُجُ عَنْ إْطَارِ اللُّغَةِ العَامِّ إِلَيهِ. وَهَذَا الاتِّجَاهُ نَاشِئٌ عَنْ مَبْدَأٍ عَقْلِيّ صَحِيحٍ، وَهُوَ أَنَّ تَأْوِيلَ النَّصِّ لِيَتَّفِقَ مَعَ القَاعِدَةِ أَوْلى مِنْ حَمْلِهِ عَلَى الشُّذُوذِ. فَلَمَّا حَمَلَ المُبَرِّدُ قَوْلَ الشَّاعِرِ:

أَبْيَضُ مـِنْ أُخْتِ بَنِيْ إِبَاضِ

(لرؤبة في ملحق ديوانه، ص: 176، والشريف المرتضى، 1967م، 1: 92، 2: 317، وابن يعيش،د.ت، 6: 93، 7: 147.)على الشُّذُوذِ لِمَجِيءِ أَفْعَل التفضيل فِيهِ مِنَ البَيَاضِ لَمْ يَرُقْ ذَلِكَ بَعْضُ العُلَمَاءِ بَعْدَهُ، وَرَأَوْا أَنَّ الأَوْلَى تَأْوِيلُهُ عَلَى أَنَّ قَوْلَهُ (مِنْ أُخْتِ) مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ نَعْتٍ لأَبْيَضَ، لا بْأَبْيَضَ نَفْسِهَا، وَتَقْدِيرُهُ: أَبْيَضُ كَائِنٌ مِنْ أُخْتِ بَنِي إِبَاضِ، أَرَادَ مِنْ جملِهَا وَمِنْ قَوْمِهَا ... وَتَأَوُّلُهُ عَلَى هَذَا الوَجْهِ أَوْلَى مِنْ حَمْلِهِ عَلَى الشُّذُوذِ" (الشريف المرتضى، 1967م، 1: 92-93.).

ولا شكَّ في أَنَّ مِمَّا جَعَل الدارسين يَجْتَرِؤُونَ عَلَى هَذَا النَّوْعِ مِنْ وَسَائِلِ تَثْبِيتِ القَاعِدَةِ طَبِيعَةُ الجُمْلَةِ العَرَبِيَّةِ التِي يَعْتَرِيهَا الحَذْفُ كَثِيرًا، وَلابُدَّ للوُصُولِ إلى المَعْنَى مِنْ تَقْدِيرِ المَحْذُوفِ أو المَحْذُوفَاتِ(الخثران، 1988م، ص: 10.).

شروط التأويل الصحيح:

اشترط الأصوليون للتأويل الصحيح شروطًا أهمها:

1- أن يكونَ اللَّفْظُ المُرَادُ تَأْوِيلُهُ قَابِلاً للتَّأْوِيلِ، بِأَنْ يَكُونَ مُحْتَمِلاً لِمَا صُرِفَ إِلَيهِ(الآمدي، 1400ﻫ، 3: 54.).

2- أَنْ يُوجَدَ مُسْتَنَدٌ للتَّأْوِيلِ، بْأَنْ يَقُومَ الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ المُرَادَ باللَّفْظِ هُوَ المَعْنَى الذِي صُرِفَ إِلَيهِ، وَيُعْرَفُ ذَلِكَ بِمُخَالَفَةِ ظَاهِرِ اللَّفْظِ لِمَا هُوَ أَقْوَى مِنْهُ سَنَدًا أَوْ دِلالَةً، كَأَنْ يَكُونَ هَذَا اللَّفْظُ مُحْتَمِلاً وَمَا يُخَالِفَهُ نَصٌّ فِي المَوْضُوعِ، فَيُؤَوَّلُ المُحْتَمِلُ عِوَضًا عَنْ رَدِّهْ (الشوكاني، 1399ﻫ، ص: 177.).

وقد تعارف النحاة على شروط ينبغي الالتفات إليها عند ارتياد التأويل أبرزها:

1- أن لا يكون المراد تأويله لغة فصيحة اختص بها قبيلة أو طائفة من العرب لم يتكلموا إلَّا بها وخالفوا ما عليه الأكثرون. ومن ثَمَّ رُدَّ تَأْوِيلُ أَبِي عَلِيٍّ قَوْلَهَمُ: (لَيْسَ الطِّيبُ إِلَّا المِسْكُ) عَلَى أَنَّ فِيهَا ضَمِيرُ الشَّأْنِ؛ لأَنَّ أَبَا عَمْرٍو نَقَلَ أَنَّ ذَلِكَ لُغُةُ بَنِي تَمِيمٍ(السيوطي،د.ت،1: 258، والسيوطي، الاقتراح،1976م، ص: 75).

2- أَنْ يَكُونَ الكَلامُ المُرَادُ تَأْوِيلُهُ مِمَّا يُحْتَجُّ بِهِ، فَإِنْ كَانَ خَارِجًا عَنْ عَصْرْ الفَصَاحَةِ أَوْ عَنِ القَبَائِلِ المُحْتَجِّ بِكَلامِهَا فَلا يَنْبَغِي الاشْتِغَالُ بِتَأوِيلِهِ، ويُكْتَفَى بِوَصْفِهِ باللَّحْنِ وَالخَطَأِ(انظر: الخثران، 1988م، ص: 10.).

3- أَنْ لا يَبْلُغُ التَّأْوِيلُ مِنَ التَّكَلُّفِ حَدًّا يَخْرُجُ بِهِ عَنِ المُسْتَسَاغِ وإلَّا فَهُوَ مَرْدٌودٌ غَيْرُ مَقْبُولٍ.

ب- احتمَالٌ تَأْوِيلِيٌّ، غَايَتُهُ إِسْقَاطُ صِحَّةْ الاستدلال بالدَّلِيلِ عَلَى حُكْمٍ نَحْوِيّ قِيَاسِيِّ مُطَّرِدٍ في كلام العرب لا على إسقاط الحكم النَّحْوِيِّ القِيَاسِيِّ :

وذلك عندما يكون الاحتمالُ المُسَاوِي مُتَوَجِّهًا لإسقاطِ صِحَّةِ الاسْتِدِلالِ بالدَّلِيلِ عَلَى حُكْمٍ نَحْوِيّ قِيَاسِيِّ مُطَّرِدٍ في كلام العرب لا على إسقاط الحكم النَّحْوِيِّ القِيَاسِيِّ أو الاعتراض عليه، ومنه ما قيل في تأويل أبي حيان للبيت الوارد في شرح التسهيل:

أَخَاكَ الذِي إِنْ تَدْعُهُ لِمُلِمَّةٍ يُجِبْكَ بِمَا تَبْغِي وَيَكْفِيكَ مَنْ يَبْغِي

(ابن مالك،د.ت، 1: 49.)

باحتمال كونه منصوبًا على الإغراء على اللُّغَةِ المشهورة في الأسماء الستة، حيث رَدَّ بهذا التأويل على ابن مالك في استشهاده بالبيت على لغة القصر في الأسماء الستة، ولغة القصر لغة ثابتة بالنقل عن الصحيح عن العرب، بل هي القياس على لسان أصحابها، ولا مجال لإنكارها أو رميها بالضعف، فقد تعدَّدَتْ شواهدُهَا في كتب اللُّغَةِ والنَّحْوِ، فَإِنْ رُدَّ شاهدٌ صحَّ شاهدٌ آخر، وقد سَمَّى السُّيُوطِيُّ هَذَا الصَّنِيعَ تَأْوِيلاً (فجال، 1989م، ص: 131-132).

ومنه ما قيل في تأويل قول الشاعر:

تَزَوَّدْتُ مِنْ لَيْلَى بِتَكْلِيمِ سَاعَةٍ فَمَا زَادَ إِلَّا ضِعْفَ مَا بِي كَلامُهَا

(ابن عقيل، 1964م، 2: 74).

حيث قَدَّمَ المفعولَ بِهِ المحصورَبــ (إلَّا)، وهو قوله: (ضِعْفَ) عَلَى الفَاعِلِ وَهُوَ قوله: (كَلامُهَا ) وهذا جائز عند الكسائي وأكثر البصريين، وبعضُ البصريين،وَوَافَقَهُم الجَزُولِيُّ، والشَّلَوْبِينُ تَأَوَّلُوا البيتَ بِأَنَّ فِي (زَادَ) ضَمِيرًا مستترًا يعود على تكليم ساعة، وهو فاعلُهُ، وقوله:(كَلامُهَا) فَاعِلٌ بِفِعْلٍ محذوفٍ، والتقدير: زَادَهُ كَلامُهَا، وَهُوَ تَأْوِيلٌ مٌسْتَبْعَدٌ ولا مُقْتَضَى لَهُ، لِمَا فِيهِ مِنْ تَكَلُّفِ دَعْوَى الحَذْفِ والتَّقْدِيرِ، وَهُمَا خِلافُ الأَصْلِ فِي الكَلامِ، دُوْنَ أَنْ يَكُونَ لَهُمَا مَا يُقَوِّي القَوْلُ بِهِمَا مِنْ دِلالَةِ السِّيَاقِ، وَهَذَا التَّأْوِيلُ- مَعَ ذَلِكَ- إِنْ صَحَّ فِي هَذَا البَيْتِ لِعَوْدِ الضَّمِيرِ عَلَى مُتَقَدِّمٍ لَفْظًا وَرُتْبَةً فَلا يُمْكِنُ القَوْلُ بِهِ فِي بَقِيَّةِ شَوَاهِدِ إِجَازَةِ تَقْدِيمِ المَفْعُولِ بِهِ المَحْصُورِ بــ (إلَّا)، فغاية الأمر أَنَّهُ يُسْقِطُ صِحَّةَ الاسْتِدْلالِ بِهَذَا البَيْتِ فَقَطْ عَلَى جَوَازِ تقديمِ المَحْصُورِ بـِــ (إلَّا) لَكِنُّهُ لا يسقط صِحَّةَ الحُكْمِ النَّحْوِيِّ ذَاتِهِ الذِي ذَهَبَ إِلَيهِ أَكْثَرُ البَّصْرِيينَ وَوَافَقَهُم الكِسَائِيُّ فِيهِ (ابن عقيل، 1964م، 2: 74).

2- الاحتمال الذي لا يُسْقِطُ صِحَّةَ الاسْتِدْلالْ بالدَّلِيلِ أَوْ مَا يُمْكْنُ تَسْمِيَتُهُ بالتَّوْجِيهِ أَوِ التّخْرْيجِ:

وهو الاحتمالُ الذي يَتَوَجَّهُ إلى تَخْرِيجِ لُغَةٍ مُخَالِفَةٍ للمُطَّرِدِ مِنْ كَلامِ العَرَبِ عَلَى وَجْهٍ عَرَبِيٍّ مُوَافِقٍ لِطَرِيقَةٍ مِنْ طَرَائِقِ العَرَبِ فِي تَصَرُّفِهَا فِي الكَلامِ،وَمِنْهُ مَا قِيلَ فِي تَوْجِيهِ رَفْع المَصْدَرِ المُنَكَّرِ فَعَامَّةُ العَرَبِ تَنْصِبُ مَا يَرِدُ مِنَ المَصَادِرِ التِي تَبْدَأُ بِهَا الجُمْلَةُ لِكَوْنِهَا مَفْعُولاً مُطْلَقًـًا حُذِفَ عَامِلُهُ، والمَصْدَرُ نَابَ مَنَابَهُ فِي الدِّلالَةِ عَلَى مَعْنَاه، نَحْوَ: سَقْيًا وَرَعْيًا لَكَ، وَبُعْدًا وَسُحْقًا لَكَ، وَحَمْدًا وَشُكْرًا للهِ.

وبَنُو تَمِيم يَرْفَعُونَ تِلْكَ المَصَادِرَ والحَالَةُ هَذِه، يَجْعَلُونَ المَصَادِرَ خَبَرًا لِمُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ، فَيَقُولُونَ: سَقْيٌ وَرَعْيٌ لَكَ، وَبُعْدٌ وَسُحْقٌ لَكَ، وَحَمْدٌ وَشُكْرٌ للهِ.

قال سيبويه:" هَذَا بَابُ مَا يَنْتَصِبُ عَلَى إِضْمَارِ الفِعْلْ المَتْرُوكِ إظهارُه من المَصادر في غير الدُّعاء، من ذلك قولك: حَمْدًا وشُكْرًا لا كُفْرًا وعَجَبًا وأَفْعَلُ ذلك وكَرامَةً وَمَسَرَّةً ونُعْمَةَ عَيْنٍ وحُبًّا ونَعامَ عَيْنٍ ولا أَفْعَلُ ذاك ولا كَيْدًا ولا هَمًّا، ولأَفعلنَّ ذَاكَ وَرَغْمًا وَهَوَانًا، فَإِنَّمَا يَنْتَصِبُ هَذَا عَلَى إِضْمَارِ الفِعْلِ كَأَنَّكَ قُلْتَ: أَحْمَدُ اللهَ حَمْدًا وَأَشْكُرُ اللهَ شُكْرًا وَكَأَنَّكَ قُلْتَ: أَعْجَبُ عَجَبَا وَأُكْرِمُكَ كَرَامَةً وَأَسُرُّكَ مَسَرّةً ولا أَكَادُ كَيْدًا وَلا أَهُمُّ هَمًّا وَأُرْغِمُكَ رَغْمًا، وإنّما اختُزِلَ الفعلُ ههنا؛ لأنَّهم جعلوا هذا بدلاً من اللَّفْظِ بالفِعْلِ كَمَا فَعَلُوا ذَلِكَ فِي بَابِ الدُّعَاءِ، كَأَنَّ قَوْلَكَ: حَمْدًا فِي مَوْضِعِ أَحْمَدُ اللهَ، وَقَوْلَكَ: عَجَبًا مِنْهُ فِي مَوْضِعِ أَعْجَبُ مِنْهُ، وقولَه: ولا كَيْدًا فِي مَوْضِعِ وَلا أَكَادُ وَلا أَهُمُّ،وَقَدْ جَاءَ بَعْضُ هَذَا رَفْعًا يُبْتَدَأُ ثُمَّ يُبْنَى، وَزَعَمَ يُونُسُ أَنَّ رُؤْبَةَ بنَ العَجَّاجِ كَانَ يُنْشِدُ هذا البَيْتَ رَفْعًا وَهُوَ لِبَعْضِ مَذْحِجٍ، وَهُوَ هُنَيُّ بن أَحْمَرَ الكِنَانِيِّ:

عَجَبٌ لِتلْكَ قَضِيّةً وإقامتي فيكمْ على تلك القضِيّة أَعْجَبُ

(البيت في : ابن هشام، 1409ﻫ، ص: 348، والأزهري،د.ت، 2: 87، والأشموني، تحقيق: عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد، د.ت.، 1: 272.)

وسمعنا بعضَ العَرَبِ الموثوقَ به يُقَالُ لَهُ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ ؟ فَيَقُولُ: حَمْدُ اللهِ، وَثَنَاءٌ عَلَيْهِ، كَأَنَّهُ يَحْمِلُهُ عَلَى مُضْمَرٍ فِي نِيَّتِهِ هُوَ المُظْهَرُ كَأَنّهُ يَقُولُ: أَمْرْي وَشَأْنِي حَمْدُ اللهِ، وَثَنَاءٌ عَلَيْهِ، وَلَوْ نَصَبَ لَكَانَ الذِي في نَفْسِهِ الفِعْلَ، وَلَمْ يَكُنْ مُبْتَدَأً لِيُبْنَى عَلَيْهِ وَلا لِيَكُونَ مَبْنِيًّا عَلَى شَيْءٍ هُوَ مَا أَظْهَرَ"(سيبويه،1983م، 1: 318-320.).

وسيبويه هنا لَمْ يُصَرِّحْ باسْمِ القَبِيلَةِ صَاحِبَةِ اللُّغَةِ لَكِنَّ الأَزْهَرِيَّ صَرَّحَ بِذَلِكَ فِي قَوْلِهِ:"والبُعْدُ أَيْضًا مِنَ اللَّعْنِ، كَقَوْلِكَ: أَبْعَدَهُ اللهُ، أَيْ: لا يُرْثَى لَهُ فِيمَا يَزِلُّ بِهِ، وَكَذَلِكَ: بُعْدًا لَهُ وَسُحْقًا، ونَصَبَ بُعْدًا عَلَى المَصْدَرِ، وَلَمْ يَجْعَلْهُ اسْمًا، وَتَمِيمُ تَرْفَعُ فَتَقُولُ: بُعْدٌ لَهُ وَسُحْقٌ، كَقَوْلِكَ: غُلامٌ لَهُ وَفَرَسٌ"(الأزهري، 1964م، 2: 244، وانظر: ابن منظور، 1968م، 3: 91، مادة (بعد)).

وَحَكَى الرَّضِيُّ نَصْبَ المَصْدَرِ عَلَى أَنَّهُ يُفِيدُ الدَّوَامَ، وَإِذَا رُفِعَ جُعِلَ خَبَرًا عَلَى إْفَادَةِ زِيَادَةٍ، وَهِيَ المُبَالَغَةُ فِي الدَّوَامِ(الرضي، 1210ﻫ، 1: 316.).

فسيبويه هنا لا يَتَأَوَّلُ مَا وَرَدَ مِنَ الرَّفْعِ فِي لُغَةِ تَمِيم، حَيْثُ لُغَةُ تَمِيم فِي هَذَا لُغَةٌ ثَابِتَةٌ عَنِ العَرَبِ بَلْ هِيَ القِيَاسُ عَلَى لِسَانِ أَصْحَابِهَا بَلْ نَجِدُهُ يُخَرِّجُهُ عَلَى وَجْهٍ عَرَبِيٍّ مُوَافِقٍ لِطَرِيْقَةٍ مِنْ طَرَائِقِ العَرَبْ فِي تَصَرُّفِهَا فِي الكَلامِ، وَهُوَ الرَّفْعُ عَلَى الخَبَرِيَّةِ لِمُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ، وَهُوَ أُسْلُوبٌ مِنْ أَسَالِيبِ العَرَبِ.

المبحث الثالث: طُرُقُ الاحْتِمَالِ المُسْقِطِ لِصِحَّةِ الاسْتِدْلالِ:

للاحْتِمَالِ المُسْقِطِ لِصِحَّةِ الاسْتِدْلالِ طُرُقٌ مُتَعَدِّدَةٌ تَتَفَاوَتُ فِي قُوَّتِهَا وَكَثْرَةِ وُرُودِهَا، وَإِلَيْكَ أَبْرَزُهَا بَادِئًا بِأَكْثَرِهَا عَلَى التَّرْتِيبِ:

1- حمل الدليل على الحذف والتقدير:

يكثر في العربية حذفُ الشَّيْءِ وَهُوَ مُرَادٌ، وحينئذٍ لا يَخْلُو الكَلامُ مِنْ قَرِينةٍ تَدُلُّ عَلَيهِ"وإِلَّا كَانَ فِيهِ ضَرْبٌ مِنْ تَكْلِيفِ عِلْمِ الغَيْبِ فِي مَعْرِفَتِهِ"(ابن جني،د.ت، 2: 360.)، لأَنَّ مِنْ مَقَاصِدِ اللُّغَةِ الإِيْضَاحَ والبَيَانَ، وَلابُدَّ مِنْ عْلِمْ المُخَاطَبِ لِمَا طُوِيَ من الكَلامِ وأُضْمِرَ(انظر: سيبويه، 1983م، 1: 74، 212.).

ودليلُ سِعَةِ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ دُخُولُهَا كَلامَ العَرَبِ جُمَلَهُ وَمُفْرَدَاتِهِ وَحُرُوفَهُ وَحَرَكَاتِهِ(ابن جني، د.ت، 2: 360.)، فَإِذَا كَثُرَ اسْتِعْمَالُهَا شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ اسْتَسَاغُوا فِيهِ الحَذْفَ مُتَّكِئِينَ عَلَى عِلْمِ المُخَاطَبِ بِهِ(سيبويه، 1983م،2: 129، 208، 3: 504، و المبرد، 1963م، 2: 151، وانظر: الخثران، 1988م،ص: 135-137.) طَلَبًا للإيْجَازِ والاخْتِصَارِ(سيبويه،1983م، 1: 222 و ابن جني، د.ت، 1: 82.)، وقد يُعَبَّرُ عَنْ هَذَا العَمَلِ بالاتِّسَاعِ (سيبويه،1983م،1: 212 – 213)، إلَّا أَنَّ ابْنَ السَّرَّاجَ قَدْ فَرَّقَ بَيْنَ الحَذْفِ والاتِّسَاعِ، فَإِنِ أَسْقَطْتَ العَامِلَ وَأَبْقَيْتَ عَمَلَهُ فَهَذَا حَذْفٌ، وَإِنْ زَالَ العَمَلُ فَهُوَ اتِّسَاعٌ(ابن السراج، 1985م، 2: 255.).

ويأتي التَّأْوِيلُ بِهَذَا الوَجْهِ بادِّعَاءِ تَقْدِيرِ عَامِلٍ فِي المَعْمُولِ الظَاهِرِ، أَوْ حَذْفِ مُضَافٍ وَإِقَامَةِ المُضَافِ إِلَيهِ مَقَامَهُ، أَوْ حَذْفِ مَوْصُوفٍ وَإِقَامَةِ صِفَتِهِ مَقَامَهُ، أَوْ حَذْفِ القَوْلِ وَإِقَامَةِ مَقُولِهِ مَقَامَهُ، أو حَذْفِ جُمْلَةٍ أَوْ كَلِمَةٍ أَوْ حَرْفٍ، والغَرَضُ مِنَ ذَلِكَ إِبْطَالُ اسْتِدْلالِ المُسْتَدِلِّ بِدَلِيلِهِ، وَلابُدَّ للمُؤَوَّلِ مِنْ تَأْيِيدِ تَأْوْيله بإثبات دليل يدُلُّ على المحذوف، وذكر نظائر صحيحة لتأويله، وأن يكون هذا الحذف بعيدًا عن الإجحاف، والتقدير سالمًا من التكلف، وأن تتوفر شروط الحذف التي بينها العلماء وهي – زيادة على وجود الدليل -: أن لا يكون ما يحذف كالجزء فلا يحذف الفاعل ولا نائبه، وأن لا يكون مؤكِّدًا، وأن لا يؤدي حذفه إلى اختصار المختصر، فلا يحذف اسم الفعل دون معموله؛ لأنَّهُ اختصار للفعل، وأن لا يكون عاملاً ضعيفًا فلا يحذف الجار ولا الجازم والناصب للفعل إلا في مواضع مسموعة، وأن لا يكون عوضًا عن شيء، وأن لا يؤدي حذفه إلى تهيئة العامل للعمل وقطعة عنه، ولا إلى إعمال العامل الضعيف مع إمكان العامل القوي(انظر: ابن هشام، 1979م، ص: 786-795، والسبيهين، 2005م، ص: 425-426).

2- ادعاء الفصل بين أجزاء الكلام:

مجيء الجمل المعترضة بين المتلازمين كالفعل ومعموله، والمبتدأ وخبره، والشرط وجوابه، والقسم وجوابه، والموصوف وصفته، والموصول وصلته، والمتضايفين، والمتعاطفين أمر معهود في العربية(انظر: ابن هشام، 1979م، ص: 506-512، والسبيهين، 2005م، ص: 426-427 ).

ويجيء التأويل بهذا الطريق بتعليق آخر الكلام بشيء تقدم منه؛ لصرفه عن التَّعَلًّقِ بِمَا اسْتَدَلَّ بِهِ المُسْتَدِلُّ، فَيَسْقُطُ استشهادُهُ بِهِ.

3- الحمل على التقديم والتأخير:

في الكلام مواضع الأصل فيها الترتيب كالمبتدأ والخبر، والفاعل والمفعول،ونحوها(ابن جني، د.ت، 2: 382 وما بعدها).

والمؤوِّلُ يسلكُ سبيلَ ادِّعَاءِ عَدَمِ التَّرْتِيبِ وَأَنَّ فِي الكَلامِ تَقْدِيمًا وَتَأْخِيرًا لِتَبْطُلَ دِلالَةَ الشَّاهِدِ عَلَى مَا سِيقَ لأَجْلِهِ (السبيهين، 2005م، ص: 427).

4- حمل بعض الكلام على الزيادة:

من الحروف ما يستعمل زائدًا في بعض أساليب اللُّغَةِ، ويقصد بالزائد ما لا يتغير معنى الكلام الأصلي بحذفه، وإن أفاد الكلام تقوية وتوكيدًا (انظر: سيبويه، 1983م، 1: 180-181، وابن يعيش،د.ت، 8: 128، و السيوطي، 1984م، 1: 247، والسبيهين، 2005م، ص: 427).

ويجيء التأويل بهذا الوجه بأن يحمل المؤوِّلُ شَيْئًا يَتَعَلَّقُ بِهِ استشهادُ المستدلِّ على الزيادة، فلا يبقى في الدَّلِيلِ مَعَ ذَلِكَ شاهدٌ.

5- الحمل على المعنى:

من أساليب العربية أن يحمل المتكلم بعض ألفاظه على معناها، فيعاملها بما تستحق في تلك الحال من حيث عود الضمائر والصرف وعدمه وغير ذلك.

وَيَرِدُ الحملُ على المعنى في صور عدة كالتعبير عن المذكر بلفظ المؤنث وعكسه، وتصور معنى الواحد في الجماعة وعكسه أيضًا (ابن جني، د.ت، 2: 411، والسبيهين، 2005م، ص: 427-428).

والمؤوِّلُ بهذا الطريق يحملُ الكلامَ على ما يقبله الأسلوب من معنًى يخالفُ ظَاهرَ الكلامِ وَيَزُولُ به الاستشهادُ.

6- حمل الدليل على وجه آخر ظاهر:

قال أبو البركات: "إذا جاز أن يُحْمَلَ البيتُ عَلَى وجهٍ سائغٍ في العَرَبِيَّةِ فَقَدْ سَقَطَ الاحتجاجُ بِهِ" (الأنباري، 1961م، 1: 60).

وَيَنْبَغِي عند التَّأْوِيلِ بِهَذَا الوَجْهِ أَنْ يَكُونَ الوَجْهُ المَحْمُولُ عَلَيهِ مُحْتَمَلاً وَجِيهًا؛ لِيَصِحَّ التَّعَلُّقُ بِهِ في إسقاطِ الاستدلالِ (السبيهين، 2005م، ص: 425-426).

المبحث الرابع: ضوابط الاعتداد بالاحتمال في إسقاط صحة الاستدلال بالدليل:

تَبَيَّنَ بالنظر إلى ما سبق من طرق الاحتمال وإلى ما يسلكه العلماء في مناقشاتهم أنَّ له ضوابطَ للاعتداد به في صِحَّةِ إسقاطِ الاستدلالِ بالدَّلِيلِ، ومنها:

1- أَنْ لا يكونَ الاحتمالُ ضعيفًا بوصفه بالتكلف، ونحوه من صور القدح فيه،(السبيهين، 2005م، ص: 429). ومنه ما قيل في تأويل قول الشاعر:

أَلَسْتُ بِنِعْمَ الجَارُ يُؤْلَفُ بَيْتُهُ أَخَا قِلَّةٍ أَوْ مُعْدَمَ المَالِ مُصْرمَا

(البيت لحسان بن ثابت في ديوانه، ص:،128، و ابن الشجري، 1349ﻫ، 2: 147،و الأنباري، 1961م، 1: 97، والأنباري، د.ت، ص: 97، وابن يعيش، د.ت، 7: 127)، وقول بعض العرب: (نِعْمَ السَّيْرُ عَلَى بِئْسَ العَيْرُ)، وَمَا حَكَاهُ الفرَّاءُ عن بعض العرب: (واللهِ مَا هِيَ بِنِعْمَ المولُودَةُ).

استدَلَّ بها الكوفيون على اسمية (نعم) و (بئس) لدخول حرف الخفض عليهما، وهو لا يدخل إلا على الأسماء(انظر: ابن الشجري، 1349ﻫ، 2: 147 – 148، والأنباري، 1961م، 1: 97-99،و الأنباري، د.ت، ص: 97،والعكبري، شرح ديوان المتنبي، 1986م، 1: 299-300،و العكبري، التبيين، 1986م، ص: 276،و الزبيدي، 1987م، ص: 115.).

واعترض البصريون بأنَّ الحكاية مقدرة فيه، وحرف الجر يدخل مع تقدير الحكاية على ما لا شبهة في فعليَّتِهِ كقول الراجز:

واللهِ مَا لَيْلِي بِنَامَ صَاحِبُهُ

(لم أقف على قائله، وهو في: الأنباري، 1961م،1: 112، والبغدادي، 1979م،9: 388.)

فيكون التقدير في الشواهد السابقة: (أَلَسْتُ بِجَارٍ مقولٍ فيه نِعْمَ الجَارُ) و (نِعْمَ السَّيْرُ عَلَى عَيْرٍ مقولٍ فيه بِئْسَ العَيْرُ) و (واللهِ مَا هِيَ بمولودةٍ مقولٍ فيها نِعْمَ المولودةُ)، ويكون التقدير في البيت السابق: (مَا لَيْلَي بليلٍ مقولٍ فيه نَامَ صَاحِبُهُ)، فلم يدخل حرف الخفض على هذه الأشياء في الحقيقة، وإن كان كذلك في اللَّفْظِ، وإِنَّمَا دَخَلَ عَلَى الموصوف المحذوف مع صفته (القول) والمذكور هو مقول القول المحذوف(ابن الشجري، 1349ﻫ، 2: 148، والأنباري، 1961م، 1: 112-113، والأنباري،د.ت،ص: 98-99، والعكبري، التبيين، 1986م1986م، ص: 279 الزبيدي، 1987م، ص: 117.).

وَيُدْفَعُ هَذَا الاحتمالُ بأَنَّ حذفَ الموصوف وإقامة الصفة مقامه ضعيفٌ، حتَّى إِنَّ ابن جني يكاد يحصره في الضرورة ويمنع القياس عليه(ابن جني، د.ت، 2: 366.)، ذلك أنَّ مقامَ الصفة في الأصل – تخصيصًا أو مدحًا أو غيرهما- مقامُ إطنابٍ، والحذفُ يناقض ذلك، ومع أَنَّ واقعَ العربية يقبلُ هَذَا النَّوْعَ من الحذف إلَّا أَنَّهُ لا يخلو من ضعفٍ.

لكنَّ مَنْ يراجعُ أَدِلَّةَ البصريين الدَّالَةَ على فعلية (نعم) و (بئس) يجدها قويةً يَتَعَسَّرُ نَقْضُها(انظر: الأنباري، 1961م، 1: 104-112.)، إِلَّا أَنَّهُ بَدَلاً من ترجيحِ أحدِ المذهبين على صاحبه، وَلِكُلِّ رَأْيٍ أَدِلَّتُهُ القويَّةُ يَحْسُنُ الأخذُ بِوِجْهَةِ نَظَرِ ابنِ عصفورٍ-فِيْمَا نَقَلَهُ عَنْه الأزهريُّ- في سوق هذا الخلاف بين الفريقين، فقد نَقَلَ أَنَّهُ لَمْ يَخْتَلِفْ أحدٌ من البصريين، والكوفيين في أنَّ(نِعْمَ) و(بِئْسَ) فعلان، وإِنَّمَا الخلافُ فيهما بعد إسنادهما إلى الفاعل، فذهب البصريون إلى أنَّ (نِعْمَ الرَّجُلُ) و (بِئْسَ الرَّجُلُ) جملة فعليَّةٌ، وَذَهَبَ الكسائيُّ إلى أَنَّ قَوْلَكَ: (نِعْمَ الرَّجُلُ) و (بِئْسَ الرَّجُلُ) اسمان محكيَّان بمنزلة (تَأَبَّطَ شَرًّا) أحدهما للممدوح، والآخر للمذموم، وهما في الأصل جملتان نُقِلَتَا عَنْ أَصْلِهِمَا وَسُمِّيَ بِهِمَا (الأزهري، د.ت،2: 94).

وَإِذَا خَرَجَ الخلافُ عن فعليَّةِ (نِعْمَ) و (بِئْسَ) زَالَ إسقاطُ صِحَّةِ الاستدلالِ بالدَّلِيلِ بِحَمْلِهِ على احتمالِ الحَذْفِ، والتَّقْدِيرِ.

ومنه أيضًا ما قيل في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ﴾ (سورة المائدة، الآية: (69)).

استدَلَّ به الكوفيون على جواز العطف على موضع اسم (إنَّ) بالرَّفْعِ قَبْلَ تَمَامِ الخَبَرِ(الأنباري، 1961م،1: 186 و العكبري،التبيين، 1986م، ص: 343-344 الزبيدي، 1987م، ص: 167.).

وتَأَوَّل البصريُّون الآيةَ على سبيل التقديم، والتأخير، والتقدير فيها: إن الذين آمنوا والذين هادوا من آمن بالله واليوم الآخر فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون، والصابئون والنصارى كذلك. فــــ (الصابئون) مبتدأ محذوف الخبر للدلالة عليه(انظر: سيبويه، 1983م،2: 155 و النحاس، 1985م، 2: 31، والأنباري، 1961م، 1: 187، و العكبري، التبيين، 1986م، ص: 345 الزبيدي، 1987م، ص: 168.)، والاستئناف مع حذف الخبر له نظائر في كلامهم(انظر: سيبويه، الكتاب،2: 156، و النحاس،1985م، 2: 32، والأنباري، 1961م، 1: 187-189 و العكبري، التبيين،1986م، ص: 345.).

وَيُدْفَعُ هَذَا الاحتمالُ بِمَا فِيهِ مِنْ تَكَلُّفٍ بادِّعَاءِ التَّقْدِيم، والتَّأْخِيرِ، والحَذْفِ، وَلَوْ حُمِلَ عَلَى ظَاهِرِهِ لَسَلِمَ مِنْ هَذِه الأُمُورِ.

إلَّا أَنَّ هَذَا الشاهدَ، ومثله قولهم: (إِنَكَ وَزَيْدٌ ذَاهِبَانِ)(سيبويه، 1983م،2: 155، والأنباري، 1961م،1: 186.) لا يَدُلَّانِ عَلَى صِحَّةِ العَطْفِ عَلَى مَحَلِّ اسْمِ (إِنَّ) بالرَّفْعِ مُطْلَقًا قَبْلَ تَمَامِ الخَبَرِ، بَلْ غَايَةُ مَا يَدُلَّانِ عَلَيهِ الرَّأْيُ الوَسَطُ الذِي ذَهَبَ إليه الفَرَّاءُ مِنَ الكوفيين، وَهُوَ أَنَّهُ لا يَجُوزُ ذَلِكَ إِلَّا فِيْمَا لَمْ يَظْهَرْ فِيهِ عَمَلُ (إِنَّ) كالشاهدين السابقين، بخلاف ما إذا ظَهَرَ عَمَلُهَا فِي اسْمِهَا فَلا يَصِحُّ العَطْفُ حينئذٍ بالرَّفْعِ (الفراء، 1983م،1: 310-311 و ثعلب، د.ت،1: 262، والنحاس، 1985م،2: 32، والأنباري، 1961م،1: 186، والعكبري، التبيين، 1986م1986م، ص: 341 الزبيدي، 1987م، ص: 167.)، وهذا هو أوجهُ الآراءِ لدلالة الدليل عليه وسلامته من التأويل.

2- أن لا توجدَ قَرِينَةٌ فِي الكلامِ تُرَجِّحُ الحَمْلَ عَلَى ظَاهِرِ الكلامِ فَيُصْبِحُ الظَّاهِرُ احتِمَالاً رَاجِحًا لا مُسَاوِيًا،(السبيهين، 2005م، ص: 429)، ذلك أَنَّ مِنْ أُصُولِهِم المُقَرَّرَةِ أَنَّ "التَّمَسُّكَ بالظَّاهِرِ وَاجِبٌ مَا أَمْكَنَ"(الأنباري، 1961م، 2: 796، وانظر: تمام حسان، الأصول، 1981م، ص: 170-171.)؛ و" لَيْسَ الحَمْلُ عَلَى المَعْنَى بالأصْلِ" (الفارسي، 1981م، ص: 189.)، و"إِنَّمَا العَمَلُ عَلَى الظَّاهِرِ لا عَلَى المُحْتَمَل"(ابن جني، د.ت، 2: 62-63.)؛ ولذَا نَجِدُهُم يَتَحَامُونَ عَنْ كَثْرَةِ التَّأْوِيلِ فِي التَّرَاكِيبِ مَا أَمْكَنَ فَكَيْفَ إِذَا وُجِدَ في الكلامِ مِنَ القَرَائِنِ مَا يُقَوِّي الحَمْلَ عَلَى الظَّاهِرِ، وَمِنْهُ مَا قِيلَ فِي تَأْوِيلِ قولِ الشَّاعِرِ:

وَمِمَّنْ وَلَدُوا عَامِرُ ذُو الطُّوْلِ وذُو العَرْضِ

(البيت لذي الأصبع العدواني. وهو في: ابن السراج، 1985م، 3: 438، والأنباري، 1961م، 2: 501 وابن يعيش، د.ت، 1: 68، وابن منظور، 1968م، (عمر)، 4: 608.)

استدَلَّ به الكوفيون على جواز ترك صرف ما ينصرف في ضرورة الشعر، فقد منع (عامر) الصرف وهو منصرف، (انظر: ابن السراج،1985م،3: 438، والأنباري، 1961م، 2: 501-502، والأنباري، 1957م،ص: 49، وابن يعيش، د.ت، 1: 68، وابن عقيل، 1964م،2: 340.).

وتَأَوَّلَ البصريُّونَ الدَّليلَ بأنَّ سببَ تَرْكِ الصَّرْفِ الحَمْلُ عَلَى المَعْنَى، "وَإِنَّمَا عَامِرُ اسْمُ قَبِيلةٍ"(ابن السراج،1985م، 3: 438 وانظر: الأنباري، 1961م،2: 502 و الأنباري، 1957م، ص: 49، وابن يعيش،د.ت،1: 68.)، والحَمْلُ عَلَى المَعْنَى لَهُ نَظَائِرُ فِي كَلامِهِم، قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ  أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾(سورة هود، الآية: (68).)، فلم يصرف (ثمود) الثاني؛ لأنه جعله اسمًا للقبيلة حَمْلاً على المعنى، وقال الشاعر:

قَامَتْ تَبْكِيهِ عَلَى قَبْرِهِ مَنْ لِي مِنْ بَعْدِكَ يَا عَامِرُ

تَرَكْتَنِي فِي الدَّارِ ذَا غُرْبَةٍ قَدْ ذَلَّ مَنْ لَيْسَ لَهُ نَاصِرُ

(البيتان بلا نسبة في: أبي عبيدة، 1981م،2: 76 و المرتضى، 1967م،1: 71-72 وابن يعيش،د.ت،5: 101.)

والأصل أن يقول: ذات غربة، فَحَمَلَهُ عَلَى المَعْنَى أَيْ: تركتني إنسانًا ذا غربة. وأمثلة الحمل على المعنى كثيرة(انظر: ابن السراج،1985م، 3: 438 – 439، والأنباري، 1961م،2: 502-509، والأنباري،1957م، ص: 49-50.).

ويُمْكِنُ أن يُدْفَعَ هَذَا الاحتمالُ بِمَا يَلِي:

أ- أنَّ في الكلام قرينةً تَمْنَعُ الحَمْلَ عَلَى المَعْنَى المُؤَنَّثِ، وهو قوله: (ذو الطول وذو العرض) ولو كانت قبيلة لوجب أن يقول: ذات الطول وذات العرض(ابن السراج، 1985م،3: 438، والأنباري، 1961م،2: 502، والأنباري، 1957م، ص: 50.).

ورُدَّ هذا بأَنَّ قَوْلَهُ: (ذو الطول) راجعٌ إلى الحَيِّ، ونظير هذا التَّنَقُّلِ من معنًى إلى معنًى قولُ الشاعر:

إِنَّ تَمِيمًا خُلِقَتْ مَلْمُومَا

قَوْمًا تَرَى وَاحِدَهُمْ صِهْمِيمَا

(البيتان منسوبان إلى المخيس الأعرجي في: ابن منظور، 1968م، مادة: (صهم)، 12: 349 وهما في ملحقات ديوان رؤبة، ص: 185-191، والصهميم: الذي لا ينثني عن مراده.)

فقال: (خلقت) أراد به القبيلة، ثم قال: (مَلْمُومَا) أَرَادَ بِهِ الحَيَّ، ثُمَّ انْتَقَلَ إلى الجَمْعِ فَقَالَ: (قومًا ترى واحدهم)(انظر: ابن السراج، 1985م، 3: 438، والأنباري، 1961م،2: 509-510، والأنباري، 1957م، ص: 51.).

وقد انْتَصَرَ الأَنْبَارِيُّ للكوفيِّينَ، وَأَجَابَ بِأَنَّ حَمْلَ الكلامِ عَلَى ظَاهِرِهِ هُوَ الأَصْلُ، وَهُوَ أَوْلَى مِنْ تَأْوِيلِهِ، قَالَ: "نَحْنُ لا نُنْكِرُ الحَمْلَ عَلَى المَعْنَى فِي كَلامِهِم، ولا التَّنَقُّلَ مِنْ معنًى إلى معنًى، وَلَكِنَّ الظَّاهِرَ مَا صِرْنَا إِلَيهِ، لأَنَّ الحَمْلَ عَلَى اللَّفْظِ، والمَعْنَى أَوْلى مِنَ الحَمْلِ عَلَى المَعْنَى دُونَ اللَّفْظِ، وَجَرْيُ الكَلامِ عَلَى مَعْنًى وَاحِدٍ أَوْلَى مِنَ التَّنَقُّلِ مِنْ مَعْنًى إلى مَعْنًى"(الأنباري، 1961م،2: 510-511.).

ب- تَرْكُ صَرْفِ مَا يَنْصَرِفُ فِي ضَرُورَةِ الشِّعْرْ مَسْأَلَةٌ كَثُرَتْ شَوَاهِدُهَا، بِحَيْثُ لا يَصِحُّ تَأَوِيلُهَا، فَقَدْ أَوْرَدَ أَبُو البرَكَاتِ وَحْدَهُ لَهَا فِي الإِنْصَافِ ثَلاثَةَ عَشَرَ شَاهِدًا شِعْرِيًّا.

والكُوفِيُّونَ لَمْ يَدَّعُوا جَوَازَ المَسْأَلَةِ مُطْلقًا، بَلْ خَصُّوهَا بِضَرَوْرَةِ الشِّعْرِ، فَكَانَ الوَجْهُ القَوْلَ بِمَا قَالُوا بِهِ، والتَّسْلِيمُ بِمَا ذَهَبُوا إِلَيهِ.

3- أَلَّا يُؤَدِّي الاحْتِمَالُ إلَى مُخَالَفَةِ الأَصْلِ، يَقُولُ الصَّبَّانُ:" قوله (لا خير بخير) بحث فيه باحتمال كون الباء ظرفية لا زائدة، والخبر الجار والمجرور. وأجاب غير واحد كالبعض بأن هذا الاحتمال خلاف الظاهر، وإِنْ ادَّعَى الدَّمَامِينِيُّ ظهوره. وأنا أقول: لا بد من التزام هذا الاحتمال أو التزام كون الكلام على زيادة الباء مقلوبًا؛ لأن المعنى المقصود من هذا الكلام نفي كينونة الخير في الخير الذي بعده النار أي نفي وجود شيء من الخير في الخير الذي بعده النار، وهذا إنما يفيده الكلام إذا جعل مقلوبًا، والأصل لا خير بعده النار خير، وليس المقصود نفي الخيرية التي بعدها النار عن الخير كما يفيده جعل الباء زائدة من غير التزام القلب؛ لأنَّ معنى كون (لا) لنفي الجنس أنها لنفي الخبر عن الجنس. فإن قلت: يغني عن التزام القلب جعل بعده النار صفة لاسم (لا). قلتُ: يلزم حينئذٍ الفصل بين الصفة والموصوف بأجنبيٍّ، وهو (خير)، وحيث كانت دعوى الزيادة محوجة إلى ارتكاب القلب الذي هو خلاف الأصل كان احتمال الظرفية هو الظاهر وفاقًا للدماميني، فتدبره في غاية الحسن، والمتانة"(الصبان، د.ت، 2: 3.).

ومنه ما قيل في تأويل قول الشاعر:

وَبَلْدَةٍ لَيْسَ بِهَا طُوْرِيُّ

وَلا خَلا الجِنَّ بِهَا إِنْسِيُّ

(البيتان للعجاج، وهما في: أبي زيد الأنصاري، د.ت، ص: 226، والقالي، د.ت، 1: 255، وابن سيدة، 1321ﻫ، 10: 121، والأنباري،1961م، 1: 274، والعكبري، التبيين،1986م، ص: 407.)

استدَلَّ به الكوفيون على جواز تقديم حرف الاستثناء في أَوَّلِ الكلام(انظر : الأنباري، 1961م، 1: 274، والعكبري، التبيين، 1986م، ص: 407، والزبيدي، 1987م، ص: 175.).

وَتَأَوَّلَ البَصْرِيُّونَ البيتَ بِأَنَّ التَّقْدِيرَ: (ولا إنْسِيُّ خَلا الجِنَّ)، فَأَضْمَرَ المستثنى منه، وما أَظْهَرَهُ تَفْسِيرٌ لِمَا أَضْمَرَهُ(انظر: الأنباري، 1961م، 1: 277، والزبيدي، 1987م، ص: 176.).

وَلَوُ أُجِيبَ عَنْهُ بالتَّمَسُّكِ بالأَصْلِ، وَهُوَ عَدَمُ الحَذْفِ لَمْ يَسْتَقِمْ الاسْتِدْلالُ بِهِ، لأَنَّ تَقْدِيمَ حَرْفِ الاستثناءِ مَقصُورٌ عَلَى ضَرُورَةِ الشِّعْرِ، ولا يَصِحُّ القِيَاسُ عَلَيهِ(انظر: الأنباري، 1961م، 1: 277.).

4- أَنْ لا يُثْبِتَ الخَصْمُ عَدَمَ احتمالِ الوَجْهِ الذِي صُرِفَ إليه الدَّلِيلُ،(السبيهين، 2005م، ص: 429)، وَمِنْهُ مَا قِيلَ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾(سورة هود، الآية: (8).).

اسْتَشْهَدَ به البَصْرِيُّونَ عَلَى جَوَازِ تَقْدِيمِ خَبَرِ (لَيْسَ) عَلَيْهَا، وَوَجْهُ الدَّلِيلِ أَنَّهُ قَدَّمَ مَعْمُولَ خَبَرِ (لَيْسَ) – وَهُوَ الظَّرْفُ – عَلَيْهَا، ولا يَقَعُ المَعْمُولُ إِلَّا حَيْثُ يَقَعُ العَامِلُ(انظر: الفارسي، 1987م، ص: 281، والأنباري، 1961م،1: 162، والعكبري، التبيين، 1986م،ص: 316، والرضي،شرح الكافية،2: 297 وابن هشام، 1409ﻫ، ص: 133، والزبيدي، 1987م، ص: 123.).

وتَأَوَّلَ بعض النُّحاةِ الآيةَ بِحَمْلِ الظَّرْفِ المُتَقَدِّمَ عَلَى الابْتِدَاءِ، وَعَدَمِ تَعْلِيقِهِ بِالخَبَرِ، وَإِنَّمَا بُنِيَ لإضافَتِهِ إلى الفِعْلْ، كَمَا قُرِئَ﴿قَالَ اللَّـهُ هَـٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾ (سورة المائدة، الآية: (119)، وهي قراءة نافع. انظر: أباحيان، 1992م،4: 63.)، فإنَّ (يَوْمَ) فِي موضعِ رَفْعٍ، وَبُنِيَ عَلَى الفَتْحِ؛ لإضَافَتِهِ إلى الفِعْلِ(انظر: الأنباري، 1961م، 1: 136، والعكبري، التبيين، 1986م،ص: 316 الزبيدي، 1987م، ص: 123.).

وَأَجَابَ العُكْبُرِيُّ عَنْ هَذَا الاحتمالِ بِمَا يَلِي:

أ- أَنَّهُ يَلْزَمُ عَلَى جَعْلِ الظَّرْفِ مُبْتَدَأُ أَنْ تَكُونَ الجُمْلَةُ بَعْدَهُ خَبَرًا، فَيَلْزَمُ أَنْ تَحْتَوِي ضَمِيرًا يَعُودُ عَلَى المُبْتَدَأِ، وَيَكُونُ التَّقْدِيرُ: لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُم فِيهِ، ولا يَجُوزُ حَذْفُ العَائِدِ عَلَى المُبْتَدَأِ فِي غَيْرِ الضَّرُورَةِ(انظر: العكبري، التبيين، 1986م،ص: 317. ولا يُسَلَّمُ للعُكْبُرِيِّ أَنَّ الحَذْفَ خَاصٌّ بالضَّرُورَةِ، فَقَدْ أَجَازُوا الارْتِبَاطَ بِضَمِيرٍ مَنْوِيٍّ كَقَوْلِهِمْ (السَّمْنُ مَنَوَانِ بِدِرْهَمٍ). انظر: ابن مالك، 1977م، 1: 166.).

ب- أَنَّ (يَوْمَ) مُضَافٌ إِلَى فِعْلٍ مُعْرَبٍ، فَالجَيِّدُ في مِثْلَ هَذَا إِعْرَابُ المُضَافِ، وَلَمْ يَقْرَأِ أَحَدٌ مِنَ القُرَّاءِ (يَوْم) بالرَّفْعِ، بِخِلافِ النَّظِير الذِي ذُكِرَ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ اللَّـهُ هَـٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾(سورة المائدة، الآية: (119)) فَقَدْ قُرِئَ مَرْفُوعًا- وَهِيَ قِرَاءَةُ الجُمْهُورِ-، وَقِرَاءَةُ الفَتْحِ (يَوْمَ يَنْفَعُ) إعرابٌ لا بِنَاءٌ، فَهُوَ مَنْصُوبٌ عَلَى الظَّرْفِيَّةِ، أَيْ: هَذَا وَاقِعٌ فِي يَوْمِ نَفَعَ الصَّادِقِينَ (العكبري،التبيين، 1986م، ص: 317.).

إِلَّا أَنَّهُ يَنْبَغِي قَبْلَ مُنَاقَشَةِ الجَوَابِ مُنَاقَشَةُ الدَّلِيلِ نَفْسِهِ، فَلا نُسَلِّمُ أَنَّ تَقَدُّمَ المَعْمُولِ يَسْتَلْزِمُ جَوَازَ تَقَدُّمِ العَامِلِ، وَإِنْ قَالَ بِهِ غَيْرُ وَاحِدٍ، فَلَيْسَ نَحْوَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾(سورة هود: الآية: (8)). في التَّرْكِيبِ مِثْلَ قَوْلِكَ: مَصْرُوفًا لَيْسَ عَنْهُم. وَأَنْتَ تَقُولُ: زَيْدًا لَنْ أَضْرِبَ وَلَمْ أَضْرِبْ(انظر: الرضي،د.ت، 2: 297)، وَلَيْسَ لَكَ أَنْ تُقَدِّمَ (أَضْرِبَ) وَهُوَ عَامِلٌ عَلَى (لَنْ) وَ (لَمْ) فَتُوْقِعُهُ مَوْقِعَ مَعْمُولِهِ (زيد)، وَعَلَى هَذَا فَلَيْسَ مِنَ المُسَلَّمِ بِهِ للبَصْرِيِّينَ إِجَازَةُ تَقْدِيمِ خَبَرِ (لَيْسَ) عَلَيْهَا مُسْتَنِدِينَ إِلَى هَذِه الآيَةَ.

5- أنْ لا يَكُونَ الدّلِيلُ لُغَةُ فَصِيْحَةً اخْتَصَّتْ بِهَا قَبِيلَةٌ أَوْ طَائِفَةٌ مِنَ العرَبِ لَمْ يَتَكَلَّمُوا إِلَّا بِهَا وَخَالَفُوا مَا عَلَيْهِ الأَكْثَرُونَ، فَإِذَا كَانَ الدّلِيلُ كَذَلِكَ فَلا يَصِحُّ تَأْوِيلُهُ،(السبيهين، 2005م، ص: 429)، وَمِنْ ثَمَّ رُدَّ تَأْوِيلُ أَبِي عَلَيٍّ قَوْلُهُم: (لَيْسَ الطِّيبُ إِلَّا المِسْكُ) على أَنَّ فِيهَا ضَمِيرَ الشَّأْنِ؛ لأَنَّ أَبَا عَمْرٍو نَقَلَ أَنَّ ذَلِكَ لُغَةٌ بَنِي تَمِيمٍ(السيوطي، د.ت،1: 258، والسيوطي، 1976م، ص: 75).

6- أَنْ لا يُبَيِّنَ الخَصْمُ لُزَومَ أَمِرٍ بَاطٍلٍ على الاحتمَالِ يَمْنُعُ اللُّجُوءَ إِلَيهِ،(السبيهين، 2005م، ص: 429)، وَمِنْهُ مَا قِيلَ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِ الشَّاعِرِ:

فَلَوْ وَلَدَتْ قَفِيرَةُ جَرْوَ كَلْبٍ لَسُبَّ بِذَلِكَ الكَلْبِ الكِلابَا

(البيت لجرير في: العكبري، التبيين، 1986م،ص: 273، والبغدادي، 1979م، 1: 338، وليس في ديوانه، وانظر: ابن جني،د.ت، 1: 397، و، 2: 215.)

اسْتَشْهَدَ بِهِ الفَرَّاءُ عَلَى مَذْهَبِهِ هُوَ والأخفش من جواز إقامة المصدر مقام الفاعل مع وجود المفعول به الصحيح في الاختيار، والتقدير: سُبَّ السَّبُّ(انظر: ابن الشجري،1349 ﻫ، 2: 216، والعكبري، التبيين، 1986م،ص: 270-272.).

وأُوِّلَ البيتُ بِأَنَّ قَوْلَهُ: (جرو كلب) نداءٌ مُعْتَرِضٌ بَيْنَ الفِعْلِ وَمَعْمُولِهِ، فالكلاب مفعولُ (ولدت)، أي: لو ولدت قفيرة الكلاب يا جرو كلب، ويكون نائب الفاعل حينئذٍ الجار والمجرور؛ لأَنَّهُ لَمْ يَتَبَقَّ إِلَّا هُوَ لِيَعْمَلَ فِيهِ الفِعْلُ المَبْنِي للمَجْهُولِ (العكبري، التبيين، 1986م، ص: 273.).

ويمكن أن يُدْفَعَ هَذَا الاحتمالُ بما يَلِي:

أ- أنَّ فِي هَذَا التَّأْوِيلِ ضَعْفًا وَتَكَلُّفًا؛ لأنَّ فِيهِ تَعْلِيقُ مُتَأَخِّرٍ بِمُتَقَدِّمٍ مَفْصُولٍ عَنْهُ دُونَ مُسَوِّغٍ، وَهُوَ خِلافُ الأصْلِ، ولا دَلِيلَ عَلَيْهِ.

ب- عَدَمُ اسْتِقَامَةِ مَعْنَى الكلامِ بَعْدَ التَّأْوِيلِ مَعَ مُرَادِ الشَّاعِرِ، فَمُرَادُهُ أَنَّهُ لَوْ وُلِدَ للمَهْجُوِّ أَخٌ مِنْ جْنِسِ الكِلابِ لَكَانَ فِي ذَلِكَ مَعَرَّةٌ عَلَى الكِلابِ أَنْ كَانَ هَذَا الوَلَدُ مِنْ جِنْسِهَا، ولا يَسْتَقِيمُ المَعْنَى مَعَ التَّأْوِيلْ. فَهُوَ تَأْوِيلٌ مَرْدُودٌ.

ج- الشاهدُ محمولٌ عَلَى ضَرُورَةِ الشِّعْرِ، فَقَدْ قَالَ عَنْهُ ابنُ جِنِّي: بِأنَّهُ: "مِنْ أَقْبَحِ الضَّرًورَةِ، وَمِثْلُهُ لا يُعْتَدُّ أَصْلاً، بَلْ لا يَثْبُتُ إِلَّا مُحْتَقَرًا شَاذًّا"(ابن جني،د.ت، 1: 397.) وبذلك قال ابن الشجري(انظر: ابن الشجري،1349ﻫ، 2: 215-216)، والعكبري (انظر: العكبري، التبيين، 1986م،ص: 273.)، وَقَدْ كَانَ الأخفش مع إجازته نيابة المصدر مع وجود المفعول به الصحيح يقول: "هو جائز في القياس، وإِنْ لَمْ يَرِدْ بِهِ الاسْتِعْمَالُ" (ابن جني،د.ت،1: 397.).

7- إثبات أَنَّ الدَّلِيلَ بَعْدَ دُخُولِ الاحتمالِ عَلَيْهِ دَالٌّ عَلَى مَا كَانَ يَدُلُّ عَلَيهِ قَبْلَ دُخُولِ الاحتمالِ، فَلَمْ يَبْطُلِ الاسْتْشِهَادُ بِتَأْوِيلِهِ،(السبيهين، 2005م، ص: 429)، وَمِنْهُ مَا قِيلَ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيْهِ﴾(سورة التوبة: الآية: (108).).

وقول الشاعر:

لِمَنِ الدِّيَارُ بِقُنَّةِ الحِجْرِ أَقْوَيْنَ مِنْ حِجَجٍ وَمِنْ دَهْرِ

(البيت لزهير بن أبي سلمى في: ديوانه، ص: 114، وابن قتيبة، الشعر والشعراء، 1: 139، والزجاجي، 1986م، ص: 139، وأبي الفرج الأصفهاني، 1931م، 6: 91، والسيرافي، 1986م، 1: 166.)

استدَلَّ بهما الكوفيون، والأخفش، والمبرد، وابن درستويه على وقوع (من) لابتداء الغاية الزمانيَّةِ (الأخفش، 1981م، 2: 337، والأنباري، 1961م، 1: 370-376، وابن يعيش، د.ت، 4: 93، 8: 11، والمالقي، 1985م، ص: 387، وأبو حيان، 1987م، 2: 441.).

وَتَأَوَّلَ بعضُ النُحَاةِ الدَّلِيلَيْنِ بتقديرِ مضافٍ حُذِفَ وَأُقِيمَ المُضَافُ إِلَيهِ مَقَامَهُ، والتَّقْدِيرُ في الآية: من تَأْسِيسِ أَوَّلِ يَوْمٍ، وفي البيت: مِنْ مَرِّ حِجَجٍ وَمِنْ مَرِّ دَهْرٍ(الزجاجي، 1986م،ص: 139، 140، والأنباري، 1961م،1: 372، 375، 376 و ابن هشام، 1979م،ص: 430، والزبيدي، 1987م، ص: 143.).

وَحَذْفُ المُضَافِ وَإِقَامَةُ المُضَافِ إِلَيهِ مَقَامَهُ أَمْرٌ مَعْرُوفٌ وَلَهُ شَوَاهِدُ(ابن جني،د.ت،2: 362، والأنباري، 1961م،1: 372-373.). ويمكن أن يُدْفَعَ هذا الاحتمالُ بما يلي:

1- ما ذَكَرَهُ السُّهَيْلِيُّ فِي رَدِّه تأويل الآية بأَنَّهُ لا يَبْطُلُ الاسْتِشْهَادُ بِهَا عَلَى مَجِيءِ (من) لابتداء الغاية الزمانية؛ لأَنَّ الدَّلِيلَ بَعْدَ تأويله دَالٌّ عَلَى مَا كَانَ يَدُلُّ عَلَيه قَبْلَ التَّأْوِيلِ، فَالمَعْنَى: مِنْ وَقْتِ تَأْسِيسِ أَوَّلِ يَوْمٍ، فَإْضْمَارُ التَّأْسِيسِ لا يُفِيدُ (السهيلي، د.ت،4: 257.).

2- عَدَمُ الدَّلِيلِ عَلَى إِرَادِةِ المُقَدَّرِ، فَلا قَرِيْنَةَ عَلَى أَنَّ المُرَادَ مَرُّ الحِجَجِ، بل المتبادرُ لِمَنْ تَأَمَّلَ أَنَّ المَعْنَى بَدْءُ الوَقْتِ لَيْسَ غَيْرَهُ.

3- للمسألةِ شواهدُ أُخَر أَوْرَدَهَا العُلَمَاءُ (السهيلي، د.ت، 4: 257-258، و ابن هشام،مغني اللبيب،ص: 420، والزبيدي، 1987م، ص: 143-144.)، وإذا كَثُرَتْ شَوَاهِدُ المسألةِ، فَتَأْوِيلُهَا ضعيفٌ، وَإِنْ كَانَ مُمْكِنًا.

والوَجْهُ صِحَّةُ وُقُوعِ (من) لابتداء الغاية في الزمان بقلَّةٍ؛ لسلامةِ الشاهد من التَّأْويلِ المُعْتَدِّ بِقُوَّتِهِ.

8- عَدَمُ الدَّلِيلِ عَلَى إِرَادَةِ المَعْنَى الذِي صُرِفَ الكَلامُ إِلَيهِ،(السبيهين، 2005م، ص: 429)، ومنه ما قيل في تأويل قول الشاعر:

رَأَيْتُكَ لَمَّا أَنْ عَرَفْتَ وُجُوهَنَا صَدَدْتَ وَطِبْتَ النَّفْسَ يَا قَيْسُ عَنْ عَمْرِو

(البيت لراشد بن شهاب اليشكري، وهو في: المفضل الضبي، د.ت، ص: 310، وابن الناظم، د.ت، ص: 102، وابن هشام، 1979م، 1: 181، وابن عقيل، 1964م،1: 182، والعيني، د.ت، 1: 506.)

وقول الشاعر:

عَلامَ مُلِئْتَ الرَّعْبَ والحَرْبُ لَمْ تَقُدْ لَظَاهَا وَلَمْ تُسْتَعْمَلِ البِيضُ والسُّمْرُ

(البيت بلا نسبة في: ابن مالك،1977م،1: 479، وابن عقيل،1980م،2: 65، والسيوطي،1998م ،2: 269).

حيث استَشْهَدَ بِهِمَا الكُوفِيُّونَ، وابن الطراوة على جواز مجيء التمييز معرفة(انظر: ابن عقيل، 1964م، 1: 182، و العيني، د.ت، 2: 226، والأزهري، د.ت، 1: 394، والسيوطي، 1975م، 4: 72.).

وتأَوَّلَ البصريُّونَ البيتين بِأَنَّ (أل) زائدة فيهما، أي: طبت نفسًا وملئت رعبًا(انظر: العيني، د.ت، 3: 226، والأزهري، التصريح،1: 394، والسيوطي، 1975م،4: 72.).

ولقائلِ أن يدفع هذا الاحتمالَ بأَنْ يَقُولَ: إنها دعوى دون دليل، إذ الأصلُ عَدَمُ الزيادة، وهذا التَّأْوِيلُ خلافُ الأَصْلِ، إِلَّا أَنَّ هَذَين البيتين مِمَّا جَاءَ نَادِرًا؛ وَلا يَسُوغُ إِخْرَاجُهُمَا عَنْ حَدِّ السَّمَاعِ، فَكَانَ يَنْبَغِي التِزَامُ تَنْكِير التَّمْيِيزِ فِي حَالاتِهِ جَمِيعِهَا.

ومنه ما قيل في تأويل قول الشاعر:

أَتَهْجَرُ سَلْمَى بِالفِرَاقِ حَبِيبَهَا وَمَا كَانَ نَفْسًا بِالفِرَاقِ تَطِيْبُ

(ينسب إلى المخبل السعدي وأعشى همدان ومجنون ليلى، انظر: المبرد، 1963م، 3: 37، وابن السراج، 1985م، 1: 224، شرح ديوان الحماسة، ص: 1330، وابن برهان، 1984م، 1: 141-142.)

استشْهَدَ به بعض الكوفيين، والمازني، والمبرد، والجرمي من البصريين على جواز تقديم التمييز إذا كان العامل فيه فعلاً متصرفًا(انظر : المبرد، 1963م، 2: 26، والزجاجي، 1986م، ص: 242، وابن جني،د.ت،2: 384، والأنباري، 1961م، 2: 828، والأنباري، 1975م، ص: 196-197.).

وَتَأَوَّلهُ بعضُ النُّحاة بتقديرِ فِعْلٍ نَاصِبٍ، كَأَنَّهُ قَالَ: أَعْنِي نَفْسًا، وَلَمْ يَنْصِبْهُ عَلَى التَّمْيِيزِ(الأنباري، 1961م، 2: 831، والأنباري،1975م، ص: 197، والعكبري،التبيين، 1986م، ص: 397.).

وَيَرِدُ عَلَى هذا الاحتمالِ مَا يَلِي:

أ- أَنَّهُ مُتَكَلَّفٌ لا يَقْتَضِيهِ المَقَامُ، إِذْ لا يَفْتَقِر فَهْمُ الكَلامِ إِلَى تَقْدِيرِ هَذَا الفِعْلِ.

ب- خُلُوُّ الكَلامِ مِنْ دَلِيلٍ حَالِيٍّ أَوْ لَفْظِيٍّ عَلَى إِرَادَةِ المَعْنَى، والتَّقْدِيرُ الذي صُرِفَ إِلَيهِ الشَّاهِدُ، إِذْ لا يَتَسَنَّى لِكُلِّ مَنْ قَرَأَ البَيْتَ أَنْ يُقَدِّرَ هَذَا التَّقْدِيرَ.

إِلَّا أَنَّهُ بالنَّظَرِ إلى نُدْرَةِ الشَّوَاهِدِ التِي تَسْنُدُ البَيْتَ لا يُسَلَّمُ بِجَوَازِ تَقْدِيمِ التَّمْيِيزِ عَلَى عَامِلِهِ المُتَصَرِّفِ مَا لَمْ تَرِدْ لَهُ أَدِلَّةٌ كَافِيَةٌ للقِيَاسِ عَلَيْهِ.

9- إِبْطَالُ الدَّلِيلِ المُعْتَمَدِ عَلَيْهِ فِي التَّأْوِيلِ أَوْ إِضْعَافِهِ (السبيهين، 2005م، ص: 429).

10- بَيَانُ الفَرْقُ بَيْنَ الشَّاهِدِ المُؤَوَّلِ وَنَظائِرِهِ التِي حُمِلَ عَلَيْهَا عِنْدَ التَّأْوِيلِ (السبيهين، 2005م، ص: 429).

11- عَدَمُ اطِّرَادِ صِحَّةِ الاحْتِمَالِ فِي نَظَائِرِ الشَّاهِدِ المُحْتَمَلِ،(السبيهين، 2005م، ص: 429)، وَمِنْهُ مَا قِيْلَ فِي تَأْوِيلِ مَجِيءِ المُبْتَدَأِ جُمْلَةً، حَيْثُ اشْتَرَطَ أكثرُ النُّحَاةُ فِي المُبْتَدَأِ أَلَّا يَكُونَ جُمْلَةً(ابن يعيش، د.ت، 1: 24، والرضي: 1996م، 1: 225، والميلاني،1998م، ص: 58، والغزي، 1991م،ص: 191)؛لأَنَّهُ" مَحْكُومٌ عَلَيهِ، والمَحْكُومُ عَلَيهِ لا يَكُونُ إِلَّا مُفْرَدًا، بِخِلافِ الأَحْكَامِ فَإِنَّهُ يُعَبَّرُ عَنْهَا بالمُفْرَدِ تَارةً، وبالجُمْلَةِ أُخْرَى،وإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ لاتِّسَاعِهِم في الأَحْكَامِ " (ابن الحاجب، 1989م، 2: 882 .)

قال العكبري: "وَإِنَّمَا وَجَبَ أَنْ يَكُونَ اسْمًا؛ لأَنَّهُ مُخْبَرٌ عَنْهُ، ولا يَصِحُّ الإِخْبَارُ عَنْ غَيْرِ الاسْمِ". (العكبري، 1995م، 1: 125) .

وقد خالف هذه القاعدةَ النحويةَ عددٌ من الأمثال العربية، هي :

1- تَسْمَعُ بِالمُعَيْدِيِّ خَيرٌ مِنْ أَنْ تَراهُ(المثل عند: المفضل الضبي، 1981م، ص: 55، والعسكري، 1988م، 1: 266، والبكري، 1983م، ص: 135 - 136، والميداني،1972م، 1: 129، وابن منظور، 1408ﻫ، مادة (معد ) . وللمثل روايات أُخَر، هي : لأن تسمع بالمعيدي، وأن تسمع، وتسمعَ بالمعيدي (بالنصب ) . وقد قال أبو عبيد البكري : " حذف (أَنْ) من المثل أشهر عند العلماء، فيقولون : (تسمعُ ) بضم العين، و(تسمعَ ) بنصبها على إضمار (أن)"(البغدادي، 1978م، ص: 182، يضرب المثل فِيِمَنْ خَبَرُهُ خَيْرٌ مِنْ مَرْآهُ .).

2- فَرَقًا أَنْفَعُ مِنْ حُبٍّ(المثل عند : البكري، 1983م، 53، والميداني، 1972م، 2: 76 . قال الميداني : " يضرب في موضع قولهم : رَهَبوت خيرٌ من رَحمَوت، أي لأن يُفْرَقَ منك فَرَقًا خيرٌ من أن تُحَبَّ ")

3- بِئْسَ مَقَامُ الشَّيْخِ أَمْرِسْ أَمْرِسْ(المثل عند : العسكري،1988م،1: 203 و 223، والميداني، 1972م، 1: 97، والزمخشري، 1987م،2: 2. قال الميداني : " يقال : مرس الحبل يمرس إذا وقع في أحد جانبي البكرة، فإذا أعدته إلى مجراه قلت : أمرسته، وتقدير الكلام : بئس مقام الشيخ المقام الذي يقال له فيه أمرس، وهو أن يعجز عن الاستقاء لضعفه . يضرب لمن يحوجه الأمر إلى ما لا طاقة له به، أو يربأ به عنه ").

4- وَرَاءكَ أَوْسَعُ لَكَ(المثل عند : ابن سلمة، 1974م،ص: 301، والميداني، 1972م، 2: 370 . أي تأخر تجد مكانًا أوسعَ لك .)

5- أَهْدِ لِجَارِكَ أَشَدُّ لِمَضْغِكَ(المثل عند : الميداني، 1972م، 2: 385 . يعني : أنك إذا أهديت لجارك أهدى إليك، فيكون إهداؤه أشد لمضغك .)

6- تَمَنَّعِي أَشْهَى لَكِ(المثل عند : الميداني، 1972م، 1: 126، والزمخشري، 1987م، 2: 32. قال الميداني :" أي مع التأبي يقع الحرص، وأصله: أنَّ رجلاً قال لامرأته: تمنَّعي إذا غازلتُك يكنْ أشهى، أي ألَذُّ. يُضْرَبُ لِمَنْ يُظْهِرُ الدَّلالَ، ويُغْلِي رَخِيصَهُ")

7- لَيْسَ كُلَّ حِينٍ أَحْلِبُ فَأَشْرَبُ(المثل عند : أبي عبيد 192، والعسكري، 1988م، 1: 191، والبكري، 1983م، ص: 283، والميداني، 1972م، 2: 190، والزمخشري، 1987م، 2: 307، وابن منظور، 1408ﻫ مادة (حلب ) . قال الميداني : " يضرب في كل شيء يمنع من الماء وغيره، أي ليس كل دهر يساعدك، ويتأتى للمرء ما تطلب، يحثه على العمل بالتدبير وترك التبذير . قال أبو عبيد : وهذا المثل يروى عن سعيد بن جبير، قاله في حديث سئل عنه، قال الطبري : يقولُهُ مَنْ يَحْكُمُ أَوَّلَ أَمْرِهِ ؛ مخافة أَنْ لا يُمَكَّنَ مِنْ آخِرِه ").

فالمبتدأُ في هذه الأمثالِ كلِّها جملةٌ، فـ(تَسْمَعُ بالمُعيْدِيِّ) مبتدأ في المثل الأَوَّلِ، خبره (خيرٌ )، و(فرقًا) في المثل الثاني مفعول لفعل محذوف، والجملة مبتدأ، خبره (أنفعُ)، وجملة (أَمْرِسْ) في المثل الثالث مبتدأ، خبره جملة (بئس)، وجملة (وراءك) في المثل الرابع مبتدأ، خبره (أوسعُ)، وجملة (أَهْدِ) في المثل الخامس مبتدأ، خبره (أشدُّ)، وجملة (تمنَّعِي) في المثل السادس مبتدأ، خبره (أشهى)، وجملة (أَحلِبُ) في المثل الأخير اسم (ليس)، وهو في الأصل مبتدأ، والخبر الظرف (كُلَّ حِينٍ) .

وقد تكلَّم النحاة عن المثل الأَوَّلِ من هذه الأمثال، وهو (تَسْمَعُ بِالمُعَيْدِيِّ خَيرٌ مِنْ أَنْ تَراهُ )، وحاولوا توجيهه، فأَوَّلوه بتأويلين :

الأَوَّل : أَنَّهُ مِمَّا نُزِّلَ فيه الفِعْلُ مَنْزِلَةَ المَصْدَرِ، وهو (سماعك) ؛ لأَنَّهُ مَدْلُولِ الفِعْلِ مَعَ الزَّمَانِ، فَجُرِّدَ لأَحَدِ مَدْلُولَيْهِ (انظر : العكبري، اللباب 1: 48 و 125، وابن يعيش، 1991م، ص: 117 - 118، والإسفراييني؛1984م،ص: 124 - 126، والإربلي، 1991م،ص: 191 - 192، والكافيجيَّ،1993م،ص: 130).

الثَّانِي : أَنَّهُ مَحْمُولٌ عَلَى حَذْفِ (أَنْ)، أَيْ: أَنْ تَسْمَعَ، وَهُمَا فِي تَأْوِيلِ المَصْدَرِ، أَيْ: سَمَاعُكَ، فالإِسْنَادُ في الحقيقة إِلَيهِ، وَهُوَ اسْمٌ .

ولا يخفى أنَّ التَّأْوِيلَ الثَّانِي لا يُمْكِنُ فِي بَقِيَّةِ الأَمْثَالِ المَذْكُورَةِ، أَمَّا التَّأْوِيلُ الأَوَّلُ فَيُمْكِنُ أَنْ تُوَجَّهَ بِهِ بَقِيَّةُ الأَمْثَالِ أَيْضًا، مَا عَدَا المَثَلُ الثَّالِثُ فَإِنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ يُحْمَلَ عَلَى حِكَايَةِ الحَالِ، أَيْ: بِئْسَ مَقَامُ الشَّيْخِ المُقَامُ الذِي يُقَالُ لَهُ فِيهِ : أَمْرِسْ .

وقد جَوَّزَ عددٌ من النحاة مجيءَ المبتدأ جملةً، قَالَ أَبُو حَيَّانَ: " وَأَمَّا الإِخْبَارُ عَنِ الجُمَلِ فَثَلاثَةُ مَذَاهِبٍ:

أحدها : أَنَّهُ لا يَجُوزُ، وإِلَيهِ ذَهَبَ المُبَرِّدُ، والفَارِسِيُّ، وَجُمْهُورُ البَصْرِيِّينَ، وَصَحَّحَهُ بَعْضُ أَصْحَابِنَا.

والثَّانِي : أَنَّهُ يَجُوزُ، وإِلَيهِ ذَهَبَ هِشَامٌ، وَثَعْلَبٌ، وَجَمَاعَةٌ مِنَ الكُوفِيِّينَ .

والثَّالِثُ : مَذْهَبُ الفَرَّاءِ، وَجَمَاعَةٌ مِنَ النَّحْوِيِّينَ، وَهُوَ التَّفْصِيلُ، فَأَجَازُوا ذَلِكَ إِذَا كَانَتِ الجُمْلَةُ فِي مَوْضِعِ فَاعِلٍ أَوْ مَفْعُولٍ لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ لِفْعِلٍ مِنْ أَفْعَالِ القُلُوبِ، والفِعْلُ مُعَلَّقٌ مِنْهَا" (أبو حيان،التذييل والتكميل،1328هـ، 1: 32 ).

وإلى الجواز ذهب ابن جني، فقد قال : "ألا ترى أنَّ المبتدأَ قَدْ يَقَعُ غَيْرَ اسْمٍ مَحْضٍ، وَهُوَ قَولُهُم : (تَسْمَعُ بالمعيدي خيرٌ من أن تراه )، فَـ(تَسْمَعُ ) كَمَا تَرَى فِعْلٌ، وَتَقْدِيرُهُ : أَنْ تَسْمَعَ، فَحَذْفُهُم (أَنْ) وَرَفْعُهُم (تَسْمَعُ ) يَدُلُّ عَلَى أَنَّ المُبْتَدَأَ قَدْ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَهُم غَيْرَ اسْمٍ صَرِيحٍ " (ابن جني، 1405هـ، 1: 285 .)، ثُمَّ عَلَّلَ ذلك بقوله : "وذلك أَنَّ الجُمَلَ إِنَّمَا تَتَرَكَّبُ مِنْ جُزْأَيْنِ : إِمَّا اسْمٌ واسْمٌ، نَحْوَ : المُبْتَدَأُ وَخَبَرُهُ، وَإِمَّا فِعْلٌ واسْمٌ، نَحْوَ : الفِعْلُ والفَاعِلُ، ولابُدَّ فِي كُلِّ واحِدَةٍ مِنْ هَاتَيْنِ الجُمْلَتَيْنِ إِذَا عُقِدَتْ مِنْ اسْمٍ يُسْنَدُ إِلَيهِ غَيْرُهُ، فَأَنْتَ إِذَا أَزَلْتَ عَنِ المُبْتَدَأِ أَنْ يَكُونَ اسْمًا مَحْضًا فَقَدْ بَقَّيْتَ الخَبَرَ الذِي هُوْ اسْمٌ، وَذَلِكَ نَحْوَ قَوْلِهِم : (تَسْمَعُ بالمُعَيْدِي خَيْرٌ ) فَالمُبْتَدَأُ الذِي هُوَ فِي اللَّفْظِ (تَسْمَعُ ) قدْ أَخْبَرْتَ عَنْهُ باسْمٍ، وَذَلِكَ الاسْمُ خَبَرٌ، فَقَدْ بَقَّيْتَ عَلَى كُلِّ حَالٍ فِي الجُمْلَةِ اسْمًا " (ابن جني، 1405هـ، 1: 288).

وكلام الفرخان (الفرخان، 1987م، 1: 109)، وعصام الدين (الإسفراييني، 1985 م، ص: 173) يومئ إلى الجواز أيضًا .

والقول بالجواز هو الذي يطمئن إليه الباحث؛ لوجود الشواهد المُتَقَدِّمَةِ المُؤَيِّدَةِ لَهُ .

ومنه ما قيل في تأويل قول الشاعر:

فَيَا الغُلامَانِ اللَّذَانِ فَرَّا

إِيَّاكُمَا أَنْ تُكْسِبَانِي شَرَّا

(لم أقف على قائلهما وهما في: المبرد، 1963م، 4: 242، والزجاجي، 1969م، ص: 34، وابن الشجري،1349 ﻫ، 2: 182، والأنباري، 1975م ص: 230.)

وقول الشاعر:

مِنَ أَجْلِكِ يَا التِي تَيَّمْتِ قَلْبِي وَأَنْتِ بَخِيْلَةٌ بالوُدِّ عَنِّي

(البيت بلا نسبة في: سيبويه، الكتاب، 2: 197، والمبرد، 1963م، 4: 241، وابن السراج، 1985م، 3: 463، والزجاجي، 1969م، ص: 34.)

استدلَّ بهما الكوفيون على جواز نداء الاسم المحلي بالألف واللام(انظر: الأنباري، 1961م،1: 336، و العكبري، التبيين، 1986م، ص: 445-446، الزبيدي، 1987م، ص: 46.).

واعترض عليهما بأنه قد حذف فيهما الموصوف وأقيمت صفته مقامه، والتقدير: (يا أَيًّهَا الغلامان)، و(يا أيها التي تيمت)(انظر: الأنباري، 1961م، 1: 338-339،والأنباري، 1975م ص: 231، و العكبري، التبيين، 1986م،ص: 447 الزبيدي، 1987م، ص: 46.).

إِلَّا أَنَّ هذا الاحتمال لا يقوى لإسقاط صحة الاستدلال بهذا الدليل، وذلك للأسباب الآتية:

أ- جواب العكبري بعدم اطراد هذا الحذف في أمثاله، فلو جاز هذا التقدير لجاز "أن يقدر مثل ذلك في (يا الرجل) ولم يقل به أحد"(العكبري، التبيين، 1986م،ص: 447.).

ب- ضعف حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه (ابن جني،د.ت،2: 366.).

إلَّا أنَّ هذين الدليلين، وإن لم يسقطا بالتأويل فقد سبقت الإشارة إلى سقوط الاستدلال بهما لكونهما محمولين على الضرورة (انظر: سيبويه، 1983م،2: 195، والأنباري، 1975م ص: 231، والأنباري، 1961م، 1: 339-340، والعكبري، التبيين، 1986م،ص: 447،الزبيدي، 1987م، ص: 46-47.).

12- أن لا يتعارضَ هَذَا الاحتمالُ- وإن كان ظاهرًا لازمًا- مَعَ قرينةٍ تؤدي إلى أَمْنِ اللَّبْسِ فَتُجِيزُ ما ظَاهِرُهُ مُخَالَفُةُ الأَصْلِ، ومنه ما قيل في تأويل قول الشاعر:

يَرَى أَرْبَاقَهُمُ مُتَقَلِّدِيهَا كَمَا صَدِئَ الحَدِيدُ عَلَى الكُمَاةِ

(البيت بلا نسبة في :الأنباري، 1961م، 1: 59.)استدَلَّ الكوفيون على عدم وجوب إبراز الضمير مع الوصف إذا جرى على غير من هو له، فقد ترك إبراز الضمير في قوله (متقلديها) مع جريانه على غير صاحبه، ولو أبرزه لقال: (مُتَقَلِّدِيهَا هم)(انظر : ابن الشجري،1349 ﻫ، 1: 316-317، والأنباري، 1961م، 2: 58-59، والعكبري، التبيين، 1986م،ص: 261، والزبيدي، 1987م، ص: 32.).

تَأَوَّلَ البصريُّون البيتَ على حَذْفِ المضافِ فيه، وإقامةِ المضاف إليه مقامه، والتقدير (يَرَى أَصْحَابَ أَرْبَاقِهُمُ)، والوصف جار على ذلك المحذوف، ولحذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه شواهد معروفة(الأنباري، 1961م،1: 61-64، و العكبري،التبيين، 1986م، ص: 262.).

وعلى الرغم من أنَّ أبا الحسن الأخفش لا يرى القياس على حذف المضاف (ابن جني،د.ت، 2: 362.) إلَّا أن هذا الاحتمال لازم، فحذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه في اللُّغَةِ كثيرٌ واسعٌ(ابن جني،د.ت،2: 362.)، والتَّقَلُّدُ لا يبيح العقل نسبته إلى الأرباق، بل إلى لابسيها وأصحابها، لكنه تأويل لا يوجب إبراز الضمير في حالة أمن اللَّبْسِ كما هو رأي البصريين، بل الراجح أن الوصف يلزم إبراز الضمير معه إذا جَرَى على غير صاحبه ولم تدل قرينة عليه، فإن وجدت القرينة فالإبراز غير مُتَحَتِّمٌ، وإن جَرَى الوصف على غير من هو له. وهذا مذهب ثالث وسط بين المذهبين، سبقت الإشارة إلى أنَّ ابن مالك اختاره، ونقل أَنَّهُ هُوَ مَذْهَبُ الكوفيين(ابن مالك، 1982م،1: 339-340.)، فهذا الاحتمال وإن كان كثيرًا ظاهرًا في العربية إلَّا أنَّهُ مدفوعٌ بوجود قرينة تمنع اللَّبْسَ في فهم الكلام، فالقرينة تقوم مقام إبراز الضمير؛ لأن الهدف من وجود القرينة وإبراز الضمير هو توضيح الكلام وفهمه على النَّحْوِ الذي أراده المتكلِّمُ، فمتى حصل وضوح المعنى بأحدهما لَمْ يُحْتَجُ إلى الآخر كما هو الرأي الراجح في المسألة.

13- إيراد شاهد آخر للمسألة لا يقبل الاحتمال المذكور أو شواهد كثيرة يثقل دخول الاحتمال المذكور عليها،(السبيهين، 2005م، ص: 429)، ومن ذلك ما قيل في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾(سورة الواقعة، الآية: (95).).وقوله تعالى: ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾(سورة يوسف: الآية: (109).).وقوله تعالى: ﴿جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ (سورة ق، الآية: (9)).وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ﴾(سورة القصص، الآية: (44).).وقول العرب: (صَلاةُ الأُوْلَى). وقولهم: (مَسْجِدُ الجَامِعِ). وقولهم: (بَقْلَةُ الحَمْقَاءِ).

استدَلَّ بها الكوفيون على جواز إضافة الشيء إلى نفسه إذا اختلف اللَّفْظَانِ(الفراء، 1983م،1: 330-331، 347، 2: 55-56، 159، والأنباري، 1961م، 2: 436-437 الزبيدي، 1987م، ص: 54.). وتَأَوَّلَهَا بعضُ النُّحَاةِ بِحَمْلِهَا عَلَى حَذْفِ المضافِ إليه وإقامة صفته مقامه، والتقدير فيها: حَقُّ الأَمْرِ اليَقِينِ، وَلَدَارُ السَّاعَةِ الآخِرَةِ، وَحَبُّ الزَّرْعِ الحَصِيدِ، وبِجَانِبِ المَكَانِ الغَرْبِيِّ، وَصَلاةُ السَّاعَةِ الأُولَى، وَمَسْجِدُ المَوْضِعِ الجَامِعِ، وَبَقْلَةُ الحَبَّةِ الحَمْقَاءِ. فَلَمْ يُضَفِ الاسْمُ إلى نَفْسِهِ (انظر: الفارسي،1969م، ص: 271-272، والأنباري، 1961م، 2: 438 وأبا حيان، 1987م، 2: 506، والزبيدي، 1987م، ص: 55.).

وَمِمَّا يُقَالُ فِي دَفْعِ هَذَا الاحتمالِ:

1- أنَّ حَذْفَ الموصوفِ وإقامةَ صِفَتِهِ مَقَامَهُ ضَعِيفٌ، حَتَّى كَادَ ابنُ جِنِّي يَحْظُرُ القِيَاسَ عَلَيْهِ كَمَا سَبَقَ تَعْلِيلُ ذَلِكَ، وَلِذَلِكَ قَالَ أبو حيان: "قَبُحَ ذَلِكَ لإِقَامَةِ النَّعْتِ وَلَيْسَ بِخَاصٍّ مَقَامَ المَنْعُوتِ المَحْذُوفِ"(أبو حيان، 1987م،2: 506.).

2- كثرة الأدلة المؤولة، فَهِيَ سَبْعَةٌ، يُضَافُ إِلَيهَا شَوَاهِدٌ أُخَر ذَكَرَهَا العُلَمَاءُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ (سورة البينة، الآية: (5)) وقولهم: (عَامُ الأَوَّلِ) و (ليلةُ الأُولى) و (حَبَّةُ الخضراءِ) و (لَيْلَةُ القَمْرَاءِ) و (يَوْمُ الأَوَّلِ) و (سَاعَةُ الأُوْلَى) و (بَابُ الحَدِيدِ)(انظر: الفراء،1983م،1: 330-331، 2: 56 وأبا حيان،1987م،2: 505.)، والأَدِلَّةُ إِذَا كَثُرَتْ، وَتَظَاهَرَتْ لَمْ يَحْسُنُ تَأْوِيلُهَا وَإِنْ كَانَ مُحْتَمَلاً.

والذِي يَتَرَجَّحُ فِي هَذِهِ المَسْأَلَةِ التَّفْصِيلُ: فالاسْمُ المُضَافُ إلى اسْمٍ يُوَافِقُهُ مَعْنًى إِمَّا أَنْ يَكُونَ مُضَافًا إلى صِفَتِهِ أَوْ إلى غَيْرِهَا كَإِضَافَتِهِ إلى مُرَادِفِهِ أَوْ إِضَافَةِ الصِّفَةِ إلى مَوْصُوفِهَا، فَإِنْ كَانَ مِنْ إِضَافَةِ المَوْصُوفِ إِلَى صِفَتِهِ فالوَجْهُ قَبُولُهُ كَمَا فِي هَذِهِ الشَّوَاهِدِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَلا يُقْبَلُ؛ لأَنَّ شَوَاهِدَهُ قَلِيلَةٌ وَتَأْوِيلُهَا مَقْبُولٌ(انظر: تأويلها في: ابن هشام، 1979م،3: 110.).

ومنه ما قِيلَ في تأويل قوله تعالى: ﴿لَّـٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ ﴾(سورة النساء، الآية: (162)). وقول الشاعر:

نُعَلِّقُ فِي مِثْلِ السَّوَارِي سُيُوفَنَا وَمَا بَيْنَهَا وَالكَعْبِ غُوطٌ نَقَانِفُ

(لم أقف على قائله وهو في: الفراء، 1983م، 2: 86، والأنباري، 1961م، 2: 466.)

استَشْهَدَ بِهِمَا بَعْضُ الكوفيين على جواز العطف على الضمير المخفوض دون إعادة الخافض(انظر الاستشهاد بالآية في: الأنباري، 1961م: 2: 462 وبالبيت في الأنباري، الإنصاف: 2: 464-466، والزبيدي، 1987م، ص: 63،وذكر الأنباري، 1961م، 2: 462 أنَّ الإِجَازَةَ مَذْهَبُ الكُوفٍيينَ جَمِيعًا وَلَكِنَّ الفَرَّاءَ يَرَى رَأْيَ البَصْرِيَّينَ فَيَمْنَعُ العَطْفَ إِلَّا فِي الضَّرُورَةِ انظر: 1983م، 1: 252-253، وَثَعْلَبُ يُجِيزُهُ عَلَى ضَعْفٍ، انظر: ثعلب،د.ت، 1: 162).

وَتَأَوَّل البصريُّونَ هذه الآية على جواز العطف بتخطئة القائل من جهةٍ، وبالحَمْلِ عَلَى الحَذْفِ والتَّقْدِيرْ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، وَيَهُمُّنَا الآنَ التَّأويل الأخير، حيثُ قَدَّرَ البَصْرِيُونَ فِعْلاً بِتَقْدِيرِ فِعْلٍ فِي الآية نَاصِبًا لِقَوْلِهِ: (المقيمين) على المدح أي: أعني المقيمين(الأنباري، 1961م، 2: 468.) وبتقدير تكرير (بين) في البيت، فَكَأَنَّهُ قَالَ: وَمَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الكَعْبِ، فَحَذَفَ الثانية لدلالة الأُوْلَى عَلَيْهَا(الأنباري، 1961م، 2: 472.)، والعَرَبُ تَنْصِبُ الاسْمَ – مَعَ تَكَرُّرِ العَطْفْ أَوْ الوَصْفِ – عَلَى المَدْحِ (الأنباري، 1961م، 2: 468-470.)، كَمَا تَحْذِفُ المُكَرَّرَ للدَّلالَةِ عَلَيْهِ (الأنباري، 1961م، 2: 472-474.).

ومِمَّا تُدْفَعُ بِهِ صِحَّةُ هذا الاحتمال في إسقاطِ الاستدلالِ بِهَذَا الدَّلِيلِ كَثْرَةُ شَوَاهِدِ المَسْأَلَةِ(انظر: الأنباري، 1961م، 2: 463-464،والزبيدي، 1987م، ص: 63، والسيوطي، 1975م، 5: 268.) على نَحْوٍ لا يَحْسُنُ مَعَهَا تَأْوْيلُهَا، فَضْلاً عَلَى كَوْنِ التَّأْوِيلِ خِلافَ الأَصْلِ وأَنَّ الحَمْلَ عَلَى الظَّاهِرِ أَوْلَى لِتَمَامِ المَعْنَى مَعَهُ دُوْنَ غُمُوضٍ أَوْ إِلْبَاسٍ، وَقَدْ سَبَقَ إِسْقَاطُ مَا لَحَقَ بِبَعْضِ أَدْلَّةِ هَذِهِ المَسْأَلَةِ مِنْ احْتِمَالاتٍ، وَبَيَانُ أَنَّ مَجِيءَ جُمْهُورِ كَلامِ العَرَبِ بِإِعَادَةِ الخَافِضِ لا يَمْنَعُ إِجَازَةَ هَذَا العَطْفِ دُوْنَ إِعَادَتِهِ – وَإِنْ كَانَ خِلالَ الأَكْثَرِ – لِوُرُودِهِ فِي الفَصِيحِ فِي شَوَاهِدَ تَخْرُجُ عَنْ حَدِّ الشَّذُوذِ.

وَمْنِهُ مَا قِيلَ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهْ تَعَالَى: ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّـهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾(سورة البقرة، الآية: (217).) اسْتَدَلَّ بِهِ الكوفِيُّونَ عَلَى جَوَازِ العَطْفْ عَلَى الضمير المخفوض دون إعادة الخافض(انظر: الأنباري، 1961م،2: 463-464، والزبيدي، 1987م، ص: 63.).

وَتَأَوَّلَ البَصْرِيُّونَ الآيَةَ بأنَّ (المسجد) مجرور بالعطف على الظاهر المتقدم (سبيل الله)، وَفُصِلَ بَيْنَهُمَا بقوله: (وكفر به)، أي: وَصَدٌّ عَنْ سبيلِ اللهِ وَعَنِ المَسْجِدِ الحَرَامِ، "لأَنَّ إِضَافَةَ الصَّدِّ عَنْهُ أَكْثَرُ فِي الاسْتِعْمَالِ مِنْ إْضَافَةِ الكُفْرِ بِهِ، أَلا تَرَى أَنَّهُم يَقُولُونَ: (صَدَدْتُهُ عَنِ المَسْجِدِ) ولا يَكَادُونُ يَقُولُونَ: (كَفَرْتُ بالمَسْجِدِ) (الأنباري، 1961م، 2: 471-473.).

وَهَذَا وَجْهٌ مِنَ التَّأْوِيلِ قَوِيٌّ وَمُحْتَمَلٌ، إِلَّا أَنَّ كَثرَةَ شَوَاهِدِ المَسْأَلَةِ تَجْعَلُ تَأْوِيلَ شَيْءٍ مِنْهَا لا يَنْقُضُ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ؛ لأَنَّ التَّأْوِيلَ لا يُعَوَّلُ عَلَيْهِ إِلَّا فِي حَالِ قِلَّةِ شَوَاهِدِ المَسْأَلَةِ، فَالوَجْهُ قَبُولُ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الشَّوَاهِدُ مِنْ جَوَازِ العَطْفِ عَلَى الضَّمِيرِ المَجْرُورِ دُونَ إِعَادَةِ الجَارِّ، وَإِنْ كَانَ خِلافَ الأَكْثَرِ مِنْ كَلامِ العَرَبِ؛ لِوُرودِهِ فِي الفَصِيحِ فِي شَوَاهِدَ تَخْرُجُ عَنْ حَدِّ الشُّذُوذِ كَمَا هُوَ مَذْهَبُ الكُوفِيِّينَ، وَيُونُس، والأَخْفَش، وَصَحَّحَهُ ابْنُ مَالِكٍ، وأَبُوحَيَّانَ (انظر: الأنباري، 1961م، 2: 463-464،والزبيدي، 1987م، ص: 63، و السيوطي، 1975م،5: 268.).

تعقيب الباحث على الضابط الأخير:

يَرَى البَاحِثُ أَنَّ كَثْرَةَ الشَّوَاهِدِ التِي تُعَضِّدُ الشَّاهِدَ القَابِلَ للاحْتِمَالِ المُسَاوِي الذِي لَهُ مُسْتَنَدٌ لا تَقِفُ حَائِلاً أَمَامَ إِسْقَاطِ صِحَّةِ الاسْتِدْلالِ بِهَذَا الشَّاهِدْ لِوُرودِ هَذَا الاحْتِمَالِ عَلَيهِ؛ لسببين:

1-أَنَّ التَّأْوِيلَ مَا هُوَ إِلَّا رَدٌّ لِهَذَا الشَّاذِّ إلى وَجْهٍ مِنَ العَرَبِيَّةِ قِيَاسِيٌّ، فَإِذَا صَحَّ هَذَا الاحْتِمَالُ القِيَاسِيِّ فِي شَاهِدٍ، فَقَدْ يَتَيَسَّرُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لِمَنْ لَهْ بَصِيرَةٌ فِي عِلْمِ العَرَبِيَّةِ أَنْ يَتَبَيَّنَ فِي الشَّوَاهِدِ الأُخَر مَا يَنْحُو بِهَا إِلَى أَوْجِهٍ قِيَاسِيَّةٍ أُخَر فِي العَرَبِيَّةِ .

2- أَنَّهُ مَهْمَا كَثُرَتْ هَذِهِ الشَّوَاهِدُ فَإِنَّهَا بالنِّسْبَةِ لِمَا هُوَ مُطَّرِدٌ قِيَاسِيٌّ فِي كَلامِ العَرَبِ تُعَدُّ قَلِيلَةً.، وَقَدْ حَاوَلَ د علي أبو المكارم وَضْعَ نِسْبَةٍ مِئَوِيَّةٍ للكَثِيرِ مِنْ خِلالِ تَقْسِيمِ ابْنِ هِشَامٍ فَوَجَدَ أَنَّ القَلِيلَ يُسَاوِي 15% من المَسْمُوعِ عَنِ العَرَبِ،وَأَنَّ الكَثِيرَ يُسَاوِي 70% من المسموع عَنِ العَرَبِ (أبو المكارم، علي، 2006م،ص: 238.) وَإِذَا بَلَغَتْ نِسْبَةُ هَذِهِ الشَّوَاهِدِ المُخَالِفَةِ هَذَا القَدْرَ فَهِيَ بالتَّأْكِيدِ مِمَّا يُقَاسُ عَلَيهْ دُوْنَ حَاجَةٍ إِلَى تَأْوِيلِ ظَاهِرِهَا.

**خاتمة البحث:**

تَوَصَّلَ الباحث من خلال بحثه إلى مجموعة من النتائج:

1- ما كان من الاحتمالات قويًّا لَهُ وَجْهٌ لُغَوِيٌّ يَسْنُدُه، وقرائن احتفت به تقويه يسقط به الاستدلال بالدليل المحتمل وليس المراد الإطلاق لكل احتمال.

2- إذا تعددت احتمالات الفهم لدى المتلقي فإِنَّ الاحتمال الراجح هو المعوَّل عليه في بناء الحكم.

3- أمَّا في سياق صِحَّةِ الاستدلالِ بالدَّلِيلِ وَكَوْنِهِ نَصًّا في المُسْتَدَلِ عَلَيهِ فَإِنَّهُ إِذَا تَسَاوَتِ الاحتمالاتُ فَمِنْ قَواعِدِهِم الأصوليَّةِ أَنَّهُ مَعَ الاحتمالِ لا تَقُومُ حُجَّةٌ، وإِذَا تَرَدَّدَ الحَالُ وَقَفَ الاستدلالُ، فَإِنْ وُجِدَ دَلِيلٌ عَلَى هَذَا التَّرْجِيحِ تَمَّ الاستدلالُ، وإِلَّا وَقَعَ الإِجْمَالُ.

4- فهم حقيقة الاحتمال المساوي يرجع إلى التفرقة بين عدة مفاهيم، وهي: الوضوح، واللَّبْسُ، والإبهام، والإجمال، فإن دلَّ اللَّفْظُ أو التركيب على معناه من غير احتمال أو احتمل المعنى وغيره وتبادر إلى الذهن المعنى المراد فذلك الوضوح، وإن تبادر إلى الذهن المعنى غير المراد، أو فهم المتلقي المراد وغيره لا بقصد احتمال إرادتهما كليهما، وذلك بأن يَصِحَّ عنده إرادة المتكلم لأحد المعنيين دون مقدرته على تحديده فذلك اللَّبْسُ، وإن احتمل اللَّفْظُ أو التركيب المعنى المراد وغيره ولم يتبادر إلى الذهن أحدهما، فذلك الإبهام، فإن فهم المتلقي المراد وغيره دون ترجيح بينهما وصحَّ عنده إرادة المتكلم للمعنيين أو المعاني جميعًا فذلك الإجمال.

4- للاحتمال الذي يسقط الاستدلال نوعان: أ- احتمال تأويلي ب- احتمال غير تأويلي

5- للاحتمال المسقط لصحة الاستدلال طرق متعددة تتفاوت في قوتها وكثرة ورودها، ومنها:

أ- حمل الدليل على الحذف، والتقدير.

ب- ادعاء الفصل بين أجزاء الكلام.

ت- الحمل على التقديم، والتأخير.

ث- حمل بعض الكلام على الزيادة.

ج- الحمل على المعنى.

ح- حمل الدليل على وجه آخر ظاهر.

6- ضوابط الاعتداد بالاحتمال في إسقاط صحة الاستدلال بالدليل:

تَبَيَّنَ بالنظر إلى ما سبق من طرق الاحتمال، والى ما يسلكه العلماء في مناقشاتهم أن له ضوابط للاعتداد به في صحة إسقاط الاستدلال بالدليل ومنها:

أ- أن لا يكون الاحتمال ضعيفًا بوصفه بالتكلف، ونحوه من صور القدح فيه.

ب- أن لا توجد قرينة في الكلام ترجح الحمل على الظاهر فيصبح الظاهر احتمالاً راجحًا لا مساويًا، ذلك أن من أصولهم المقررة أن "التمسك بالظاهر واجب ما أمكن"؛ و" ليس الحمل على المعنى بالأصل"، و"إنما العمل على الظاهر لا على المحتمل"؛ ولذا نجدهم يتحامون عن كثرة التأويل في التراكيب ما أمكن فكيف إذا وجد في الكلام من القرائن ما يقوي الحمل على الظاهر.

ت- ألَّا يؤدي الاحتمال إلى مخالفة الأصل.

ث- أن لا يثبت الخصم عدم احتمال الوجه الذي صرف إليه الدليل.

ج- أن لا يكون الدليل لغة فصيحة اختصت بها قبيلة أو طائفة من العرب لم يتكلموا إلَّا بها وخالفوا ما عليه الأكثرون، فإذا كان الدليل كذلك فلا يصح تأويله.

ح- أن لا يبين الخصم لزوم أمر باطل على الاحتمال يمنع اللُّجُوءَ إليه.

خ- إثبات أن الدليل بعد دخول الاحتمال عليه دال على ما كان يدُلُّ عليه قبل دخول الاحتمال، فلم يبطل الاستشهاد بتأويله.

د- عدم الدليل على إرادة المعنى الذي صرف الكلام إليه.

ذ- إبطال الدليل المعتمد عليه في التأويل أو إضعافه.

ر- بيان الفرق بين الشاهد المؤوَّلِ ونظائره التي حمل عليها عند التأويل.

ز- عدم اطراد صحة الاحتمال في نظائر الشاهد المحتمل.

س- أن لا يتعارض هذا الاحتمال- وإن كان ظاهرًا لازمًا- مع قرينةٍ تؤدي إلى أمن اللَّبْسِ فتجيزُ ما ظاهره مخالفة الأصل.

ش- إيراد شاهد آخر للمسألة لا يقبل الاحتمال المذكور أو شواهد كثيرة يثقل دخول الاحتمال المذكور عليها.

**المصادر والمراجع:**

- القرآن الكريم.

1- أبو المكارم، علي، أصول التفكير النحوي، دار غريب للطباعة، والنشر، والتوزيع، ط1، 2006م.

1- الأخفش؛ أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي (215ﻫ)، معاني القرآن، تحقيق: فائز فارس، طبع الشركة الكويتية لصناعة الدفاتر، والورق المحدودة، الكويت، الطبعة الثانية، 1981م.

2- الإربلي؛علاء الدين بن علي : جواهر الأدب في معرفة كلام العرب، تحقيق : إميل يعقوب، دار النفائس ـ بيروت، 1412هـ ـ 1991م.

2- الأزهري، خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاويّ (905ﻫ)، التصريح بمضمون التوضيح، دار الفكر، بيروت، د.ت.

3- الأزهري؛ أبو منصور محمد بن أحمد(370ﻫ)، تهذيب اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، المؤسسة المصرية العامة للتأليف، والأنباء، والنشر، الدار المصرية للتأليف، والترجمة، 1964م.

4- الإسفراييني؛ عصام الدين، شرح الفريد، تحقيق : نوري ياسين حسين، الفيصلية ـ مكة، 1405هـ ـ 1985 م.

5- الإسفراييني؛ محمد بن محمد ابن أحمد (684هـ)، لباب الإعراب، تحقيق : بهاء الدين عبد الوهاب عبدالرحمن، دار الرفاعي ـ الرياض، ط1، 1405هـ ـ 1984م.

5- الأشموني:

- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، مطبعة عيسى البابي الحلبي، دار إحياء الكتب العربية.

- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تحقيق: عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد، المكتبة الأزهرية، القاهرة، د.ت.

6- الأشولي، محمد أحمد عبد الله، الإبهام في الدرس النحوي، رسالة دكتوراه، جامعة أم درمان الإسلامية، جمهورية السودان، عمادة الدراسات العليا، كلية اللغة العربية، قسم الدراسات النحوية، واللغوية، إشراف: مصطفى محمد الفكي، 2010م.

7- الأصفهاني؛ أبو الفرج، الأغاني، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1، 1931م.

8- الآمدي؛ سيف الدين أبو الحسن علي بن أبي علي محمد الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، دار الكتب العلمية، بيروت، 1400ﻫ.

9- الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد (577هـ ):

- أسرار العربية، تحقيق: د.محمد بهجة البيطار، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، سوريا، ط1، 1975م.

- الإغراب في جدل الإعراب ولمع الأدلة في أصول النحو، تحقيق: سعيد الأفغاني، مطبعة الجامعة السورية، 1957م.

- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، مصر، ط4، 1961م.

11- ابن برهان؛ أبو القاسم عبد الواحد بن علي الأسدي المعرف بابن برهان العكبري، شرح اللمع، تحقيق: فائز فارس، المجلس الوطني للثقافة، والفنون، والآداب، الكويت، ط1، 1984م.

11- البغدادي؛ عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1979م.

11- البكري؛ أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز 487هـ،فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، تحقيق : إحسان عباس وعبدالمجيد عابدين، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، 1983م .

11- التهانوي؛ محمد بن علي 1158ﻫ، كشاف اصطلاحات الفنون، تحقيق: أحمد حسن بسج، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1998م

12- ثعلب؛ أبو العباس أحمد بن يحيى(291هـ)، مجالس ثعلب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مصر، دار المعارف، الطبعة الثانية، 1948م.

13- الجرجاني، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، بيروت، عالم الكتب، ط4، 1987م.

14- ابن جني؛ أبو الفتح عثمان (392هـ)، سر صناعة الإعراب (تحقيق : حسن هنداوي، دار القلم ـ دمشق، ط 1، 1405هـ.

14- ابن الحاجب، عثمان بن عمرو (646هـ)، الأمالي، تحقيق : فخر صالح قداره، دار الجيل ـ بيروت، ودار عمار ـ عمان، 1409هـ ـ 1989م .

14- ابن حمدون؛ أحمد بن محمد بن حمدون،(ت1232ﻫ)، حاشية ابن حمدون على شرح المكودي على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد صدقي، بيروت، دار الفكر.

15- أبو حيان الأندلسي؛ محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، الغرناطي الأندلسي الْجَيَّاني (745ﻫ):

- ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق: مصطفى أحمد النماس، مطبعة المدني، القاهرة، ط 1، ج1 1984م، ج2، 1987م.

- البحر المحيط، عناية: زهير جعيد، بيروت، دار الفكر،1992م.

- التذييل والتكميل شرح التسهيل(مجلدان من الكتاب)، مكتبة السعادةـ القاهرة، ط 1، 1328هـ.

16- الخثران، ظاهرة التأويل في الدرس النحوي،، بحث في المنهج، النادي الأدبي، الرياض، الطبعة الأولى، 1988م.

17- الخضري، محمد الخضري الدمياطي، (1287ﻫ)، حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق: فرحان تركي المصطفى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م.

18- الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر(1069ﻫ) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1997م.

19- الرضي؛ رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي:

- شرح الكافية في النحو، دار الكتب العلمية، بيروت، مطبعة الشركة الصحافية العثمانية،1210ﻫ.

- شرح الكافية، تحقيق : يوسف حسن عمر، جامعة قاريونس ـ بنغازي، ط 2، 1996م .

19- الزجاجي؛ أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق (339هـ):

- الجمل، تحقيق: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، دار الأمل، الأردن، ط3، 1986م.

- اللامات، تحقيق: مازن المبارك، مجمع اللغة العربية بدمشق، 1969م.

20- الزبيدي؛ عبد اللطيف بن أبي بكر الشرجي، ائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة، تحقيق:طارق الجنابي، عالم الكتب،مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط1، 1987م.

21- الزمخشري، جار الله محمود بن عمر (538هـ)،المستقصى في أمثال العرب، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط2، 1408 هـ ـ 1987م .

22- أبو زيد الأنصاري، النوادر في اللغة، تصحيح: سعيد الخوري الشرتوني، دار الكتاب العربي، بيروت،د.ت.

23- السبيهين، محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله، مسائل الخلاف النحوية في ضوء الاعتراض على الدليل النقلي، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض،ط1، 1426ﻫ-2005م.

24 - ابن السراج؛ أبو بكر محمد بن سهل (316ﻫ)، الأصول في النحو، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1985م.

25- ابن سلمة، أبو طالب المفضل بن سلمة (290هـ)، الفاخر، تحقيق : عبد العليم الطحاوي، مراجعة : محمد علي النجار، الهيئة المصرية ـ القاهرة، 1974م .

26 -السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله، الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، تعليق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة،.

27 - سيبويه؛ أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر(180ﻫ)، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، علم الكتب، بيروت، ط3، 1983م.

28- ابن سيدة؛ أبو الحسن علي بن إسماعيل، المخصص، المطبعة الأميرية، 1321ﻫ.

29- السيرافي؛ أبو سعيد، شرح كتاب سيبويه، تحقيق: رمضان عبد التواب، ومحمود فهمي حجازي، ومحمد هاشم عبد الدايم، الهيئة العامة المصرية للكتاب، مركز تحقيق التراث، القاهرة، 1986م.

30- السيوطي؛ جلال الدين عد الرحمن السيوطي (911ﻫ):

- الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، المكتبة العصرية، ط1، 1987م.

- الأشباه والنظائر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1984م.

- الاقتراح في علم أصول النحو، تحقيق: د. أحمد محمد قاسم، مطبعة السعادة، القاهرة، ط1، 1976م.

- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: عبد السلام هارون، وعبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، 1975م.

- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: أحمد شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1998م.

- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى، وعلي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم،د.ت.

31- ابن الشجري،الأمالي الشجرية، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر ىباد الدكن، ط1، 1349ﻫ.

32- الشريف المرتضى؛علي بن الحسين الموسوي العلوي، أمالي المرتضى غرر الفوائد ودرر القلائد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2،1967م.

33- الشوكاني؛ محمد بن علي (1205ﻫ):

- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، دار المعرفة، بيروت، 1399ﻫ.

- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تحقيق: سامي بن العربي الأثري، الرياض، دار الفضيلة، ط1، 2000م.

34- الصبان؛ محمد بن علي (1206ﻫ)، حاشيته على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، مطبعة عيسى البابي الحلبي، دار إحياء الكتب العربية.

35- أبوعبيد؛ معمر بن المثنى، مجاز القرآن، تعليق: محمد فؤاد سزكين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1981م.

36- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله (395هـ)، جمهرة الأمثال، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، دار الجيل ـ بيروت، ط 2، 1408هـ ـ 1988م .

37- ابن عقيل؛ بهاء الدين بن عقيل (769ﻫ):

- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار اللغات، ط 14، 1964م.

- المساعد على تسهيل الفوائد، تحقيق: محمد بركات، منشورات وزارة الثقافة، ط1، 1986م.

38- العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين (616ﻫ):

- التبيان في إعراب القرآن، تحقيق: علي محمد البجاوي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، 1976م

- التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين،دار الغرب الإسلامي،بيروت، ط1، 1986م.

- شرح ديوان المتنبي، ضبط وتصحيح: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين،دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1986م.

39- العليمي، ياسين بن زين الدين الحمصي (1061ﻫ)، حاشية ياسين على التصريح،بيروت، دار الفكر، د.ت.

40- العيني؛ بدر الدين محمود بن أحمد (855هـ)، المقاصد النحوية في شرح شواهد الألفية، طبعة بولاق، ط1.، د.ت.

41- الغزي؛ محمد بن قاسم (918هـ)، فتح الرب المالك بشرح ألفية ابن مالك، تحقيق : محمد المبروك الختروشي، كلية الدعوة ـ طرابلس، 1991م .

42- الفارسي؛ أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار (377هـ ):

- التكملة، تحقيق: حسن شاذلي فرهود، جامعة الرياض، ط1، 1981م.

- المسائل الحلبيات، تحقيق: حسن هنداوي، دار القلم، دار المنارة، بيروت،الطبعة الأولى، 1987م.

- الإيضاح العضدي، تحقيق: حسن شاذلي فرهود، مطبعة دار التأليف، مصر، ط1، 1969م.

43- ابن فارس؛ أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (395ﻫ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الكتب العلمية، إيران، قم.

44- الفاسي؛ أبو عبد الله محمد بن الطيب، فيض نشر الانشراح من روض طي الاقتراح،تحقيق: الأستاذ الدكتور محمود يوسف فجال، دبي، الإمارات العربية المتحدة، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، ط2.د.ت.

45- فجال؛ محمود يوسف، الإصباح في شرح الاقتراح تأليف: الدكتور محمود فجال، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، 1989م.

46- الفراء؛ أبو زكريا يحيى بن زياد، معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1983م.

47- الفرخان؛ علي بن مسعود : المستوفى في النحو، تحقيق : محمد بدوي المختون، دار الثقافة العربية ـ القاهرة، 1407هـ ـ 1987م.

48- الفيروز أبادي؛ مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، المؤسسة العربية للطباعة، والنشر، بيروت.د.ت.

49- القالي؛ أبو علي إسماعيل بن القاسم، أمالي القالي، دار الكتاب، العربي، بيروت، د.ت.

50- الكافيجيَّ؛ محييَ الدين أبا عبدالله محمد بن سليمان(879هـ)، شرح قواعد الإعراب، تحقيق : فخر الدين قباوة، دار طلاس ـ دمشق، ط2، 1993م.

51- المالقي؛ أحمد بن عبد النور، رصف المباني في شرح حروف المعاني، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط2، 1985م.

52-ابن مالك؛ محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين (672ﻫ):

- شرح التسهيل تحقيق: الدكتور عبد الرحمن السيد، مكتبة الأنجلو، الطبعة الأولى.

- شرح الكافية الشافية،تحقيق: عبد المنعم أحمد هريدي، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1، 1982م.

- شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ، جمال الدين محمد بن مالك، تحقيق: عدنان عبد الرحمن الدوري، وزارة الأوقاف، مطبعة العاني، بغداد، 1977م.

53- المبرد؛ أبو العباس محمد بن يزيد (285هـ )، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، 1963م.

54- المفضل الضبي، المفضل بن محمد (168هـ):

- أمثال العرب، تحقيق : إحسان عباس، دار الرائد العربي ـ بيروت، 1981م.

- المفضليات، تحقيق: أحمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، ط4،د.ت.

55- ابن الملقن؛ سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (ت: 804ﻫ) الإعلام بفوائد عمدة الأحكام، تحقيق: عبد العزيز بن أحمد بن محمد المشيقح، دار العاصمة للنشر، والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط1، 1997م.

56- ابن منظور؛ محمد بن مكرم بن منظور(711ﻫ) :

- لسان العرب، دار صادر، دار بيروت، بيروت، 1968م.

- لسان العرب، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، ط 1، 1408ﻫ.

57-الفيروز أبادي؛ مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، المؤسسة العربية للطباعة، والنشر، بيروت، د.ت.

58- الميداني، أحمد بن محمد (518هـ)،مجمع الأمثال، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الفكر ـ بيروت، ط 3، 1393هـ ـ 1972م .

59- الميلاني، محمد بن عبدالرحيم العمري(811هـ)، شرح المغني في النحو، تحقيق : عبدالقادر الهيتي، جامعة قاريونس ـ بنغازي، ط 1، 1998م .

60- ابن الناظم؛ أبو عبد الله بدر الدين محمد ابن محمد بن مالك، تحقيق: عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، د.ت.

61- النحاس؛ أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري (338ﻫ)، إعراب القرآن، تحقيق: زهير غازي زاهد، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، ط2، د.ت.

62- ابن هشام؛ أبو محمد بن يوسف المصري (761هـ ):

- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط5، 1979م.

- شرح قطر الندى وبل الصدى ومعه كتاب سبيل الهدى بتحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 1409ﻫ.

- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت، ط5، 1979م.

63- ابن يعيش الصنعاني؛ سابق الدين محمد بن علي بن أحمد ن يعيش، التهذيب الوسيط، تحقيق : فخر صالح قداره، دار الجيل ـ بيروت، ط 1، 1411هـ ـ 1991م.

**الطبيعة في الشعر الجاهلي**

د . إشراقه طه أحمد عبود ـ استاذ مساعد بجامعة الإمام المهدى ـ كلية الآداب

**ملخص البحث:**

هذا البحث يتناول(الطبيعة في الشعر الجاهلي )وفق المنهج الوصفي ، وهدف هذا البحث إلى بيان وتوضيح ألوان الطبيعة بشقيها الصامتة والحية ، وقد عــــــرف شعر الطبيعة وقسميها ، حيث قسمت الطبيعة إلى :طبيعة حيــة وطبيعة صامتـــة وطبيعة راقية .واستهل البحث بمقدمة مختصرة ثم أورد البحث نماذج لشعر الطبيعة عند شعراء العصر الجاهلي ، وتوصل البحث خاتمته إلى عدد من النتائج أهمها:تأثر الشعراء بالبيئة والتي تمثل الطبيعة جزاءً مهما منها ، ظهر هذا التأثر في شعرهم .

**مقدمة :**

البيئة البدوية الجاهلية حفلت بمظاهر طبيعية غنية كانت من أهـم مصادر الإلهام و الإبداع الفني للشعراء لأنها هي اللوحة التي يستمد منها الشاعر تجربته الشعرية , فأنتجوا صورة فنية في غاية الدقة و الإبداع في أشعارهم بمختلف الأوصاف والنعوت فالشاعر الجاهلي أدرك معالم الجمال في بيئته وقام بتصويرها تصويرا جزئياً دقيق معتمداً على خياله الخصب ، فهو يصور كل مشاهدته في طبيعته الحية وطبيعته الصامتة ، حيث صور الأطلال وتشبيهها بالسفن ووصف الناقة والفرس كما صور لنا الصحراء ببرقها ومطرها .

يعد شعر الطبيعة في الشعر الجاهلي مجال واسع ارتاده معظم الشعراء ويكاد لا يخلو منه شعر شاعر أو ديوان من دواوينهم لذلك كانت الطبيعة مصدرا أساسيا استلهم منها الشعراء إبداعهم وفنهم .

**المبحث الأول :**

وصف الطبيعة الساكنة في الشعر الجاهلي :

هنا سنعرض بعض الأصناف التي امتاز الشعراء في وصفها وتصويرها :

يبدأ معظم الجاهليين قصائدهم بالوقوف علي ديار الحبيبات بعد رحليهن والدعاء لها حينا و البكاء عليها أحيانا وفي النفس نقي الحس ، مر امرؤ القيس بجبال وهضاب متجاورة تفض إلي رسوم دار هند وصويحباتها فإذا القافلة التي رآها قبل سنين تشق سجف الزمان وإذا هوادج لميس وفرتنى و الرباب وتتخطر أمامه كالنخيل الذي حان قطافه( ديوان امري القيس ،بيروت ،دار صادر 1958م ، 139) :

دار لهند والربــاب وفرتنىو لميـــس قبـــل حوادث الأيـــام

أو ما ترى أظعانهن بواكراً كالنخل من شوكان حين صرام

كذلك وصف الطل( ديوان ،ص 170) :

لمن طلل أبصرته فشجاني كخط زبور في عسيب يمانـــي

وقوله:

الأعم صباحا أيها الطلل البالي وهل يعمن من كان في العصر الخالي

يذكر الشعراء الجاهليون الأطلال و الرسوم وما يغيرها ويمحو معالمها أو يجلو عنها , فيذكرون في ثنايا ذلك المطر و الرياح , وقد عرف ابن منظور الطلل بقوله :) الطلل ما شخص من آثار الديار ...)(لسان العرب ج 11 ص 406.)

كما عرف الرسم بقوله:(الأثر ، وقيل بقية الأثر ، وقيل : هو ما ليس له شخص من الآثار ، وقيـــل ما لصق بالأرض منـها (...) والجمـع أرسم ورسوم ,ورسم الغيث الدار : عفاها و أبقى فيها أثراً لاصقاً بالأرض) (لسان العرب ج 12 ص 214.), وهنا يجدر بناأن ننظـر إلى ذكر ابن منظور للفعل (رسم ) مقروناَ إلى (الغيث ) , لأن هذا لم يكن إلا لارتباط المطر بالرسوم و الأطلال عند العرب , قال عنترة بن شداد (القرشي ، أبوزيد محمد ،جمهرة أشعار العرب : تحقيق علي البجاوي ،نهضة مصر ـ ص 190.

،، ):

ولقد مررت بدار عبلة بعدما لعب الربيع بربعهـا المتوســــــم

جادت عليها كل بكرة حـــرة فتركن كل قــــرارة كالدرهـــم

سحاً وتسكاباً فكل عشـــــية يجري عليها الماء لم يتصـــرم

وقال النابغة الجعدي(أمالي المرضي ـ القسم الأول ـ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ـ دار الكتب العربية ـ ط 1 1954 م ـ ص 616.)

):

لمـن الديار عفون بالتهطال بقيت علي حجج خلون طـــــوال

قال لبيد بن ربيعة العامري ( ديوان لبيد بن ربيعة ،: تحقيق وشرح إحسان عباس ، وزارة الإرشاد والأنباء ، الكويت ـ ص297 ـ 298.) :

عفت الطلول محلها فمقامـها بمني تأبد غولــها فرجامـــــــــها

فمدامع الريان عري رسمها خلقا كمــا ضمن الوحي سلامــها

دمن تجرم بعد عهـد أنيسها حجج خلــون حلالها وحرامـــــها

رزقت مرابيع النجوم وصابها ودق الرواعــد جودها فرهامــها

من كل سارية وغاد مدجــن وعشــية متــجاوب إرزامـــــــها

فعلا فروع الأيقهان و أطفلت بالجلهتين ظبـــاؤها ونعامـــــها

والعين ســــاكنة علي أطلائها عوذاً تأجل بالفضاء بهامـــــــها

أول ما يشـــد الانتـباه في هذه القطعة الطللية مـن معلقة لبـــــيد ابن ربيعة هــو طولها إلى حــد ما بالمـــقارنة مع قطـع تذكر فيــها الأطلال و الرســـوم, فعـــادة ما يذكر الشــاعر الجاهلي الأطـلال و الرسـوم في البــيت أو البيتين إلــى ثلاثـــة , ثم يلتفت الى موضوع آخر من موضوعات القصيدة وربمــا كان ذلك عائداً إلى كون لبيد قد أجمل المعنى بذكر الفعل (عفا ) ، وصب جهده في تأكيد معنى هذا الفعل بذكره غيره من الأفعال مثل (تأبد ) (وعري ) ,ثم ذكـــــر كيفية ذلك التعفي من هطول الأمطار التي نعتها بالغزارة , وذكر ما أعقب ذلك من خصب و نبات , وكأنه أراد أن يقــول : خلت الديار مــــن الأنيس لتسكنها الظبـــــــاء و النعام و العين بعيد المطر , علي أن هذه الصورة التي رسمها , وما فيها من مظاهر الحركة , أخرجت القطعة قليلاً من الأثر الكئيب , الذي اجتهد الشعراء الجاهليون في تصويره في مقدماتهم الطللية.( المياه في الشعر الجاهلي , د. مزمل حسن يوسف , دار النشر، الخرطوم 2002م ـ , ص 57 .)

ويقول النابغة الذبياني(ديوان النابغة ابن السكيت , تحقيق شكري فيصل , دار الفكر بيروت , 37 ):

يـــادار مية بالعلياء فالسنـــد أقــوت وطال عليها سالف الأبــــد

وقفت فيـها أصيلانا أسائلــــهاعيت جوابا وما بالربع مــن أحـــد

لقد رأى الشاعر ـ لأول نظرة ـ معاني البلى و الفناء و الهمود و الموت , و لكنه لم يدعه على تلك الحال بل أمدها بفيض من الحيوية و كأن معاني المــوت مــن جهـة و الحياة من جهة أخرى كانت تتقاسم مشاعره فأن هو رأى الفنـــاء في جانب لم يلبث أن هرع إلى الحياة وحيوية ونشاط في جانب آخر (شلبي ، سعد اسماعيل الأصول الفنية للشعر الجاهلي ، حدائق القبة ، 1982م القاهرة ، ص 349).

حينما وقف النابــغة على ديــار من أحب وقد درست ومرت عليها الأعـــوام فشــــاهد مــــن رمـــادها كـــحلاً وفي نؤيها حوضـاً تكـــسر وبقى أصـــله ، وفي رمادها معارض لأناقة و الجمال ، نمقها الصانع وزخرفها لعرضها حيث اجتمع الناس ، يقول النابغة ( مرجع سابق 108 ):

توهمت آيات لها ,فعرفتها لستة أعوام , وذا العـــام سابع

رماد ككحل العين لأيا أبينه ونؤى كجذم الحوض أثلم خاشع

كأن مجر الرامسات ذيولها عليه حصير نمقتــه الصوانــــع

على ظهر مبناة جديد سيورهايطوف بها وسط اللطيمة بائــع

فكفكفت مني عبرة فرددتها علي النحر ، منها مستهل ودامع

وقـف امرؤ القيس عندما وصف الأطلال في مطلع معلقتهوهــو يعـــد من أحسن المطالع ( لأنه وقف واستوقف , وبكى واستبكى , وذكـــر الحبيب و المنزل في مصراع واحــد )(العسكري , أبو هلال ،الصناعتين مطبعة صحيح ، بدون تاريخ , ص 433 .)تحــــدث عـــن أمكنة لها ذكريات لديه , مــــر بها ووقـفعنـــدها , فهاجت هذه الذكريات فطلب من صاحبيه الوقوف معه ليشاركـاه عواطف الأسى يقول امرؤ القيس( مرجع سابق ، ص 1 ):

قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل يسقط اللوى بين الدخول فحومل

ووصف طرفة أطلال خولة بتحديد مكان محبوبته وعقد مشابهة بين ديارها و الوشم القديم (ديوان طرفة تحقيق : كرم البستاني ، مكتبة صادر ، بيروت 1953م , شرح المعلقات السبع , ص52) :

لخولة أطــلال ببرقة ثهــمــد تلوح كباقي الوشم في ظاهرة اليد

وقوفاً بها صحبي على مطيهم يقولون لا تهلك أسى و تجلــــــــد

يستطيع الشاعر أن يتعرف علي موطن حيه بالعلامات وهي علامات تبوح لما فيها من ذكريات فهذه الديار مرتع لبقر الوحش التي ترفل آمنة تلتمع ظهورها البيضاء ووجناتها السوداء في وهج الهاجرة كما يضئ وجه الشمس و حوافر الجياد التي وطئت الرمال منقوشة في جنبات الديار التي أصابها البـــــلى و الفناء .

وعندما وقف زهير على أطلال أم أوفى بعد عشرين حجة على رحيله ، مضى يتعرف على معالمـه بـعد لأيا وجهد على ما أبقته السنون من أوتاد مغمورة بالرمــل و أثافي القدور السوداء و النوي الذي كان يحيط بالخيمة .( الزوزني ، أبو عبد الله الحسين بن احمد شرح المعلقات السبع،الرياض، بدون تاريخ ،ص85.) :

وقفت بها من بعد عشرين حجة فلأيا عرفت الدار بعد توهم

أثافي سفعا في معرس مرجـــل ونؤيا كجذم الحوض لــم يتثلم

**المبحث الثاني :**

**الطبيعة المتحركة :**

منها البحر و النهر وما يتصل بها من سفن والشجر و النبات كان لشعراء منها وقفة ورسموا صوراً عريضة متكاملة الأجزاء . وقد أكثر الشعراء الجاهليون مـن ذكر النبات وكـثرة المـاء في أشعارهم . ومـن أجمل الصور التي رسمها الجاهليون هي تشبه الظعن بالنخل ويحرصون علي إظهار مدي ري هذا النخل فيجعلونه كارعاً من الماء أو مغروساً منه لأن ذلك أدعي للينه وتثني سعفة .

قال امرؤ القيس (مرجع سابق ، 57):

فشبهتهم في الآل لمــا ترحلــوا حدائـــق دوم أو سقينـــــــا مقـــيرآ

أو المكرعات من نخيل ابن يامن دويــــن الصفا اللائي يلين المشقرا

تغنى الشعراء بالنخيل لأنه من رطبها وثمرها كان زاده و اتخذ من سقفها الممتد متكأ وظلاً فلا عجب قول امريء القيس هذا ان يكون مقرونا إلى قول النابغة الذبياني (مرجع سابق ، 147) :

ان تكون واحة و مهوى لقلبه .ولنا أن ننظر إلى قول امرىءالقيس :

كأن الظعن حين طفون ظهرا سفين البحر يممن الفراحـــا

ناظرين إلى كلمة (آل ) في بيت امريء القيس ، وعبارة (طفون ظهرا) في بيت النابغة ، فيكون من اليسير الربط بين شكل السراب عند الظهر ، وبين شكل الماء الجاري ، والأمر الثاني هو أن الظعائن والحمول من مراكب النساء ، والإبل عادة ما تهادي في سيرها إذا كانت النساء عليها ، ذلك أن النساء يضعفن عن شدة حركة الإبل كما قال ابن منظور (لسان العرب ، ج5 ، ص87 ) وتهادي الإبل وتمايلها ،يشبه إلى حد كبير تمايل السفن على ثبج المياه بفعل الريح ، كما يشبه تمايل سعف النخيل والدوم أيضا بفعلها.( مزمل يوسف ، ص62) .

كذلك ذكر امرو القيس القرنفل في قوله (ديوان ، ص 95):

اذا قامتا تضوع المسك منها نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل

وذكر لبيد نبات الأيهقان \_هو نبات يشبه الجرجير\_ عندما عمت الخضرة وكثر النـــبات ونما حتى فروع الأيقهان طالت و ارتفعت وشبعت الوحـــوش فأطفلت

أبكارها و أنتجت نتاجا كثيرا ( ديوان لبيد ، ص 298 ):

فعلا فروع الأيهقان وأطفلت بالجهلتين ظباؤها و نعامها

ويشبه الظعائن بالنخل والكروم قي قوله ( ديوان ، 74) :

فكأن ظعن الحي لما أشرقت بالآل وارتفعت بهن حــزوم

صور لنا عنترة في معلقته صورة جميلة للرياض حينما تغزل بمحبوته عبلة فوصف ثغرها وشبـــــه رائحته برائحــــة روضة لم تطأهـا دابة تقضم أزهارهــــا و تلقي منها أبعارهــا هي حديقـة عـذراء انعم الله عليها بسحابــة نقيــة فمــلأت غدرانها ماء صافية (ديوان عنترة ـ ص 15 ) :

أو روضة أنفاً تضمن نبتها غيث قليل الدمن ليس بمعــلم

جادت عليه كل بكر حــــرة فتركن كل قرارة كالدرهــــم

سحاً وتسكاباً فكل عشيـــة يجري عليها الماء لم يتصرم

وخلا الذباب بها فليس ببارح غرداً كفعل الشارب المترنـــم

هزجاً يحك ذراعه بذراعه قدح المكب علي الزناد الأجــذم

يهتم الشاعر الجاهلي في غزله بذكر طيب رائحة المحبوبة فيشبهها بالريحانة تكون من خصب ويصيبها الطلل ، و يشبهها بالروضة , قال الشنفرى الأزدي( المفضل الضبي ، المفضليات ، شرح الأنباري ,تحقيق كارلوس يعقوب , دار المثنى , بغداد ,ص110 ) :

فبتنا كأن البيت حجر فوقنا بريحانة ريحت عشاء وطلـت

بريحانة من بطن حيلة نورت لها أرج ما حولها غير مسنت

وتحدث النابغة عن الأقحوان حينما تغزل بالمتجردة فوصف بياض

أسنانها فقال: ( ديوان ، 53) :

كالأقحوان غداة غب سمائه جفت أعاليــه و أسفله نــــــدى

وتحدث الأعشى عن الزهر فقال (ديوان الأعشى ، ص 146) :

إذا تقوم يضوع المسك أصورة والزنبق الورد من أرداها شمل

نجـد الجاهليين يشبهون الممدوح بالمـاء العذب ، من ميـاه الأنهـار و الجداول ،و المطر ، كما يمدحون الممدوح لعذوبة مياه أرضه , وسقيه المـــــــاء العذاب قال النابغة( ديوان ،1ص 16) :

فما الفرات اذا جاشت غواربه ترمي أواذايه العبرين بالزبــد

يمده كل واد متـرع لجـــب فيه ركام من الينبوت و الخضــــد

يظل من خوفه الملاح معتصماً بالخيزرانة بعد الأين و النجد

وقال الأعشى (ديوان ، ص 72 ):

وما مزيد من خليج الفرات يغشى الآكام ويعلو الجسورا

يكب السفيىن لأذقانـــــــــه ويصرع بالعبر أثـــلا ودورا

بأجود منــه بمــا عنــــــده فيعطي المئين ويعطي البدور

وإذا حملنا كلمة الفرات ، في قول النابغة والأعشى على اسم النهر المعروف أو على مطلق الماء العذب ، فكلا المحمليين يؤكد بالماء العذب عند الجاهليين.

افتتح طرفة بن العبد معلقته بوصف الحدوج والحديث عن السفين لكي يعبر عن حزنه لرحيل تلك الظعائن ديوان طرفة ، ص 23 ):

كان حــدوج المالكية غــدوة خلايا سفين بالنواصف من دد

عدولية أو من سفين ابن يامن يجور بها الملاح طوراً ويهتدي

فالشاعر كأنه ينظر إلى سفينة عظيمة تعلو أمواج الخليج العربي وتنخفض مما يدل على عظم ركب المحبوبة والجلال و الدلال الذي أحاطه الشاعر به ، فقد شبه امرؤ القيس الظعن المرتحلة في الصحراء بالسفن العظام السائرة في البحر( ديوان امرؤ القيس ، ص 57 ) :

بعيني ظعن الحي لما تحملوا لدي جانب الأفلاج من جنب تميرا

فشبهتهم في الآل لما تكمشوا حدائق دوم أو سفيــنا مقــــــــيرا

وهذا التشبيه كثير في الشعر الجاهلي .

**المبحث الثالث :**

**الطبيعة الحية :**

الشعر الجاهلي زاخر بوصف الحيوان أليفه ووحشية من أبل وخيل وثيران وكلاب ، ذلك لصلته القوية بالحيوان وارتباط حياته بالرعي وبالصيد مما جعل الحيوان مطعمه ومركبه ورفيقه في السفر وأنيسة في وحدته . وتميز هذا الوصف بدرجة من التوتر العاطفي وحظ عظيم من الصدق الفني وحشد كبير من الصور المنتزعة وقدرة فائقة على الاستقصاء ورسم الدقائق والتفصيلات (غازي طليمات وعرفان الأشقر ،الأدب الجاهلي ، دار الفكر المعاصر ، بيروت 2002م ، ص 94)

أفرد شعراء الجاهلية صفحات كثيرة في سفرهم الشعري الذي تركــوه لنـــا عن وصف الناقة وقد احتلت موقعاً متميزا في القصائد الجاهلية فبعد المقدمة الطللية والغزلية يخوض الشـاعر مرحلة وصف الرحلة بكل مايحــــــيط بها مـن مظاهـــــر الطبيعة.

وصف طرفة بن العبد ناقته وصفاً دقيقاً وصورها تصويراً كأنها واقفة على رجلين و مصدره في ذلك بيئته التي يعيشها ، فالشـاعر إذا حلت بـه الهمـــــــوم وانتابته المصائب فرج عن نفسه وهمومه بناقته وهي ناقــة متزنة أمون لا يخاف الشاعر عثارها منبسطة الظهر والعظام كألواح التابوت تشبه الجمل في متانة الخلق واكتناز اللحم في سرعتها كالنعامـــة ( ديوان النابغة ، ص 20):

وإني لأمضي الهم ، عند احتضاره بعوجـــــاء مرقال تروح وتغتدي

أمون كالــــــــواح الأران نصأتها على لاحب كأنــه ظهر برجـــــد

جمالية وجنــــــــاء تردي كأنـــها سفنجة تبري لا زعـــر أربــــــد

هذه الناقة رتعت ورعت أيام الربيع بين نـوق جفت عروقهـــا وقلـت ألبانها ، رعت في وادي كثير الأمطار والخصب :

تربعت القفين في الشـــول ترتعي حدائـــق مولي الأســـرة أغـــــيد

كأن جناحي مضرحي تكنفــــــــا حفافيه شكا في العسيب بمـــــسرد

فطورا به خلف الزميل وتــــــارة على حشف كالشــــــن ذاو مجدد

ناقة طرفة فخذاها كمصراعي باب فخم في قصر ضخم وهيكلها أركانه كقنطرة بيت لرجل رومي :

لها فخذان أكمل النحض فيهمــــا كأنهما بابا منــيف ممــــــــــــــرد

كقنطرة الرومــــي أقســـم ربهـــا لتكتنفن حتــــى تشــــاد بــقرمـــــــد

وخدها الأسيل صحيفة ملساء يستطيع كاتب شامي أن يتخذها قرطاس يكتب عليه . شفتـــها الغليظة كأنها نعل ملك أو ســيد من أهل اليمن . وكــل مقلة مـن مقلتيـها

الواسعتين تضئ في مجرها كأنها مرآة يكنفها إطار من حجر ، تلمع فيه لمعان الماء في نقره صخرية : (1)

وطي محـــــــال كالحني خلوفـــة وأجرنـــــة لزت بـــدأي منضــــد

كأن كناسي ضـــــــــالة يكنفانها وأطر قسي تحت صلب مؤيــــــد

لها مرفقـــــان أفتـــــــلان كأنها تمــر بسـلمي دالـــــج متشـــــــــدد

ومن خلال هذا الوصف العام جعل الـشاعر مــن ناقته مثالاً في استيفــاء الجمال بهذا الوصف العــام بل تولاها بوصف دقيق للأجــزاء الخارجية و الداخلية لا يغــادر جزاءاً منـها ، من أنفهـا إلى ذنبهـا فجعل عنقهـا كذنب سفينة تـشـق مـــوج دجلة صاعدة فيه:

وأتلع نهاض إذا صعدت به كسكان بوصي بدجلة مصعـــد

وخد كقرطاس الشآمي ومشفر كسبت اليماني قــده لم يجـــــرد

رســم لنا لبــيدمن خلال وصف النــاقة صوراً مليئة بالحركة والنشاط ، وما وصفه للثور والبقرة الوحشيين و ما ساقه عن الحمار الوحشي و أتانه إلا رغبة في الاستطراد في وصف الناقة والإلحاح في نعتها والتغني بكريم أصلها .عندمــــا تضن الحياة بأسبابها وتهجره صاحبته فأنه لا يتق إلا بناقته التي يجـد عندها السلوى وفي هذا دليل علي حب لبيد للحيوان ، وكأنما يراه أكثر وفاء من بني البشر ، هــذه الناقة اعتادت علي خوض الصعاب ، وتحملت مشاق السفر ، لكن رغم ذلك لم ينل منهما الدهر فلا زالت بها بقية من لحم ، فتبدو ضامرة الصلب والسنام ، لا تعبأ بصعاب السفر ، فحتى حينما يعلوها اللحم ، يذهب سريعا ،لأنه لا يدعها تهنأ به ، فيكلفها مشـــاق السفر مرة بــعد مرة ، وفي كل الأحـوال لا تنتقص سرعتـها التيتماثل سرعة سحابة صهباء ، وقد جاء هذا المعنى في معلقته التي يقول فيها ( الديوان ، ص 303 ) :

بطليح أسفــار تركن بقيــة منها فأحنق صلبها و سنامهـا

وإذا تغالى لحمها وتحسرت وتقطعت بعد الكلال خدامـــها

فلها هباب في الزمام كأنها صهباء خف مع الجنوب جهامها

قال عنها إنها ناقة منسوبة إلى جرشي بالأراضي اليمنية ، لا يهمل فيها فيمسح جسدها بالقطران ، و يسقيها الماء من مصادره ، وهي كبيرة السن ، ضخمة ، ممتلة لحما ، وسوداء اللون ، اعتادت علي التعب وكثرة الأسفار ، حتى ضمر جسمها و تداخل لحمها وظهرت أثار السفر عليه ، وقد منعت من أن تحلب حتى لا تضعف ولا توهن ( الديوان ، ص 75.) :

بكـرت به جرشـية مقطـورة تروي المحاجر بـازل علكـوم

دهماء قد دجنت وأحنق صلبها وأحال فيها الرضح و التصريم

وقال متمم بن نويرة ( المفضليات ،ص49) :

ولقد قطعت الوصل يوم خلاجه وأخو الصريمة في الأمورالمزمع

بمجــدة عنـس كـــأن ســراتهـا فدن تطيف بــه النبيــط مـرقـــــــع

قاظت أثـال إلى المـلأ و تربعت بالحــزن عازبة تســــن و تــــودع

نلاحظ أن الشعراء يكررون القول عندما تضن الحياة بأسبابها وتهجره صاحبته فأنه لا يجد السلوى إلا في ناقته التي يراها أكثر وفاء من بني البشر .

ووصف النابغة حمار الوحش بالضخامة ، فهذا الفرس اجتمعت فيه عدة ألوان ما بين الصفرة والبياض و السواد والإصفرار ولبته ذات لون مميز ( ديوان النابغة ، ص 38) :

مجرس ، وجد جاب أطاع له نبات غيث من الوسمي مبكار

ســراته مــا خلا لباته لـهف وفي القوائم مثل الوشم بالقـار

حظى الفرس بمكانة في الإبداع الشعري فأبدع الشعراء في وصفه كما أبدعوا في وصف الناقة ، وقد ارتبط وصفه بوصف مظاهر الطبيعة .

أسهب امرؤ القيس في وصف فرسه الذي يخرج به مبكرا قبل استيقاظ الطير على فرس أصيل ، سريع ، عظيم ضخم قليل الشعر يميل لونه لسمرة وأنه يقيد الوحوش لسرعة لحاقه حيث أنه يجيد الكر والفر**(شرح المعلقات السبع ،ص 80) :**

وقد اغتدي والطير في وكناتها بمنــجرد قيــــد الأوابـد هيــــــــــكل

مكر ، مفر مقبل ، مدبر معـا كجلمود صخر حطه السيل من عل

ومن صفاته الجسمانية طاوي الكشح ،مثل الظبي وله ساقان طويلان مثل ساقي النعامة وله ذيل طويل ( مرجع سابق ،86 ):

له أيطلا ظبي وساقا نعامة وإرخاء سرحان وتقريب تنقل

هذا الفرس قوي نشيط إذا ما تعب غيره من خيول( مرجع سابق ،83):

مسح إذا ما السابحات على الونى اثرن الغبار بالكديد المركل

**وكل ما يريده امرؤ القيس من هذه الصورة هو تأكيد عتق فرسه وكرم أصلها، وما تحمله من رمزية البطولة المنتشرة في فضاء مطلق لا يقيده بزمان ولا مكان.**

ويمثل الفرس أساس عملية الصيد عند الجاهليين ، لذا أصروا على تأكيد هذه الحقيقة بإلحاق صفات القوة والسرعة والسيطرة به ، فكما وجدناه قيدا الأوابد عند إمري القيس نجده صقرا يحسن الانقضاض على فريسته فلا تفلت منه( ديوان امريء القيس ، ص 114) :

ومدامــة قرعتها بمدامــة وظباء محنية ذعرت بسمحج

فكأنــهن لآلئ وكأنـــــــــه صقر يلوذ حمامه بالعوســج

صقر يصيد بظفره وجناحه فإذا أصاب حمامــة لم تدرج

**المبحث الثالث :**

**الطبيعة الراقية :**

ويقصد بها هنا العلويات كالبرق و الرعد و السحاب و الغيث و الليل

و النجوم و ما إلى ذلك ( الأصول الفنية للشعر الجاهلي ، ص 233) .

وصف امرؤ القيس وصفا فيه من روعة البيان و جمال التصوير و رقة التعبير فالليل رهيب ، ظلماته كالموج اللجي ، هذا الليل حل على الشاعر فبعث في نفسه الذكريات و هيج كوامن الأحزان و الهموم من مرقدها ( ديوان امري القيس ، ص 48 ) :

وليل كموج البحر أرخى سدوله علي بأنواع الهمـــــــوم ليبتلي

هذا الليل يجثم على صدره بهمومه لا يتحرك و كأنه جمل ضخم يشعر بثقله ويردف بعضهما بعضا ، يقع بصدره على المهمومين:

فقلت له لما تمطى بصلبــــــــــه وأردف أعجازا ونــــــاء بكلكل

ألا أيها الليل الطويل ألا انجـــــل بصبح وما الإصباح منك بأمثل

ويتمنى أن يزول هذا الليل وأن يشرق الصبح بضوئه وجماله ،لكن الصباح لن يكون خيرا من ليله لأن هذا الليل كأنه مشدود بحبال قوية شدت بصخرة من الصخور :

فيالك من ليل كأن نجومـه بكل مغار الفتل شدت بذيل

كأن الثريا علقت مصامها بأمراس كتان إلى صم جندل

و كذلك قد طال ليل سويد اليشكري فشبه لنا النجوم بإنسان يعرج و يغمز في المشي فيحتاج إلى من يجره جراً بشدة بطئه(المفصليات، ص 192 ):

يسحب الليل نجوما ظلما فتواليها بطيئـات التبـــع

ووقف لبيد بن ربيعة متأملا معجبا بالليل و ظلمته واصفا نجومه و بروقه بعد أن نام أصحابه فشام البرق ، و أرسل ضوؤه من بين السحب الكثيفة فرأى من تلك السحب أحباشا يتحاربون بالحراب البيض وسمع صوت الرعود كأنها رغاء الأبل(ديوان لبيد ص 88) :

أصاح ترى بريقا هب و هنا كمصباح الشعيلة في الذبـــــال

أرقت له و أنجد بعد هــــــدء و أصحابي على شعب الرحال

يضيء ربابه في المزن حبشا قياما بالحرب و بـــــــــــالإلأل

كأن مصفحــــــــــات في ذراه و أنواحا عليهن المالـــــــــــــي

المطر هو مصدر الحياة وأساسها و مظهر من مظاهر رحمة الخالق على البشر فيه تخضر الأرض و الزرع لذلك كان للشعراء وقفات مع المطر فوصفوه وصفا دقيقاً لعشقهم وارتباطهم القوي به .

فرح الشاعر برؤية تلك السحابة الواعدة كثيرة الهطل ، التي مضت تغدق وترسل كأفواه القرب ، وإذا هدأت ظهرت أوتاد الخيم وإذا اشتد هطولها غمرها السيل(1):

ديمة هطلاء فيها وطف طبق الأرض تجرى وتدر

تخرج الود إذا ما أشجذت وتواريه إذا مــا تشـتـــكر

وترى الضب خفيفا ماهراً ثانيا برثنه مـا ينعفـــــــر

وترى الشجراء في ريقها كرؤوس قطعت فيها الخمر

ساعة ثم انتحاها وابل ساقط الأكناف واه منهمر

وظاهرة المطر من أهم الظواهر التي دعت الشاعر أن يقفأمامها متأملاً معجباً فإذا أبرقت السماء خافت الوعول المعتصمة بالشعاب تركت مساكنها في جبل القنان هاربة من السيول( مرجع سابق ، ص 93):

أصاح ترى برقاً أريك وميضه كلمع اليدين في حبي مكلل

فعدت له وصحبتي بين ضارج وبين العذيب بعدما متأملي

علا قطناً بالشيم أيمن صوبة وأيسره علي الستار فيذبل

ومهما يدمر السيل المنازل و يقتلع منه نخيل إلا أنه منتش بهذا المطر وقد غطى جبل ثبير الكبير فلم يبد إلا راسه . سال السيل علي الأذقان دوح الكنهبل وظهرت في أرجائه السباع غرقه كأنها جذور نبات خاوية ( مرجع سابق ، ص 95):

فأضحي يسح الماء حول كنيفه يكب علي الأذقان دوح الكنهبل

وتيماء لم يترك بها جذع النخلة ولا أطمــا الا مشيـدا بجنــــدل

تحدث لبيد عن البرق لمع في ناحية نجد ، و ربما كان يحن إليه ويترقبه شأنه في ذلك شأن شعراء الجاهلية ، الذين أبكاهم البرق كثيرا لأن ترحالهم المضنى في صحراء قاحلة أجبل طبعهم على الحنين ، فلهم في كل مكان ذكرى حبيب ، أما لبيد فلم يذهب بعيداً بل جال في هذه الفكرة وهو يسال أصدقاءه هل شاهد المراقب برقاً يلمع في ناحية نجد ، باهتا كأنه شعلة( مرجع سابق ، ص 93):

أصاح ترى بريقا هب وهنا كمصباح الشعيلة في الزبال

أرقت له وانجد بعد هدء وأصحابي علي شعب الرحال

يضيء ربابة في المزن حبشا قياما بالحرب وبإلالال

افرغ السحاب ما فيه من ماء في ربوع الرباب ، وتجمع الماء بين تلك الصخور الضخمة في الهضاب ،وسار الماء محدثا سيلا يجري بشدة ، فافزع وحوش جبل صاحة، وانزلها من أعاليها ، ثم سار في اتجاه القرى التي تقع يمين مسيره واتجه يسارا نحو جبال كورى يقول (مرجع سابق) :

كأن مصفحات في ذراه وأنواحا عليهن اعآلي

فافرع في الرباب يقود بلقا مجوفه تذب عن السحال

واصبح راسيا برضام دهر وسال به الخمائل في الرحال

وحط وحوش صاحة من ذراها كأن وعولها رمك الحمال

علي الإعراض أيمن جانبيه واسري علي كوري اثال

يواصل وصف ذلك المشهد واقفا طويلا إمامه مفصلا القول فيه ذاكرا أن هذا المطر الشديد قد هطل من السحابة علي جهة (المحلين ) وسال منها وكونت سيلا عظيما بدأ جبل البقا ـ فكأن أمواجه جمل عظيم الهيئة بطئ الحركة لعله في سنامه ، ويربط الشاعر الجاهلي دائما المطر بالرسوم والديار قال طرفة بن العبد(ديوان طرفة ، ص 79):

وبالسفح آيات كـأن رسومها يمـان وشته ريــدة وسحــول

أربت به نآجية تزدهي الحصى وأسحم وكاف العشي هطـــول

والمطر له أثر على الطلول وهذا الأثر غالبا يتمثل في تغطية هذه الأطلال بالتراب فكأن الديار كتب تجدد الأقلام كتابتها وتعيد سطورها(ديوان لبيد بن ربيعة ، ص 298):

وجلا السيول عن الطلول كأنها زبر تجدد متونها أقلامها

وهنالك شعر جاهلي ذكر فيه المطر مقروناً إلى الريح ،و تعاقب الريح والمطر أقوي في التأثير على الأطلال من المطر منفرداً يقول زهير( ديوان زهير ، ص 86\_87) :

لمـن الديـار بقـنة الحجــر أقوين من حجج ومن دهـــــر

لعب الريـاح بها وغيـرها بعدي سوافي المور والقطـــر

وقال النابغة ( مرجع سابق ص123) :

أرسما جديداً من سعاد تجنب روضة الأجداد منها ، فيثقب

عفا آيه ريح الجنوب مع الصبا واسحم دان مـزنه متصوب

ورياح الصبا هي التي تحرك السحاب وتجمعه وهي رياح لها وقع خاص في نفوس العرب لرقتها ومجيئها بالمطر وفيها الخصب والنماء ،تحلب السحاب وتدر مائه كما يحلب الأجير النوق ، ويتجمع الرباب ويبرق كالحريق في الغاب إعلاناً بهطول غيثه الذي مل به ، فأخذت الريح اليمانية تسوقه من خلفه لتتلافه رياح الجنوب فتحل عزاليه يقول عبيد بن الأبرص ( ديوان عبيد بن الأبرص . تحقيق وشرح حسين نصار ، مطبعة مصطفي البابي الحلبي وأولاده ،1956م،ص 89) :

سقى الرباب مجلجل الـ أكناف لمــاح بروقه

جـون تكركره الصبـــا وهنـا وتمريه خريقه

مرى العسيف عشاره حتى إذا درت عروقه

ودنــا يضئ ربابــه غابا يضرمه حريقـــه

حتى إذا مـا ذرعـه بالماء ضاق فما يطيقه

هبت له مــــن خلفه ريح يمانيــة تسوقــــه

حلت عزاليه الجنـوب فثج واهية خروقه

يميل لبيد إلى تصوير المشاهد التي يعيشها البدوي في موسم الأمطار فهذه المشاهد تكون لصيقة بالذاكرة يتخذ منها مادة لشعره .

فقد تحدث عن وقت هطول الأمطار بدقة من لحظة البرق الذي يسوق امامه السحاب ، ثم يسكن ليعاود الظهور من جديد يقول في هذا المعنى( مرجع سابق ،ص 29 ):

يا هل ترى البرق بت ارقبه يزجى حبيا إذا خبا ثوبا

يشبه صوت الرعد و جلبته ، بصوت أغنام أريد تقسيمها لينال الرئيس حقه منها ، وقد حيل بينها و بين صغارها ، فملئت الأفاق جلبة وضوضاء( مرجع سابق ) :

كأن فيه لما ارتفقت له ريطا و مرياع غانم لجبا

ثم تمطر السماء مطــراً ساكناً لا صــوت له في تلك الأودية، و تجمعت أبقار الوحش ، ثم بدأ الماء يسيل في المرتفعات إلى السهول مفرغاً ما فيها من ماء ويأخذ في طريقه ما في السهول و يجعلها نظيفة لا شيء فيها ( مرجع سابق ) :

فجاد رهوا إلى مداخل فالصـــ حرة أمست نعاجه عصيا

ويلتقى سيل (وادي البدوي ) مع سيل ( وادي كلاب ) فيتصارعان في جبروت ، و الذي يتم النصر له يسوق الأخر في سبيله ، فملا هذا السيل ( وادي الدكاء )بالماء كما مليء ساقي الأعجام كاس الخمر ، وكل وادي في هذه الأودية عندما تفيض بالماء مسايله يأخذ في طريقه جذوع الأشجار و الفروع (مرجع سابق ، ص 30) :

لاقى البدي الكلاب فاعتلجا مـوج اتييهما لمن غلبـــــا

فدعد عاسرة الدكاء كمـــا دعدع ساقي الأعاجم التربا

فكل واد هدت حوالبــــه يقذف خضر الدباء فالخشبا

يصف لبيد مظاهر تلك الطبيعة ، ويرسم لها صورة حيه مليئة بالحركة صورة الطبيعة البكر ، التي تبدو وتتجلى عندما تهطل الإمطار ، على تلك الأرض المستوية في ارتفاع ، والتي تزينها نباتات كثيرة الألوان . أقامت عليها سحابة (مرجع سابق):

وغيث بدكداك يزين وهــادة نبات كوشي العبقري المخلب

اربت عليه كل وطفاء جونة هتوف متى ينزف لها الوبل تسكب

بذي بهجة كن المقانب صوبة رزنية اطراف نبـــت مشرب

هذا ويصف مشهد حمير الوحش السود وهي قائمة علي ارجلها في الاماكن الوعرة وفي مجري الماء ، وبجانبها النعام الأبيض اللون يرعي أثنين أثنين، ما في السهول وفي مصاب المياه (مرجع سابق ):

وصحم صيام بين صمد رجلة وبيض توأم ميث مذنب

كأنه شعلة بدأ ضؤها ليخبو ، لأنه بات ، مع أصدقائه مسهدين قد اخذ منهم الارق مأخذا بعيدا ، وهم يترقبون ظهور البرق وعندما يلمع البرق تبدو السحب المتراكمة

في ضوئه ، كأنها من شدة سوادها أحباش يحملون في أيديهم الحراب المشرعة ، أما الرعد فيصوت بإلحاح وشدة ، كأنه ابل استبد لها الضيم لان صغارها قد عزلت منهم تبكى وتنوح ويقول (1) :

أصاح ترى بريقا هب وهنا كمصباح الشعيلة في الزبال

أرقت له وانجد بعد هدء وأصحابي علي شعب الرحال

يضيء ربابة في المزن حبشا قياما بالحرب وبالإلال

افرغ السحاب ما فيه من ماء في ربوع الرباب ، وتجمع الماء بين تلك الصخور الضخمة في الهضاب ،وسار الماء محدثا سيلا يجري بشدة ، فافزع وحوش جيل صاحة ، وانزلها من اعاليها ، ثم سار في اتجاه القرى التي تقع يمين مسيره واتجه يسارا نحو جبال كورى يقول (مرجع سابق ، ص88) :

كأن مصفحات في ذراه وأنواحا عليهن اعالي

فافرع في الرباب يقود بلقا مجوفه تذب عن السحال

واصبح راسبا برضام دهر وسال به الخمائل في الرحال

وحط وحوش صاحةمن ذراها كان وعولها رمك الحمال

علي الإعراض أيمن جانبيه واسري علي كوري اثال

يواصل وصف ذلك المشهد واقفا طويلا امامه مفصلا القول فيه ذاكرا ان هذا المطر الشديد قد هطل من السحابة علي جهة (المحلين ) وسال منها وكونت سيلا عظيما بدأ حبل البقا ـ فكان امواجه جمل عظيم الهيئة بطئ الحركة لعله في سنامه ، يأخذ في طريقه شجر الشت ، التي في أعالي الجبال (مرجع سابق ، ص 90):

واردف مزنه الملحين وبلا سريعا صوبه سرب الغزالى

فبات السيل يركب جانبيه مــن البقاء كالصمد التفال

اقول ، صوبه مني بعيد يحط الشت من قلل الجبال

**الخاتمة :**

الحمد لله الذي وفقني لإتمام هذا البحث الموسوم بــ "الطبيعة في الشعر الجاهلي " ومن خلال معالجة موضوعاته توصلت إلى عدد من النتائج يمكن إجمالها في الآتي :

**أولاً :** كانت صورهم في رسم الطبيعة صور متحركة تشع فيها النشاط والحيوية، اذ يخلع عليها الشاعر من مشاعره الفياضة حسا إنسانيا فتغدو ذات نفوس تفرح وتحزن .

**ثانياً :** طغت صور البداوة على شعر الطبيعة في وصف الأطلال والظعائن ووصف الحيوان .

**ثالثاً :** يعتمد شعر الطبيعة على التشبيه والاستعارة حيث يقرن الشاعر صورة بصورة وتشخيص الأمور وذلك بإبرازها في صور شخوص وكائنات .

**رابعاً :** عناية الشعراء بالوصف الحسي الدقيق وذكر التفصيلات وتسجيل جزئيات الموضوع وصبغ المشاهد المرسومة بألوان زاهية قوية التأثير .

**خامساً :**التصاق الشعر بالبيئة الجاهلية فكانت مصدرا استقى منها الشاعر صوره وتشبيهاته.

**المصادر والمراجع :**

1/ الأدب الجاهلي ، غازي طليمات وعرفان الأشقر ،دار الفكر المعاصر ، بيروت 2002م.

2/ الأصول الفنية للشعر الجاهلي ، سعد إسماعيل شلبي ، حدائق القبة ، 1982م القاهرة .

3/ أمالي المرضي ـ القسم الأول ـ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ـ دار الكتب العربية ـ ط 1 1954 م.

4/ جمهرة أشعار العرب ، أبوزيد محمد القرشي : تحقيق علي البجاوي ،نهضة مصر.

5/ ديوان امري القيس ،بيروت ،دار صادر 1958م .

6/ ديوان طرفة، تحقيق : كرم البستاني ، مكتبة صادر ، بيروت 1953م .

7/ ديوان عبيد بن الأبرص . تحقيق وشرح حسين نصار ، مطبعة مصطفي البابي الحلبي وأولاده ،1956م.

8 / ديوان لبيد بن ربيعة ،: تحقيق وشرح إحسان عباس ، وزارة الإرشاد والأنباء ، الكويت .

9/ ديوان النابغة . ابن السكيت , تحقيق شكري فيصل , دار الفكر بيروت .

10/ شرح المعلقات السبع أبو عبد الله الحسين بن احمد الزوزني ،الرياض، بدون تاريخ .

11 / الصناعتين , أبو هلال العسكري , مطبعة صحيح بدون تاريخ .

12/ المفضليات , المفضل الضبي , شرح الأنباري ,تحقيق كارلوس يعقوب , دار المثنى , بغداد 0.

13 / المياه في الشعر الجاهلي , د. مزمل حسن يوسف , دار النشر، الخرطوم 2002م ـ.

**تقنيات علم الآثار الحديثة واسهامها في تطوير العمل الاثاري**

**(حقل الآثار السوداني نموذجاً)**

د. يوسف العبيد السيد الشيخ

أستاذ مساعد بقسم الآثار والمتاحف -كلية الآداب جامعة شندي

**Email:guba69**@yahoo.com

**ملخص البحث :**

يستعرض هذا البحث اسهام التقنيات الحديثة في مجالات الكشف والتوثيق والتسجيل والتوريخ في تطوير العمل الآثاري كما يوضح علاقة علم الآثار بالعلوم الاخري ومدي استفادته منها مثل علوم الحاسوب والبرمجيات والتصوير الميكروفيلميوالمسح الليزري ثلاثي الابعاد ونظم المعلومات الجغرافية فيما يتعلق بتسجيل وتوثيق المخلفات وتنظيم البيانات وحفظ الوثائق وادارة المواقع الآثرية والتقنيات الجيولوجية والجيوفيزيائية الحديثة في عمليات الكشف الآثري كما يعرض الاستفادة من تقيات هندسة المساحة ومساعدتها في تنظيم عمليات المسح والتنقيب في حقل الآثار .

كما يعرض البحث مشاكل الاعتماد علي التقنيات التقليدية فبسبب الاعتماد على تقنيات تقليدية يسير العمل في حقل الآثار بوتيرة بطيئة و الاعتماد على مثل هذه التقنيات كان سبباً رئيسياً في حصر رقعة العمل في مناطق ضيقة وتسبب في ضياع الوقت والجهد والمال.

كما أن أرشيف البيانات الضخمة التي تحويها المكتبات وأطنان القطع الأثرية المكدسة في المتاحف و المخازن وآلاف تقارير البحث الأثرى ونتائج الحفريات لم تجد حظها في الحفظ الآمن و التحليل و العرض و النشر. ويكمن الحل في اللجوء الي استخدام تقنيات مبتكرة في العمل الأثري والاستعانة بعلوم كان لها دور كبير في تطوير العمل الأثري ودفعه والعمل علي ادخال هذه التقنيات وتدريب الكوادر الوطنية علي استخدامها كما يناقش البحث الاوضاع الحالية لاستخدام التقنيات الحديثة ومقارنتها بالتقنيات التقليدية المستخدمة حالياً والنتائج المنتظرة لاستخدامها ومساهمتها في إنشاء مشروع خريطة السودان الأثرية الرقمية وتحديث عمليات الكشف والتسجيل والتوثيق و التخزين و العرض و التحليل وتنظيم البيانات وإحداث تطور ملحوظ والمساعدة في الكشف عن الكثير من الحقائق و تقليل الوقت والجهد والتكلفة والحفاظ على الآثار والمواقع الأثرية وزيادة رقعة الاراضي الممسوحة والمنقبة اثارياً والمساهمة في الوصول الي المناطق غير الآمنة او المعزولة طبيعياً .

المتتبع للعمل الاثرى في السودان واستخدام التقنيات الحديثه في مجال الآثار يلاحظ تطورا ملحوظا في استخدام التقنيه منذ نهاية القرن التاسع عشر و مرورا بالقرن العشرين وما واكب ذلك من تطور في التكنولوجيا وقد كان للبعثات الاجنبيه دوراً كبيراً في تطوير التقنيات الحديثه المستخدمه في السودان الامر الذى ساعد كثيرا في الاجابة على العديد من الاسئلة في مجال البحث الاثرى وقد شمل التطور مجالات التصوير الفوتغرافى و تصنيفات المواقع الجغرافيه للمواقع الاثريه ومجالات اخرى مثل :-

**1/ الاستشعار عن بعد:-**

 يعرف علم الاستشعار عن بعد على أنه علم استخلاص المعلومات  والبيانات عن سطح الأرض والمسطحات المائية باستخدام صورة ملتقطة من أعلى، بواسطة تسجيل الأشعة الكهرومغناطيسية المنعكسة أو المنبعثة من سطح الأرض.

 يعد الاستشعار عن بعد من احدث التقنيات المستخدمه في الكشف عن الاثار و المساعده في عمليات التوثيق الاثرى ويعود استخدامه في تحليل الظواهر التضاريسه و الاثريه الى فترة السبعينات . ويعتمد الاستشعار عن بعد على صور الاقمار الصناعيه المرقمه ويؤدى تحليل هذه الصور الى معرفة التشكيلات البيئيه القديمه وانماط المواقع الاثريه المختلفه هذا بالاضافه الى تقيم العلاقه الزمنيه بين الموارد البيئيه و المعالم الاثريه .لعب الاستشعار عن بعد دوراً مساعداً في البحث عن الاثار وتوثيقها في مناطق عديده من العالم وخاصه في امريكا الجنوبيه عندما تم التعرف على عدد كبير من المواقع الاثريه الهامه .

ينبني الأساس العلمي للاستشعار عن بعد على فهم الطاقة الكهرومغناطيسية لتفسير المعلومات الخاصة به لذا من المهم معرفة أساسيات الإشعاع الكهرومغناطيسي وتفاعلاته مع المواد الأخرى.

ترتبط مكونات الاستشعار عن بعد بالطاقة الكهرومغناطيسية(المرئية منها وغير المرئية) وهي الطاقة التى تسير بسرعة الضوء وتتكرر بانتظام وترتبط كذلك بالطاقة المستنبطة وهى التي تستخدم جزء من المجال المغناطيسي مثل الموجات الصوتية وأشعة المايكروييف والأشعة السينية وأشعة جاما التى يتم فيها ارسال الترددات الصوتية اوالاشعاعية من جهاز الإرسال باتجاه الجسم (الهدف) ثم استقبال المرتد منها على جهاز الاستقبال ومن ذلك يتم الحصول على المعلومات عن الهدف (احمد ابو القاسم الحسن وعباس سيد احمد محمد 2011م ، ص11)

**التصوير بالاقمار الصناعيه**:-

تتراوح مستويات التصوير بالاقمار الصناعية بين التصوير المنخفض (500-200كلم) و التى تعطى معلومات على مدى فترات زمنيه تتراوح بين اسبوع الى ثلاثه اسابيع وهذه المعلومات يمكن الاستفاده منها فى الابحاث الاثريه والتصوير المرتفع 1000كلم والذي ينتج صور اضعف ويعطى فترات زمنيه طويله (عام) ويوفر معلومات قليله لذا فان الاعتماد عليه فى الابحاث الاثريه صعب .

حديثاً توصل العلماء الى صور اقمار صناعيه عالية التحليل ساعدت على عمل خرائط طوبوغرافيه ذات مقياس رسم كبير(1:2500) و (1:10000) وهى الخرائط المطلوبه و المميزه للفهم الصحيح للعلاقه الزمنيه بين المواقع الاثريه و الموارد البيئيه التى اعطت دفعه كبيره للبحث العلمى فى هذا الاطار وقد ساعد استخدام وسائل الاستشعار عن بعد المختلفه مثل تحليل الصور الجويه وصور الاقمار الصناعيه و الوسائل الجو فيزيائيه ساعد على توفير معلومات هامه عن المعالم الاثريه غير متوفره على الارض دون استخدام هذه الوسائل .

استخدمت تقنيات الاستشعار عن بعد فى السودان فى عدة مواقع اثريه وذلك بغرض البحث العلمى و التوثيق و منها على سبيل المثال :-

1/ منطقه الجيلى تقع على بعد 40كلم شمال الخرطوم واستخدمت تقنيات الاستشعار عن بعد بواسطة البعثه الاثريه الايطاليه لجامعة روما لابحاث ماقبل التاريخ و كان ذلك بغرض توثيق المخلفات الاثريه و معرفة العلاقه بين هذه المخلفات و التغيرات الجيومورفلوجيه التى طرات على مجرى نهر النيل منذ عام 7000 ق.م حيث تم التوصل الى ان النيل القديم غير مجراه الى ناحية الشرق ثلاث مرات تاركا دلائل رسوبيه (terraces) ومخلفات مواقع اثريه ترجع الى العصر الحجرى الوسيط وساعد بصوره فعاله على معرفة انماط الاستيطان المختلفه فى المنطقه

2/ ايضًا بتحليل صور الاقمار الصناعيه (land sat) وتطبيقاتها فى المجالات الجيومورفولوجيه و الاثريه تم التوصل الى اكتشاف هام فى الصحراء الغربيه السودانيه حيث استطاع الفريق الالمانى لجامعة كولون التحقق من ان وادى هور كان فرعًا لنهر النيل فى فترة الهولوسين (Early holocene) .

هذا بالاضافه الى اكتشاف العديد من المواقع الاثريه التى تعود الى العصر الحجرى الوسيط والعصر المروى و المسيحى .على ضفتى الوادى و الذى يبلغ طوله 400كلم وعرضه 10كلم ، ويعتبر المختصون ان منطقة اسفل وادى هور هى المفتاح لفك طلاسم و اعادة بناء تشكيلات البيئات القديمه و التغيرات المناخيه و الاثاريه فى منطقه جنوب الصحراء فى فترة الهولوسين ( قسم السيد و عبدالرحمن علي 1998 ص213-214) حديثاً اصبح استخدام المرئيات الفضائية امراً معتاداً فى مجال الآثار فى السودان حيث اتاحت بعض التطبيقات مثل برنامج google earth الحصول على هذه المرئيات

**التصوير الجوىAerial photography** :-

يعود اول استخدام للصورالجويه لعام1858م الفرنسي جاسبر فيليكس تورناشون المصوروقائد المناطيد، صورة جوية [لباريس](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A8%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%B3)  واستطاع أرتور باتوت سنة [1888](https://ar.wikipedia.org/wiki/1888) التقاط صورة باستعمال طائرة ورقية. والتقط أول فيلم تسجيلي صامت جوي لمدينة [روما](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B1%D9%88%D9%85%D8%A7) في [24 أبريل](https://ar.wikipedia.org/wiki/24_%D8%A3%D8%A8%D8%B1%D9%8A%D9%84)[1909](https://ar.wikipedia.org/wiki/1909)، مدته 3دقائق و28 ثانية.

لكن [الحرب العالمية الأولى](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B1%D8%A8_%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%8A%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%88%D9%84%D9%89)، ولأسباب استخباراتية، هي من أعطت للتصوير الجوي أهميته. حيث استعملت آلة التصوير الجوي نصف الأوتوماتيكية، والتي صممها سنة [1911](https://ar.wikipedia.org/wiki/1911) المهندس العسكري الروسي الكولونيل بوت كما استخدم التصوير الجوي في بريطانيا فى الميدان العسكرى بواسطة GosparFelix .

اما فى الوطن العربى فيعود استخدامه الى العام 1913 عندما استخدم السيرH.Welcome ومساعدوه طائره ورقيه ثبت فيها صندوق خشبى بداخله آلة تصوير فتوغرافيه موجهه الى اسفل بجانب حبل الطائره و ذلك لتصوير المواقع الاثريه المراد التنقيب عنها فى موقع جبل مويه بولايه سنار اواسط السودان ( Addison .1949. P6 ).

لاحقًا فى الفتره 1925-1932 استخدمت لدراسة التحصينات الرومانيه فى سوريا و العراق بواسطة العالم الفرنسى Poid Elpard 1878-1955 وهو يعتبر المرجع الاول لعلم التصوير الجوى و الذى حدد ملامحه و قواعده

##### اهمية التصوير الجوى :-

1/ الحصول على مشاهده واسعه نسبياً و السماح بالقيام برسوم خرائطيه

2/توفير معلومات دقيقه وشامله عن المواقع الاثريه وابراز معالمها بابعاد ثلاثيه

3/يساعد على اكتشاف الانقاض المغموره.

4/معرفة تغيرات المشاهدات بين الصور القديمه والحديثة لذات الموقع .

5/توفير وثائق تمكن من دراسة متأنيه. وهذا هو الهدف الأسمى من هذه العمليه.

وتعتمد فكرة تحديد المواقع الاثريه بالصور الجويه على اختلاف درجة اللون فى الصوره الفوتغرافيه نتيجه لعاملين

1. الاختلاف الناتج من قوة انعكاس السطوح على الارض (ظل الموقع)
2. الاختلاف الفصلى فى لون النباتات الناميه (Crop.Marks) و بالنسبه للنباتات المزروعه فى المناطق الاثريه يكون لونها داكنًا و كبيرة الحجم اذا ما قورنت بالنباتات الناميه فى المناطق المجاوره ، اذ ان النباتات الناميه فى المواقع الاثريه تستفيد من الطبقات الترابيه الموجوده فى الخنادق المحفوره او المواد العضويه الموجوده فيها . على ذلك فان البقع الداكنه فى لون الزرع فى الصور الجويه تشير الى وجود حفره قديمه.

لذا من الضرورى عند القيام بعملية التصوير اختيار نوع الفيلم الذى يناسب المنطقه المراد تصويرها.

ان استخدام الصور فى كشف وتوثيق الاثار يعتبر انجح الطرق و اسهلها كما انها اقتصاديه اذا ما قورنت مع الطرق المباشره وغير المباشره فى الكشف عن الاثار هذا بالاضافه على انها تساعدعلى معرفة انماط وتوزيعات المواقع الاثريه المختلفه ومعرفة هذا التوزيع يعتمد اعتمادا مباشرًا على نوع التربه، الغطاء النباتى، درجة الرطوبه، الفصل، زاوية المشاهده ، و العوامل المترولوجيه المختلفة (صديق محمد قسم السيد و عبد الرحمن على محمد 1998 ص ص214-215).

طبقت تقنيات الصور الجويه فى توثيق العديد من الاعمال الاثريه للمواقع المختلفه و خاصه فى حملة انقاذ اثار النوبه نتيجه لانشاء السد العالى حيث غمرت المياه حوالى 113ميل من اراضى النوبه السودانيه ويعتبر اقليم النوبه من الناحيه الاثاريه من اغنى المناطق الاثريه بالسودان حيث يضم اثار الحضارات و بقايا المدنيات منذ العصور الحجريه الى فتح محمد على باشا للسودان عام 1820م .

ضمن اعمال الانقاذ قامت الهيئه القوميه للاثار و المتاحف عام 1959 بالتصوير الجوى لكل المنطقه التى ستغمرها مياه بحيرة السد العالي (شكل 1) توطئه للبدء فى العمليات الاثريه وقد ساعد هذا كثيراً على تنظيم و تنفيذ المسح الاثرى و تضمن المسح الجوى ثلاث عمليات تصويريه خدمت كل عمليه منها غرضا معينا مثل :-

1. صور جويه استخدمت اساسًا في تحضير الخرائط اذ لم يكن هناك خرائط مناسبه من قبل وهى الخرائط الازمه للمسح الاثرى .
2. صور جويه خصصت للاستفاده منها فى عمليات البحث عن الاثار لانها تبين بوضوح المواقع الاثريه كما انها كثيرا ما تظهر علامات توحى بوجود شيئا ما فى بقعه معينه مما يستلزم التحقق منها اثناء سير عملية المسح الاثرى
3. صور جويه اخذت من ارتفاع منخفض لبعض المواقع الاثريه المهمه و كانت ذات قيمه عظمى فى رسم خرائط دقيقه للحفائر فى تلك المواقع كما انها ساعدت كثيرا على توثيق وتخطيط و تنظيم التنقيب فيها.

وللاستفاده القصوى من هذه الصور تم عمل فهرس لها بجانب ملف دائم يحوى جميع الصور ووضحت مواقعها بالارقام على خرائط رئيسيه و اخرى عباره عن صور جويه ضخمه لكل المنطقه عملت من عده صور فعندما يراد القيام بمسح اثر ى فى منطقه خاصه يقوم عالم الاثار المسؤول بمعاينة هاتين الخريطتين وياخذ منهما الصور الجويه التى تشمل المنطقه التى يريد العمل بها .

وعند ئذ يحصل على الصور التى يحتاج اليها من الملف الدائم للصور فى لحظه واحده ثم يقوم بفحصها فحصًا دقيقًا بالمجساد ( Stereoscope ) قبل الذهاب الى ساحة العمل ويبين المناطق التى تستحق عنايه خاصه عند البحث كما يمكنه ان يلاحظ المعالم التى يمكن الاستدلال بها على الاماكن سالفة الذكر فعند اكتشاف موقع يبين مكانه بعمل ثقب بدبوس فى الصوره ثم ترسم دائره حول هذا الثقب على ظهر الصوره نفسها ويكتب بجانبها رقم الموقع وهكذا يمكن توضيح و تسجيل المواقع الاثريه بسرعه فائقه او بصوره دائمه بدون ان نشوه الصوره الجويه واذا تعرضت هذه الصور لاى ضوء يمكن ان ترى جميع المواقع الاثريه المبينه عليها ، لاحقا يتم نقل مكان المواقع الاثريه التى تم اكتشافها من الصور الجويه الى الخريطه الرئيسيه. ( نجم الدين محمد شريف بدون تاريخ ص ص7-8 )

ومن استخدامات التصوير الجوى ايضا بالسودان اعمال البعثه اليابانيه التابعه لمركز دراسات الشرق الاوسط و الهيئه القوميه للاثار فى ولاية البحر الاحمر حيث قامتا باعمال مسح اثرى لساحل البحر فى عدة مواقع اهمها موقع عيذاب 23كلم شمال حلايب وذلك خلال اغسطس 1991 وقد قامت البعثه بعمل مسح طبوغرافى وتصويرجوى مستعمله طائره بدون طيار موجهه إلكترونيًا وحصلت على صور جويه لكل المنطقه الممسوحه مما ساعد على اكتشاف و توثيق العديد من المواقع الاثريه على ساحل البحر الاحمر وقد توفرت الكثير من الصور الجوية لعدد من المواقع الاثرية فى الاونة الاخيرة .

**استخدامات تقنيات المساحه:-**

تم الاستفاده فى علم المساحه فى تحديد للمواقع الاثريه على الخرائط ومعرفة ارتفاع او انخفاض الموقع بالنسبه لسطح البحر او الارتفاع الشامل او بالنسبه لمستوى معين ومبدأ المسح الاساسى اقامة هيكل فى خطوط و نقاط معروفة الموقع ويستعان بالهيكل فى تخطيط التفاصيل وقد يتكون الهيكل من معالم قائمه فى الطبيعه هذا بالاضافه الى اقامة عدة نقاط و خطوط مستقيمه فى مواقع مناسبه للاسترشاد و الاستدلال بها فى كل تفاصيل الخريطه التى سوف ترسم.عادة تجرى عمليات المساحه بغرض التسجيل و التوثيق اثناء عمليات المسوحات الاثريه وقبل اجراء الحفريات و اثناءها وبعد الانتهاء منها علاوة على مخطط الحفريات وتحديد مواقع المكتشفات الاثريه اضافه لعمل خرائط لتخليص الاستنتاجات التاريخيه و التعميمات التى يتم التوصل اليها مثل الانتشار الجغرافى للمواقع الاثريه وابراز العلاقه بين الموقع الاثرى و المعالم الطبيعيه الظاهره و المحيطه به .

هناك العديد من انواع الخرائط الطبوغرافيه ولكن.الذى يهمنا فى الاعمال الاثريه هى الخرائط المساحيه المستويه التى تبحث فى رسم الخرائط على اساس ان سطح الأرض مستوى وتستعمل لاظهار المناطق الصغيره و المتوسطه وتنقسم الى :

1. خرائط المساحه الطبوغرافيه :-تهدف الى بيان معالم الطبيعه و الانشاءات كما تبين تضاريس الارض ويكون مقياس الرسم فيها متوسط 1:2500 أو1:5000
2. خرائط المساحه التفصيليه و مقياسها 1:2500 .

الغرض من تسجيل و توثيق المسوحات الاثريه هو عكس صوره متكامله للموقع وطبيعة الظروف التى صاحبته وتطوراتها وذلك بغرض نشرها.

ولعمل خريطه لابد من عمل نقطه ثابته لمستوى سطح البحر . و يتغير مستوى سطح البحر حسب ظاهرة المد و الجزر . لذا تؤخذ القراءات على فترات طويله ثم يؤخذ المتوسط المطلوب لمستوى سطح البحر فى المنطقه المراد عمل الخريطه لها.

بالنسبه للاعمال الاثريه من الانسب ان تكون النقطه الثابته هى اكثر النقاط انخفاضًا فى الموقع على ان تكون هذه النقطه ثابته ودائمه .

اجهزة المساحه المستخدمه فى التسجيل و التوثيق تتراوح ما بين استخدام المقايس الشريطيه و المعدنيه واجهزة Level /Theodolite ومن الاجهزة الحديثة جهاز التوتال استيشن ثيودلايت(Total station thedolite) .

ان اعمال المساحه على اهميتها فى التسجيل الاثرى قد تقف مكتوفة الايدى ان لم تسجل كل البيانات الماخوذه بالابعاد و القياسات على مخطط بمقياس رسم محدد و اتجاه معلوم و اعمال الرسم التى يحتاج اليها التوثيق الاثرى كثيره منها رسم الخرائط الطبوغرافيه ،رسم مخططات الحفر ،رسم القطاعات مع تحديد الارتفاع ،الرسم المعمارى ،رسم الفخار ،ورسم المقتنيات الاثريه و تفاصيل الزخارف .

### استخدامات الدراسات البيئيه فى المواقع الاثريه :-

تكمن اهمية الدراسات البيئيه فى عاملين اساسيين:-

1-تحديد طبيعة ميدان العمل الحقلى ومدى الاعتماد على تقنيات دون سواها

2-الالمام الدقيق بجوانب المحيط التى تتدخل بشكل او باخر فى مدى استقرار المخلفات الاثريه مثلا دور التعريه المائيه .

وتوفر المعرفه العميقه للبيئه وتاريخ عهودها الجيلوجيه و خاصه عهدها الرباعى (Quaternary) توفر الوسائل الازمه لفهم التاثيرات على المستوطنات في مراكز التجمع السكانى المختلفه ودراسة مواردها . هذا بالاضافه الى توفير العناصر الطبيعيه الازمه لتحليل المواقع المعقده للدمج بين النشاطات البشريه و الموارد الطبيعيه ايضا ساعدت الدراسات البيئيه على معرفة طريقة انتاج المجتمع البشرى كقاعدة الانتاج القوت المؤدى الى المعرفة المتصله لمتطلبات و احتياجات المستوطنه . هذا بالاضافه الى تفسير نمط الاستيطان ، لتعضيد الدراسات البيئيه يستعان بالدراسات الجيومورفولوجيه(Geomorphology) لمعرفة الاشكال التضاريسيه ونوع التربه ودورها فى اخفاء مؤشرات المواقع الاثريه من فخار و ادوات حجريه و خلافه . وتساعد ايضا هذه الدراسات على معرفة النمط البيئى القديم (Palaeo enviroment) و الذى يساعد بدوره على اكتشاف مواقع صالحه لسكن الانسان القديم وخطوط سيره وهجرته وانشطته المختلفه خاصه اذا كانت محكومه بعوائق طبيعيه .طبقت تقنيات الدراسات البيئيه فى العديد من المواقع الاثريه فى السودان و اهمها الدراسات البيئيه و الجيومورفلجيه المتصله بالدراسات الاثريه فى منطقة الجزيره بوسط السودان وعلى طول النيل الابيض ويعتبر هذاالعمل من اهم الابحاث البيئيه المنظمه المتصله بدراسات العصر الحجرى الوسيط و التى اجريت بالسودان وهدفت هذه الابحاث الى معرفة واعادة بناء البيئات القديمه فى العصر الرباعى و علاقته مع انماط الاستيطان المختلفه على ضفتى النيل الابيض وضفاف المجارى القديمه له (Paleochannels) وكان للمعلومات المستقاه من لدن الدراسات البيئيه في وسط السودان فائده هامه لمعرفة الاحداث البيئيه المماثله على طول نهر النيل ومعرفة انماطها المختلفه(صديق محمد وعبد الرحمن على 1998 ص 220 )

**برسكوب نستري**

وهو جهاز يشبه بريسكوب الغواصة لكن بشكل حفارة تنتهي بآلة تصوير فوتغرافي وهويفيد فى معرفة محتويات المقابر والحجرات فى باطن الارض لتقرير اجراء حفر من عدمه وعلى ضوء الصور الماخوذة يمكن تحديد مايجب عمله ( فوزى عبد الرحمن الفخراني 1993 .ص161)

#### **الوسائل الجوفيزيائيه :-**

تعتمد الطرق الجيوفيزيائية التي يمكن لها مساعدة علم الآثار على استخدام نظريات علم الفيزياء فى الكشف عن التركيبات الجيولوجية للقشرة الارضية والتعرف من ثم على مافي باطن الارض من كنوز سواء كانت اثرية اوغير اثرية وينحصر مايتعلق بهذه الطرق بالحقل الاثري فى طريقتين هما قياس قوة المجال المغنطيسي و تقدير مقاومة التربة للتيار الكهربائي واستخدمت هذه الطريقة منذ عام 1946 وتعتمد على تفاوت الموادالمطمورة فى الارض فى مقاومتها لتخلل التيار الكهربائي لها فمثلاً الصخور الصلدة كالجرانيت والبازلت تكون اعلى مقاومة للتيار من الاحجار الجيرية والرملية (عاصم محمد رزق 1996.ص43)

استخدمت الطريقة السابقة فى موقع الكرو فى بداية موسم 2013 فى اربعة اجزاء من هذا الموقع لتاكيد نتائج مسح مغناطيسي اجري فى الموقع ولمعرفة الامتداد الرأسي للمخلفات التى تم تحديدها بواسطة المسح المغناطيسي  **Mohmed Abdelwhab Mohamed** 2013.p 48))

باستخدام الوسائل الجو فيزيائيه يمكن البحث و الكشف عن الاثار المطموره فى باطن الارض و الحصول على معلومات هامه دون اللجوء للحفريات الاثريه.

و للمواد الاثريه الموجوده فى باطن الارض خواص فيزيائيه مختلفه عن طبقات التربه التى تحويها ويمكن تميزها بسهوله باستخدام الوسائل الجو فيزيائيه المختلفه هذا بالاضافه الى تخريط المواد و المعالم الاثريه واعادة تشكيل البيئه القديمه .

تعتبر فترة الخمسينات و الستينات من القرن العشرين العصور الذهبيه للتقنيات الاثريه وتطبيقاتها فى المجالات المختلفه الا انه فى فترة السبعينات انحسر انتشار هذه الوسائل نوعا ما بدون اى تحسنات وفى الثمانينات طرا ركود نسبى نظرى تبعته زياده فى تطبيقات العمل الحقلى الاثرى .

حديثًا طرأ تطور فعلى فى استخدام التقنيات الجيو فيزيائيه نسبه لاستخدام الكمبيوتر الشخصى فى جمع و تحليل وبرمجة المعلومات الجيو فيزيائيه وساعد هذا كثيرا فى العمليات المعقده .و خلق نظام تحليل معلومات لتحليل النظم و المساعده على عمل الخريطه الكنتوريه للقيم المغنطيسيه ورسم المتغيرات اليوميه فى الحقل المغناطيسى عن قياسات المحطه الاساسيه .

فى الحاضر اصبحت هنالك عدة تقنيات و أجهزة متاحة فى المسح الجيوفيزيائي من اجل فهم طبيعة الترسبات تحت السطحية ويعتمد اختيار واحدة دون الآخر ى على عدة عوامل تتضمن العمق الذي يوجد عليه الهدف المراد كشفه والتركيب الجيولوجي للأرض وطبيعة الاستخدامات الحديثة للأرض ( **Blinkhorn** 2013.p56)

**طرق عرض النتائج الجيوفيزيائية**

ان المشكلة التى تواجه الجيوفيزيائيين العاملين فى الكشف عن الآثار هى كثرة القراءات الحقلية لذا استوجب اختيار طرق جيدة لتمثيل هذه النتائج ووضع صورة مسبطة لها لغرض تفسيرها جيوفيزيائيا ًومن ثم ترجمة هذه التفسيرات الى الناحية الاثرية ومن الطرق المستعملة فى عرض النتائج الجيوفيزيائية:-

1-العرض على شكل مسارات حيث تمثل القراءات باحداثيات سينية وصادية حيث يمثل الاحداثي السيني موقع القراءة بينما يمثل الصادي قيمتها.

2-طريقة الخريطة الكنتورية وفى هذه الحالة ترسم خطوط منحنية تربط النقاط ذات القيمة المتساوية مع بعضها البعض وتحتوي الخريطة النهائية على عدد من الخطوط الكنتورية لكل خط قيمته الخاص.

3- طريقة الرموزsymbols' وفيها يجري تمثيل القيم بواسطة رموز مختلفة وعادة القيم العالية يتم تمثيلها برموزداكنة اوكبيرة الحجم والقيم المنخفضة برموز خفيفة كذلك تستخدم الالوان لتحديد المواقع التى تتركز فيها المخلفات حيث تعطى الوان مختلفة للقيم الجيوفزيائية ( **عزت زكي حامد** 2010 ص ص 137-139).

حديثاً اصبحت تستخدم حزم برامجية حاسوبية لتحول القراءات المغناطيسية الى خرائط تحت سطحية يسهل تفسيرها .

**المسح المغناطيسي:-**

المسح المغناطيسي يستخدم عادة من اجل تحديد الامتداد الافقي للملامح الاثرية وتعتمد تقنية المسح المغناطيسي على التباين بين القيم المغناطيسية للاجسام المدفونة والقيم المغناطيسية للمحيط الموجودة فيه وباواسطة المسح المغناطيسي يمكن تغطية مساحات كبيرة نسبياً فى وقت وجيز مثلاً هكتار(وهو وحدة مساحة تساوي 10,000 متر) ونصف الهكتار فى اليوم

**Mohmed Abdelwhab Mohamed** 2013.p 48)).

.هنالك طريقتان لعمل القياسات المغناطيسيه للكشف عن الاثار :-

(1)قياس المنحنى العمودى للمجال المغنطيسى الكلى للمنطقه بواسطة جهازPretonmagnetometer حيث يثبت عمودا الجهاز الحساسان على مسارات مخططه Gridsystem فى الاتجاه الشمالى –الجنوبى على بعد (0,6متر و 1,06 متر) فوق سطح الارض.

(2)قياس منحنى البعد الثالث (Z) للمجال المغناطيسى الكلى بواسطة جهاز Fluxgate.Magnetometer. نسبه لصغر المجالات و المتغيرات المغناطيسيه للمواد الاثريه و تاثرها بما يعرف(SolarWinds) تؤخذ عاده قراءتان فى منطقتين مختلفتين ويحسب الفرق بينهما للبحث عن المتغيرات المغناطيسيه (Anomalies)

الغرض من هذه الدراسات هو البحث عن الحراره المغنطيسيه فى سطح التربه من المخلفات المدفونه على امل الوصول الى نسبه معقوله مابين بث الاشارات المغناطيسيه و ارتداد الحراره المغناطيسيه(Signal to noise Ratio) هذه الطريقه اثبتت فعاليتها في عدة اماكن من الوطن العربى و في السودان استخدمت في منطقة دنقلا العجوزعاصمة مملكة المقره المسيحيه بواسطة البعثه الاثاريه لاكاديمية العلوم البولنديه في الفتره من 1989-1991. وذلك للتعرف على النمط المعمارى لبعض الاكوام الاثريه و اماكن حرق الفخارحيث طبقت الوسائل المغناطيسيه في الكوم الاثرى) (Hحيث تم التوصل الى قياسات جذب مغناطيسى عاليه ادت الى التعرف الى اماكن حرق الفخار فى الجزء الشمالى الشرقى من الموقع في شكل فرن بنطاقين تبلغ درجة حرارته(60-70 درجة مئوية) وايضا تم التعرف الى المعالم و الاشكال المعماريه للكوم و الذى اعتبرديرا لاغراض عامه يحتوى على خمس فترات سكن سابقه فى الفتره من القرن السابع وحتى القرن الثالث عشر الميلادى وهو عباره عن مبنى مستطيل الشكل (17,5x7 امتار) من الطوب الاخضر اللبن ويؤخذ على هذه الطريقه انها لاتصلح في مناخ ممطر كما ان التجاويف الطبيعيه لاتميز عن المقابر و الكهوف الابعد الحفر.

كما تم اجراء مسح جيوفيزيائي بواسطةجهاز fluxgate gradiometer فى موقع الكوة بواسطة بعثة جمعية الآثارالسودانية فى موسم 2008-2009 وغطى المسح مساحة 5هكتارات فى الاجزاءالشمالية والجنوبية للموقع الاستيطاني وكشف المسح عن عدد من المبانى المبنية بالطوب اللبن كانت مطمورة داخل الارض (Derek 2009, p76 )

وكان ذات الجهازاستخدم فى موقع المدينة الملكية بمروي بواسطة الباحث محمدعبدالوهاب فى العام2005.. و كان الباحث شاهداً على استخدامه وعلى استخدام اجهزة مماثلة من جانب البعثة الفرنسية العاملة بموقع مويس وشاهداً ايضاً على استخدام طريقة قياس مقاومة التيار الكهربائي فى المدينة الملكية.

فى عام 2010م اجري مسح مغناطيسي فى موقع سيسبي استهدف الجزء الشمالي الشرقي من الموقع بواسطة صوفي هاي(sophie Hays) وروز فيرابي(Rose ferraby) من المدرسة البريطانية فى روما وجامعة ساوزمبتون وكشفت نتائج المسح عن وجود نشاط حرق فى المنطقة رقم9 بينما كشف فى المنطقة رقم12 وجود محتمل لبقايا مبني من الحجر الرملي

**(Spence– et al** 2011.p35**)**

فى العام 2013 تم اجراء مسح جيوفيزائي لمنطقة المدافن بموقع الكرو ونشرت نتائجه بواسطة الباحث blinkhorn ) (Ed استخدم في هذا المسح جهاز (fluxigate gradiometry) لتميزه فى تحديد مختلف الترسبات الأثرية كما انه يوازن بين الدقة العالية والتغطية الواسعة للمساحة فى زمن محدود وكان الهدف من هذا المسح تحديد طبيعة الترسبات الأثرية وتحديد الأهداف للحفر المستقبلي.

صمم المسح الجيوفيزيائي ليجرى فى مخطط شبكي 20 متر وتم مسح لثلاثة حقول فى الموقع يقع الأول شرق الهرم رقم 1 ورمز له باسم الهرم (pyramid) والموضعين الآخرين جنوب الوادي الذي يقسم منطقة المدافن الرئيسية على جانبي مدافن الملكات ورمز لهما باسم قبة 1 (Qub1) فى الجهة الشرقية وقبة (Qub2)2 فى الجهة الغربية وتم مسح منطقة المخطط الشبكي بواسطة جهاز التوتال استيشن ثيودلايت(total station thedolite) وذلك من اجل تحديد دقيق لمواضع المخلفات المطمورة وغطت مساحة الحقل الأول 0.89 هكتار والحقل (Qub1) 0.73 هكتار والحقل(Qub2) 0.56 هكتار.( **Blinkhorn** 2013pp56-57)

في فبراير 2013م اجري مسح جيوفيزيائي مغناطيسي فى موقع اوسلي الذي يقع على بعد 40 كلم جنوب جبل البركل وكان الهدف من المسح استكشاف وجود آثار معمارية اسفل المعبد رقم 1 بالموقع والذي استكشف جز ئياً فى مواسم 2009 و2010 اجري المسح المغناطيسي للموقع بالتعاون مع الاكاديمية البولندية للعلوم بوارسو ممثلاً لها R.S Ryndziewics, و D.W.Swiechوغطى المسح مساحة 6.12 هكتار واستخدم فى اجراء هذا المسح جهاز Geo scan fluxgate gradiometer كشف المسح عن وجود امتداد لمجمع معماري الى الشمال والشمال الشرقي من المعبد رقم 1 ضمن هذا المجمع مبني كبير 30X 40 متر يمتد فى اتجاه شمل جنوب ومعبد صغير اخر يقع الى الغرب من المعبد رقم 1(**Barta et al** 2013.p66)

فى بداية موسم 2013 اجري الباحث محمد عبدالوهاب محمد وهو( جيوفيزيائي واكاديمي سوداني) مسح مغناطيسي فى موقع الكرو باستخدام جهازgeo scan fluxgate gradiometer ولمعالجة البيانات الخام المتحصل عليها من الجهاز استخدم البرنامج الحاسوبي Geoplot اجري المسح فى موقعين على جانبي قناة المياه الحالية وصمم المسح للتحقق عن المنطقة التى يقول المحلين بانها تضم بئر وعن سور المدينة الذى تحدث عنه رايزنر فى عام1919م اعتماداً على نتائج المسح المغناطيسي تم اختيار اربعة مناطق للبحث فيها باستخدام طريقة مقاومة التيار الكهربائي ومايميز هذه الطريقة قدرتها على كشف الترسبات الراسية

**Mohmed Abdelwhab Mohamed** 2013.p 48)).

فى العام 2013 اجري برنامج للجس استهدف منطقة الحزام المزروع بالنخيل فى منطقة الكرو والمنطقة المجاورة له وكان الهدف منه تحديد ودراسة وتعريف مخلفات اثار الاستيطان القديمة فى المنطقة وكذلك معرفة ترسبات انقاض ماقبل المستوطنات الحالية.

اجريت هذه الدراسة فى مساحة 400X 400متر فى شريطين من الارض محصورين بين نهر النيل وقرية الكروالحالية الشريط الصغير فيهما كان فى الارض الصحراوية الممتدة على طول الحد الشرقي للقرية الحديثة وكشف العمل الذي استمر لاسبوعين فى 33موضع بعضها تم تحديده سابقاً بواسطة مسوحات مغناطيسية عن وجود مخلفات اثارية دالةعلى وجود نشاط استيطاني على عمق مترين فاكثر (**Skuldbol**2013.pp50-51) .

**اجهزة المسح الجيوفيزيائي** :-

**جهازGeo scan fluxgate gradiometer**

يعد من احدث اجهزة المسح الجيوفيزيائي لتميزه فى تحديد مختلف الترسبات الأثرية كما انه يوازن بين الدقة العالية والتغطية الواسعة للمساحة فى زمن محدود و يستخدم فى الوقت الحالى فى عدة مواقع اثارية داخل السودان الجهاز عبارة عن قطعة واحدة بها شاشة لقراءة القيم المغناطيسية مما يمكن من الملاحظة الفورية حالة حدوث تغير شاذ فى القيم المغناطيسية ومن ثم التحديد للموقع الذى حصل فيه التغير وهذا من شانه دعم وتوجيه الحفريات الاختبارية،ويتم المسح بواسطةالجهاز بعد تقسيم الموقع الى مسارات طولية وقبل الشروع فى استخدامه يجب ان يضبط الجهاز فى منطقة خالية من أي قيم مغناطيسية شاذة، بعدالمسح يمكن توصيل الجهازبالحاسب الالي لتحويل القراءات والقيم المغناطيسية الى صور وخرائط تحت سطحية واضحة المعالم. (يوسف العبيد 2014 ص58)

**جهاز قياس المجال المغناطيسي الكلي (ماغنيتمومتر) (Magnetometer)**

يتكون جهاز المسح المغناطيسي من لاقط(sensor) بداخله ملف محاط بسائل هيدروكربوني يحتوي على كمية كبيرة من البروتونات التى تعمل كمغنطيس ذوقطبينmagnetic dipole

(**عزت زكي حامد**2010. ص131).

**كاشفات المعادنmetal detectors**

تعمل بذات المبدأ لكنها ليست بذات دقة بقية اجهزة المسح الجيوفيزيائي ومن عيوبها انها مصممة فقط للكشف عن المعادن حيث تصدر اشارات صوتية فى حالة وجود معدن فى محيط عملها من امثلتها جهاز GPX.(المرجع السابق ص 59)

**الرادار الارضى(Geo.Radar)**

استخدم حديثا في الكشف عن الاثارويستخدم لتاكيد المعلومات المستمده من الصور الجويه . يحتوى الرادار الارضى على جهاز متحرك يبث موجات كهرومغناطيسيه توجه الى طبقات الارض لكشف المواد الاثريه تقوم هذه الطبقات بعكس صدى الموجات الكهرو مغناطيسيه الى الجهاز الذى يقوم بتسجيلها بتحليل هذه الموجات المعكوسه يمكن التمييز بين الطبقات الطبيعيه و الترسبات الاثريه و اشكال الفراغات والمغارات الداخليه للمنطقه المراد الكشف عنها وتقسم الى مربعات 0,5 مترمربع واحيانا 1-2 متر مربع وتتراوح فاعلية الموجات الكهرومغناطيسيه المتغلغله في باطن الارض بين(10-20 متر) حيث يمكن تخريط كل المعالم الاثريه في هذا المدى و تعتمد درجة تغلغل الموجات الكهرومغناطيسيه على نوع الطبقات الارضيه و قوة بث الموجات.

**التصوير الفوتجرامترى Photogrametr**

ترجع اصوله الى عام 1850 وكانت هذه الطريقه مستخدمه فى اعداد الخرائط الطوبغرافيه وتسجيل الاثار منذ عام 1920 تؤخذ الصور الاستريوسكوبيه بواسطة الفتوثيودولين وذلك للحصول على تفاصيل دقيقه للمواقع الاثريه و خاصه الابنيه العاليه و التماثيل الضخمه ولعمل رسومات دقيقه لجميع التفاصيل المعماريه و معرفة قياساتها وعمل صور وذلك بغرض التوثيق وخاصه قبل عمليات ترميم المواقع الاثريه .

استخدم التصوير الفتجرامترى فى جمهورية مصر العريبه لعمل صور لتماثيل ابوسمبل الضخمه ولواجهات الكاتدرائيات و تسجيل النقوش البارزة ( **فوزى عبد الرحمن الفخراني** 1993 ص252).

استخدم فى السودان لاول مره فى عام 1993 بواسطة البعثه الالمانيه لجامعة هامبولدت فى موقع المصورات الصفراءالذى يرجع الى العصر المروى وذلك عند ترميم الحوش Geat Enclosure حيث اخذت الصور الاستريو سكوبيه لكل واجهات الحوش الكبير وذلك لتوثيق النقوش و الرسومات البارزه قبل عمليات الترميم الجاريه كما اخذت صور للموقع الاثرى وما حوله من معالم (صديق محمد قسم السيد و عبد الرحمن على محمد 1998 ص 223).

**التصوير المايكروفلمي**

يعني التسجيل المصغر للوسائل والمعلومات على وسط حساس للضوء يعرف بالفيلم وهو يمكن من سهولة تسجيل المعلومة فى صورة مصغرة دقيقة يسهل تداولها وتخزينها وحفظها واسترجاعها وشهداستخدامه تزايداً فى المكتبات والمراكزالبحثية ومراكز المعلومات ودور الاحصاء وغيرها وله دور ومساهمة فى حفظ وصيانة المخطوطات وعملية التسجيل اوالتصوير المايكروفلمي عملية دقيقة تنقل فيها كافة التفاصيل والبيانات من الوثيقة الى مساحة فلميه محددة والنسبة بين ابعاد الوثيقة الاصلية الى ابعاد لقطها على الفيلم تعرف بنسبة التصغير وتتفاوت نسبة التصغير حسب قرب وبعد الكاميرا عن الوثيقة وهنالك اربعة درجات من التصغير هي:-

1-low reduction وهي التي تكون فيها نسبة التصغير اقل من 16مرة اى ان نسبة التصغير 1:16

2- high reductionوهي التي تكون فيها نسبة التصغير بين 31-60مرة

3very high reductionوهي التي تكون فيها نسبة التصغير بين 61-90مرة

4- ultra-high reducionوهي التي تزيد فيها درجة التصغير عن 90مرة

وتسري هذه الدرجات على جميع اشكال الميكروفيلم الملفوفة والمسطحة (مصطفى السيد يوسف2002 م ص ص 203-204)

**اجهزة حفظ المعلومات و توثيقها :-**

ان كل المعلومات التى تتم معالجتها يجب ان يتم الاحتفاظ بنسخه عنها بشكل وثائق او جداول مطبوعه تحفظ هذه الوثائق فى ملفات منظمه حسب الموضوع اما المعلومات الموثقه بواسطة مختلف نظم المعلوماتيه فيمكن حفظها من خلال تسجيل هذه المعلومات على احدى الوسائل المتوفره فى عالم المعلوماتيه وهى:

1/ الابقاء على نسخه من هذه الملفات و المعلومات فى الذاكره المركزيه للحاسوب.

2/حفظ هذه الملفات و المعلومات على اقراص مرنه او على اقراص مكثفه C.D او على اقراص ثابته خارجيه او على اقراص ممغنطه خاصه.

ان التطورات التى عرفها علم الاثار بشكل سريع ولو على مراحل ارست قواعد شبه ثابته و نواة اساسيه فى حقل تقدم العلم لذك فانه من المهم ان يكون هنالك مواكبه علميه و سريعه بين الدراسه الميدانيه و تسجيل المعلومات و توثيقها على ان يتم ذلك باحدث الطرق العلميه التى من شانها وضع منهجية علميه ثابته و تطوير نوع البحث العلمى . (المرجع السابق ص ص48-49)

### الحاسب الالى :-

يعتبر من احدث الوسائل التكنلوجيه الحديثه التى لا ينتهى تتطورها وكل يوم يظهر الجديد فيها مما جعله لا غنى عنه فى شتى المجالات و ممالاشك فيه ان اختراع الحاسوب وتتطوره من اهم الثورات فى تاريخ التطور العلمى وان المعلوماتيه هى بالنهايه وسيلة اداره يمكن استعمالها لتسجيل و توثيق كميات كبيره من الوثائق و المعلومات و بالتالى دراستها و تحليلها و استخلاص الاستنتاجات بطرق سريعه فعاله .

ان الحاسوب قطع شوطًا كبيرًا منذ اختراعه وقد عرفنا منه اجيالا متتاليه حتى يومنا هذا والملاحظ انه يتواجد عدة انظمة للحاسوب لكل من هذه النظم برامج خاصه يمكن استعمالها لتسجيل و توثيق المعلومات و تحليلها و دراستها ان اختيار البرنامج يتم حسب نوع المعلومات المراد تسجيلها ونوع التحليل او الدراسه المنوى القيام بها بالاضافه الى طريقة التوثيق التى يوفرها هذا البرنامج (انيس شعيا 1998ص ص43-44 ) .

فى مجال الاثار يستخدم الحاسب فى كل فروع الاثار التعلميه و البحثيه و تتركز اهميته فى عملية حفظ و تسجيل الاثار و معالجة البيانات و الرجوع اليها فى اى وقت و تتم هذه العمليه كالاتى :-

يتم تزويد الحاسب الالى بالصور التى تخص الاثار ثم نتقوم بادخال البيانات الخاصه بكل اثر تفصيليًا من حيث اسم الاثر، تاريخ الاثر، مكان الاثر الاصلى، و مكانه الحالى اذا كان منقولا، بيان اخر الترميمات التى اجريت على الاثر .

وبواسطة الحاسب الالى يمكن تحويل الصور الى رسومات خطيه يمكن عرضها على هيئه مجسمه بالبعد الثالث ويمكن الاستفاده منها فى الترميم وفى الخرائط التوضيحيه ويمكن استخدامه فى مجال الرفع المعمارى للاثار . كما يمكن استخدام الفيديو مع الحاسب الالى لتسجيل الاثار و الحفاظ عليها عن طريق عمل افلام تسجيليه عن الاثار المختلفه ووضعها على اسطوانات ليزر خاصه بالحاسب الالى و هذه الوسيله من اهم الوسائل المستخدمه فى الحفظ من حيث الجوده وسهولة التنقل . كذلك يمكن استخدامها فى التنشيط السياحى و الدعايه للاثار . يتم توصيل جميع اجهزة الحاسب الالى فى مختلف القطاعات ببعضها حتى تتم الاستفاده القصوى من الحاسب الالى حيث يستطيع اى فرد الحصول على المعلومات التى يحتاج اليها فى اى وقت ممكن فهى بذلك تكون متاحه للجميع .

ومن هنا ياتى الدور البارز الذى تلعبه اجهزة الحاسب الالى فى مجال سرعة اتخاذ القرارات الحاسمه فى الوقت المناسب . اما فى مجال خدمة الباحثين و الدارسين فى مجال الاثار فانه يمكن لاى باحث او دارس ان يحصل على احتياجاته من المعلومات فى اقل وقت ممكن لما يوفره الحاسب الالى من امكانيات بحث هائله و دقيقه جدا حيث يمكن اجراء عمليات بحث متنوعه مثلا معرفة الاثار التى تنتمى الى ملك واحد او التى تنتمى الى اسره معينة ( **محمد الصغير**1998 ص19)

بل وتمتد دقة البحث الى التصاوير على جدران المبانى الاثريه مثلا كل المناظر التى يظهر بها الاله امون فى جميع معابد مملكة مروى ،و فى السودان على الرغم من ان انتشار الحاسوب فى الاثار لم يكن بالصوره المطلوبه الا ان كروت تسجيل المواقع الاثريه و المقتنيات فى الهيئه القوميه للاثار و المتاحف معدة بصوره تسهل كثيرا عملية ادخالها الى الحاسب الالى عند تعميم ادخال نظام الحاسوب فى التسجيل و التوثيق .

كانت قد بدأت الوحده الفرنسيه التابعه للهيئه القوميه للاثار و المتاحف ادخال نظام الحاسوب فى عملية التسجيل و التوثيق للمقتنيات الاثريه كما ان الهيئه قامت يتدريب مجموعه من العاملين بالمتاحف و الكشف الاثرى فى مجال الحاسوب بغرض الاستفاده منهم عند تعميمه فى الهيئه وهى تخطو الى هذا الاتجاه ( **صديق محمد قسم السيد و عبد الرحمن على** 1998 ص228).

فى العام 2013 اطلقت شركة mtn للاتصالاات مبادرة للارشفة الالكترونية لسجلات متحف السودان القومي.

**نظام تحديد المواقع الجغرافيه**:-G.P.S

وهى مجموعة اجهزه حديثه تستخدم لتحديد الموقع الجغرافى لاى منطقه بدقه بالغه عن طريق استقبالها الاشارات من الاقمار الصناعيه و اجراء العديد من العمليات لحساب الموقع الجغرافى للمنطقه المطلوبه .

يعتمد النظام على اشارات للاقمار الصناعيه الموجوده على ارتفاع يزيد على 20 الف قدم و التى تدور فى مدار محدد بشكل جيد و ترسل مجموعة اشارات راديويه ذات موجات نحو الارض تغطى مساحة 40,000 كلم مربع و يستقبل جهاز الكترونى على الارض الموجات والا شارات حيث يقوم بقياس المسافه الفاصله بين القمر الصناعى الاول و الثانى و يشكل من موقعه و موقع الاقمار شكل مثلث و عن طريق قياس الزاويه و المسافه الثابته يتم تحديد المكان و الموقع ومتى تم تحديد الموقع اصبح الامر سهلا لتحديد خطوط الطول و العرض للموقع على سطح الارض بدقه متناهية و يستطيع جهاز GPS على وجه الارض تحديد المسافه التى تفصله عن كل الاقمار الصناعيه التى تدور مداراتها على نحو محدد تماما وان تقاطع عدة اقمار مع سطح الارض يحدد الموقع الدقيق للشخص و الجهاز المستقبل وعلى ضوء ذلك يتم تحديد الموقع حسب الزاويه الواقعه بين قمرين و بين نقطة الاستقبال على الارض و فى حالة تغير موقع الجهاز تتغير زاوية الاستقبال على الاقمار الصناعيه و تعطى اشاره عن هذا التغير الى القمر الذى تم استقبال اشارته بالاضافه الى الحاجه الى معرفة تغير الوقت الذى ترسل به الاقمارو كانت فترة الانتظار فى بدايات هذا النظام لقراءة الاشاره المرسله من الاقمار تزيد على 100 دقيقه وصاحبت هذه الفكره فى بدايتها مشاكل من اهمهاى اختفاء الاقمار ولكن تطور النظام بزيادة عدد الاقمار و تقدم الاجهزه الالكترونيه المستقبله و استخدام موجات مختلفة الاطوال و عملية التشفير و استخدام طرق متعدده فى الارسال بالاضافه الى تقدم علم الالكترونيات الذى اعطى مجالا واسعا للالتفاف حول الاشارات المستقره فادت هذه العوامل الى زيادة دقة اجهزة الاستقبال الأرضية .

الاجهزه المتوفره فى السوق من هذا النظام مجموعه ضخمه بمسميات عديدة و لا تتعدى نسبة الخطأ فى مثل هذه الاجهزه لتحديد الموقع اكثر من متر بل هنالك اجهزه تصل دقتها الى 2سم تستخدم لدى ادارات المساحه فى الدول.

ويساعد نظام G.P.S فى مجال الاثار خاصه فى مجال حماية المواقع الاثريه حيث يتم عمل مشروع مرافق لوحدات الحراسه عن بعد اليًا حيث يعتمد هذا المشروع على تزويد وحدات الحراسه و التفتيش وسيارات شرطة الاثار او سيارات مفتشى الاثار باجهزة رصد الموقع GPSوتتصل هذه الاجهزه بالكمبيوتر المركزى و بغرفة عمليات فى منطقه مركزية وذلك عن طريق موجات الراديو حيث تظهر مسارات السيارات المزوده بالاجهزه اثاء الحراسه على شاشات الكمبيوتر على المحطه المخصصه للمراقبه عن بعد مع امكانية تبادل الرسائل الالكترونيه مع تلك الوحدات لتوجيهها فى اماكنها الى مواقع الاحداث (محمد الشيمي 1998 ص28).

وتستخدم اجهزة GPS لتحديد احداثيات المواقع التى يتم الاستفاده منها فى تقنية نظم المعلومات الجغرافيه GIS حيث تدخل داخل الحاسب الالى لتساعد فى تكوين الخرائط الرقميه ويستخدم نظام تحديد المواقع الجغرافيه GPS فى السودان بواسطة البعثات الاجنبيه العامله و البعثات الوطنيه و امانة الكشف الاثرى بالهيئه القوميه للاثار و المتاحف كما يستخدم بواسطة الهيئات الاكايميه العلميه المختصه بالاثارو البحث مثل جامعة الخرطوم .

**التصوير الرقمى المجسم** :-

التصوير الرقمى للاثار بشكل مجسم يعطى جميع القياسات للاثر فى ابعاده الثلاثه و تخزن فى شكل ملف على الحاسب الالى بحيث انه يتيح لفرق الترميم امكانية قياسات حجم الاثر واطواله و ابعاده و الاستفاده عند ترميم اى جزء من اجزاء الاثر او نقله او تجزئته واعادته الى مكانه وذلك بتوفير كاميرات Djytal الخاصه بالاثار (المرجع نفسه ص29)

**المسح الليزري ثلاثي الابعاد**

وهو وسيلة تستخدم لاخذ قياسات للمواد واظهارها فى شكل ثلاثي الابعاد تم الاستفادة منها فى عمليات تسجيل النقوش وبفاعلية فى عمليات الترميم و وإعادة التركيب للبقايا المعمارية والقطع الاثرية وفى أساليب المحاكاة وعمليات اعادة التصور الافتراضية وقد سبق استخدامها لهذه الاغراض فى حقل الآثار السوداني فى عدد من المواقع

تسجيل المواد بهذه الطريقة له عدة مميزات:-

1. الحصول على بيانات الاثر وإجراء الدراسات عليه من غير الحاجة للمسه
2. وسيلة غير مدمرة.
3. المواد يمكن ان تسجل بمستوى دقة معدل الخطأ فيه اقل من 1مليمتر ويمكن ان تعرض من جميع الجوانب.
4. الزخارف فى المواد المدورة يمكن ان تعرض فى شكل مسطح
5. من خلال البيانات الرقمية يمكن اجراء أي قياسات من غير الرجوع للمادة الاصل (الاثر).

5- يمكن استخدام البيانات لبناء نماذج ثلاثية الابعاد وفى أساليب المحاكاة الحاسوبية واعادة التصور.

6-يمكن إعادة إنتاج المواد بقياسات مختلفة باستخدام البيانات المتاحة.

7-يمكن تجميع كسر المواد وإعادة تركيبها على الحاسب قبل الشروع فى ترميمها في الواقع.

فى مشروع النقعة في الاونة الأخيرة وضمن برنامج التوثيق تم استخدم وسائل حديثة اصبحت اخيراً محل اهتمام الآثاريين وتم اختبارها فى عدة دول لتسجيل المخلفات والمباني المعمارية من بين هذه الوسائلالمسح الليزري والتسجيل ثلاثي الابعاد(3D) والذي تم الاستفادة من مزاياه فى موقع النقعة فى عمليات ترميم الكشك وإعادة إنتاج نقوش حيطان المعبد رقم200 وفى اعادة تجميع وتركيب القطع ووضع تصور للمفقودة منها .

كما استخدمت طريقة التصوير الثلاثي الابعاد فى عملية اعادة انتاج لمذبح من معبد امون بحجمه الأصلي والذى كان يخشى على نقوشه من التلف بواسطة الزائرين للموقع حيث تم تسجيل النقوش الموجودة بواسطة الطريقة واعيد صناعة المذبح على خمسة اجزاء فى المانيا نقلت الى النقعة واعيد تجميعها بواسطة المرممين بينما نقل المذبح الاصلي الى متحف السودان القومي.( **Kroeper 2011p** p101-102)

نشرت فى العام 2013م دراسة اجرتها سوزي قرين (Susie Green) فى موقع جبل دوشا الذي يقع على الضفة الغربية للنيل بين الشلالين الثاني والثالث على بعد كيلومترات قليلة شمال صلب وجنوب جزيرة صاي ويضم الموقع عدة معالم اثرية من بينها مسلة ملكية مستطيلة الشكل تحوى نقوش واضحة ترجع للملك المصري ستي الأول(شكل 28) استهدفت الدراسة عمل صورة مضبوطة عالية النقاء باستخدام مجموعة من الصور الماخوذة مسبقاً للمسلة وعمل اعادة بناء افتراضي للنقش على هيئة نموذج ثلاثي الابعاد الغرض منه توضيح محتويات النقش خاصة التركيب الإملائي واستخدم فى انجازه عمليات تسمى Strucure From Motion تعرف اختصاراً ب(SFM) وهي شكل من اشكال التصوير الفوتغرامتري يتطلب انجازها سلسلة من الصور الماخوذة من زوايا مختلفة حيث يستخدم (SFM) تقنية تسمى bundle adjustment وهى تتطلب على الاقل ثلاثة صور لكل جزء من اجزاء الموضوع محل التصوير (**Green** 2013 PP 18-23)

**وسائل التوريخ**

تستخدم العديد من الوسائل الحديثة فى عمليات التوريخ فى مجال الآثار كطريقة قياس التألق الحراري للفخار ولتحديد عمر قطعة فخار يتم قسمة مقدار التألق الكلي الصادر عن القطعة على مقدار التألق السنوي وطريقة الأرغون بوتاسيوم وطريقة الانشقاق الصخري وطريقة قياس نسبة الفلورين فى العظام ومفداها ان العظام الأقدم هى التى تحوى نسبة اكبر من الفلورين لذا تناسب هذه الطريقة عمليات التوريخ النسبي وطريقة قياس القوة المغناطيسية للأثر وطريقة هيدرات الابسيديان وطريقة رقائق الطمي ومن أشهر الوسائل المستخدمة فى التوريخ طريقة الراديو كربون 14 وهو النظير المشع للكربون 12 وتفيد هذه الطريقة فى توريخ المواد العضوية عن طريق قياس النسبة المفقودة من كربون 14 إذ أن كل كائن حي سواء كان انسان أو حيوان أو نبات يحتوى على نسبة من الكربون 14 تبدأ هذه النسبة بالتناقص التدريجي الثابت بمجرد موت الكائن الحي وللتوريخ بهذه الطرقة يستلزم معرفة النسبة الأصلية ومعرفة مقدار التناقص السنوي ومعرفة النسبة المتبقية للحصول على عدد السنوات التى مضت على عينة منذ موتها ولتسهيل الحساب بهذه الطريقة حدد العلماء ما يعرف بنصف العمر وهو عدد السنوات المطلوب لفقدان نصف كمية الكربون 14 الأصلية وحدد ب5730 استخدمت هذه الطريقة للتوريخ عدد من العينات المأخوذة من مواقع أثرية سودانية وتمت جميع عمليات التوريخ خارج السودان إذ انه لايوجد معمل واحد للتوريخ بهذه الطريقة داخل السودان.

### الخريطه الاثاريه السودانيه:-

عملت الهيئه القوميه للاثار و المتاحف والتى كانت تعرف بمصلحة الاثار منذ انشاءها عام 1902 على التحضيرلعمل الخريطه الاثريه لعموم السودان وتسجيل و توثيق المواقع الاثريه وقد كان للمهندس المعمارى F.Hinkelدور كبير فى اعداد هذه الخريطه .

### الاهداف العامه للخريطه الاثاريه لعموم السودان:-

1. جمع اكبر قدر من المعلومات عن المواقع الاثريه فى السودان تكون فى متناول الباحثين و المهتمين بالاثار السودانيه عند الطلب وتضم هذه المعلومات وصفا موجزا للمواقع الاثريه و الرسومات و الايضاحات و الصور المنشوره وغير المنشوره.
2. جمع المعلومات اعلاه وتوفيرهالانشاء مركز لجمع المعلومات الاثريه فى السودان و فهرستها فى كتلوج واحد

(3) تشجيع الباحثين عن الاثار السودانيه لتطوير البحث الاثرى كما يأمل هذا النظام فى تشجيع الباحثين عن الاثار فى الدول المجاوره لعمل نظام مماثل يساعد على عمل دراسات واسعه عن تاريخ الحضارات الافريقيه .

(4) يساعد هذا النظام على تسجيل و توثيق كل موقع على حده و ربطه بالمصادر المنشوره عنه ( التقارير – المراسلات –المقتنيات الاثريه الخ...). ( **صديق محمد قسم السيد وعبد الرحمن على 1998م ص ص**209-228)

حديثًا استعيض عن نظام ترقيم المواقع الاثريه المرتطبه بالقاره الافريقية بنظام ترقيم يرتبط بنظام الترقيم العالمى . للخريطه العالميه بمقياس(000/ 1:000 ) وهو اساس ترقيم الخريطه الاثريه السودانيه

وقد طبق نظام الخريطه الاثريه في السودان في تسجيل وتوثيق المواقع المكتشفه من خلال المسوحات الاثريه التى تمت في الفتره من (1989-1992) في منطقة الشلال الرابع في الولايه الشماليه وذلك في الدراسات التى اجريت في المنطقه المقترحه لتشيد خزان مروى (الحمداب)و قد بلغ عدد المواقع الاثريه التى تم الكشف عنها حوالى 750 موقع اثرى لمختلف الحقب التاريخيه من فترة ماقبل التاريخ حتى الحضاره الاسلاميه تم تسجيل كل هذه المواقع على كروت تسجل المواقع الاثريه نموزج (1) Antiquites Service Surrvey card

لتفعيل هذا النظام استخدمت حديثا فى السودان اجهزة مسح تقنيه ساعدت فى تسجيل المواقع المواقع الاثريه المكتشفه مثل جهازG.P.S globalPostioning system و الذى يرتبط بالاقمار الصناعيه فى تحديد خطوط الطول و العرض و الارتفاعات فوق مستوى سطح البحر و ساعد بصوره مباشره فى تحديد وتسجيل المواقع الاثريه ( المرجع نفسه ص ص217-219).

**مشروع الخريطة الرقمية لمواقع الآثار السودانية باستخدام نظم المعلومات الجغرافية**

**مراحل تصميم وتنفيذ الخريطة**

هذا المشروع يمثل الجانب التطبيقي لرسالة دكتوراة اعدها كاتب الورقة واجيزت في العام 2014حيث استخدم الباحث برامج نظم المعلومات الجغرافية لانجاز خريطة رقمية اساسها بيانات عدد من مواقع الاثار السودانية المهمة وانجزت الخريطة على عدة مراحل:-

**المرحلةالاولى :**

**جمع البيانات**

تم في هذه المرحلة جمع البيانات الخاصة بالمواقع محل التطبيق وتمثلت البيانات فى الخرائط والصور والصور الجوية والمعلومات الكتابية التفصيلية عن المواقع المنشورة في الكتب والاوراق العلمية والتقارير والدوريات المختصة حيث تم الحصول على معلومات حديثة بعضها تم نشره فى العام 2013م.

**المرحلة الثانية:**

**اعداد البرنامج التطبيقى وادخال البيانات**

فيها تم اختيار حزمة البرامج التطبيقية الحاسوبية حيث تم اعتماد حزمة arcgis9 وهي احد البرامج الخاصة بنظم المعلومات الجغرافية وهي صادرة عن معهد بحوث الدراسات البيئية Enviromental Studies Research Instituite (ESRI ) الرائد فى مجال نظم المعلومات الجغرافية. وتضم حزمة Arcgis مجموعة برامج منها Arc cataloge و Arcmap وتمتاز الحزمة بتوفير خيارات لا محدودة تجاوبا مع رغبة المستخدم لإظهار البيانات على هيئة خرائط رقمية.، في هذه المرحلة ايضاً تم إدخال المعلومات والبيانات التى تم جمعها الى الحاسب الآلي بواسطة جهاز الماسح الضوئي(scanner) كالخرائط والصور والصور الجوية والمخططات و أدخلت المعلومات الكتابية والجداول والسجلات بواسطة لوحة المفاتيح والأقراص المدمجة.(يوسف العبيد 2014 ص258)

**المرحلة الثالثة:**

**تجهيز خريطة الأساس**

تم استخدام خريطة ورقية لمواقع الآثار السودانية منفذة بواسطة ازهري مصطفى من جامعة الخرطوم بمقياس رسم 1:100000 (شكل 2) و قد تم ادخالها الى الحاسب واجراء تعديلات عليها ومن ثم رفعها الى البرنامج لتصبح خريطة اساس يتم تصميم الخريطة الرقمية وفقاً لمعطياتها.

**المرحلة الرابعة :**

**تصميم قاعدة البيانات وتوقيع البيانات مكانياً باستخدام نظم المعلومات الجغرافية:**

فى هذه المرحلة تم تحويل البيانات الورقية التي تم جمعها الى بيانات رقمية وقد تم تحويل الخرائط من صورتها الورقية (خرائط الاساس) (base maps) الى خرائط رقمية وتم إعداد وتصميم خرائط للمواقع حسب الفترات التى تنتمي اليها بجانب خريطة تشمل كل الفترات الزمنية وتم ربط هذه الخرائط الى قواعد بيانات فيها تم تخزين المعلومات المتعلقة بالمواقع.

بجانب الخرائط الرقمية تم فى التطبيق تخزين عدد كبير من الصور الفوتغرافية الخاصة بالمواقع والصور الجوية والخرائط الورقية والمخططات بجانب نماذج من التقارير والاوراق المنشورة حديثاً فى الدوريات المختصة عن بعض المواقع ويتم الوصول الى هذه البيانات جميعها بطريقة ميسرة وسريعة للغاية حيث تعرض جميعها فى صفحة واحدة توفرسهولة تحديد وطلب المعلومة.

وتوجد كل واحدة من الخرائط الرقمية فى وحدة منفصلة تسمى(Theme) ولكل خريطة جدول بياني اوقاعدة بيانات مرتبطة بها تسمى قاعدة البيانات الوصفية(Attribute Data Base) وتعرض كل هذه الخرائط على شاشة واحدة فى الحاسب الآلي تتيح حرية وسرعة التنقل والاختيار بين خريطة والأخرى حسب الطلب من خلال توجيه المؤشر الى اسم الخريطة الظاهر على الشاشة وتوضح المواقع فى هذه الخرائط على شكل نقاط (point features) دائرية الشكل ويكون لكل خريطة رقمية صورة مصاحبة لها عند العرض أي خريطة ورقية اوما يعرف بخريطة الأساس والغرض منها المساعدة فى عرض الشكل الكامل للخريطة وبدونها يكون المنظر عبارة عن مجموعة من النقاط والأشكال التى لايبدو ان هنالك رابط بينها.

يوفر البرنامج التطبيقي كذلك امكانية اعادة انتاج وتعديل وطباعة الخرائط الرقمية أو تصديرها الى برمجيات أخرى يسهل التعامل معها من قبل المستخدمين الآخرين.

فى التطبيق يتم ربط المواقع على الخريطة الى الجدول البياني التفصيلي أي قاعدة البيانات (Attribute Data Base) الخاصة بالخريطة وهي المكان الذي يتم تخزين معلومات المواقع فيه ويستخدم مايعرف بالترميز للربط بين الخريطة والقاعدة البيانية فلكل موقع فى الخريطة رمز يربطه بمعلوماته المخزنة فى قاعدة البيانات ولايوجد مشابه لهذا الرمز فى ذات الخريطة وهذه الخاصية هى التي تمكن من طلب معلومات محددة عن أي موقع فى الخريطة لتظهر معلومات الموقع المختار وحده دون المواقع الأخرى من خلال وضع المؤشر فى موضع الموقع فى الخريطة ليتم استدعاء بيانات الموقع التى سبق تخزينها فى قاعدة البيانات وهذه الميزة نفسها تمكن من حفظ وعرض مقدار كبير من المعلومات يستحيل عرضه فى حالة الخرائط الورقية العادية فالمعلومات فى الخرائط الرقمية تخزن فى قواعد البيانات المتصلة بالخرائط وهذه القواعد توفر امكانيات تخزين ضخمة للغاية وامكانية تعديل وتحديث البيانات المحفوظة فيها وهذا مايمكن من تغيير وتحديث البيانات بسهولة بالاضافة الى امكانية توسيع قاعدة البيانات واضافة بيانات حسب رغبة كل مستخدم دون الحاجة لانشاء خريطة جديدة حيث تصبح الخريطة الرقمية صالحة لاستيعاب اكبر قدر من المعلومات وامكانية تعديل هذه المعلومات وتحديثها عند الحاجة بخلاف الخرائط العادية والتى تمثل أي محاولة تعديل لمعلوماتها تلفها وانتهاء صلاحيتها كما ان مقدار المعلومات الذي يمكن ان تحويه خريطة ورقية عادية يعد محدوداً للغاية إذ انه لايتجاوز حجم الورقة التى رسمت عليها الخريطة وهذا لايقارن بامكانيات تخزين المعلومات فى الخرائط الرقمية بجانب ماتتيحه الخريطة الرقمية من امكانيات تخزين الصور والصور الجوية والمعلومات الكتابية وهذا لايتوفر فى الخرائط العادية.(المرجع نفسه ص 261)

فى حالة التطبيق تم اعداد قواعد بيانات بيانية لتحوى معلومات المواقع المدخلة والتى نظمت فى شكل حقول رئيسية(Fields) لكل حقل عنوان وقد اعدت حقول ضمت حقل رمزالتشفير (ID) وهوالمستخدم للربط بين الخريطة والجدول البياني وحقل خصص لاسم الموقع الأثري (Site) وحقل ثالث للفترة التى يرجع اليها الموقع وعنون ب(Period) ورابع لبيان انواع الموقع طبقاً لوظائفها (Type) وحقل خامس خاص بالموقع الجغرافي للموقع ( location) وخصص حقل لبيان حالة حفظ المواقع (Preservation situation) وحقل اخر لتوضيح نوع عمليات البحث الأثري التي اجريت بالمواقع من مسوحات وحفريات (Investigations) وخصص الحقل الاخير للملاحظات والتعليقات الاضافية ( Comments).

وتنتظم المعلومات داخل الحقول فيما يعرف بالسجلات (Records) حيث يحوى كل حقل عدد من السجلات ويوفر البرنامج التطبيقي امكانية تعديل محتويات الجداول البيانية من حقول وسجلات حيث يمكن اضافة حقول اوسجلات جديدة اوحذفها بجانب تعديل المعلومات الموجودة بها وهنا تظهر مرونة الخريطة الرقمية وقابليتها للتحديث والتوسيع.

تحفظ الجداول او قواعد البيانات فى الوحدة المخصصة للجداول لكن يمكن الحصول على معلوماتها من داخل الخريطة الموجودة فى وحدة العرض حيث تتوفرميزة الحصول على معلومات عن موقع محدد وذلك بوضع مؤشر التعريف الموجود فى البرنامج ويرمزله بشكل الحرف (i) (identify) فى موضع الموقع على الخريطة وبمجرد وضعه تظهر جميع معلومات الموقع فى شكل جدول ، كما يتوفر فى الخريطة امكانية الاستفسار والبحث عن موقع من خلال كتابة اسم الموقع اوالحروف الاولى منه فى وحدة البحث (Find) التى تظهر فى الشاشة على شكل منظار وبعد اعطاء امر البحث يظهر الموقع بلون مختلف اوبحجم اكبر اويحدث وميض.

بواسطة البرنامج يمكن مشاهدة تفاصيل ادق للخرائط والصور الجوية وذلك بالتدرج من المنظر الكامل للاقليم الى التفاصيل وهو مايعرف ب(close up)

كما يوفر البرنامج ميزة اجراء قياسات للمواقع داخل الخريطة ولاجراء عملية قياس يتم تحريك الاداة بواسطة المؤشر فى المساحة المراد قياسها لتظهر نتائج القياس اسفل يسار الشاشة.

ومن اهم مايتوفر فى التطبيق امكانية تحديث البيانات المدخلة من خرائط وجداول بيانية تفصيلية وبهذا يتوفر بجانب سعات التخزين الضخمة والعرض المنظم ضمان تحديث واعادة تنظيم البيانات الخرائط الرقمية التى يتم انجازها وتطويرها ويصبح من الممكن البناء على ماتم انجازه وقد تم انجاز جميع مراحل التطبيق السابقة لتصميم خريطة رقمية لاهم مواقع الآثار السودانية بواسطة حزمة نظم المعلومات الجغرافية Arcgis و سمي هذا التطبيق والذي سوف يعرض على الحاسب الآلي اختصاراً ب(SADM)(Sudan Archaeological Digital Map) .

**المقارنة بين التقنيات القديمة والحديثة**

بين الامس واليوم حدثت تطورات كبيرة فى تقنيات مجال الآثار يمكن ايجاز اهم هذه التطورات فى التالي:-

**فى مجال الكشف الاثري**

اصبحت امكانية الكشف عن المواقع من دون الحاق الضرر بها متاحة بسبب تطورات تقنيات مثل المسح الجيوفيزيائي والتصوير الجوي والاستشعار عن بعد وقد اسهمت هذه التقنيات في:-

أ-حصر العمل داخل حدود الموقع بدلاً من التنقيب فى اماكن قد يتبين لاحقا انها خارج حدود الموقع الاثري

ب- انتاج خرائط تحت سطحية تمكن الاثاريين من معرفة التكوينات الاثرية فى باطن الارض دون اللجوء لحفرها.

ج-تقليل الجهد المبذول والوقت وعدد العامين.

د-المحافظة على ترتيب الطبقات الاثرية ومكونات الموقع الاثري.

ه-تساعد نتائج المسح الجيوفيزيائي فى توجيه تخطيط الحفريات وتحديد تكلفتها حيث اصبح ممكناً معرفةالامتداد الافقي للطبقات الحضارية كما امكن معرفة على أي عمق توجد ترسبات اثرية.

**تحديد المواقع الاثرية جغرافياً**

بعد ابتكار نظام تحديد المواقع العالمي (GPS) اصبح ممكناً تحديد الموقع الجغرافي للموقع الاثري بدقة عالية لايتجاوزمعدل الخطأ فيها امتار بل احياناً سنتيمرات محدودة بينما كان مستخدماً فى الماضي نظام خطوط الطول ودوائر العرض وهو فى الواقع لايمكن مقارنته بالنظام الجديد من حيث مستوى الدقة.

**فى مجال التوثيق**

أ-اصبح الحصول على صور لاماكن النزاعات والمناطق المعزولة طبيعيا كالمستنقعات والصحاري والادغال وتغطية مساحات واسعة فى وقت قصير متاحاً وقد كان هذا متعذراً قبل تطور تقنيات الاستشعار عن بعد والتصوير الجوي.

ب-اتاحت برامج حاسوبية مثل google earth الحصول صورفضائية مباشرة من دون مقابل لاجزاء من الكرة الارضية الامر الذي كان في الماضي يتطلب مدة زمنية كبيرة ويستوجب ميزانية ضخمة.

ج- بعد ظهور نظم المعلومات الجغرافية اصبح تنظيم وتخزين واستعادة المعلومات الاثرية امراً لايتجاوز الضغط على زر فى الحاسب الآلي بينما كان البحث عن معلومة فى الماضي يتطلب البحث فى ارفف المكتبات وبين ثنايا الاوراق.

د-اتاحت نظم المعلومات الجغرافية ادارة البيانات وارشفتها الكترونياً بدلاً عن حفظ المعلومات فى مجلدات ورقية تشغل مساحات كبيرة وتكون عرضة لعوامل التلف.

ه- مكن تطبيق الخريطة الرقمية من تخزين بيانات كل موقع وربطها بموقعه الجغرافي على الخريطة حيث يمكن تخزين التقارير المنشورة عن الموقع وصوره وخرائطه ومخططاته فى مساحة لاتتجاوزحجم النقطة التى تبين موضعه على الخريطة كما يمكن تعديل البيانات المحفوظة عن الموقع دون الحاق أي تشويه بالخريطة.

و- امكن توثيق المواقع والنقوش الموجودة فى المعالم بواسطة المسح الليزري ثلاثي الابعاد حتى من غير لمس الاثر بينما كان تستخدم فى الماضي طرق كالاستمباج مثلاً الذي يدهن فيه النقش بمادة مذابة لاجل ان تطبع فيها صورة النقش.

**في مجال النشر**

اتاح النشر الالكتروني سهولة نشر المعلومات وتبادلها وتوسيع نطاق نشرها وقلل تكلفة ووقت الحصول على المنشورات حيث يمكن الحول على تقرير نشر عن موقع فى استراليا مثلاً لحظة نشر التقرير فى الشبكة العنكبوتية ومن غير مقابل وقد كان هذا الامر يتطلب فى الماضي جهد ومال اكثر.

هذا التطور وهذه الميزات لاتعنى قطعاً الاستغناء عن كافة مناهج وطرق العمل الاثاري القديمة فالحاجة للمسوحات والحفريات الاثرية مازالت موجودة كما ان الرسم اليدوي والتصوير الفوتوغرافي رغم تطور اشكال التوثيق مازال مطلوباً ومعتمداً في العمل الاثري وسؤال السكان المحليين وكتابات الاقدمين والافادة من معلوماتهم للتعرف على المواقع الاثرية مازال فى حالات كثيرة امراً مفيداً رغم تطور سبل اكتشاف المواقع كما ان الاعتماد على تراكم خبرات علماء الآثار وملاحظتهم الحقلية من اجل تحليل نتائج العمل الاثري لايمكن لآلة ان تقوم وحدها بدورهم هذا مهما تطورت وأرى ان الافضل الاستفادة من التقنيات الحديثة لتعزيز بعض التقنيات القديمة التي لاغنى عنها

**الخاتمة:**

شهد مجال الآثار تطورات كبيرة وأصبح لاستخدام التقنية فيه حيزاً اكبر لما توفره التقنية من امكانات وميزات وجد المهتمون بمجال الآثار ضالتهم فيها فأحدث استخدامها ثورة فى مجال الآثار فى مناحى عدة وصار إستخدامها أمراً مالوفاً فى الكثير من الدول ولم يعد استخدامها مقصوراً على المتخصصين فى مجالات التقنية بل تدرب الآثاريون أنفسهم على استخدامها وقد ظهرت نتائج باهرة أوضحت كم هو البون شاسع بين التقنيات التقليدية التى كانت مستخدمة فى مجال الآثار سابقاً وبين التقنيات الحديثة.

فى مسيرة البحث الأثري فى السودان رغم غلبة استخدام التقنيات التقليدية فى اوقات كثيرة الا ان هذا لايجافى ان هنالك استخدام لبعض التقنيات الحديثة فى أوقات متقطعة بيد أن هذا الاستخدام لا يتناسب وحجم السودان وثراءه الحضاري وتعدد مواقعه التى مايزال الكثير منها بكراً لم تمتد اليه يد الدارسون ورغم وجود عدد من المؤسسات البحثية الوطنية المهتمة بمجال الآثار ووجود كوادر وطنية مؤهلة الا ان استخدام التقنية الحديثة فى مجال الآثار فى السودان مازال محصوراً على البعثات الاجنبية لأسباب عدة أهمها عدم توفر التمويل والأجهزة وفرص التدريب الكافية للكوادر المحلية وقد شهدت السنوات الاخيرة تنامي ملحوظ فى استخدام التقنيات الحديثة حيث برزت أهمية المسح الجيوفيزيائي بنوعيه المسح المغناطيسي والممانعة الكهربائية فتم استخدامه فى عدد من المواقع فى شمال ووسط السودان والمبشر ان هنالك مختصاً وطنياً(الجيوفيزيائي محمد عبد الوهاب) بين مجموعة المختصين الأجانب الذين قاموا باجراء مسوحات جيوفزيائية كما تواصل استخدام تقنيات استخدمت مبكراً كالتصوير الجوي وتقنيات المساحة وتنامى استخدام مرئيات الاستشعار عن بعد وظهور تقنية التصوير ثلاثي الأبعاد وأساليب المحاكاة وإعادة البناء الافتراضية.

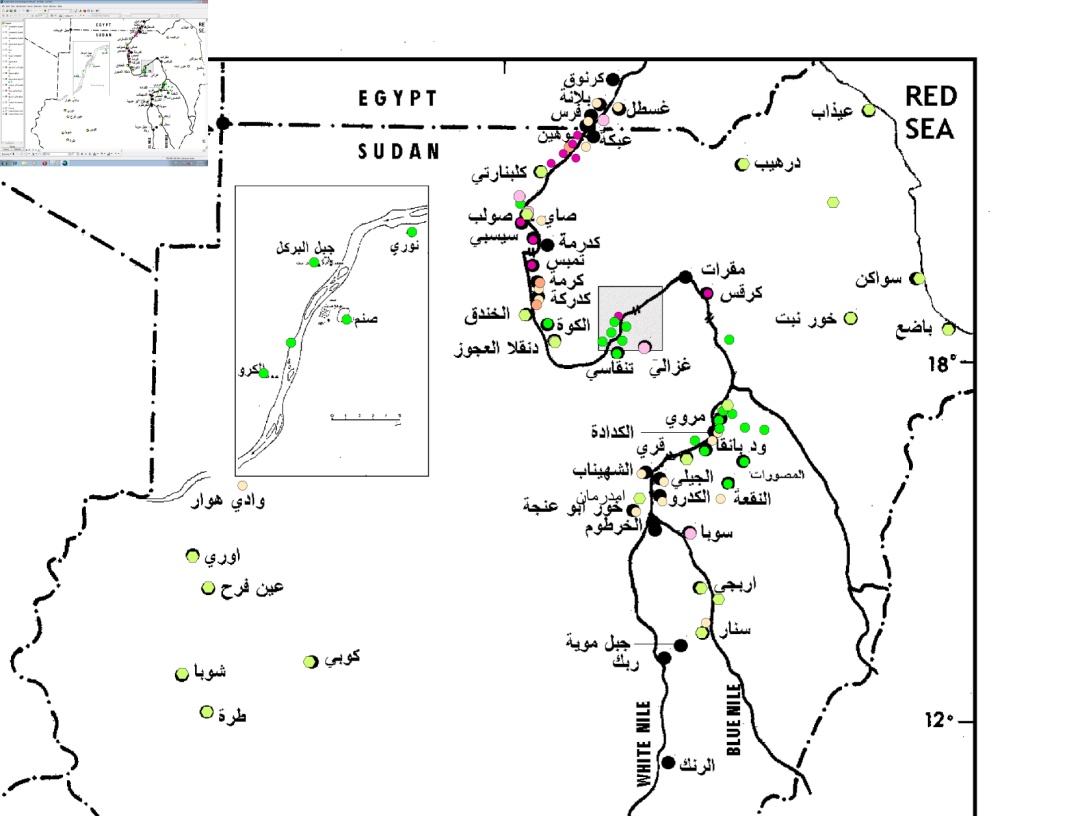
وقد ظهرت دعوات لتبنى التقنية فى مجال الآثار فى السودان فنشرت منذ عام 1998 ورقة علمية فى مؤتمر فيها تم عرض التجربة السودانية فى استخدام التقنية الحديثة ونشرت فى اعوام 2007 و2011 م دراسات فى دوريات مختصة تعدد تطبيقات وفوائد تقنيات كالاستشعار عن بعد ونظم المعلومات الجغرافية كما قدمت رسالة ماجستير فى العام 2007 م عن تطبيقات نظم المعلومات الجغرافية.

وفي العام 2014 انجزت رسالة دكتوراة بعنوان استخدام نظم المعلومات الجغرافية في التوثيق الآثاري حيث اختص الجانب التطبيقي منها بتصميم خريطة رقمية لأهم مواقع الآثار فى السودان على أمل ان تكون هذه الدراسة خطوة أولى نحو مشروع الخريطة السودانية الأثرية الرقمية والتى يجب ان تضم جميع المواقع الاثرية السودانية بل وتسجيل جميع القطع الاثرية والمجاميع المتحفية فى السودان وحفظ صور و بيانات رقمية لها ضمن مشروع الخريطة الرقمية وإتاحتها للعرض ضمن مايعرف بالمتاحف الافتراضية والاستفادة من تقنية التصوير ثلاثي الابعاد فى اعمال اعادة البناء الافتراضية للمعالم والمواقع الاثرية والقطع الاثرية وعرضها فى شكل ثلاثي الأبعاد وعمل نموزج تنبؤي للمواقع الاثرية المحتملة كما يجب إن يتضمن مشروع الخريطة الرقمية تسجيل بيانات جميع المؤسسات العاملة فى المجال الأثري من بعثات وجهات أكاديمية وبحثية وبيانات عن الكادر العامل فيها من علماء آثار وباحثين وفنيين وحفظ ونشرالتقارير عن أعمال البحث الاثري ضمن هذا المشروع والذي يتطلب انجازه توفر كادر بشرى مؤهل ومدرب واحتياجات فنية تشمل شبكة الحواسيب وبرامج نظم المعلومات الحاسوبية وأجهزة الماسح الضوئي وغيرها كما يتطلب توفير ميزانية كافية.



**شكل 1 المنطقة التى شملها المسح الجوي بالنوبة السودانية**

**عن احمد ابوالقاسم وعباس سيد احمد 2011ص14**



**1:100000**

(شكل 2 ) خريطة لأهم المواقع الأثرية في السودان

معدلة عن أزهري مصطفى

**النتائج:**

1- وجدت بعض التقنيات رواجاً وصادفت نجاحاً واضحى استخدامها متكرراً وسط الاثاريين السودانيين كاجهزة المساحة واجهزة تحديد الموقع GPS كما شاع استخدام مرئيات الاستشعار عن بعد التي يوفرها برنامج Google earth وقد حلت فى احيان كثيرة محل الخرائط الورقية فى اعمال النشر فى الجانب الاخر رغم تزايد الاستخدام لبعض التقنيات فى حقل الآثار السوداني فى الاونة الاخيرة لكن استخدامها ظل حكراً على اعضاء البعثات الاجنبية حيث لم تتوفر هذه الاجهزة للمؤسات البحثية الوطنية ولم تتح للاثاريين السودانيين فرص واسعة للتدرب على استخدامها فمثلاً اجهزة المسح الجيوفيزيائي والتى من بين العديد من امثلة استخدامها توجد دراسة وطنية واحدة قام بها جيوفيزيائي سوداني تلقى تدريباً وتمويلاً خارجياً هذا اضافةالى انه حتى الوقت الحاضر تتم عمليات التوريخ خارج السودان حيث لايوجد معمل متخصص متكامل داخل السودان كما تنعدم فرص التدريب فى هذا المجال.

2- تسهم الخرائط الرقمية فى مجال الآثار في ربط الموقع الجغرافى للاثر مع البيانات التفصيليه له وبناء قاعدة بيانات موحده تجمع بين الموقع و الموضع و بالتالى انشاء سجل متكامل لكل اثر يشمل بياناته التفصيليه و صوره الفتوغرافيه و صوره الرقميه المجسمه و الافلام خاصته صوره و صوت وربط كل ذلك بموقع الاثر على الخريطه **.**

2-في مجال التوثيق الآثاري أصبحت سعات تخزين البيانات اكبر بكثير مما كانت عليه قبل تبنى تقنية نظم المعلومات الجغرافية كما أن تخزين والبيانات واستعادته وتصنيفها أغنى عن الطرق التقليدية فى الحفظ والتخزين والاستعادة .

3-توفير سجلات رقمية متكاملة للمواقع الاثرية من شأنه تسهيل مهمة الباحثين والمهتمين بالعمل الاثاري من خلال توفير حفظ اكثر امناً وعرض افضل للبيانات الاثرية.

ا**لتوصيات:**

1- وضع برامج تدريبية للآثاريين على التطبيقات التكنولوجية

2- تبني مشروع الخريطة الرقمية الأثرية الموحدة لدول العالم الإسلامي.

3-إنشاء جمعيات وروابط علمية وإصدار دوريات مختصة وإطلاق مواقع الكترونية لتبادل المعارف والاستفادة مما تتيحه التقنية الحديثة فى مجال الآثار.

4- توفير المعينات وتدريب طلاب الآثار على استخدام التقنيات الحديثة

5-بعدما سمحت به النظم من عمليات التحديث والمعالجة والاستعلام الرقمية لم يعد هنالك مبرر بأن يستمر أي قسم أو إدارة للآثار في التعامل مع هذه الوثائق والبيانات بالطرق التقليدية.

**المصادر والمراجع**

**المراجع باللغة العربية**

**عاصم محمد رزق**

علم الآثار بين النظرية والتطبيق، دار مدبولي الصغير ،القاهرة .1996.

**عزت زكي حامد قادوس**

علم الحفائر وفن المتاحف، مطبعة الحضري ، الاسكندريه 2010.

**فوزى عبد الرحمن الفخرانى**

الرائد في فن التنقيب عن الاثار, منشورات جامعة قاريونس- بنغازى , الطبعه الثانيه 1993 .

**مصطفى السيد يوسف**

صيانة المخطوطات علماً وعملاً، عالم الكتب للنشر،القاهرة، 2002 م .

**نجم الدين محمد شريف**

انقاذ آثار النوبه رسالة المتحف رقم 6 مصلحة الآثار، الخرطوم (بدون تاريخ)

**ثانياً المراجع باللغة الانجليزية**

**Addison- Frank .E .S. A**

Jebel Moya (TEXT), Oxford University press . London .1949

**Barta Miroslv, Lenka Sukova and Valadimir Bruna**

(The latest explorations at Usli,northen Province) -(P P 66-69)-Sudan and Nubia- bulletin no17 -**2013**

**Blinkhorn- Ed**

(Geophysical survey at the El-kuru cemetery) -(P P 56-60)-Sudan and Nubia- bulletin no17 -**2013**

**Derek A Welsby**

(Houses and praymids at Kawa excavations 2008-2009 )

-(PP 72-77)-Sudan and Nubia- bulletin no 13 -**2009**

**Green- Susie**

(Creating A virtual Reconstruction of the Seti 1 Inscription at Jebel Dosha)--(PP 18-23)-Sudan and Nubia- bulletin no17 -2013.

**Kroeper –Karla**

(Rediscovery of the Kushite Site –Naga,15years of excavation (1995-2010). Surprises and innovations)-(PP 90-104)-Sudan and Nubia- bulletin no15 -**2011**

**Mohmed Abdelwhab Mohamed Ali**

(Geophysical prospection in the archaeological settlement of El-kuru)-(P P 48-49)-Sudan and Nubia- bulletin no17 -**2013**

**Skuldbol- Tim Boaz Bruun**

(Coring and sounding in the El-kuru settlement)-(PP 50-54)-Sudan and Nubia- bulletin no17 -2013

**Spence–Kate,Pamela.J.Rose,Rebecca Brad shaw,Pieter Collet,Amal Hassan,John Mac Ginnis,Aurelia Masson and Paul van elt**

(Sesebi 2011)-(PP 34-38)-Sudan and Nubia- bulletin no15 -2011

**الرسائل الجامعية**

**يوسف العبيد السيد الشيخ صالح**

استخدام نظم المعلومات الجغرافية في التوثيق الآثاري

رسالة دكتوراة غير منشورة ،جامعة شندي، 2014م .

**الأوراق العلمية**

**أحمد أبو القاسم الحسن و عباس سيد أحمد**

الإستشعار عن بعد وتطبيقاتها في علم الآثار -مجلة كلية الآداب والعلوم الاجتماعية ،جامعة السلطان قابوس (ص ص 5-25)،،العدد الثاني 2011م .

**انيس شعيا**

**ورقة بعنوان** استخدام تقنيات حديثه في اعمال التسجيل و التوثيق ص47-53، استخدام التقنيات الحديثة فى علم الاثار ،ابحاث مؤتمر الاثاروالتراث الحضارى العربى الرابع عشر ، الطبعة الاولى ،الشارقة ابريل 1998 .

**صديق محمد قسم السيد و عبد الرحمن على محمد**

**ورقة بعنوان** استخدام التقنيات الحديثه في تسجيل وتوثيق المواقع والمقتنيات الاثرية (نماذج من التجربة السودانية)ص209-228، استخدام التقنيات الحديثة فى علم الاثار ،ابحاث مؤتمر الاثار والتراث الحضارى العربى الرابع عشر ، الطبعة الاولى ،الشارقة ابريل 1998 .

**محمد الشيمي**

**ورقة بعنوان** الاستفادة من تقنية التصوير الخرائط الاثريه (التجربه المصريه في تسجيل الاثار) ص 25-32، استخدام التقنيات الحديثة فى علم الاثار ،ابحاث مؤتمر الاثاروالتراث الحضارى العربى الرابع عشر ، الطبعة الاولى ،الشارقة ابريل 1998

**محمد الصغير**

**ورقة بعنوان** العلاقة بين العلم والاثار ص19-22، استخدام التقنيات الحديثة فى علم الاثار ،ابحاث مؤتمر الاثاروالتراث الحضارى العربى الرابع عشر ، الطبعة الاولى ،الشارقة ابريل 1998.

**ملامح أساليب الإرشاد السياحي في كتاب "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" للإدريسي:**

**وصف المدن البرتغالية أنموذجًا**

د. محمد إسماعيل أبوالعطا

كلية السياحة والآثار-جامعة الملك سعود

**مقدمة**

رغم أن الإرشاد السياحي يُعد من فروع العلوم الإنسانية الحديثة نسبيًا حيث لا توجد أدبيات لهذا الفرع المستحدث قبل عام 1957، حين وضع "تلدن" كتابه عن تفسير التراث والذى يعد عملًا فلسفيًا نموذجيًا عن موضوع الإرشاد، وأرسى فيه مجموعة من القواعد التي تعد اللبنات الأولى في هذا المجال (Tilden, 2007: 25)، إلا أن التراث العربي يزخر بالعديد من كتب الرحالة والجغرافيين والتي تتضمن كتاباتهم ملامحًا للأساليب المستخدمة اليوم في مجال الإرشاد السياحي، ولعل من أهم هذه الكتب كتاب "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" للإدريسي.

والإدريسي هو محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الملقب بالشريف الإدريسي، ولد في سبتة بالمغرب في سنة 493هـ/ 1100م ولا يُعلم شيئًا عن نشأته فيها، وانتقل وهو في سن مبكرة مع عائلته إلى الأندلس واستقر في قرطبة التي كانت مركزًا ثقافيًا كبيرًا (الشبعان، 2009: 17)، وفيها درس العلوم والرياضيات واهتم بدراسة التاريخ والجغرافيا (الحريري، 1985: 3)، وقد كان الإدريسي ولعًا بالأسفار منذ صغره فانطلق في جولات كثيرة في بلاد المغرب، وفى الأندلس، وزار شمال إفريقيا ومصر، كما قام برحلات إلى المشرق العربي وآسيا الصغرى والشام (سوسة، 1974: 267). وقد أكسبته هذه الرحلات علمًا كبيرًا وشهرةً عظيمةً كانت سببًا في دعوة روجر الثاني ملك صقلية له للقدوم إلى بلاطه فذهب إليه سنة 1138م وأقام لديه ست عشرة سنة أنجز فيها مصنفاته وخرائطه وأشهرها كتاب "نزهة المشتاق"، ثم غادر صقلية بعد وفاة الملك روجر الثاني سنة 1154م وعاد إلى مسقط رأسه سبتة حيث توفى بها سنة 1165م (حسن، 1971: 12).

وكتاب "نزهة المشتاق" – والذى يعرف أيضًا بكتاب روجر نسبة إلى الملك الذى دعا الإدريسي لتأليفه واستضافه لتحقيق ذلك - يحتوى على وصف الأرض المعمورة أو الربع المعمور من الأرض في أيام الإدريسي، وهو بذلك يغطى ربع سطح الكرة الأرضية الشمالي على امتداد 180 درجة طول محصورة بين جزر الخالدات غربًا ومشارف الصين شرقًا، وعلى امتداد 64 درجة عرض بين خط الاستواء ودائرة عرض 64 شمالًا، وقد قسم الإدريسي هذا الربع المعمور إلى سبعة أقاليم أفقية موازية لخط الاستواء، ثم قسم كل إقليم إلى عشرة أجزاء طولية متساوية،وبالتالي يكون إجمالي ما قسم إليه الربع المعمور من الأرض 70 جزءًا أو قطعة أرضية تشمل جميع الممالك والبلدان، تناولها جميعها بشرح معطياتها الجغرافية سواء كانت طبيعية أو بشرية أو اقتصادية، وقد يتوزع وصف البلد الواحد على أكثر من قطعة حسب مساحتها (خورى، 2000: 61).

وللكتاب عدد من المخطوطات الأصلية المكتملة أفضلها في المكتبة الوطنية بباريس، ومكتبة صوفيا في بلغارية، بالإضافة إلى عدد من المخطوطات غير المكتملة، وقد طُبع الكتاب بالعربية، وتُرجمت أجزاء كثيرة منه إلى لغات أوروبية عدة، وتُرجمت المخطوطات كاملة إلى اللغة الفرنسية في القرن التاسع عشر، كما أُعدت ترجمة محققة كاملة إلى الإيطالية في سبعينيات القرن العشرين شارك فيها عدد من المستشرقين البارزين وتعد هي الترجمة الأفضل حتى الآن (خورى، 2000: 67).

وقد وجد الكتاب اهتمامًا كبيرًا من قبل المستشرقين، ووصفته دائرة المعارف الفرنسية بأنه أوفى كتاب جغرافي تركه العرب، وأن ما يحتويه من تحديد للمسافات والوصف الدقيق يجعله أعظم وثيقة علمية جغرافية (باشا، 1997: 120)، ورغم القرون العديدة التي مرت على تأليف الكتاب إلا أنه لا يزال محتفظًا بمكانته ولا يزال نبعًا ينهل منه كل دارسٍ للجغرافيا (حسن، 1971: 76)، فالكتاب يُعد أكبر نموذج بارز لانصهار المعلومات الجغرافية القديمة مع المعلومات المتجددة (نفيس، 1987: 101).

**وصف المدن البرتغالية**

اختارت هذه الدراسة المدن البرتغالية كأنموذج لسببين رئيسيين أولهما قلة عدد المدن الأندلسية البرتغالية المذكورة في الكتاب مقارنة بالمدن الأندلسية الإسبانية وهو ما يساعد على دقة التتبع والتحليل للوصف الذي قدمه الإدريسي، وذلك رغم صعوبة التعرف على بعض هذه المدن لتغير أسمائها المذكورة في الكتاب عن أسمائها الحالية. أما السبب الثاني فهو دقة وصف هذه المدن -رغم الأسلوب المختصر-ويرجع ذلك إلى أن غالبية المدن البرتغالية قد زارها الإدريسي وشاهدها بنفسه. وطبقا للتقسيم الذي اتبعه الإدريسي جاء ذكر المدن البرتغالية في الإقليمين الرابع والخامس في الجزء الأول في كل منهما ومهد فيه بوصف بلاد الأندلس قبل أن يصف المدن.

**الأندلس**

في تمهيده لمدن وبلدان الجزء الأول من الإقليمين الرابع والخامس قدم الإدريسي بلاد الأندلس وجاء في تقديمه لها "بلاد الأندلس المسماة باليونانية اسبانيا وسميت جزيرة الأندلس جزيرة لأنها شكل مثلث وتضيق من ناحية المشرق حتى تكون بين البحر الشامي والبحر المظلم المحيط بجزيرة الأندلس خمسة أيام ورأسها العريض نحو من سبعة عشر يومًا وهذا الرأس هو في أقصى المغرب في نهاية انتهاء المعمورة من الأرض محصورًا في البحر المظلم ولا يعلم أحد ما خلف هذا البحر المظلم ولا وقف بشر منه على خبر صحيح لصعوبة عبوره وظلام أنواره وتعاظم موجه وكثرة أهواله وتسلط دوابه وهيجان رياحه" (الإدريسي، 2002: 525).

وفى موضع آخر"الأندلس في ذاتها فشكل مثلث يحيط بها البحر من جهاتها الثلاث فجنوبها يحيط به البحر الشامي، وغربها يحيط به البحر المظلم، وشمالها يحيط به بحر الانقليشين من الروم، والأندلس طولها من كنيسة الغراب التي على البحر المظلم إلى الجبل المسمى بهيكل الزهرة ألف ميل ومائة ميل، وعرضها من كنيسة شنت ياقوبالتي على أنف بحر الانقليشين إلى مدينة المرية التي على بحر الشام ستمائة ميل". (الإدريسي، 2002: 535).

ويواصل وصف الأندلس عامة "وجزيرة الأندلس مقسومة من وسطها فى الطول بجبل طويل يسمى الشارات وفى جنوب هذا الجبل تأتى مدينة طليطلة، ومدينة طليطلة مركز لجميع بلاد الأندلس وذلك أن منها إلى مدينة قرطبة بين غرب وجنوب تسع مراحل، ومنها إلى لشبونة غربًا تسع مراحل، ومن طليطلة إلى شانت ياقوب على بحر الانقليشين تسع مراحل، ومنها إلى جاقا شرقًا تسع مراحل، ومنها إلى مدينة بلنسية بين شرق وجنوب تسع مراحل، ومنها أيضًا إلى مدينة المرية على البحر الشامي تسع مراحل". (الإدريسي، 2002: 536).

ثم يقسم الأندلس إلى أقاليم فرعية "والأندلس المسماة اسبانيا أقاليم عدة ورساتيق جملة وفى كل إقليم منها عدة مدن نريد أن نأتي بذكرها مدينة مدينة بحول الله تعالى ولنبدأ الآن منها بإقليم البحيرة" وبعد أن يعدد كافة الأقاليم وأهم مدن كل إقليم على حدة يختتم بقوله "فهذه كلها أقاليم اسبانيا المسمى جملتها الأندلس" (الإدريسي، 2002: 536، 539).

وفى هذه الفقرات تتضح أول ملامح أساليب الإرشاد السياحيالتي استخدمها الإدريسي والمتمثلة في المقدمة والتفسير.

فالمقدمة هي بمثابة المدخل الذي يُمكن المرشد من الدخول ليس فقط إلى آذان مستمعه بل إلى بؤرة تركيزه، وكذلك تمهد دخوله إلى تفاصيل الموضوع الذي يقدم له حيث أن البداية بشكل جيد تمثل انجاز نصف الطريق (الفاعوري، 2006: 55).والإدريسي أجاد في توظيف المقدمات للمنطقة التي يتناولها فهو هنا لم يبدأ بذكر مدن الأندلس ومنها المدن البرتغالية بشكل مباشر وإنما قدم لذلك بمقدمة عامة عن الأندلس تضمنت كثيرًا من العناصر الأساسية لأي مقدمة في الإرشاد السياحي مثل تحديد الموقع، وذكر المسافات، وذكر التسميات المختلفة للموقع، ثم إجمال أهم معالمه دون تفصيلها حيث يرجئ ذلك إلى مرحلة لاحقة.

أما التفسير فلم يكتفالإدريسي بذكر المعلومة كأن يقول إن الأندلس جزيرة وإنما يفسر ذلك تفصيلًا وكيف أن المياه تحيط بها من جوانبها الشمالية والغربية والجنوبية وأن أضيقها أرضًا هي ناحيتها الشرقية ولهذا فهي أقرب إلى شكل الجزيرة. كما لم يكتف بذكر عدم معرفة أحد بما خلف البحر المظلم ففسر ذلك بصعوبة عبوره، وظلام أنواره، وتعاظم موجه، وكثرة أهواله، وتسلط دوابه، وهيجان رياحه. والتفسير هو أحد أساسيات العمل في الإرشاد السياحي فذكر المعلومة في حد ذاتها لا يعد إرشادًا بل تفسيرها هو الركن الأكثر أهمية في هذا المجال (Tilden, 2007: 44).

ولتوضيح المسافات بين المدن وتسهيل الأمر على القارئ اختار نقطة ارتكاز ليقيس منها المسافات إلى كل المدن الأخرى في الأندلس وكانت مدينة طليطلةالتي قال أنها مركزًا لجميع بلاد الأندلس ولم يكتف بقوله هذا كنتيجة يجب على القارئ التسليم بها بل دلل على ذلك بذكر بعض الأمثلة لمدن في الجهات الأربعة المختلفة من طليطلة وكيف أن المسافات بينها وبينهم تقريبا متساوية. وهذا الأسلوب أيضًا مما يجب اتباعه في عمل المرشد السياحيالذي غالبًا ما يختار نقطة ارتكاز يذكر منها المسافات بين مدن إقليمه وغالبًا ما تكون عاصمة الإقليم أو المدينة التي ينفذ فيها البرنامج السياحي.

وعدد الإدريسي أقاليم الأندلس الفرعية جميعها مع ذكر أهم المدن في كل إقليم، ثم أكد أنه سيذكر كل مدينة منها على حدة، ثم بدأ التفصيل بتناول أول الأقاليم التي ذكرها، وهو نفس ما يجب أن يتبعه المرشد حين تقديم البرنامج للسائحين فهو يعطى مجمل البرنامج وذكر أهم ما يتضمنه حسب ترتيب الجولات، ثم يبدأ في الشرح المفصل مستهلًا بأول ما ذكره في المقدمة المختصرة.

وبصفة عامة فإن مقدمة الإدريسي عن الأندلس هي نموذج لما يجب أن تكون عليه المقدمات في مجال الإرشاد السياحيفهي مجملة غير مخلة، ذكرت العموميات بإيجاز وأجلت التفاصيل إلى حينها، ولم تكتف بتقديم المعلومة بل تضمنت تفسيرًا لما ورد بها من معلومات.

**البرتغال**

لم يذكر الإدريسي البرتغال في مقدمة خاصة بها كما فعل مع جزيرة الأندلس ولعل السبب في ذلك هو عدم وجود الفوارق والحدود السياسية بين إسبانيا والبرتغال في ذلك الوقت حيث كان ينظر إليهما باعتبارهما مكون جغرافي واحد يطلق عليه أحيانًا اسم الأندلس وأحيانًا اخرى اسم إسبانيا، وان استخدم اسم البرتغال للإشارة إلى الجزء الغربي من تلك الجزيرة، ولعل ما يوضح ذلك أن الجملة الوحيدة التي قدم بها الإدريسي بلاد البرتغال وعدد فيها بعض مدنها – تحديدا سبع مدن – فإن أربعًا منها الآن تتبع إسبانيا ولا تتبع البرتغال. "فأما بلاد برتقال فمنها مدينة قلمرية ومنت ميورونجاو وسرتان وشلمنقةوسمورةوآبلة". (الإدريسى، 2002: 725) حيث أن المدن الأربع الأخيرة هي الآن مدن إسبانية (Jaubert, 1975:221).

ثم جاء وصفه لأرض البرتغال عامة وهو يتحدث عن المسافات بين مدنها فذكر "والطريق من قلمرية إلى شنت ياقوب وذلك إن شئته في البحر سرت من حصن منت ميور إلى موقع نهر بوغو سبعين ميلًا وهو أول أرض برتقال وهو مجرى إلا شيئا، وبرتقال أرض معمورة بالقرى والحصون العامرة والعمارات المتصلة، وبها خيل ورجال حرابة يغيرون على من جاورهم ولا يستضاء بنارهم". (الإدريسي، 2002: 726)."الطريق من قلمرية إلى شنت ياقوب على البر من قلمرية إلى قرية آبة مرحلة ومن قرية آبة إلى قرية وطيرة مرحلة ومنها إلى أول بلاد برتقال مرحلة ويقطع الطريق عرض أرض برتقال في يوم". (الإدريسي، 2002: 731)

وفى الإرشاد السياحي يلجأ إلى أسلوب الوصف المختصر والمركز حين يكون الموضوع في درجة أقل من الأهمية كأن يكون فرعًا في موضوع أكبر هو الأصل أو ما يعرف بعملية الاختيار لما سيتم شرحه (Cohen, 1985: 8)، وهذا ما استخدمه الإدريسيفي وصف البرتغال حيث أنها جزء من الموضوع الرئيسي وهو الأندلس، فوصفها في عبارات موجزة ولكنها معبرة حيث اختار أهم ما يميزها رغم توفر معلومات أكثر لديه فقال أنها أرض عامرة بالقرى والحصون والمبانيالتي لا تنقطع وجميعها عامرة بالسكان وبها من الخيل الكثير، كما وصف رجالها وصفًا بليغًا بأنهم رجال حرب يغيرون على من جاورهم ولا يستضاء بنارهم. وحدد أبعاد البرتغال فذكر أن بدايتها عند نهر بوغو، وذكر عرضها وأنه يقطع فى مسيرة يوم.

**شنت مارية**

ذكر الإدريسي مدينتين بهذا الاسم أطلق على أحدهما شنت مارية ابن رزين وهي الآن مدينة Albarracin الإسبانية، والأخرى شنت مارية الغرب وهيمدينة Faroالحالية في جنوب البرتغال، وجاء ذكرها في ثلاث فقرات مختلفة بدأها بتحديد الإقليم الذي تقع فيه "إقليم الفقر وفيه من البلاد شنت مارية ومارتلة وشلب وحصون كثيرة وقرى" (الإدريسي، 2002: 538).

ثم حدد موقعها من أقرب البلاد لها "وحصن قسطلة على نحر البحر وهو عامر آهل وله بساتين وغلات شجر التين كثيرًا ومنه إلى قرية طيرة على مقربة من البحر أربعة عشر ميلًا ومن القرية إلى مدينة شنت مارية الغرب اثنا عشر ميلًا" (الإدريسي، 2002: 543).

ثم وصفها "ومدينة شنت مارية على معظم البحر الأعظم والسور منها يصعد ماء البحر فيه إذا كان المد وهي مدينة متوسطة القدر حسنة الترتيب لها مسجد جامع ومنبر وجماعة وبها المراكب واردة وصادرة وهي كثيرة الأعناب والتين ومن مدينة شنت مارية إلى مدينة شلب ثمانية وعشرون ميلًا" (الإدريسي، 2002: 543).

اتبع الإدريسي أسلوبًا موحدًا في ذكر المسافات بين المدن والقرى التي يتنقل بينها أو يصفها فيبدأ بذكر المسافة من الموقع الذي يزوره أو يصفه -عند نهاية حديثه عنه-إلى الموقع الذي سيكون وجهته القادمة، وحين يغادر تلك الوجهة يذكر المسافة منها إلى الوجهة الجديدة القادمة وهكذا، فذكر هنا من طيرة إلى شنت مارية وبعد أن أنهي كلامه عن شنت مارية ذكر المسافة منها إلى وجهته القادمة وهي شلب. وهذا الأسلوب هو المتبع في الإرشاد السياحي وهو أسلوب نموذجي ليس فقط في ذكر المسافات بين المدن وإنما أيضًا في توقيت ذكر تلك المسافة عند مغادرة مقصد والتوجه إلى مقصد آخر (مقابلة، 2000: 79). وإن اكتفى الإدريسيفي هذه الفقرة بذكر المسافة فقط ففي أماكن أخرى ذكر المسافة والوقت المتوقع لاجتيازها.

أما فيوصف المدينة نفسها فاعتمد على الإيجاز غير المخل، فهو يختصر المدينة كلها في عبارات قليلة تعبر عن أهم ما فيها، وراعى في ذلك الترتيب فبدأ بالموقع الجغرافي فحدد أنها على البحر وأن مياه البحر تصعد أسوارها إذا جاء المد، ثم وصف المدينة إجمالا بأنها متوسطة القدر ولكنها في الوقت ذاته مرتبة بشكل جيد، ثم وصف أهم معالم المدينة وهى المسجد الجامع، ثم ذكر أهم الأنشطة في المدينة وهى حركة المراكب التي لا تتوقف باعتبارها مدينة ساحلية، كما أن نشاطها لا يعتمد على التجارة فقط فهي مدينة بها زراعات أيضًا ويتوافر فيها بكثرة العنب والتين. وهذا الأسلوب على اختصاره إلا أنه مفضل في مجال الإرشاد السياحي -بعد إضافة التفاصيل المطلوبة لأهم المعالم– (السعيدي، 2009: 43، 69) وغالبا ما يكون بنفس الترتيب موقع المدينة وجغرافيتها ثم أهم معالمها، ثم أنشطتها الاقتصادية وإن كان هذا الأخير يمكن تقديمه قبل المعالم.

**شلب**

وهي الآن مدينة Silvesفى جنوب البرتغال، ذكرها ضمن مدن إقليم الفقر "إقليم الفقر وفيه من البلاد شنت مارية ومارتلة وشلب وحصون كثيرة وقرى" (الإدريسي، 2002: 538).

ثم وصفها "ومن مدينة شنت مارية إلى مدينة شلب ثمانية وعشرون ميلًا، ومدينة شلب حسنة في بسيط من الأرض وعليها سور حصين ولها غلات وجنات وشرب أهلها من واديها الجاري بجنوبها وعليه أرحاء البلد. والبحر منها غربًا على ثلاثة أميال ولها مرسى فيالوادي وبها الإنشاء والعود بجبالها كثير يحمل منها إلى كل الجهات والمدينة في ذاتها حسنة الهيئة بديعة المباني مرتبة الأسواق وأهلها وسكان قراها عرب من اليمن وغيرها وهم يتكلمون بالكلام العربي الصريح ويقولون بالشعر وهم فصحاء نبلاء خاصتهم وعامتهم وأهل بوادي هذه البلاد في غاية من الكرم لا يجاريهم فيه أحد ومدينة شلب على إقليم الشنشين وهو إقليم به غلات التين الذي يحمل منها إلى أقطار الغرب كلها وهو تين طيب علك لذيذ شهي ومن مدينة شلب إلى بطليوس ثلاث مراحل وكذلك من شلب إلى حصن مارتلة أربعة أيام ومن مدينة شلب إلى حلق الزاوية عشرون ميلًا" (الإدريسي، 2002: 543).

في هذا الوصف تأكيد على منهجية الإدريسيفي وصف المدن، وهى المنهجية المتبعة في جولات الإرشاد السياحي لتناول موضوع الشرح (مقابلة، 2000: 82)، فبدأ بوصف الموقع الجغرافي للمدينة ولكنه استفاض في تحديده لما للمدينة من أهمية فذكر أنها في منطقة بسيطة، وذكر أن الوادي يجرى بجنوبها وأن عليه أرحاء المدينة، وذكر أن بينها وبين البحر ثلاثة أميال في اتجاه الغرب، وضَمّن وصف الموقع بعض المعلومات عن وصف المدينة ذاتها فذكر أن لها سور حصين، وأنها مدينة زراعية تمتلك من الجنات والغلات الكثير، وأن الوادي هو المصدر الرئيسي للمياه في المدينة، ثم أعطى وصفًا لبعض معالم المدينة فذكر أن لها مرسى فيالوادي، وأن بها العود المتوفر بكثرة حيث ينقل منها إلى كافة الجهات، ثم أجمل وصفها بأنها في ذاتها حسنة الهيئة بديعة المباني مرتبة الأسواق، ولعل في تعبير "في ذاتها" ما يؤكد منهجية الإدريسيفي الوصف حيث يبدأ بما يحيط بالمدينة ثم المدينة نفسها. وبعد أن انتهى من وصف المدينة موقعا وعمارة تناول أهلها فأوضح أصلهم وأهم صفاتهم. ثم عاد ليتحدث عن الموقع الجغرافي مرة أخرى ليس من قبيل التكرار وإنما ليصف الإقليم الذي تقع فيه المدينة وما يشتهر به، وذلك لأنه سيبدأ في الانتقال إلى بعض المدن الأخرى في نفس الإقليم فذكرها وذكر المسافات بينها وبين شلب.

**مارتلة**

مدينة Mertolaالحالية في جنوب شرق البرتغال، ولم يقدم الإدريسي وصفًا لهذه المدينة وإنما أشار إلى موقعها أو موقع حصنها أكثر من مرة، ففي سياق حديثه عن مدن إقليم الفقر ذكرها كمدينة فقال "إقليم الفقر وفيه من البلاد شنت مارية ومارتلة وشلب وحصون كثيرة وقرى"، وفى سياق حديثه عن نهر يانةفي أكثر من موقع ورد ذكر مارتلة كحصن وليس كمدينة ثلاث مرات ذكر في الأولى "وبينهما (جزيرة شلطيش وحصن قسطلة) موقع نهر يانة وهو نهر ماردة وبطليوسوعليه حصن مارتلة المشهور بالمنعة والحصانة" (الإدريسي، 2002: 542)، وفى الثانية "نهر يانة وهو نهر كبير ويسمى النهر الغؤور لأنه يكون في موضع يحمل السفن ثم يغور تحت الأرض حتى لا يوجد منه قطرة فسمى الغؤور لذلك وينتهى جريه إلى حصن مارتلة". (الإدريسي، 2002: 545)، وذكر فى الثالثة "نهر يانةيأتى من مروج فوق قلعة رباح فيمر بقرية يانة إلى قلعة رباح ثم يصير منها إلى حصن أرندة ومنها إلى ماردة ثم يمر ببطليوس فيصير منها إلى مقربة من شريشة ثم يصير إلى حصن مارتلة فيصب فى البحر المظلم" (الإدريسي، 2002: 550)، وفى هذه المرات الثلاث ذكر أن الحصن يقع على هذا النهر وبالقرب من مصبه إلى البحر، ثم ذكر الحصن مرة رابعة عندما ذكر المسافة بينه وبين شلب وحددها بأربعة أيام "وكذلك من شلب إلى حصن مارتلة أربعة أيام ومن مارتلة إلى حصن ولبة مرحلتان خفيفتان" (الإدريسي، 2002: 543).

ويلاحظ أن الإدريسيفي هذه المرات الخمس لم يتحدث عن المدينة أو يصفها وإنما اكتفى فقط بالإشارة إلى حصنها والذي ربما كان أهم ما فيها وقد وصفه بأنه حصن حصين ومنيع.

**كنيسة الغراب**

وكان موقعها فيCabo de São Vicenteالحالية جنوب غرب البرتغال، ذكرها الإدريسي مرة عند حديثه عن امتداد بلاد الأندلس "طولها من كنيسة الغراب التي على البحر المظلم إلى الجبل المسمى بهيكل الزهرة ألف ميل ومائة ميل". (الإدريسي، 2002: 535)

ثم قدم وصفًا لها "ومنه (طرف الغرب) إلى كنيسة الغراب سبعة أميال وهذه الكنيسة من عهد الروم إلى اليوم لم تتغير عن حالها ولها أموال يتصدق بها عليها وكرامات يحملها الروم الواردون عليها وهى فيقرطيل خارج البحر وعلى رأس الكنيسة عشرة أغربة لا يعرف أحد فقدها ولا عهد زوالها وقسيسو الكنيسة يخبرون عن تلك الأغربة بغرائب يتهم المخبر بها ولا سبيل لأحد من المجتازين بها أن يخرج منها حتى يأكل من ضيافة الكنيسة ضريبة لازمة وسيرة دائمة لا ينتقلون عنها ولا يتحولون منها ورثها الخلف عن السلف وهو متعارف دائم،والكنيسة فى ذاتها كنيسة عامرة بالقسيسين والرهبان وبها أموال مدخرة وأحوال واسعة وأكثر هذه الأموال محبسة عليها فى أقطار الغرب وبلاده وينفق منها على الكنيسة وخدامها وجميع من يلوذ بها مع ما يكرم به الأضياف الواردون على الكنيسة المذكورة قلوا أم كثروا" (الإدريسي، 2002: 544)

وهنا يستخدم الإدريسي أسلوبًا شائعًا في الإرشاد السياحي وهو اقتصار الوصف على ما هو ظاهر ويمكن رؤيته من قبل السائحين (الحوري، 2002: 312؛ عويس، 2003: 26)، وقد طبق الإدريسي ذلك على نفسه حيث وصف ما رآه فعلا من امتلاء الكنيسة بالرهبان والقسيسين، وما لاحظه من ثراء الكنيسة ووفرة أموالها، وما قد يكون نما إلى علمه عن مصادر تلك الثروات ففسر بأنها موقوفة عليها في أقطار الغرب، وكذلك وصف مكان الكنيسة وموقعها من البحر، وضرورة أن يطعم المارون بالمنطقة من ضيافة الكنيسة، ولكن الأمر حين تعلق بمعجزات سمع عنها ولم يشاهدها بنفسه اختصر ذلك في عبارة نقلها عن القسيسين بأن لها غرائب ولكنه لم يذكر أيًا منها واكتفى بوصفها بأن من يخبر بها ربما اتهم في مدى صدقه أو في عقله وذلك في تعبيره المختصر المعبر "يتهم المخبر بها".

**القصر**

وهي الآن مدينة Alcácer do Salغرب البرتغال، وقد وصفها بقوله "ومن كنيسة الغراب إلى القصر مرحلتان وكذلك من شلب إلى القصر أربع مراحل والقصر مدينة حسنة متوسطة على ضفة النهر المسمى شطوير وهو نهر كبير تصعد فيه السفن والمراكب السفرية كثيرا وفيما استدار بها من الأرض كلها أشجار الصنوير وبها الإنشاء الكثير وهيفي ذاتها رطبة العيش خصيبة كثيرة الألبان والسمن والعسل واللحوم. وبين القصر والبحر عشرون ميلًا ومن القصر إلى يبورة مرحلتان". (الإدريسي، 2002: 544)

ويعد هذا الوصف نموذجًا جيدًا لأسلوب الترتيب في الإرشاد السياحي، سواء كان ذلك ترتيب سير الرحلة، أو ترتيب النقاط الرئيسية للشرح في تتابع سهل لا يترك للمرشد فرصة لنسيان أي عنصر من عناصر شرح المدينة حيث تقود كل نقطة إلى الأخرى (الفاعوري، 2006: 41)، فقد حرص على تحديد الموقع الجغرافي بشكل دقيق فهذه المدينة بينها وبين كنيسة الغراب مرحلتان، وبينها وبين شلب أربع مراحل، وبينها وبين البحر عشرون ميلًا، وبينها وبين يبورة مرحلتان. ثم كان وصف المدينة نفسها في عبارات غاية في الإيجاز ولكنها تعبر عن أهم ما في المدينة فأجمل أنها حسنة متوسطة، ثم فصل فبدأ بمحيط المدينة وذكر أن أرضها وما حولها مزروعة بأشجار الصنوبر، أما المدينة ذاتها فهي عامرة بالمباني، ثم وصف الحياة فيها بأنها رطبة لأنها مدينة خصيبة كثيرة الخيرات وبصفة خاصة منتجاتها الحيوانية من الألبان والسمن والعسل واللحوم. وفى سياق هذا الوصف المختصر لم يغفل أن يصف النهر الذي تقع عليه المدينة فوصفه بأنه كبير وكثيرًا ما تصعد فيه السفن ومراكب السفر.

**يبورة**

مدينة Evoraالحالية جنوب شرق البرتغال، وصفها مباشرة بعد الانتهاء من وصف مدينة القصر "ومن القصر إلى يبورة مرحلتان. ومدينة يبورة مدينة كبيرة عامرة بالناس ولها سور وقصبة ومسجد جامع وبها الخصب الكثير الذي لا يوجد بغيرها من كثرة الحنطة واللحم وسائر البقول والفواكه وهي أحسن البلاد بقعة وأكثرها فائدة والتجارات إليها داخلة وخارجة ومن مدينة يبورة إلى مدينة بطليوس مرحلتان في شرق" (الإدريسي، 2002: 545).

ويضيف هذا الوصف ملمحًا جديدًا من ملامح أساليب الإرشاد السياحي ألا وهو عدم تكرار العبارات الوصفية للمدن والمواقع فلكل مدينة أو موقع صفة ما يتفرد بها عن غيره، لذا يجب على المرشد استخدام تعبيرات متجددة لوصف كل موقع شريطة أن تكون معبرة عن صفات حقيقية وليست على سبيل التضخيم، وحتى لا يتحول باستخدام تعبيرات متكررة إلى إنسان آلي يكرر نفس الكلمات (مقابلة، 200: 72)، فيذكر الإدريسي أن أهم ما يميز يبورة بأنها في أحسن موقع بين كل مدن البرتغال، كما أنه كذلك أكثر المواقع فائدة للمدينة، حيث القوافل التجارية منها وإليها لا تتوقف، وحيث الخصب الكثير الذى لا يوجد بغيرها من المدن، وفى هذا تفسير لما قدم به عن المدينة بأنها كبيرة عامرة بالناس، كما ذكر أهم معالم المدينة المميزة التي تضم السور والقصبة والمسجد الجامع.

**قلمرية**

حاليا مدينة Coimbraوسط غرب البرتغال، وصفها ضمن مدن الإقليم الرابع "ومن قورية إلى قلمرية أربعة أيام ومدينة قلمرية مدينة على جبل مستدير وعليها سور حصين ولها ثلاثة أبواب وهى في نهاية من الحصانة وهى على نهر منديق وجريه بغربيها ويتصل جرى هذا النهر إلى البحر وعلى مصبه هناك حصن منت ميور ولها على النهر أرحاء وعليه كروم كثيرة وجنات ولها حروث كثيرة متصلة بالغربي منها إلى ناحية البحر ولها أغنام ومواشى وأهلها أهل شوكة في الروم" (الإدريسي، 2002: 547)، وأشار إلى موقعها الجغرافي "فى شمال طليطلة الجبل العظيم المتصل المعروف بالشارات وهو يأخذ من ظهر مدينة سالم إلى أن يأتي قرب مدينة قلمريةفي آخر المغرب" (الإدريسي، 2002: 552)

ثم أعاد ذكرها ضمن مدن الإقليم الخامس"فأما بلاد برتقال فمنها مدينة قلمرية ومنت ميورونجاو وسرتان وشلمنقةوسمورةوآبلة" (الإدريسي، 2002: 725)

وكرر وصفها "من بلاد إشبانية مدينة قلمريةوهي مدينة صغيرة متحضرة عامرة كثيرة الكروم والفواكه من التفاح والجراسيا والعيون ومكانها في رأس جبل تراب منيع لا يمكن قتالها وهي على نهر يسمى نهر منديق وهو يجرى منها في شرقيها وعليه أرحاء طاحنة" (الإدريسي، 2002: 726).

وقد بدأ بذكر المسافة إلى قلمرية من قورية فذكر أنها أربعة أيام، ثم بدأ بوصف المدينة من الخارج وكأنه يصحب مجموعة سياحية وكأنه مرشدهم الذي يشرح لها فقال أنها على جبل مستدير، وأن لها سور حصين يحيط بها، وبهذا السور أبواب ثلاثة للدخول والخروج، ومن الطبيعي بعد ذلك أن يذكر أنها في غاية الحصانة فارتفاع الجبل ووجود السور وقلة الأبواب ثم وجود النهر في جهتها الغربية كل ذلك جعلها محصنة تماما. ثم وصف ما للمدينة من مزارع ومراعى وحيوانات كلها خارج المدينة وعلى ضفة النهر، ثم أنهى كلامه عنها بوصف أهلها فوصفهم بأنهم من الأقوياء الذين يعمل لهم حساب. ولم ينس أن يصف النهر الذي يجرى فيغربيقلمرية حتى يصل إلى البحر ويصب في الموقع الذي فيه حصن منت ميور بما يعنى معرفته المسبقة بموقع المصب قبل موقع قلمرية، واللافت للنظر في هذا الوصف أنه لم يقدم أي معلومة تتعلق بما هو موجود داخل المدينة واكتفى بوصفها الخارجي فهل يعنى ذلك أنه لم يدخلها؟

وفى إعادة وصفها أكد ارتفاع مكانها وحصانته بحيث لا يمكن قتالها، ويصف وفرة الكروم والجراسيا والتفاح، ولكنه ثانية لا يصف المدينة من الداخل ويكتفى بقوله مدينة صغيرة متحضرة، ويلاحظ وصفه للنهر في شرق المدينة وليس في غربها كما ذكر سابقا.

وحين هم بمغادرتها حدد المسافات بينها وبين ما جاورها من مدن "وبين قلمريةوشنترينفى جهة الجنوب ثلاث مراحل وبين قلمرية والبحر في جهة الغرب اثنا عشر ميلًا وهناك يصب نهرها المسمى منديق. وعلى مصب النهر فى البحر حصن منيع جدًا يسمى منت ميور وهو في نحر البحر، ولها زراعات وفوائد. والطريق من قلمرية إلى شنت ياقوب وذلك إن شئته في البحر سرت من حصن منت ميور إلى موقع نهر بوغو سبعين ميلًا وهو أول أرض برتقال وهو مجرى إلا شيئا". (الإدريسي، 2002: 726)

وبعد أن وصف الطريق يقرر "ولنرجع الآن إلى ذكر ما كنا بدأنا به أول فنقول الطريق من قلمرية إلى شنت ياقوب على البر من قلمرية إلى قرية آبة مرحلة ومن قرية آبة إلى قرية وطيرة مرحلة ومنها إلى أول بلاد برتقال مرحلة ويقطع الطريق عرض أرض برتقال في يوم، وهناك قرية بونة قار وهى على ضفة نهر دويرة وهو نهر سمورة ويعبر هناك في مراكب متخذة للجواز بها ومن القرية إلى نهر مينو إلى حصن أبراقة ستون ميلًا وهو مرحلتان ومن حصن أبراقة إلى مدينة طوية مرحلتان وهى مدينة صغيرة حسنة خصيبة ومن طوية إلى شنت ياقوب مرحلة وقد وصفنا شنت ياقوب بما يكفى ويغنى عن تكراره" (الإدريسي، 2002: 731).

في وصف الطريق من قلمرية إلى شنتياقوبيصف تفصيلًا طريقين، أحدهمابحري من حصن منت ميور إلى موقع نهر بوغو، والآخر بري يمر بعدد من القرى قبل أن ينتهي إلى شنت ياقوب.

وتجب ملاحظة نقطتين يقربان كثيرًا بين هذا الوصف وبين الأسلوب المتبع في الإرشاد السياحي، أولهما هو عدم نسيان الخط الأساسي للموضوع مهما كان الاستطراد في جزئية من الجزئيات، فهو بعد أن استطرد في وصف الطريق الأول عبر البحر لم ينس أن هناك طريق آخر يجب ذكره فقال "ولنرجع الآن إلى ذكر ما كنا بدأنا به أول" ثم يتحدث عن وصف الطريق البري ويستفيض فيه أيضًا. أما النقطة الثانية فتتمثل في عدم تكرار المرشد لما سبق شرحه وتفسيره للسائح وهو نفس تعبير الإدريسي عن مدينة شنت ياقوبفي نهاية الطريقين البريوالبحري حيث لم يرى ضرورة في إعادة الكتابة عنها فاكتفى بقوله " وقد وصفنا شنت ياقوب بما يكفي ويغنى عن تكراره"

**لشبونة (اشبونة)**

مدينة Lisboaعاصمة البرتغال الحالية، ورد ذكرها في الإقليم الثالث الجزء الأول عند الحديث عن جزيرة قلهان "لهذه الجزيرة قصة غريبة أخبر عنها المغررون من أهل مدينة اشبونة بالأندلس حين أسقطوا إليها بمراكبهم وكيف سميت آسفي بهم وهي مرسى وحديثها طويل وسنأتي به في موضعه عند ذكرنا لمدينة اشبونة" (الإدريسي، 2002: 220). وعند الحديث عن مرسى آسفي ذكر أنه "إنما سمى هذا الأمر بآسفي لأمر سنأتي به عند ذكرنا لمدينة اشبونةبغربي الأندلس وذكر الشيءفي موضعه أليق وأوفق" (الإدريسي، 2002: 240).

في هاتين الفقرتين ملمحين آخرين مهمين من ملامح أساليب الإرشاد السياحي، الأول هو اختيار السياق الأكثر ملائمة لذكر معلومة معينة أو تقديم تفسير معين وعدم تكرار ذلك حتى وإن دعت الحاجة حتى لا يصاب المستمع بملل (Mancini, 2001: 33)، فرغم أنه هنا يتحدث عن آسفي وسبب تسميتها إلا أن ارتباط القصة بلشبونة أكثر من ارتباطها بآسفي لذا قرر أن يذكره في موضعه، وفى المرة الثانية شرح سبب تأجيل ذلك الشرح وهو أن ذكر الشيءفي موضعه أليق وأوفق.

أما الملمح الثاني فهو استخدام عنصر التشويق، فقارئ النزهةحين يقرأ في أكثر من موضع في الكتاب أن هناك قصة مرتبطة بالمغررين وأنها سوف تذكر حين الوصول إلى لشبونة فيشتاق إلى الوصول إلى هذه النقطة من الكتاب ليقرأ عن تلك القصة التي تم تشويقه إليها، وهو أسلوب مفضل جدًا في الإرشاد السياحي يلجأ إليه المرشدون المتميزون لتشويق مستمعيهم إلى موضوع معين، هادفين بذلك إلى استثارة انتباه السائح إلى ما يقولون بشكل عام وإلى انتظار الحديث في ذلك الموضوع المعين بشكل خاص (الفاعوري، 2006: 44).

موقع لشبونة والمسافات بينها وبين المدن الأخرى وردت في أكثر من موضع، فقد ذكر المسافة بين لشبونة وطليطلة عند حديثه عن وصف بلاد الأندلس بشكل عام وأن طليطلة تعتبر في المركز منهاوأن المسافة "من طليطلة إلى لشبونة غربًا تسع مراحل" (الإدريسي، 2002: 536)

ووصف موقعها من النهر والبحر حين وصف نهر تاجة عند ذكره مدينة وادي الحجارة "ونهر تاجة يخرج من ناحية الجبال المتصلة بالقلعة والفنت فينزل مارًا مع المغرب إلى مدينة طليطلة ثم إلى طلبيرة ثم إلى المخاضة ثم إلى القنطرة ثم إلى قنيطرة محمود ثم إلى مدينة شنترين ثم إلى لشبونة فيصب هناك في البحر" (الإدريسي، 2002: 553)، وعاد ليؤكد موقع لشبونة في أقصى الغرب من بلاد الأندلس حين ذكر أنها وشنترة يجاورا بحر الظلمات (الإدريسي، 2002: 726).

ثم وصف المدينة ذاتها "ومدينة لشبونة على شمال النهر المسمى تاجة وهو نهر طليطلة، وسعته أمامها ستة أميال، ويدخله المد والجزر كثيرًا، وهي مدينة حسنة ممتدة مع النهر، ولها سور وقصبة منيعة، وفى وسط المدينة حمات حارة في الشتاء والصيف، ولشبونة على نحر البحر المظلم، وعلى ضفة النهر من جنوبه قبالة مدينة لشبونة حصن المعدن" (الإدريسي، 2002: 547)

ركز الإدريسيفي وصفه على موقع لشبونة فأكد أنها على نهر تاجة وأن النهر يتسع أمامها لستة أميال وهو النهر الذى أسماه نهر طليطلة، وهى المدينة التي اتخذها مركزا لقياس المسافات بين مدن الأندلس، وذكر أن لشبونة تبعد عنها تسع مراحل في اتجاه الغرب، كما ذكر كذلك أن لشبونة تقع على البحر مباشرة وهو ما سبق وأن ذكره من أنها مجاورة لبحر الظلمات، أما المدينة نفسها فقد ذكر أنها مدينة حسنة، وأنها كبيرة تمتد مع امتداد النهر، ومن أهم معالمها أنها مدينة مسورة ومحصنة بشكل منيع، أما في وسطها فأهم ما لفت انتباهه هيالحمات الحارة سواء في الشتاء والصيف، ولم يذكر عنها أكثر من ذلك وانتقل إلى الحديث عن حصن المعدن المواجه للشبونة على الضفة الجنوبية للنهر.

والتزاما بالمنهج الذي انتهجه فعند انتهائه من وصف لشبونة يذكر المسافة بينها وبين محطته القادمة وهيشنترين "ومن مدينة لشبونة مع النهر إلى مدينة شنترين شرقًا ثمانون ميلًا" (الإدريسي، 2002: 549).

**قصة المغررين**

ذكر قصة المغررين كاملة "ومن مدينة لشبونة كان خروج المغررين في ركوب بحر الظلمات ليعرفوا ما فيه وإلى أين انتهاؤه كما تقدم ذكرهم ولهم بمدينة لشبونة بموضع بمقربة الحمة درب منسوب إليهم يعرف بدرب المغررين إلى آخر الأبد وذلك انهم اجتمعوا ثمانية رجال كلهم من أبناء عم فأنشأوا مركبًا حمالًا وأدخلوا فيه من الماء والزاد ما يكفيهم لأشهر ثم دخلوا البحر في أول طاروس الريح الشرقية فجروا بها نحوا من أحد عشر يومًا فوصلوا إلى بحر غليظ الموج كدر الروائح كثير التروش قليل الضوء فأيقنوا بالتلف فردوا قلاعهم فى اليد الأخرى وجروا مع البحر في ناحية الجنوب اثنى عشر يومًا فخرجوا إلى جزيرة الغنم وفيها من الغنم ما لا يأخذه عد ولا تحصيل وهى سارحة لا راعى لها ولا ناظر إليها فقصدوا الجزيرة فنزلوا بها فوجدوا فيها عين ماء جارية وشجرة تين برى عليها فأخذوا من تلك الغنم فذبحوها فوجدوا لحومها مرة لا يقدر أحد على أكلها فأخذوا من جلودها وساروا مع الجنوب اثنى عشر يومًا إلى أن لاحت لهم جزيرة فنظروا فيها إلى عمارة وحرث فقصدوا إليها ليروا ما فيها فما كان غير بعيد حتى أحيط بهم في زوارق هناك فأخذوا وحملوا في مركبهم إلى مدينة على ضفة البحر فأنزلوا بها فرأوا فيها رجالًا شقرًا زعرًا شعور رؤوسهم سبطة وهم طوال القدود ولنسائهم جمال عجيب فاعتقلوا منها في بيت ثلاثة أيام ثم دخل عليهم في اليوم الرابع رجل يتكلم باللسان العربي فسألهم عن حالهم وفيما جاءوا وأين بلدهم فأخبروه بكل خبرهم فوعدهم خيرًا وأعلمهم أنه ترجمان الملك فلما كان في اليوم الثاني من ذلك اليوم أحضروا بين يدى الملك فسألهم عما سألهم الترجمان عنه فأخبروا بما أخبروا به الترجمان بالأمس من أنهم اقتحموا البحر ليروا ما به من الأخبار والعجائب ويقفوا على نهايته فلما علم الملك ذلك ضحك وقال للترجمان خبر القوم أن أبى أمر قومًا من عبيده بركوب هذا البحر وأنهم جروا في عرضه شهرا إلى أن انقطع عنهم الضوء وانصرفوا من غير حاجة ولا فائدة تجدى ثم أمرالملك الترجمان أن يعد القوم خيرًا وأن يحسن ظنهم بالملك ففعل ثم انصرفوا إلى موضع حبسهم إلى أن بدأ جرى الريح الغربية فعمر بهم زورق وعصبت أعينهم وجرى بهم في البحر برهة من الدهر قال القوم قدرنا أنه جرى بنا ثلاثة أيام بلياليها حتى جيء بنا إلى البر فأخرجنا وكتفنا إلى خلف وتركنا بالساحل إلى أن تضحى النهار وطلعت الشمس ونحن في ضنك وسوء حال من شدة الكتاف حتى سمعنا ضوضاء وأصوات ناس فصحنا بجملتنا فأقبل القوم إلينا فوجدونا بتلك الحال السيئة فحلونا من وثاقنا وسألونا فأخبرناهم خبرنا وكانوا برابر فقال لنا أحدهم أتعلمون كم بينكم وبين بلدكم فقلنا لا فقال أن بينكم وبين بلدكم مسيرة شهرين فقال زعيم القوم واأسفي فسمى المكان إلى اليوم آسفي وهو المرسى الذى في أقصى المغرب وقد ذكرناه قبل هذا" (الإدريسي، 2002: 548-549)

هذه هي القصة التي لم يرغب في ذكرها سابقًا عند الحديث عن آسفي واكتفى بالتمهيد أنه سيذكرها في حينها، ورغم أن القصة فيها بعض ما يصعب تصديقه وهو ما تحاشاه الإدريسيفي ذكر قصص أخرى إلا أن ما في هذه القصة من الغرابة ما جعلها جديرة بالرواية، وهو أسلوب يفضل في الإرشاد السياحي حيث تروى غرائب القصص التي تستند إلى حقائق وواقع لجذب انتباه السائح وتجتنب رواية القصص المصطنعة (الفاعوري، 2006: 44) فللقصة وطريقة روايتها وقع مؤثر في عمل المرشد السياحي (Tilden, 2007: 53). وقد مهد لهذه القصة من أجل تشويق القارئ في أكثر من موضع.

**حصن المعدن**

حاليا مدينة Almadaالمواجهة للشبونة، وصفها عند حديثه عن لشبونة وقبل ذكر قصة المغررين "وعلى ضفة النهر من جنوبه قبالة مدينة لشبونة حصن المعدن وسمى بذلك بأنه عند هيجان البحر يقذف هناك بالذهب والتبر فإذا كان زمن الشتاء قصد إلى هذا الحصن أهل تلك البلاد فيخدمون المعدن الذي به إلى انقضاء الشتاء، وهو من عجائب الأرض وقد رأيناه عيانًا"(الإدريسي، 2002: 547).

وفى وصف هذا الحصن واحدة من أهم الأساليب المتبعة في الإرشاد السياحي فهو يذكر بداية تسمية الحصن ثم يعقبها مباشرة بتفسير سبب التسمية، وبعد الانتهاء من وصف الظاهرة ذكر أنها واحدة من العجائب على وجه الأرض، ثم يأتي أهم ما في هذه الفقرة وهو تأكيده على أن ما يحكيه هنا ليست قصة سمعها فينقلها وإنما هي تجربة حية قد عايشها بنفسه ورآها بعينيه وذلك في تعبيره الموجز "وقد رأيناه عيانًا".

**شنترين**

مدينة Santarémالحالية وسط البرتغال، وصفها الإدريسي بعد أن انتهى من ذكر قصة المغررين مباشرة "ومن مدينة لشبونة مع النهر إلى مدينة شنترين شرقًا ثمانون ميلًا والطريق بينهما لمن شاء في النهر أو في البر، وبينهما فحص بلاطة ويخبر أهل لشبونة وأكثر أهل الغرب أن الحنطة تزرع في هذا الفحص فتقيم في الأرض أربعين يومًا فتحصد وأن الكيل الواحد منها يعطى مائة كيل وربما زاد ونقص، ومدينة شنترين على جبل عال كثير العلو جدًا ولها من جهة القبلة حافة عظيمة ولا سور لها وبأسافلها ربض على طول النهر وشرب أهلها من مياه عيون ومن ماء النهر أيضًا ولها بساتين كثيرة وفواكه عامة ومباقل وخير شامل" (الإدريسي، 2002: 550)، ثم ينتقل الإدريسي من مدينة شنترين إلى مدينة بطليوس ويصف بينهما مدينة يلبش (الإدريسي، 2002: 550)، كما يذكر المسافة بين قلمرية وبينها "وبين قلمريةوشنترينفى جهة الجنوب ثلاثة مراحل" (الإدريسي، 2002: 726)

وعند وصفه موقع شنترين يؤكد على ارتفاعها باستخدام ثلاثة مترادفات لتأكيد نفس المعنى،فهي على جبل عال، والجبل كثير العلو جدًا، وربما كان هذا الارتفاع الشديد سببًا في عدم وجود سور حول المدينة حيث لا حاجة له لا سيما وأنها من ناحيتها الجنوبية الشرقية تقع على حافة عظيمة، وإن كان الإدريسي لم يحدد هذه الناحية باستخدام الاتجاهات الجغرافية الأربعة وإنما استخدم تعبير "من جهة القبلة" حيث غلبت عليه ثقافته الإسلامية، واستخدام مصطلحات من ثقافة المرشد الخاصة لمخاطبة مجموعات من غير ثقافته أمر يجذب انتباه بعض السائحين (الفاعوري، 2006: 41) ولكن يشترط لاستخدامه في مجال الإرشاد السياحي ذكر ما يرادف تلك المصطلحات في ثقافة السائح المستمع حتىلا تبدو غامضة صعبة الفهم وحتى يضمن وصول الرسالة للجميع (Pastorelli, 2003).

**حصن منت ميور**

حاليا قلعة Castelo de Montemor-o-Velhoفي غرب البرتغال.لم يقدم الإدريسي سوى وصف مختصر جدًا لهذا الحصن رغم أنه ذكره أربع مرات إلا أنه في كل مرة كان يكتفى بالإشارة إلى موقعه الجغرافي وذلك في سياق حديثه عن مدن أخرى وبخاصة قلمرية، وقد أكد ذلك الموقع في أكثر من مرة فعند حديثه عن قلمرية وصفها بأنها "على نهر منديق وجريه بغربيها ويتصل جرى هذا النهر إلى البحر وعلى مصبه هناك حصن منت ميور" (الإدريسي، 2002: 547).

وعند حديثه عن أرض برتقال بشكل عام وأهم مدنها ذكر منت ميور باعتبارها مدينة من مدن البرتغال ولم يذكرها على أنها حصن "فأما بلاد برتقال فمنها مدينة قلمرية ومنت ميورونجاو وسرتان وشلمنقةوسمورةوآبلة" (الإدريسي، 2002: 725)

وعند حديثه عن المسافة بين قلمرية والبحر أضاف أن الحصن على مصب نهر منديق وهي المرة الوحيدة التي قدم فيها وصفًا مختصرًا للحصن فوصفه بأنه منيع جدًا كما حدد موقعه بدقة في نحر البحر "وعند مصب النهر وبين قلمرية والبحر في جهة الغرب اثنا عشر ميلًا وهناك يصب نهرها المسمى منديق. وعلى مصب النهر في البحر حصن منيع جدًا يسمى منت ميور وهو في نحر البحر" (الإدريسي، 2002: 726)

وعند وصف الطريق البحري بين قلمرية وشنت ياقوب ذكر الحصن "من قلمرية إلى شنت ياقوب وذلك إن شئته في البحر سرت من حصن منت ميور إلى موقع نهر بوغو سبعين ميلًا وهو أول أرض برتقال" (الإدريسي، 2002: 726)

**الخاتمة**

تضمن أسلوب الإدريسيفي وصفه للمدن البرتغالية -وفى كتاب النزهة عامة-كثيرًا من ملامح الأساليب المستخدمة في مجال الإرشاد السياحي ومن ذلك:

* البدء بالمقدمات المختصرة بشكل عام يعقبها التفصيل، حدث ذلك عند تقديمه لبلاد الأندلس وأقاليمها، وكرر ذلك على نحو مصغر عند تناوله كل مدينة على حدة.
* عدم تكرار الشرح والمعلومات عن نفس المعلم، يظهر ذلك في كلامه عن قصة المغررين وعن شنت ياقوب، حيث أجل الكلام عن الأولى إلى أن تأتى في سياقها السليم، ولم يرد تكرار وصف الثانية التي سبق له وصفها.
* عدم شرح ما لا تراه أعين السائحين والتركيز على ما تستطيع أعينهم رؤيته بالفعل ومثال ذلك شرحه لكنيسة الغراب وما يتعلق بها، ثم إغفاله تفاصيل معجزات تلك الغربان التي سمع عنها من الرهبان ولم يراها بنفسه.
* عدم تكرار العبارات الوصفية في أكثر من موقع والبحث عن التعبير الذي يلائم الموقع بشكل أكثر واقعية حتى لا تفقد العبارات مصداقيتها، جاء ذلك في وصفه لكافة المدن ومنها على سبيل المثال شنت مارية مدينة متوسطة القدر حسنة الترتيب، شلب مدينة حسنة الهيئة بديعة المباني، يبورةهي أحسن البلاد بقعة، قلمرية مدينة صغيرة متحضرة، لشبونة مدينة حسنة ممتدة مع النهر.
* عدم نسيان الفكرة الأساسية التي يتناولها المرشد بالشرح والرجوع إليها مهما كان الاستطراد في موضوع فرعى، وقد جاء ذلك الأسلوب واضحًا جدًا في ذكر الإدريسي للطرق بين قلمرية وشنت ياقوب وقوله صراحة "ولنرجع الآن إلى ذكر ما كنا بدأنا به أول".
* اختيار السياق المناسب والمكان الأكثر ملائمة لذكر قصة ما أو التعليق على حدث ما، ولعل هذه من أكثر المهارات التي يجب على المرشد إتقانها حتى لا يفقد اهتمام سامعيه عند ذكره لحدث خارج سياقه المناسب، وقد ورد ذلك بوضوح في قصة المغررين التي أجل ذكرها أكثر من مرة وفسر ذلك بأن ذكر الشيءفي موضعه أليق وأوفق.
* التفسير، حيث لم يكتف بذكر المعلومة وإنما يفسرها ويذكر أسبابها، فقد فسر تشبيه الأندلس بشبه الجزيرة، وفسر أسباب عمران كل مدينة، وأسباب ضخامتها أو توسطها.
* إعطاء المسافات بين المدن المختلفة بدقة، والجمع بين ذكر المسافة والوقت اللازم لاستغراقها، وقد ورد ذلك في معظم المدن التي ذكرها، إضافة إلى اختيار نقطة ارتكاز لقياس المسافات بين المقاصد المختلفة في البرنامج السياحي وهو المثال الذي ساقه الإدريسي باختياره مدينة طليطلة كنقطة قياس للمسافات بين مدن الأندلس.
* استخدام أساليب الوصف المختصرة حين يكون الموضوع في درجة أقل من الأهمية أو متفرعًا من موضوع أصلى، وهي الطريقة التي استخدمها في وصف بلاد البرتغال باعتبارها جزءا من بلاد الأندلس.
* الترتيب حيث يراعى في خط سير الرحلة السياحية ترتيب المقاصد بشكل أقرب إلى الترتيب الجغرافي، أما من ناحية الشرح فيجب ترتيب الأفكار في نقاط متتالية تسهل عمل المرشد وغالبًا ما تبدأ بذكر المسافة إلى المقصد المرجو، ثم شرح الموقع أو المدينة من الخارج إلى الداخل، كوصف مكان المدينة ثم الأسوار ثم الأبواب ثم أهم معالمها الداخلية، إضافة إلى تناول أهم ما يميز الموقع، ثم نشاط سكانه وعاداتهم، وهذا الترتيب قد اتبعه الإدريسيفي وصفه لكافة المدن التي تناولها.
* استخدام أسلوب التشويق بما يجعل المستمع "السائح" في حالة تركيز ورغبة في الاستماع إلى موضوع تم تشويقه إليه مسبقا، وورد ذلك في قصة المغررين التي أشار إليها في أكثر من موقع، وفى كل مرة يشوق القارئ إلى أنه سيذكرها في حينها.
* تأكيد غرائب القصص أو الأحداث بالاستشهاد بمصدر موثوق به أو برؤية ومعايشة شخصية، وهوما ذكره في قصة حصن المعدن والتي اعتبرها من العجائب وأكد حدوثها لأنه شاهدها بنفسه.
* عدم استخدام مصطلحات من ثقافة المرشد دون نقلها إلى لغة وثقافة السائح حتى يسهل عليه فهمها، وربما كانت هذه النقطة هي مما يؤخذ على الإدريسي إذا ما قورن أسلوبه بأساليب الإرشاد السياحي، وقد تجسد ذلك في توظيفه بعض مصطلحات الثقافة الاسلامية كأن يستخدم اتجاه القبلة لتحديد اتجاه معين دون أن يذكر ماهية هذا الاتجاه بالنسبة للاتجاهات الجغرافية وهو أمر يصعب فهمه على من ينتمي لثقافة غير إسلامية.

وإجمالا يمكن القول أن وصف الإدريسي للمدن البرتغالية – وفى كتابه عامة – لم يغلب عليه طابع السائح الذى يدون انطباعات عن مكان يزوره، بل برزت في مواقع عديدة منه كثير من الأساليب المستخدمة في مجال الإرشاد السياحي، حتى ليخيل للقارئ وهو يقرأ وصفه لبعض المدن أنه في صحبة مرشد سياحي بالفعل، لا يكتفى بإعطاء المعلومة الصحيحة والدقيقة، بل يفسر ما خفى من وراءها، وما لا يمكن أن تعبر عنه المعلومة في حد ذاتها دون تفسيرها.

**المراجع**

* الإدريسي، محمد بن محمد، (ط. 2002)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.
* الحريري، محمد مرسى، (1985)، الشريف الإدريسي ودور الرحلة فيجغرافيته، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
* الحوري، مثنى طه، (2002)، الإرشاد السياحي، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان.
* السعيدي، عصام حسن، (2009)، الدلالة والإرشاد السياحي، دار الراية للنشر والتوزيع، عمان.
* الشبعان، أحمد بن محمد، (2009)، الجغرافيا الحضارية عند الإدريسي الأقاليم الثلاثة الأولى من (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) أنموذجًا، دراسات جغرافية 18، الجمعية الجغرافية السعودية، الرياض.
* الفاعوري، أسامة صبحي، (2006)، الإرشاد السياحي ما بين النظرية والتطبيق، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان.
* باشا، أحمد فؤاد، (1997)، "العلوم الجغرافية في التراث الإسلامي"، مجلة المنهل، العدد 583، ص. 92-101، جدة.
* حسن، محمد عبد الغنى، (1971)، الشريف الإدريسي أشهر جغرافيى العرب والإسلام، أعلام العرب 97، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة.
* خورى، إبراهيم، (2000)، الشريف الإدريسي نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين.
* سوسة، أحمد، (1974)، الشريف الإدريسيفي الجغرافيا العربية، نقابة المهندسين العراقيين، بغداد.
* عويس، غسان برهان، (2003)، الدلالة والإرشاد السياحي علم وفن، دار زهران، عمان.
* مقابلة، خالد، (2000)، فن الدلالة السياحية، دار وائل للنشر، عمان.
* نفيس، أحمد، (1987)، الفكر الجغرافيفي التراث الإسلامي، ترجمة فتحي عثمان، الطبعة الثانية، دار القلم، الكويت.
* Cohen, E., (1985). "The Tourist Guide: The Origins Structure and Dynamics of a Role", *Annals of Tourism Research*, 12, 5-29.
* Jaubert, P.A., (1975), La Géographie, D' Édrisi, Tome Second, Philo Press, Amsterdam.
* Mancici, M., (2001), Conducting Tours: A Practical Guide, Delmar, New York.
* Pastorelli. J., (2003), Enriching the Experience: An Interpretive Approach to Tour Guiding, French's Forest, Australia.
* Tilden, F., (2007), Interpreting Our Heritage, Fourth Edition, The University of North Carolina Press, Chapel Hill.